

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الابصار

الملك

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستهينون بقول فيليهموني
أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و مناراء كنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الانور ١٣٣٣ ٢٥ الدلو (ش ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ فبراير ١٩١٥

فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل
ثناؤك ، ولا إله غيرك ، (٢٦:٣) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ،
وتزع الملك ممن تشاء ، وتغز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك
الخير إنك على كل شيء قدير

سبحانك اللهم وبحمدك ، ما أعذل حكمتك ، وما أجل حكمتك ،
وما أوسع علمك ، وما أنفذ مشيئتك ، (قل اللهم فاطر السموات

والأرضِ عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ تحكمُ بينَ عبادك فيما كانوا فيه
يُخْتَلِفُونَ)

سبحانك اللهم وبمحمدك، لأنحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك، أسبغت النعم ظاهرة وباطنة، وأفضت أنوار الكرم بارزة وكامنة،
ووهبت العقول والمشاعر، وبينت السنن والشعائر، وأكملت هداية
الدين، ببعثة محمد خاتم النبيين، فصل وسلم اللهم عليه وعلى آله الأئمة
الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين

اللهم ان نعمك لا تحصى وقد كفرها الكافرون، وان صراطك
المستقيم لا يخفى وقد تنكبّه الضالون، وان حكمك هو الحق وان صمي
عنه المبطلون، وان عدلك هو القسطاس وان جهله الظالمون، (٧: ٣٣
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ * ١٨ : ٦٥ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجَارُونَ ٦٦ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ)

ربنا إنك آتيت أقواما الغنى فطغوا وفسقوا عن أمرك، وآتيتهم
القوة فبغوا في أرضك، ربنا ليضلوا عن سبيلك، بما أعرضوا عن
دليلك، (١٠: ٨٨ ربنا اطمس على أموالهم واشدّد على قلوبهم، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم * ١٧ : ٤٤، بل مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى
طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ؟
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟)

يأيها الناس لا حير في الحضارة المدنية، اذا اقيمت على قواعد

الأثرة والقوة المادية ، ولا خير في العلم ولا في العمران ، اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان ، أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وانه بعباده رؤف رحيم وإنما يرحم الراحمين ؟ وانه يأمر بالعدل والاحسان وخص بمحبته المحسنين ؟ (٤٠ : ٨٢ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * ٢٩ : ٩ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمرؤها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) * (٣٨ : ٩ آم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ١٠ آم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليترققوا في الاسباب ١١ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)

(٤ : ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة * ١٣ : ٤٩ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) لا لتناكروا وتتخالفوا ، (٤٥ : ١٢ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) لتشكروا لا لتكفروا ، ولتصالحوا لا لتفسدوا ، وليس الإصلاح في الاستعانة بقوى المواد وخواص الاشياء ، على إفساد أمر الناس الذين خلق الله لهم جميع الاشياء ، وإنما الإصلاح كل

(*) لاجل دور الاعتبار بهاتين الآيتين هنا نزولهما في قوم كانوا أقل من قبلهم قوة وكسبا وعمرانا وآثارا في الارض وكونهما لا تنطبقان من بعض الوجوه على بعض الامم المعروفة بقوتها وعمرانها في هذا العصر - فالعبرة واحدة

الإصلاح ، أن تستعينوا بما آتاكم الله من العلم والعرفان ، وما هداكم اليه من تسخير القوى الكامنة في الاجسام ، على جعل منافعها شرعاً بين جميع الناس ، وجعل الغاية منها إيصال الشعوب كلها الى ما يمكن من الكمال . وان الإفساد كل الإفساد ، ان تحتكر الشعوب العالة منافع العلم ، وتجعله ذريعة لبغي بعضها على بعض ، واستئلال الشعوب الضعيفة في الارض ، وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الاعجم ، بل هم اشد اهانة لمن كرم الله واكثر تذليلاً (١٧: ٧٠) ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً* - ١٦ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً)

يا أيها الانسان، اتق الله في أمر أخيك الانسان، ولا تستعل على من فضلك عليه بالعلم والمال، فقد خلت من قبلكم القرون والاجيال، (١٤: ٤٤) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال - ٢٨: ٦٧ إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٧) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٨) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي، أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا؟ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ

(٧٩) فَتَجَرَّ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ، لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَآنَ لَهُ لَا يَفْلَاحُ الْكَافِرُونَ (٨٣) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

يا أيها المغرورون بالعلم والقوة ، قد عرفتم القوى المادية، فلا تنسوا القوة المعنوية ، يا أيها المغرورون بعرفان السنن الكونية والاجتماعية ، لا تنكروا سنن العدالة الإلهية ، (٣ : ١٣٦) قد تخلصت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * ١١ : ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى (١) بظلم وأهلها مُصلحون ٢٨ : ٥٩ وما كنّا مُهلكي القرى الا أهلها ظالمون ٧ : ٩٩ أو لم يهد للذين يريثون الأرض من بعد هذا ٢٠ : ١٧ لو نشاء أصدناهم بدّ ثوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

واما أنتم يا معاشر المستضعفين والمظلومين، فما زلتم شراً على أنفسكم

(١) القرى والمدن العواصم والمراد هنا الامم

بن الاقوياء العادين ؛ لا نعم الله شكرتم ، ولا دين الفطرة أقمتم ؛ لا سنن
 لله في السكون عرقتم ، ولا على سننه في ارتقاء البشر سرتتم ؛ لا بالقوى
 لمادية انتفعتم ، ولا بالقوى المعنوية اعتصمتم ، فما ظلمكم الله ولا الناس
 لكن أنفسكم ظلمتم . تطالبون ربكم بما وعد به المؤمنين ، ولا
 تطالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، (٣ : ١٥٢) ولقد
 صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم ياذه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر
 مرمكم بخالفه كتابه وسنته في عباده ذلك النصرة ، (٨ : ٤٧) واطيعوا
 الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشاوا وتذهب رايحكم واصبروا إن الله مع
 الصابرين) (٣ : ١٣٨) وتلك الايام نداء لها بين الناس * ٢٧ : ٥ ونريد
 أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)
 يا قوم ! طالما أنذركم المنار على رؤوس السنين والاحوال ، سوء عاقبة
 ما أنتم عليه من التفريط والغرور والاهمال ، وطالما فصل لكم في أعقاب
 لشهور ، ما تخرجون به من الظلمات الى النور ، مينا لكم بآيات القرآن ،
 وأقيسة الميزان ، وسنن الله في سيرة الانسان ، أن الامر ليس بالأمانى
 والاحلام ، ولا بمجرد الانتساب الى الاسلام ، وانما هو بالاخلاق
 والاعمال ، والعدل والاعتدال ، التي بالايماز تبلغ درجات الكمال ، وانما
 لخلافة في الارض بالصلاح والاصلاح ، والمؤمن المصلح يرجح المصلح
 لكافر بالايماز ، (٢١ : ١٠٥) ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن
 لارض يرثها عبادي الصالحون * ١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلك
 الظالمين ١٤ ولنسكتنكم الارض من بعدهم * ٧ : ١٢٧ وعد الله الذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات لِيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٧: ١٢٧ إِنْ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

نعم طالما حذركم المنار وأنذركم ، بل طالما ذكركم بنذر ربكم ، وبسننه في الدين معكم والذين خلوا من قبلكم ، فماريتم بالنذر ، وتعلمتم بالقضاء والقدر ، وانما يعتذر بالقدر من يرى نفسه ، ويتهم ربه ، على أنكم تدعون ربكم ان يبدل فيكم سنته ، ويبطل لأجلكم حكمته ، وينصركم بالاستبداد الأنف ، وقطع أسباب القدر ، وقد تلوتم ما نزل في حنين وأحد ، إذ نزل بخير سلفكم ما نزل ، جزاء العجب والخلاف والفشل ، وفيهم خاتم الانبياء والرسل ، أإسلامكم خير من اسلامهم ، أم لكم براءة في الزُّبر ، (كلاً والقمر ، والليل إذ أذرب ، والصبح إذا أسفر ، إنها لا إحدى الكبر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)

نعم ان الله في خلقه آيات ، وان لربكم في أيام دهركم نفحات ، وان له تعالى رحمة خاصة لدُنْيَا ، تتخلل سننه الاجتماعية ، « وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ^(١) « وان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال مام من أهله » ^(٢) ولكن الله تعالى لا يؤيد بخوارق الآيات ، من أعرض عن السنن وآيات القرآن ، ولا يمد بالنفحات والرحمة الخاصة ، من استحق الحرمان من معظم الرحمة العامة ، ألا وان تأييد الله الاسلام

(١) حديث رواه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مقرن وعلم عليه السيوطي في جامعه بالصحة (٢) حديث رواه الطبراني عن عبدالله بن عمرو بسند ضعيف

بغير اهل ، اكبر حجة على جميع من يُعدون من اهلهم ، ولا سيما اذا أُصروا على خذل انفسهم بخذله ، افلا يعلم من لاخير له في نفسه من نفسه ، أن لاخير يرجى له من غيره ؟ (٣٦: ٥٣) أم لم يَنْبَأْ بما في صُحُفِ موسى ٣٧ وإبراهيم الذي وفى ٣٨ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٩ وَأَن لِّسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)

يجب علينا معاشر المسلمين أن ننصف من أنفسنا ، قبل أن تنتصف أو نستنصف من الأجانب عنا - وأن نستجيب لله وللرسول اذا دعانا لما يحيننا ، قبل أن ندعوه أن يستجيب لنا ويؤتينا ما وعدنا - وأن نشكر نعم ربنا التي أعطى من غير استحقاق لها ، قبل أن نسأله حفظها أو المزيد منها بدون قيام بحقةها - وأن نعلم أن الله تعالى لا يستجيب الدعاء بلسان المقال ، الا اذا كان دعاء بلسان الاستعداد والحال ، (١٣ ١٢) إِنْ أَلَّهِ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)

إني أذكر في فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار ، بما طالما فصلت فيه القول في السنين الخوال ، إنا نحن مسلمي هذا العصر ، لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ، ولا خلافة في شيء من الارض ، لا بحسب سنته في خلقه ، ولا بمقتضى وعده في كتابه ، فاذا أعطى شيئا أو أبقي ، فذلك عنايته تعالى وفضله لا مما جعله وعدا عليه حقا ، وإن الله تعالى ليلو عباده بالحسنات ، كما يلوهم بالسيئات ، ليلوهم أيهم أحسن عملا ، فيكون أحسن جزاء وخيرا أملا (١٨ : ٥٥) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا - ٥٩ وَرَبُّكَ

الغفور ذو الرحمة ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً

هذا وإن آية المؤمن أن يحمد الله في السراء والضراء ، ولا يأس من روح الله مهما اشتدت الأهوال والأرزاء ، ويعلم أن ما أصابه من حسنة فمن فضل ربه ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه وسوء كسبه ، فيحدث عند الحسنة شكراً ، ويحدث عند السيئة توبة وذكرى (٢٢ : ١١) ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة ألقب على وجهه ، خسِر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين (٢٢ : ٧) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَنْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ - ١٠ : ٨٥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٨٦ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - ٢ : ٢٨٧ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا . . .

٢ : ٢٠٠ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٣ : ١٩٤ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

٧ : ٨٩ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

٣٩ : ٧٥ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

منشئ المنار ومحوره

محمد رشيد رضا

﴿ الجهاد الديني في الاسلام ﴾

ان أحكام القتال في الاسلام أعدل وأرحم من أحكام القوانين الأوروبية فهي الإصلاح الأعظم لهذه المصيبة الاجتماعية . ويفطن كثير من نصارى الشرق - تبعاً لآرائهم في الغرب - ان الجهاد الديني في الاسلام عبارة عن تصدي المسلمين لقتل كل من يخالفهم في الدين . وقد يندأ خطأ هؤلاء وهمهم بالأدلة والآيات البينات . ويدهشنا ان نرى أجدر الناس بالفهم والحفظ والذكر لما كتبناه - كاصحاب الجرائد - قد نسوه وظلوا على رأيهم الموروث بدليل ما كان من توقعهم قيام المسلمين في البلاد العثمانية بذبح إخوانهم في الجنس والوطن ، واستغرابهم اتحاد الدولة العثمانية مع دولتين من غير دينها

أعانت الدولة العثمانية الجهاد الديني فكان المسلمون في بلادها السورية وغيرها أشد اتفاقاً مع غير المسلمين منهم قبل هذا الجهاد . وما ينقل من تعدي الترك والاكراد على الأرمن فسببه - على فرض صحته - المنازعات الجنسية والسياسة ، والانتقام منهم لميلهم الى الدولة الروسية

وأما الجهاد العام في الاسلام فلا يكون الادفاعاً ولا يجوز فيه قتال غير المقاتلين المعتدين (٢ : ١٩٠) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

الدعوة الى انتقاد المنار

جرت عادتنا بأن نذكر قراء المنار في كل عام بما يجب من الانتقاد الذي هو ضرب من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة على الدعوة الى الخير، وبث النصيحة ونشر العلم، فنحن نطالب كل من قرأ في المنار شيئاً يرى أنه خطأ أن يبين لنا ذلك قولاً أو كتابة مؤيداً لنقده بما عنده من الدليل، وأما من سمع الانكار على المنار من بعض الناس سماعاً فينبغي له أن يثبت ولا يعجل بموافقة المنكر ومجاراته، حتى يرى ذلك بعينه، أو يقرأه الثقة عليه، فان من الناس من يقتري الكذب عمداً، ومنهم من يحرف ما يقرأ حسداً وضحناً، ومنهم من يستنبط من الكلام لوازم لا تلزم، على ان لازم المذهب ليس بمذهب

وانا وايم الله لا نرغب الى أهل العلم والفهم ان ينتقدوا ما نكتب غروراً منا بنفسنا، وثقة بأن النقد ينكشف عن خطأ الناقد وصوابنا، بل نعلم اننا كغيرنا من البشر عرضة للخطأ والنسيان، ولجهل الحقائق وضعف البيان، ولا نبرئ أنفسنا الا من سوء القصد، واتباع الهوى عن عمد، وان لنا في هذه الدعوة أربعة أغراض:

الاول التوصل بها لإصلاح خطائنا، وتقويم عوجنا
الثاني التعاون على البر والتقوى والاصلاح بضم رأي غيرنا الى رأينا والاستفادة من علم أهل العلم

الثالث اقامة الحججة على المفتابين والكذابين الذين يقولون علينا ما لم نقل، وينسبون إلينا ما نحن براء منه، ويعيون المنار بما ليس فيه

الرابع التوصل الى تصحيح خطأ المتقد اذا كان هو المخطئ
هذا. ومن شاء ان ينشر ما يكتبه إلينا من غير تصريح باسمه فله أن يأمرنا بكتمان اسمه. ووضع ما شاء أو شئتنا من الاسماء والالقباب في مكانه

وانا نشترط على المتقدمين ما نشترطه لهم على أنفسنا من الادب في العبارة. ونزيد التزام الموضوع وعدم الخروج عنه الى ما ليس منه، ومراعاة الاختصار بقدر

الحاجة

التاريخ الهجري الشمسي

يعلم القراء أننا شرعنا من بضع سنين باحياء التاريخ الهجري الشمسي بذكر
سنينه في المنار بعد التاريخ الهجري القمري وقبل التاريخ الميلادي وقد كنا نكتفي
أولا بذكر السنة تابعة للشهور الافرنجية الشمسية ، بدأنا بهذا في المجلد الثاني عشر
(سنة ١٣٢٧) ثم ارتأينا في أول السنة الخامسة عشرة عشرة - سنة ١٣٣٠ - ان
نذكر الشهور الشمسية الهجرية ونعتمد في تسميتها ما اختاره احمد مختار باشا الغازي
في تقويمه بين فيه ذلك . وذلك أن تسمى الشهور بأسماء الفصول مع الوصف بالعدد،
بأن: **يَتَارُفُ** - **الْأَوَّلُ** - **الْخَرِيفُ** الثاني الخ لان حفظ هذه الشهور يسهل على
الناس سكتها ، ومن أسمائها مرفون مواقعها من السنة من أول العهد باستعمالها . وقد
جرينا على هذا الباب في جماعة الدعوة والارشاد ، ودرستها . وكذا عازمين على
طبع تقويم خاص لسنة التدبيرة الشمسية

ثم اننا رأينا ان بعض اخواننا من الفارسيين والافغانيين يستعملون التاريخ الهجري
الشمسي ولكنهم يسمون شهور السنة بأسماء بروج الشمس ، فالشهر الاول من السنة
هو شهر الميزان وهو أول فصل الخريف الذي وصل النبي (ص) في أول يوم منه
الى المدينة المنورة ، ولما نبينا الناس الى احياء هذا التاريخ في مصر صار بعض اصحاب
التقاويم المصرية يذكرونه في تقاويمهم ، وتبعوا الفرس والافغان في تسمية الشهور
لاجل هذا رأينا الآن ان نجاري هؤلاء وأولئك في هذه التسمية ، وأن نكتفي
بالإشارة الى تسمية الشهور بأسماء الفصول بالحروف المقطعة من أولها ، وذلك بجعل
حرف **خ** رمزا للخريف وحرف **ش** للشتاء وحرف **ر** للربيع وحرف **ص** للصيف ،
ونضيف الى هذه الحروف الارقام الدالة على الاول والثاني والثالث . فالتقارير يرى
هذا الجزء مؤرخا في ٢٥ من شهر الدلو (ش ٢) في الشتاء الثاني .

سنة المنار الجديدة عشرة أشهر

بيننا في جزء آخر السنة الماضية أن ما أحدثته حرب المدينة الاوربية من
الضيق وقلة الورق اضطرنا الى جعل سنة المنار الجديدة عشرة أشهر كما كثر المجلات
المصرية ، مع ابقاء جزء كل شهر ثمانين صفحة . واذا طالعت الحرب وزاد هذا
الضيق فرمنا نضطر الى تقليل عدد الاوراق أيضا

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٣

(الهواء)

يفهم مما تقدم في الكلام على المطر ان الهواء يشتمل دائما على بخار الماء (الرطوبة) وهذا البخار يقل أو يكثر بحسب درجة حرارة الهواء، فإذا كان الهواء ساخنا كان أكثر رطوبة من الهواء البارد

وأهم ما يوجد فيه من الاجسام الاخرى فهو : —

النيتروجين	٧٩ و ٠٢
الاكسجين	٢٠ و ٩٤

غاز ثاني أكسيد الفحم ٤ و ٠٠

وهي مختلط بعضها ببعض وليست متحدة اتحادا كباويا كما سبق : وفي الهواء غير ذلك آثار من عناصر أخرى ومركبات لا حاجة هنا لتفصيلها
أما أنواع الهواء بحسب الامكنة فهي ما يأتي :

١— هواء البحار — وهو يشتمل على كثير من بخار الماء النقي ومن اكسجين كثيف يسمى (الاوزون)^(١) وهو عبارة عن أكسجين خائر (مركز) تشتمل كل ذرة منه ثلاث جواهر فردة من الاكسجين . وهواء البحار البعيد عن البرخال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات والروائح الكريهة ويكون في الشتاء دافئا وفي الصيف باردا وذلك لأن الماء يبرد ببطء ولا يسخن بسرعة فيبقى أشد سخونة أو برودة من الاشياء المائجة فيه . ولدرجة حرارة الجو

(١) كلمة يونانية معناها « الفواح » لوجود رائحة له خاصة وهو يتولد من أكسجين الهواء بسبب الكهرباء وهو مما يطهر الهواء من العفونات.

(المنار ج ١) (٥) (المجلد الثامن عشر)

فهواء البحار من أنفع الاهوية للصحة ومفيد لكثير من الامراض ولو انه يشتمل على رطوبة كثيرة فان ذلك لا يضر فيها

٢- هواء الصحاري - ورطوبته أقل كثيرا وهو أيضا خال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات وغيرها، وأكسجينه يوجد فيه أيضا النوع المسمى (أوزون) كهواء البحار وأما درجة حرارته فهي عالية في الصيف منخفضة في الشتاء وهو أيضا نافع للصحة ومفيد لبعض الامراض الاخرى

٣- هواء المدن - وهو يشتمل على كثير من الميكروبات^(١) والغازات الضارة والعفونات وغيرها مما يخرج مع نفس الحيوان ومما يتصاعد من النيران وغيرها ، ويشتمل أيضا على رطوبة كثيرة ولكنها ليست نقية بل مختلطة بكثير مما يتبخر من سطح الارض من القاذورات والروائح الكريهة المنبعثة من المراحيض ونحوها أو من المياه الراكدة الآسنة، ولذلك كان هواء المدن من أفسد الاهوية وأضرها بصحة الانسان

٤- هواء الحدائق والغيطان [الحقول] - ونحوها وهو من جهة الرطوبة بين هواء الصحاري وهواء البحار ، وميكروباته قليلة جدا، وفي النهار يقل منه غاز ثاني أوكسيد الفحم بسبب تنفس الاشجار فهي تستنشق منه غاز الفحم الضار وتترك الاكسجين للانسان والحيوان . وفي الليل يكون هذا الهواء فاسدا لأن الاشجار والنباتات تنفس فيه تنفس الحيوان فان لم يكن المكان طلقا أضر هذا الهواء الانسان ضرا كبيرا واذا لم يتجدد الهواء ربما يقتله

الانتشار والتخلل أو (الاختراق)

علم مما تقدم أن ذرات المادة تحت مؤثرين عظيمين الاول قوة الانضمام والثاني قوة الاندفاع وهي المعبر عنها فيما سبق بالحرارة الكامنة

فاذا زادت قوة الانضمام عن قوة الاندفاع كان الجسم صلبا واذا تساوت القوتان

(١) تعيش في الهواء مددا مختلفة بحسب ما تجده فيه من الغذاء فانها تعلق بذرات مخاطية أو خلايا بشرية أو نحو ذلك، وبحسب قوة مقاومتها للعوامل الطبيعية كنور الشمس وغير ذلك. وبعد المطر الشديد تقل كثيرا من الهواء لانه يغسله منها

كان سائلا وإذا زادت قوة الاندفاع عن قوة الانضمام كان غازا
ففي الغازات تميل ذراتها الى الانتشار في جميع الجهات بقوة الحرارة الكامنة
فيها وهذا هو المسمى في علم الطبيعة بالانتشار، وتلك القوة تحدث ضغطا على الاجسام
المحيطة بالغاز فهي أيضا من أسباب الضغط الجوي الذي تقدم ذكره (راجع صفحة
٧ من هذا الكتاب)^(١)

وكما كان الغاز خفيفا كانت قوة الانتشار فيه أشد فالفيدروجين — وهو أخف
من الاكسجين — ينتشر بسرعة أكثر من الاكسجين

وإذا وجد في طريق الغاز انتشار غشاء مما ماله مسام نفذ الغاز من خلاله
وقوة النفوذ هذه تسمى قوة التخلل أو الاختراق وتسمىها الأفرنج (osmosis)
وكما أن الغازات تخترق بعض الأغشية كذلك من الاجسام الصلبة ما يخترقها
أيضا إذا كان ذائبا، والاجسام بالنسبة الى قوة الاختراق نوعان:

(الاول) أجسام تتشكل بشكل البلورات كالألاح وهي سهلة النفاذ (الثاني)
أجسام لا تتشكل كالواد الزلاية والغروية والصمغية وهي يتعسر نفاذها أو يتعذر
فالأجسام الاولى اذا كانت ذائبة في سائل مع الاجسام الاخرى نفذت خلال
الأغشية وحدها دون الاجسام الاخرى وبذلك يمكن فصل هذه عن تلك
وأظهر فوائد سنة الانتشار والتخلل الخمس الآتية :

- (١) انه بسبب قوة الانتشار يدرك الانسان جميع المشروبات
- (٢) التنفس لجميع الحيوانات البرية والبحرية فالأكسجين المنتشر في الهواء
والذائب في الماء يندفع بهذه القوة الى مجاري التنفس [الرئة] في الحيوانات البرية
والى خياشيم الحيوانات البحرية فيثقب أغشيتها حتى يصل الى الدم فيتحد به
وكذلك الغاز الذي في الدم المسمى (ثاني أكسيد الفحم) يتركه ويندفع الى الخارج
خلال أغشية الاعضاء التنفسية

والسبب في اتجاه الأكسجين الى الداخل هو كون ما يوجد منه في الهواء
أكثر مما يوجد منه في الدم — والغازات تميل في انتشارها الى الموازنة والمساواة كما

(١) المراد ما يطبع منه على حدة

تميل السوائل الموجودة في مستويات مختلفة الى الموازنة أيضا كما سبق
وكذلك اتجاه ثاني أكسيد الفحم الى الخارج يكون لهذا السبب بعينه. ويسمى
الاندفاع الى الخارج Exosmose ويسمى الاندفاع الى الداخل Endosmose
(٣) امتصاص الاغذية من القناة الهضمية في الحيوان وامتصاصها من جدر
الرحم بالاجنة الحيوانية يحصل أيضا بقوة التخلل مع مساعدة الخلايا البشرية المبطنة
للاغشية ولذلك تمتص الاملاح مع المواد الزلالية في مثل الجنين بسبب فعل هذه
الخلايا ولولا ذلك لتعسر نفاذ غير الاملاح أو تعذر
(٤) تجدد الهواء وذلك أنه اذا قل الاكسجين في حجرة. اندفع أكسجين
الهواء الخارجي الى هذه الحجرة من جميع المنافذ الممكنة حتى لا يخلو الهواء
الداخلي من الاكسجين والامانت الحيوانات فيه ولا نطفات المصاييح
(٥) فصل بعض المواد الكيماوية عن بعضها في المعامل يكون أحيانا
بطريقة التخلل

(مأخذ أسماء أشهر العناصر المذكورة آنفا ومعانيها)

- (١) النيتروجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناهما (مولد النتر) لأنه
يدخل في تركيبه والنتر (Nitre) اسم لنترات البوتاسيوم وهي ملح البارود
المسمى أيضا (الملح الصخري) (Saltpetre) وكان النيتروجين يسمى قديما
(أزوت) وهي يونانية أيضا معناها «عديم الحياة» لأن الحيوانات لا تعيش فيه
- (٢) الاكسجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناهما «مولد الحامض» لانهم
كانوا يظنون أنه هو السبب الوحيد في الحموضة أو أنه داخل في تركيب جميع
الحوامض ولكنهم علموا بعد ذلك خطأهم وبقي الاسم بدون تغيير الى الآن
- (٣) الهيدروجين : لفظ يوناني أيضا مركب من كلمتين معناهما «مولد الماء»
لأن كل ذرة من الماء مركبة من جوهرين فردين من الهيدروجين متحدين مع جوهر
واحد من الاكسجين. وبعبارة أخرى حيمان من الاول مع حجم واحد من الثاني

الكهرباء

الكهرباء إحدى قوى المادة العظيمة وهي عبارة عن حركة مخصوصة في ذراتها وكان أول الاهتداء إليها في حجر الكهرمان (ويسمى أيضا الكهرباء) فبدلكه تتولد هذه القوة فيه فيجذب إليه بعض الأجسام ولذلك سميت باسمه ، وأول من شاهد ذلك فيلسوف يوناني يسمى ثيلس (Thales) سنة ٦٠٠ ق . م

وهي تتولد بطرائق عديدة أهمها أربع : —

(١) الاحتكاك فإذا ذلك الزجاج بالحرير تولد فيه كهرباء من النوع المسمى «بالكهربائية الزجاجية» وإذا ذلك الراتينج (وهو يتولد من الزيوت الطيارة بالتأكسد ويشبه الصمغ) بتماش الصوف المسمى (فلانلا) تولدت فيه قوة كهربائية من نوع آخر تسمى بالكهربائية الراتينجية

(٢) التفاعل الكيماوي فإذا وضع عمود من الزنك (الخارصين) وعمود آخر من النحاس في حامض الكبريتيك المخفف ووصل بينهما بسلك حصل التفاعل الكيماوي بين الحامض وبين الزنك وتولدت قوة كهربائية تسري من النحاس إلى السلك ومنه إلى الزنك ومنه إلى الحامض حتى تعود إلى النحاس ثانية فكأنها تجري في دائرة كاملة، ويسمى مجموع ذلك بالخلية الكهربائية

واجتماع عدة خلايا كهذه بحيث يتصل بعضها ببعض ويتكون منها دائرة تجري فيها الكهرباء تسمى بالبطارية الكهربائية

وكلمة بطارية مشتقة من كلمة (Battre) الفرنسية ومعناها الضرب أو القرع ، وعليه فيمكننا تسمية البطارية بالعربية (القارعة) ويشترط في كل الخلايا أن يوجد فيها عمود لاينفعل بالحامض وعمود آخر ينفعل به. فمن الأشياء التي لا تنفعل بالحامض النحاس — كما قلنا — والفحم والبلاتين (الذهب الأبيض) والجسم المتفاعل المعتاد هو الزنك

وجميع الأجسام تشتمل على نوعين من الكهرباء ممتزجين معا وهما الزجاجية والراتينجية ويسميان أيضا الموجبة والسالبة فإذا انماز النوعان اتحدتا

اختلفا وتنافرا، ففي كل خلية يتولد كهرباء سالبة في أعلى الزنك وموجب في أسفله وفي النحاس يتولد موجب في اعلاه وسالب في أسفله فيتحد موجب النحاس مع سالب الزنك في السلك خارج الخلية، ويتحد موجب الزنك مع سالب النحاس داخل الحامض. ولكن للتسهيل اصطلاح العلماء على أن يقولوا إن التيار الكهربائي يسري من العمود غير المتفعل الى العمود المتفعل، ويسمى الاول عندهم بالقطب الموجب والثاني بالقطب السالب

(٣) التأثير، ومن ذلك انه إذا وضع قطب موجب بجوار جسم متعادل (أي فيه النوعان ممزوجان كجميع الاجسام) انفصل السالب واتحد مع القطب الموجب وتولدت شرارة كهربائية من اتحاد النوعين، وبقي في الجسم الذي كان متعادلا نوع واحد فقط وهو الموجب

ومثل هذا الاتحاد المولد للشرارة اتحاد كهربائية السحاب المختلفة النوع بعضها مع بعض أو مع كهربائية الارض السالبة فيتولد من اتحادها نار عظيمة (الصاعقة) وصوت مزعج (الرعد) بسبب تماوج الهواء، وضوء شديد (البرق) وتولد الكهرباء على سطح الارض بما يحصل عليه من الاحتكاك والتبخر والتسكائف والاحتراق ونمو النبات

المغناطيس الارضي

دوران هذه التيارات الكهربائية حول الارض يكسبها قوة المغناطيس (١) فيجذب قطباها قطبي قطع المغناطيس الاخرى المغايرين لها (كناموس الكهرباء السابق) فالقطب الشمالي يجذب الجنوبي والجنوبي يجذب الشمالي؛ وذلك هو سبب اتجاه (ابر الملاحين المغناطيسية) المسماة باللغة العربية «بيت الابر» وباللغة الفرنسية «بوصله» (Boussle)

وكما ان الكهرباء تتولد بالتفاعل الكيماوي كذلك تتولد في الاجسام الحية

(١) المغناطيس كلمة يونانية مأخوذة من اسم مغنيسيا Magnesia في ليديا بآسية الصغرى حيث وجدت بكثرة أول قطع من الحديد لها هذه القوة ولكنها وجدت فيما بعد كثيرا في النرويج والسويد وبعض بلاد امريكة وغيرها

من نبات وحيوان، فالعضلة العاملة المتحركة في جسم الانسان تكون سلبية بالنسبة للعضلة الساكنة

ويوجد من السمك ما فيه كهربائية عظيمة يحس بها الانسان بمجرد لمسه له كالسمك المسعى (بالزّعاد)

(٤) تسخين قطب مصنوع من معدنين مختلفين كالبرموت والانتيمون يولد فيه كهرباء . فهذه هي الطرائق التي بهننا معرفتها

النور

النور عرض معروف من أعراض المادة يتولد من حركة أجزائها الاثيرية حركة مخصوصة وهذه الحركة الاثيرية تنبعث من جميع جهات الجسم المضيء في خطوط مستقيمة، ولا يلزم لانتشار النور في الجو سوى هذه المادة الاثيرية بخلاف بعض الاعراض الاخرى كالصوت مثلاً فإنه يلزم له مادة محسوسة كالهواء لنقله ولذلك يصل النور الينا من الشمس والقمر والنجوم مع العلم بان هذه الاجرام مفصول بعضها عن بعض بمسافات شاسعة خالية من الهواء أو أي جسم آخر سوى الاثير

وسرعة النور في سبيله تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية (١٨٦ الف ميل)

مصادر النور قسماً :

(١) صناعي : -

(أ) الاحتراق كاحتراق الزيت والشمع وغيرها

(ب) الكهرباء

(٢) طبيعي كالشمس ، ومن هذا المصدر يتولد النور أيضاً بالاحتراق وغيره فالاجرام السماوية المضيئة بذاتها هي اجرام مشتعلة بالنيران، وأما المضيئة بغيرها كالقمر فتعكس عليها الأشعة من نور الشمس كما تنعكس في المرآة ولذلك قال تعالى (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقد يتولد النور بتحريك ذرات

بعض الاجسام فيتموج بها الاثير فيضيء
والنور الابيض مركب من سبعة ألوان وهي (١) البنفسجي (٢) والبنيلي (٣)
والازرق (٤) والاخضر (٥) والاصفر (٦) والبرتقالي (٧) والاحمر
أما السواد فهو عدم النور مطلقا. وكل لون من هذا الالوان السبعة يتولد من
حركة مخصوصة في الاثير أسرعها التي تولد البنفسجي وأبطأها التي تولد الاحمر
فاذا توالى سقوط هذه الحركات المختلفة على شبكية العين أدرك الانسان نورا
أبيض، ومن ذلك يفهم أنه اذا أتى بقرص مستدير وقسم الى سبعة أقسام ولون
كل قسم منها بلون من هذه الالوان السبعة وأدير هذا القرص بسرعة شديدة رأينا
لونه أبيض ويسمى هذا القرص في علم الطبيعة (قرص نيوتن)
سنة الله في رؤية الاجسام

رؤية جميع الأجسام تحصل بسقوط أشعة النور عليها ثم انعكاسها عنها الى العين
فيصرها الانسان وان كان هو في مكان مظلم اذ شرط الرؤية أن يكون المرئي في
مكان مضيء لا الرائي، فهو يراها وان كانت في مكان مظلم فلا يراها، ولو كان الابصار
ناشئا عن نور يسقط من العين نفسها لراى الانسان الأشياء التي في الأماكن المضيئة
والمظلمة على حد سواء . هذا إذا لم يكن الجسم مما يولد النور بنفسه كالفسفور
وكبريتيد الكلسيوم فإنه يجمع أشعة الشمس في أثناء النهار ويحفظها الى الليل،
وكذلك عنصر الراد يوم فإنه يولد نورا في الظلام وفي بعض حيوانات البر والبحر نور
ينبعث منها في الظلام ومنها ذباب معروف يسمى « الحباحب »

واذا انعكست جميع التماوجات التي في النور الابيض من الجسم الى العين
رأيت لونه أبيض، ومن ذلك تفهم حكمة لبس الملابس البيضاء في الصيف فإنها
تعكس جميع أشعة النور والحرارة الى الخارج وأما الاجسام السوداء فهي تمتص
جميع الاشعة ولا تعكس منها شيئا

وأما الاجسام الاخرى كالزرقاء مثلا فهي تمتص جميع امواج النور ما عدا التي
تحدث اللون الازرق، وهكذا يقال في باقي الالوان الاخرى
واذا سقط النور على أي سطح فان زاوية السقوط (وهي الحاصلة من الشعاع

الساقط مع عمود وهمي على السطح العاكس (تساوي زاوية الانعكاس) وهي
الحاصلة من الشعاع المنعكس مع العمود الوهمي المذكور)

واذا كان الجسم الذي سقط عليه النور في الماء مثلا انبعث منه الشعاع فخرج
من الماء وانكسر ومال بعيدا عن الخط الوهمي المفروض

واذا كان الجسم المضيء في الهواء انبعثت منه الاشعة ونفذت الى الماء
فينكسر الشعاع أيضا ويميل الى الخط الوهمي المفروض

فهذه سنن إلهية مطردة في انعكاس النور وانكساره، وبمقتضى سنة الانكسار
ترى الاجسام الموضوعة في الماء في مكان أعلى من مكانها الحقيقي ومثل ذلك أيضا
رؤية القضيبان كالعصي مثلا معوجة اذا وضعت في الماء

وكذلك ترى أشياء على الارض كأنها معلقة في السماء، فيشاهد في بعض الجهات
أناس وخيل وحير وغير ذلك ماشية في السماء بين الغيوم، وأصلها أشياء موجودة
على الارض ولانكسار أشعة النور في طبقات الهواء المختلفة الكثافة تشاهد هذه
المنظر وهي كلها من خطأ الحس

ورؤية الاجسام في المرآة تحصل بانعكاس أشعة النور المنبعثة من الجسم عن
المرآة فتصل منها الى العين

ومن السنن الإلهية في هذه المسئلة أن تكون المسافة بين الجسم الحقيقي
والمرآة تساوي تماما المسافة بين المرآة والجسم الموهوم خلفها

انكسار النور في المنشور والعدسات

بسبب انكسار الاشعة في الاجسام المختلفة الكثافة تنكسر الاشعة في المنشور
(الزجاج المثلث السطوح) وتميل الى قاعدته فاذا وضع منشوران قاعدة كل منهما
على الاخرى انكسرت الاشعة أيضا نحو امة اعدة، واجتمعت في نقطة معينة. ومثل
المنشورات في جمع الاشعة العدسات فاتها تجمع الاشعة أيضا نحو مركزها ولذلك
تستعمل هذه العدسات في جمع أشعة الشمس الاحراق وتستعمل أيضا في جمع أشعة

النور في التصوير كما في الآلات الفوتوغرافية (١)

علمنا مما سبق ان النور مركب من سبعة ألوان فاذا انكسر النور الأبيض في المنشور تحلل الى ألوانه الأصلية ويكون اللون البنفسجي أقربها الى القاعدة ويليه النيلي فالأزرق فالأخضر فالأصفر فالبهرة الى فالأحمر . وأشد الألوان انكسارا البنفسجي وأقلها في ذلك الأحمر

فالمنشورات وان كانت تجمع أشعة النور كلها الا أنها مع ذلك تفرقها الى ألوانها الأصلية ، وبمقتضى هذه السنته تنكسر أشعة نور الشمس في تقط الماء الساقط من السحاب فينشأ من ذلك ما يسمى (قوس قزح) وهو مركب من ألوان النور السبعة

أما اذا مر النور خلال جسم ما وكان هذا الجسم مما يمتص بعض الأشعة فان لون هذا الجسم المدرك لنا هو ما يحصل من الأشعة الباقية . مثال ذلك الزجاج الأزرق اذا نفذ فيه النور امتصت (محبت) جميع الألوان ماعدا اللون الأزرق وهكذا يقال في الألوان الأخرى

وأشهر العدسات اثنتان (١) المحدبة من الجانبين (٢) والمقعرة من الجانبين أما العدسة الاولى فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتماعا وكانت قاعدتهما نحو المركز وأما العدسة الثانية فيمكن اعتبارها كأنها منشوران اجتماعا ورأسهما نحو المركز

ومن ذلك يفهم ان العدسات المحدبة تجمع الأشعة نحو المركز (أي نحو قاعدتي المنشورين)

وأما العدسات المقعرة فانها تفرق الأشعة بعيدا عن المركز (أي تميل فيها الأشعة نحو القاعدتين)

واذا مر نور أبيض من مصباح عادي خلال منشور رأينا هذه الألوان السبعة كما تقدم واذا كان هذا النور المار في المنشور صادرا من احتراق عنصر واحد رأينا

(١) فتوكلمة يونانية معناها النور و غراف يونانية أيضا معناها الرسم فمعناها « رسم النور » أو التصوير الشمسي

لونا واحدا فقط كنور الصوديوم مثلا فانه أصفر واذا نفذ في المنشور لم يتغير
واذا مرت هذه الالوان السبعة خلال الصوديوم مثلا في حاله الغازية
امتص منها اللون الاصفر وبقيت الالوان الاخرى ومن ذلك يفهم أن العناصر
في حالتها الغازية تمتص من الالوان السبعة اللون الذي تولده هي. وعلى هذا القاعدة
وضع المنظار القرصي (Spectroscope)

فاذا نظرنا بهذا المنظار الى نور الشمس رأينا الالوان السبعة ناقصة ونرى ما ينقصها
من الاجزاء كأنها خطوط سوداء، وهي ناشئة من وجود عدة عناصر في الحالة الغازية
محيطه بجرم الشمس وبسبب نفوذ الاشعة خلال هذه العناصر الغازية فقد بعضها
والسبب في كون هذه العناصر غازية هو شدة حرارة نار الشمس

وبهذا المنظار أمكن العلماء معرفة تركيب الاجرام السماوية وعناصرها، ولهم
طريقة أخرى لمعرفة هذه العناصر وهي تحليل ما يستط منها الى الارض (كالشهب
والنيازك) ولهذا المنظار فائدة أخرى عظيمة في المباحث الطبية الشرعية وغيرها
ومن الاشعة الشمسية نوعان آخران سوى أشعة النور وهما (١) أشعة الحرارة
و (٢) أشعة الفعل الكيماوي وهما غير مدركين بالعين

أما أشعة الحرارة فيوجد أشدها بعد اللون الاحمر وأما الاشعة الكيماوية
فيوجد أشدها بعد اللون البنفسجي
وهذه الاشعة الكيماوية هي التي تحلل املاح الفضة في ألواح الآلة الفوتوغرافية
وتحدث عليها الصور

أما الآلة الفوتوغرافية فهي عبارة عن غرفة مظلمة تدخل الاشعة فيها من فتحة
صغيرة في جدارها الامامي وفي هذه الفتحة عدسة محدبة من الجانبين لجمع الاشعة
حتى تكون الصور المرسومة داخلها على الجدار الخلفي جلية واضحة، فاذا وضع لوح
من الزجاج مغطى بمواد فيها ملح من أملاح الفضة أمام هذا الجدار الخلفي رسمت الصور
عليه وأحدثت الاشعة تغيرا كيماويا في المادة الموضوعة على هذا اللوح وبذلك أمكنهم
أخذ صور المراتب ورسمها بهذه الطريقة

وهذه الآلة الفوتوغرافية تشبه العين الباصرة في تركيبها

العين الباصرة

العين كرة مظلمة في داخلها ، ويصل اليها النور من فتحة صغيرة تسمى انسان العين وهذه الكرة (المقلة) موضوعة في تجويف من الوجه يسمى (الحجاج) ويغطيها في هذا التجويف البؤن . وحكمة الاهداب أن تمنع التراب وغيره بقدر الامكان وتقال من ضرر أشعة الشمس الشديدة

وتفصل العين بماء يسمى الدمع تفرزه غدة موضوعة في الجهة العليا الخارجية من الحجاج داخل الجفن الاعلى ويتصرف الدمع بعد غسل العين بقناتين موضوعتين في الجفنين بقرب الانف متصلتين بكيس صغير في أعلى قصبة الانف يسمى الكيس الدمعي ومنه يجري الدمع بقناة تصب في أسفل الانف أما طبقات العين فهي من الامام الى الخلف كما يأتي : —

(١) الملتحمة وهي التي تبطن الجفون وتغطي المقلة من الامام وهي شفافة في جزئها المتوسط لدخول النور

(٢) القرنية وهي الجزء الشفاف المستدير الذي يرى كالسواد أو غيره

(٣) الصلبة وهي في مستوى واحد مع القرنية فكأنهما غشاء واحد كروي

الشكل تقريبا

(٤) القرنية وهي التي تحيط بانسان العين من جميع الجهات

(٥) المشيمية وهي أيضا في مستوى واحد مع القرنية ولونها ومادتها واحدة

فيها أوعية كثيرة ومادة ملونة . وهذه الطبقة هي أعظم ما يجعل العين مظلمة من الداخل

(٦) الشبكية وهي تبطن نحو ثلثي العين من الداخل ، وهي الطبقة العصبية

الحساسة المتصلة بالعصب البصري الواصل الى المخ وعليها ترسم صور المرئيات التي يدركها الانسان

ولجمع أشعة النور ورسم الصور عليها يوجد عدة أجسام كثيفة شفافة في العين

لكسر أشعة النور وهي بعد القرنية ١ المائية وأكثرها بين القرنية والقرنية ٢

ويليها البلورية ، وهي بعد القرنية وشكلها كعدسة مستديرة ومحدبة من الجانبين ٣

ويليها الزجاجية، وهي مادة هلامية (كالقوذج) شفافة تملأ باطن العين بعد البلورية ثم ان القرنية قد تتسع وتضيق بألياف عضلية فيها بحسب حاجة العين الى النور ومما تقدم يفهم أن أشعة النور تجتمع على الشبكية في العين الطبيعية ولكن من الناس من أعينهم صغيرة أو كبيرة عن الحجم المعتاد فتحتاج العين الصغيرة الى عدسات (نظارات) محدبة، وتحتاج الكبيرة الى عدسات مقعرة ، ولولا ذلك لما اجتمعت الاشعة في العين الصغيرة الا خلف الشبكية (هذا على فرض انه لا يحجبها شيء) وفي العين الكبيرة أمام الشبكية. وما دامت جميع أوساط العين التي يمر فيها النور شفافة فإن كان في إبصار العين السليمة ضعف فالغالب ان يكون سببه صغر حجم العين أو كبرها فتصلح بالنظارات الرمد الصديدي والحبيبي

ومن أعظم أسباب عتامة بعض هذه الاوساط (كالقرنية) هو اصابة العين بالرمد الصديدي أو الرمد الحبيبي المنتشر في مصر والاختراس من هذين الرمدين : يجب تنظيف العين نظافة تامة وعدم مسها بأي شيء فيه أقل وسخ

أما ميكروب الرمد الصديدي فهو ميكروب (السيلان) أيضا ويصل الى العين بالاصابع أو المناديل أو الملايس أو غير ذلك وهو مرض فتاك بالعين لانه كثيرا ما يسبب قرحا في القرنية تؤول الى ظلمتها حتى لا ينفذ النور منها فتصبح عمياء وتسمى هذه الظلمة بالنقط أو البياضات

وأما الرمد الحبيبي فيمكروبه ينتقل من شخص لاخر كما ينتقل ميكروب الرمد الصديدي فلذا يجب الاحتراس منه بالنظافة والبعد عن الارمد

وأبسط دواء بعد الماء لتنظيف عين كل شخص محلول حامض البوريك المشبع ويجب طرد كل حشرة تقترب من العين كالذباب وغيره فانه من أعظم الاسباب لنقل أنواع الرمد، ويجب اتقاء التراب اذا ثارت الريح بوضع نظارات لوقاية العين منه . ومما يقي الطفل شر الرمد الصديدي أن يغسل عيناه عقب الولادة مباشرة بمحلول السليمانى (ا في ٥٠٠٠) ويوضع فيها نقط من محلول نترات الفضة (٢ في ١٠٠)

النبذة اثنازية في التشريح ووظائف الأعضاء

وما يلزمها من اقوال الصحية

التشريح نوعان نوع تدرك فيه جميع أعضاء الجسم بلعين المجردة ويسمى بالتشريح العادي ونوع تستعمل فيه الميكروسكوب (المنظار الدقيق) لادراك جميع دقائق الجسم ويسمى هذا النوع بالهستولوجيا (التشريح الدقيق)

فانبدأ الآن بالكلام على النوع الاول

يتركب الجسم الانساني أولا من العظام فهي كالاساس الذي تبني عليه جميع الاجزاء الرخوة والاحشاء ولذلك يسمى مجموع هذه العظام بالهيكل الانساني

العظام

العظام نوعان : (النوع الاول) العظام الصلبة كعظام الاطراف ، وصلابتها كصلابة العاج ، وهي جوفاء تمر في وسطها قناة ممتلئة بمادة كالدهن تسمى (نقي العظام) أو (نقيها) وأما النوع الثاني فيسمى بالاسفنجي ، كفقرات الظهر والضلع ، وهو أيضا مغطى بطبقة رقيقة من العظم الصلب وبداخله تجاويف عديدة صغيرة غير منتظمة تشبه الاسفنج وهذه التجاويف ممتلئة أيضا بنقي يميل الى الحمرة ، وهو أعظم مكان تتولد فيه كريات الدم الحمراء خصوصا التي تخرج من نقي الضلع أما عظام الهيكل الانساني فهي كثيرة واليك عددها : —

(١) الجمجمة (مجموعة عظام الرأس والوجه) وهي مركبة من ٢٢ عظما منها ١٤

للوجه و٨ للرأس

(٢) — الفقرات — وهي المسماة بالصلب وعند العامة سلسلة الظهر وهي مركبة

من ٢٣ قطعة كل منها تسمى فقرة وفقارة : منها سبع ٧ فقرات للعنق و١٢ للظهر و٥ للقطن و٥ للعجز و٤ للعصعص المسمى بعجب الذنب

(٣) الضلع وهي عادة في الذكر ^(١) والاثني ١٢ في كل جانب وهي متصلة

(١) أما خاق حواء من أحد أضلاع آدم فالظاهر أنها خرافة يهودية وان كان لها مغزى عظيم

من الخلف بالفقرات ، ومن الامام بالقص (عظم الصدر)

(٤) القص مركب من ثلاث قطع . وكيفية اتصال الضلوع به كما يأتي : —

صبيح ضلوع متصل كل منها به بفخروف على حدة وتسمى بالضلوع الصادقة ، أما الثلاث التي بعدها فمتصلة معا بفخاريف تتصل بفخروف الضلع السابعة وأما الاثنتان الباقيتان فهما غير متصلتين من الامام بشيء مطلقا ويسميان بالضلعين العائمتين ، وهذه الضلوع الخمس الاخيرة تسمى بالضلوع الكاذبة

(٥) عظام الاطراف ، العليا ويتركب كل طرف من عظم العضد ثم الساعد (وهو مركب من عظمين : الكبيرة وهي العظم الخارجي ، والزند وهو العظم الداخلي) ثم راسغ اليد وهو مركب من ثمانية عظام صغيرة ، ثم عظام المشط وهي خمسة لكل أصبع عظم يحدها ، ثم عظام الاصابع الخمس وهي ثلاث لكل أصبع ، ماعدا الابهام فله عظامان

(٦) عظام الاطراف السفلى وكل منها مركب من عظم الفخذ ، ثم الساق وهو مركب أيضا من عظمين : الشظية من الخارج والقضبة من الداخل ، ثم عظام راسغ القدم وهي مركبة من سبعة عظام صغيرة أيضا ، ثم عظام المشط وهي خمس لكل أصبع واحدة تحدها ثم عظام الاصابع ، وهي ثلاث لكل منها ماعدا الابهام القدم فله عظامان فقط

ومن العظام أيضا غير ما تقدم (١) الزاقي وهما عظامان كل منهما يسمى ترقوة موضوعان في أعلى الصدر من الامام

(٢) اللوحان وهما عظامان عريضان موضوعان بأعلى الصدر من الخلف

(٣) الداعصتان وهما الموضوعتان أمام الركبتين ويسميها بعض الاطباء

المحدثين بالرضفتين ولاكن ما اخترناه هنا هو الاصح لغة

(٤) عظاما الحوض وهما اثنان يكونان مع العجز والعصعص تجويفا كالطست

يوجد فيه المستقيم والمثانة في الذكر والرحم والمبيضان وغيرها في الانثى . ويوجد غير ذلك عظام أخرى صغيرة جدا كما بين بعض عظام الرأس وفي الاذن وعظام صغيرة توجد بقرب بعض المفاصل تسمى « السمسية » والعظم اللامي للعنق والاسنان

أما الأسنان فهي في الطفل عشرون في كل فك عشر ، ويتبدى ظهورها من الشهر السادس الى الرابع والعشرين ، ولذلك كانت مدة الرضاع الكاملة حولين كاملين ، وفي الكبير اثنتان وثلاثون سنا يتبدى ظهورها من السنة السادسة ويتم في الخامسة والعشرين على الاغلب بظهور أربعة أضراس في آخرها تسمى أضراس النقل لان ظهورها يتم بلوغ الانسان رشده وهي النواجذ أو أضراس الحلم

والفرق بين مزدوج العظام وغيرها من الاجزاء الاخرى للجسم من الوجهة الكيماوية إنما هو في وجود أملاح عديدة في الماد التي بين خلاياها مثل فوسفات الكالسيوم و كربونات الكالسيوم وفوسفات المغنيسيوم وهذه الاملاح جميعا يوجد منها كمية كبيرة في العظام ، وهي السبب في يسها فاذا أذيت من العظم ببعض الحوامض صار العظم رخوا طريا

المفاصل

وجميع هذه العظام متصل بعضها ببعض بالمفاصل ، والمفاصل ثلاثة انواع :
(١) مفاصل متحركة حركة تامة كالكتف و (٢) مفاصل غير متحركة كما بين عظام الجمجمة و (٣) مفاصل بين بين أي ان حركاتها متوسطة فلا هي معدومة بالمرة ولا هي متحركة حركة كبيرة وذلك كالمفاصل التي بين الفقرات

والفرق بين المفاصل المتحركة حركة كاملة (وهي الاولى) وبين غيرها أنها هبارة عن تجويف محاط بمسوح ليفي وبعض أربطة أخرى وهي مبطنة بغشاء أملس يفرز مادة مصفرة قليلا تشبه زلال البيض والغرض منها تسهيل الحركات فهي كالزيت للآلات الحديدية (فسيحان الخالق الحكيم)

وجميع العظام مغطاة (١) بغشاء ملتصق بها التصاقا شديدا وفيه أوعية الدم ومنه تغذى بحيث اذا أ تلف هذا الغشاء أو أزيل بمرض أو غير مرض يموت العظم الذي تحته ، وهذا الغشاء يسمى بالسبحاق . ويموت العظم يسمى النخر أو التآكل وهو المسمى عند العامة بالتسويس . والفرق بينهما أن الاول (النخر) يموت فيه قطع

(١) ما عدا أطرافها الغضروفية

كبيرة من العظم بجملتها ، والثاني — التأكل — تموت فيه أجزاء صغيرة تنفصل عن باقي الجسم شيئاً فشيئاً

العضلات

جميع حركات الجسم تكون بالعضلات، وهي المسماة باللحم وبعض هذه العضلات أبيض اللون، كما في بعض الحيوانات مثل السمك والارانب، وبعضها لونه أحمر، كما في الانسان وغيره من الحيوانات. والسبب في حمرتها اشتغالها على جزء في منسوجها من حمرة الدم المسماة بالهيموجلوبين ومن غيرها ولذلك كان اللحم الاحمر أكثر تغذية من اللحم الابيض ولكنه أعرس هضماً

والعضلات تأتي عملها في تحريك الجسم بالانقباض، وهي ثلاثة أنواع :

(١) العضلات الاختيارية، وهي الموجودة حول عظام الهيكل كله، وأكثرها يوصل بين عظمين فأكثر، وينتهي غالباً بما يسمى بالوتار، وهي منسوج ليفي أبيض اللون متين جداً يشبه الحبال ويندغم في العظام المتحركة، فإذا قصرت العضلة أو انقبضت انثنت العظام بعضها على بعض، وحركة هذه العضلات هي باختيار الحيوان، وهي التي قسمناها الى بيضاء وحمراء، والبيضاء أرقى شكلاً وأسرع عملاً

(٢) العضلات غير الاختيارية، وهي التي توجد في جدر الامعاء وأوعية الدم وغيرها كالحالب^(١) ويختلف شكلها عن القسم الاول اذا نظرت بالمجهر الميكروسكوب، اختلافاً كبيراً، وحركتها ليست بارادة الحيوان ولكن للأعصاب تأثيراً فيها مادامت مرتبطة بها فإذا انفصلت عنها استقلت بعملها كالامعاء بعد قطع جميع أعصابها فان الطعام كاف لتنيبها

وكل انقباض للعضلات اختيارية كانت أو غير اختيارية لا يحصل الا بمذنبه. وأنواع المنبهات خمسة (١) المواد الكيميائية (٢) الحرارة (٣) الافعال الآلية (الميكانيكية) كالضرب على العضلات أو القرص (٤) الكهرباء (٥) التيار العصبي، فالاربعة الاولى ممكن حصولها خارج الجسم بعد ذبح الحيوان. أما المنبه العصبي فان كان

(١) مجري البول الواصل من الكلية الى المثانة

منشؤه من المخ كان فعلا اختياريا والا كان غير اختياري
ومصدر التنبيه العصبي سواء أكان من المخ أم من النخاع هو من الخارج أيضا - كما يرى
الآن جمهور الفسيولوجيين - ويرى بعض الناس أن المخ يمكنه أن يبدأ التنبيه من ذاته
وإذا وصل التنبيه الخارجي إلى المراكز العصبية ومنها ارتد إلى الأعضاء أو
المضلات فحركها سمي ذلك « بالفعل المنعكس »

(٣) عضلة القلب، وهذه العضلة تختلف أيضا في شكلها الميكروسكوبي عن
النوعين السابقين، وهي غير خاضعة للتنبيه العصبي إلا من حيث الكثرة أو القلة أو
الضعف أو القوة أو نحو ذلك . وأما انقباضها فيحصل بقوة فيها خاصة بها ليست
ناشئة عن منه خارجي

وعليه فالفرق بين هذه الأنواع الثلاثة يلخص في الكلمات الآتية :-
تنقبض العضلات الاختيارية بعلم المخ وتأثيره؛ وغير الاختيارية بدون علمه،
ولكنها خاضعة للاعصاب بادامت في الجسم ولا بد من تنبيهها بشيء ولو غير عصبي
والأولى انقبضت؛ وأما القلب فينقبض بنفسه بدون سبب خارجي، وسواء اتصلت
به أعصاب أم لم تصل، وإنما يمكن للاعصاب أن تزيد في ضرباته أو تنقص منها
أو نحو ذلك؛ أما منشأ الحركة فلا علاقة لها به ولا يعلمه إلا الله تعالى

الاعصاب

مراكز الاحساس والحركة في الجسم الانساني محصورة في المخ والنخاع وحوله.
فالخ عبارة عن جسم كبير موضوع في الجمجمة، وهو مركب من فصين عظيمين
متصل أحدهما بالآخر من أسفلهما، وفي كل فص من الفصين تجويف ممتلئ بجزء من
سائل، ويسمى هذا التجويف بالبطين، والمخ مغطى بثلاثة أغشية تسمى جميعها
السحايا وكل منها يسمى الام

وجوهر المخ نوعان (النوع الاول السنجابي) وهو المغطى سطحه، وهو مركب
من خلايا عصبية لها وظائف مختلفة. ويقسم سطح المخ إلى عدة أقسام. فنه جزء
للأبصار، وهو في الخلف، وجزء للحركات الاختيارية، وهو في جانبه، وجزء للكلام
وهو في الجهة اليسرى الجانبية، وجزء للسمع وغير ذلك. وكل جانب من المخ متصل

بالجانب المخالف له من الجسم، فحركات العضلات التي في الاطراف اليسرى متصلة بالجانب الايمن من المخ وبالعكس، ما عدا قوة الكلام فانها في الجانب الايسر في غالب الاشخاص . أما العُسر وهم الذين يعملون بشمائلهم فيوجد مركز الكلام عندهم في الجهة اليمنى من المخ

(النوع الثاني الابيض) ومكانه تحت القشرة السنجابية، وهو عبارة عن ألياف عصبية توصل أجزاء المخ بعضها مع بعض وتوصله بالنخاع

المخيخ : موضعه مؤخر الجمجمة في أسفل المخ، وهو أيضا مركب من فصين صغيرين ليس بهما تجويف بخلاف فصي المخ، وينتهيما جسم كالودودة ير بطهما وهو أهم منهما. ووظيفته حفظ التوازن في الجسم

النخاع : يتدنى من الجمجمة الى الحافة السفلى للفقرة الاولى القطنية وذلك في الكهول، أما في الاجنة فانه يملأ القناة الفقرية كلها الى الشهر الثالث. وهو جسم اسطوانى مغطى أيضا بثلاثة أغشية كالغشية المخ من كل وجه . ويتركب من جوهرين أيضا أبيض وسنجابي ، ولكن الجوهر الابيض منه في الخارج والجوهر السنجابي في الداخل ، والابيض عبارة عن ألياف عصبية كما في المخ ، والسنجابى عبارة عن خلايا عصبية كما في المخ أيضا

والجزء السنجابى مركب من هلالين تحديدهما انسي وقرنا كل منهما الى الامام والخلف ويجمع بين الهلالين عند جزئهما المحدب ، وفي مجموعهما قناة صغيرة دقيقة تمتد في طول النخاع كله وتتصل في أعلاها بتجاويف المخ (البطينات)

يتصل بالمخ اثناء ثمر زوجا من الاعصاب لها وظائف عديدة: فمنها ما يحرك بعض العضلات في الوجه وغيره، ومنها ما يحصل به الاحساس، ومنها ما هو خاص بنوع من الاحساس كالعصب البصري الذي يحصل به ادراك المرئيات، وكعصب السمع وغيرها ويتصل بالنخاع ٣١ زوجا من الاعصاب : ٨ منها تخرج من بين فقرات العنق، و ١٢ من بين فقرات الظهر و ٥ من بين فقرات القطن ، و ٥ من بين فقرات العجز ، و ١ من العصعص. وهذه الاعصاب يتركب كل فرد منها من قسمين: أمامي وخلفي ، فالأمامى لحركة العضلات والخلفى للاحساس . أما الخلايا التي يصدر

منها الجزء الامامي فتوجد في القرون الامامية للمادة السنجابية في النخاع. وأما خلايا الجزء الخلفي فتوجد خارج النخاع ويتكون منها عقد صغيرة موضع أكثرها في الثقوب التي بين الفقرات ولكنها خارج سحايا النخاع. وبعد هذه العقد مباشرة يتحد الجزء الامامي المحرك مع الجزء الخلفي الحساس فيتكون منهما عصب واحد فيه الوظيفتان، ثم ينقسم هذا العصب الى قسمين أيضا: قسم امامي للحس والحركة، وقسم خلفي لهما أيضا، فالألياف الخاصة بالحركة في القسمين (التي أصلها من القرون الامامية للنخاع) تنتهي بالعضلات وهي التي تحدث فيها الحركة (أي تسبب انقباضها) والألياف الخاصة بالحس (وهي الآتية من العقد التي خارج النخاع) تنتهي بالجلد وغيره وهي التي يحصل بها الاحساس في الحيوان عند مس أي شيء. وجميع هذه الاعصاب نرى في الجسم الانساني عند تشريحه كجبال ييضاء منها الدقيق ومنها الغليظ، وأغلظها عصب عظيم يوجد داخل الورك ويوزع على الساق كلها، وهذا العصب اذا أصابه مرض ما حدث عنه ألم شديد في الفخذ يسمى بعرق النسا.

ويوجد مجموعة أخرى من الاعصاب تسمى الاعصاب السباتوية وهي مركبة من عقد وألياف أيضا وموزعة على جميع الاحشاء وعلى جميع أوعية الدم، ومتصلة أيضا بالمجموعة الاولى المركبة من المخ والنخاع، وللاعصاب السباتوية وظيفة هامة جدا في عمل جميع الاحشاء وحركة عضلات جدر الشرايين في انقباضها وانبساطها الا أنها ليست مستقلة في وظيفتها عن المجموعة الأولى. ومعنى «سباتيا» المشاركة في الشعور أو الاحساس، وهي لفظ يوناني، وسميت بذلك لان بها ترتبط الاحشاء بعضها مع بعض، ومع الأوعية الدموية فكان كلا منها يشعر بالآخر، وعليه فيمكننا تسميتها بلغتنا العربية «مجموعة الارتباط العصبي»



التاريخ

جعل مصر سلطنة تحت حماية انكلترة

كان أول عواقب دخول الدولة العثمانية في الحرب الأوربية أن أعلنت انكلترة ازالة سيادتها الرسمية عن مصر وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة وتسمية الامير حسين كامل باشا أرشد أسرة محمد علي باشا سلطانا عليها

في ١٩ دسمبر الماضي ذهب المستر ملن شيتهم متولي أعمال الوكالة البريطانية والمستر ستورس سكرتيرها الشرقي الى القصر الذي يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدا اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصري تحت حمايتها ويجعله سلطانا من قبلها لمصر وهذه ترجمته بالعربية كما نشر في الجرائد :

البلاغ البريطاني

يا صاحب السمو ! كلقتي جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالاته وبين سلطان تركية وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن بآله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الاصلاح في تركية ومقتنع بان الحرب التي دخل فيها جلالاته لا تمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح لما صرح به جلالاته وحلفاؤه من ان هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لافي مصر ولا في سواها . وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين افاقين لا ضمير لهم أرادوا اثارة حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالاته معللين أنفسهم بذلك يتلافون ماجروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالاته وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون أن

تغلب النصارى الرشيدة على هذا الحزب لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثلته حتى أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية وهجمة الاسطول التركي بقيادة ضباط المانيين ثغورا روسية غير محصنة

ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً الى أعداء جلالاته منذ أول نشوب الحرب مع المانية

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا والخديوي السابق على البلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالاته

ولما كان قد سبق لحكومة جلالاته انها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالاته في بلاد مصر انها أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر ودیعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة. وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية . ولذا رأت حكومة جلالاته ان أفضل وسيلة لقيام بريطانية العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلاّناً صريحاً وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام ورأي يقرر فيما بعد

بناء عليه قد كلفني حكومة جلالة الملك ان أبلغ سموكم انه بالنظر اسن سموكم وخبركم قد رثي في سموكم أكثر الامراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » واني مكلف بان أؤكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عبء هذا المنصب ان بريطانية العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسؤولية في دفع أي تعد على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره . وقد فوضت الى حكومة جلالاته ان أصرح بانه بعد اعلان الحماية

البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين اينما كانوا الحق في أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضا القيود التي كانت موضوعة بمقتضى الفرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم وللحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب والنياشين

اما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالاته ان المسؤولية الحديثة التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي أن تكون المحاورات منذ الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالاته في مصر وقد سبق لحكومة جلالاته انها صرحت مرارا بان المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن من رأي حكومة جلالاته أن يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء الحرب

وفما يختص بادارة البلاد الداخلية علي أن أذكر سموكم ان حكومة جلالاته طبقا لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وأعمال مصادره ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الامة من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالاته المحافظة على هذه التقاليد بل انها موقنة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديدا مصر يحا يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالاته على اختلاف مذاهبهم . ولا أرى لزوماً لأن أؤكد سموكم ان تحرير حكومة جلالاته لمصر من ربة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجا عن أي عدااء للخلافة، فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لاعلاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة، وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية في مصر وانسحابها في سبيل

التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام ،
وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة ، ولسموكم أن تعتمدوا في اجراء ما يلزم لذلك
من الاصلاحات على كل انعطاف وتأيد من جانب الحكومة البريطانية . وعلى
أن أزيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعمل بكل اطمئنان على اخلاص
المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته
المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد وبتنميع كل عون للعدو . واني انتهز هذه الفرصة
فاقدم لسموكم أجل تعظيماتي

ملن شيتهم

تحريرا في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

(الاحتفال بنصب الامير حسين كامل سلطانا لمصر)

جرى هذا الاحتفال في يوم الاحد ثالث شهر صفر الماضي الموافق ٢٠ ديسمبر
وكانت معداته مهيئة قبل ذلك بأيام أو أسابيع ، ووقائع الدعوة اليه قد وزعت في جميع
أرجاء القطر . وهذا مقدمة نص البلاغ الرسمي الصادر من قصر عابدين في ذلك :
« برح صاحب العظمة مولانا السلطان في منتصف الساعة العاشرة في يوم الاحد
٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ سراي دولة الامير كمال الدين باشا في موكب فخيم محفوقا
بحراسه ومن ورائه أصحاب السعادة الوزراء تقلهم مركبتان من مركبات المعية السنية
فأطلقت مدافع القلعة واحدا وعشرين مدفعا ايذانا وأدت طلبة المدرسة الحربية
والجند التحية . وكان الشعب يهتف لعظمته طول الطريق هتافا منواصلا . ولما أقبل
عظمته على ميدان عابدين ضج له جماهير المدعوين الموجودين بالصيوان المنسوب
أمام السراي وهم مندوبو المديريات وكبار موظفي الحكومة وحضرات العلماء والرؤساء
الروحانيين وكبار ضباط الجيش الانكليزي والمصري . ولما وصلت المركبة السلطانية
الى باب السراي استقبله كل من أصحاب الدولة امراء العائلة السلطانية وصاحبي

الفضيلة شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية وحضرات رئيس ووكيل الجمعية التشريعية والمستشارين ووكلاء الوزارات ورئيسي محكمة الاستئناف الاهلية والمختلطة والنائبين العموميين لدى المحاكم الاهلية والمختلطة ومحافظ وكبار رجال المية » وتلى ذلك بيان كيفية المقابلات ، وما تخللها من الخطب والمحادثات

ترجمة برقيات التهاني بين لندرة ومصر

البرقية الاولى من ملك الانكليز — تهته

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة

في الوقت الذي ترتقي فيه عظمتكم السلطانية منصباً انامي أرشأن أقدم الى عظمتكم السلطانية عواطف الوداد المنبعثة عن أكمل اخلاص مع تأكدي لكم بانني لا أنفك عن تأييدكم في سبيل المحافظة على كيان مصر وضمان رفاهيتها في المستقبل وسعادتها. واقدم دعيت عظمتكم السلطانية الى تحمل مسؤولية منعكم السامي إبان أزمة خطيرة في الحياة الاهلية بمصر. واني على يقين انه بمعاونة وزرائكم وبحماية بریطانية المعطى يتسنى لكم التغلب على كل المؤثرات التي يراد بها العبث باستقلال مصر ورفاحة أهاليها وحريةهم وسعادتهم.

جورج

ملك وامبراطور

البرقية الثانية من سلطان مصر — شكر

أقدم لجلالتكم فائق الامتنان على مافضلتم به من شعائر الوداد التي شرفتموني بها وعلى ما أكرمتمني من تقيس التعضيد للمحافظة على كيان مصر واستقلالها. وما كنت على علم تام بالمسؤولية التي أخذتها على عاتقي وقد عقدت النية على تخصيص كل مافي وسعي لتقديم أمتي وسعادتها سالكام مع الحماية في ذلك سبيل

(المجلد الثامن عشر)

(٨)

(المنار: ج ١)

الوثام فاني أعتبر من حسن حظي أن يتاح الى الاعتماد في القيام بهذا العبء على
جميل عواطف جلالكم وعلى معاونة حكومتها حسين كامل

البرقية الثالثة من لورد كتشنر - تهنئة

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة
أتشرف بتقديم أجل مراسم التهاني والاحترام الى مقام عظمتكم السلطانية
بمناسبة ارتقائكم عرش سلطنة مصر وأسأله تعالى أن يوفق مصر في ظل عظمتكم
السلطانية وبمعاونة ونصائح أصدقائها الى جعل مستقبلها مقرونا بالطمأنينة والسعادة
كتشنر

البرقية الرابعة من سلطان مصر - شكر

الى لورد كتشنر لندن
كان لتهانئكم الودية بمناسبة ارتقائي عرش السلطنة أجل وقع في قوادي
فأشكركم شكرا جزيلا على ما أبدىتموه من العواطف والاماني نحو بلادي . وان
ما أعلمه من عظيم اهتمامكم بمصر يجعلني على يقين بأنه يتسنى لها الاعتماد عليكم كما
تعتمد على خير أصدقائها حسين كامل

البرقية الخامسة . امنية

من اللورد كتشنر الى رئيس الوزارة حسين رشدي باشا
أبادر بابلاغ عطوفتكم أمانى المنبثقة من أكل عواطف الاخلاص والوداد
نحو مستقبل النظام الذي انفتح عصره في هذا الصباح وان تثقي بحكمة عطوفتكم
وبوطنيتكم تجعل لي الامل الوطيد باستمرار مصر في طريق السعادة والتقدم

البرقية السادسة من رئيس الوزارة - شكر واعتباط

أشكر جنابكم على جميل تلغرافكم . وأنا على يقين مثلكم بأن مصر في عهد
نظامها الجديد ستتابع خطاها في طريق النظام والارتقاء
واني لمرتاح الى ما عندي من الامل بامكاني الاعتماد على مودتكم الثمينة أثناء
قيامى باعباء وظيفتي ما

تهاني الشعراء

نظم أشهر شعراء مصر القصائد في التهاني السلطانية . وفي مقدمتهم اسماعيل باشا صبري واحمد شوقي بك ومحمد حافظ بك ابراهيم . وامتازت قصيدة شوقي بأنها لم تكن مدحا وثناء مجردا كغيرها بل تمثيلا لشعوره ووجدانه الخاص من حيث هو ربيب بيت الخديو اسماعيل باشا وغرس نعمته ، ووجدانه العام من حيث هو مسلم مصري ، ويشاركه في هذا جمهور المصريين . فاذا أثبتناها بنصها أثرا تاريخيا لا نخرج عن سنة المنار في عدم نشر المدائح الشخصية . وها هي ذه :

الملك فيكم آل اسماعيل	لازال يتكمو يظل النيل
لطف القضاء فلم يمل لوليك	ركن ولم يشف الحسود غليلا
هذي أصولكم وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بديلا
الملك بين قصوركم في داره	من ذا يريد عن الديار رحيل ^(١)
(عابدين) شرف يا ابن رافع ركنه	عزا على النعم الرفيع وطولا
مادام مغناكم ^(٢) فليس بسائل	أحوى فروعاً أم أقل أصولا
أنتم بنو المجد المؤئل والندی	لكم السيادة صبية وكولا
النيل إن أحصى لكم حسناتكم	ملا الزمان محاسنا والجلا
أحيا أبوكم شاطئيه وابنتي	مجدا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا	وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام بيانهم	وحى الى البيت الحرام سبيلا

حفظ الآله على (الكنانة) عرشها	وأدام منكم للhal كفيلا
بنان (عمرو) أمتته عناية	من أن يززع ركنه ويميلا
وتدارك الباري لواء محمد	فرعى له غررا وصان حجولا

(١) قيل انه أشار الى نبي ما اشيع من خبر تقييه من مصر

(٢) أي مادام قصر عابدين مقاما لكم يا آل اسماعيل

في برهة يذر الاسرة نحسها مثل النجوم طوالها وأفولا
الله أدركه بكم وبأمة كالمسلمين الاولين عقسولا
حلفاؤنا الاحرار الا أنهم أرقى الشعوب عواظقا وميولا
أعلى من الرومان ذكرا في الوري وأعز سلطانا وأمنع غيلا
لما خلا وجه البلاد لسيفهم ساروا سماحا في البلاد عدولا
وأتوا بكبرها وشيخ ملوكها ملكا عليها صالحا مأمولا
تاجان زانهما المشيب بثالث وجد الهدى والحق فيه مقبلا

سبحان من لا عز الا عزه يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته إلا رضى بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد قتيلا
يأليت شعري هل يحطم سيفه للبني سيفا في الوري مسولا
سلب البرية سلمها وهناءها ورمى النفوس بألف عزائلا
زال الشباب عن الديار وخلفوا للباقيات الشكل والترميدا
طاحوا فطاح العلم تحت لوأهم وغدا التفوق والنبوغ قتيلا
الله يشهد ما كفرت صنعة في ذا المقام ولا جحدت جميدا
وهو العليم بأن قلبي موجه وجعا كداء الثاكلات دخيلا
مما أصاب الخلق في أبنائهم ودهى الهلال ممالكها وقبيلا
أأخون اسماعيل في أبنائه ولقد ولدت ياب اسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة يتسه فلبست جزلا وارقدت جميدا
ووجدت آبائي على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال دليلا
رؤيا (عليّ) يا (حسين) تأولت ما أصدق الاحلام والتأويلا
واذا بُناة المجد راموا خطة جعلوا الزمان محققا ومنيلا
القوم حين دها القضاء عقولهم كسروا بأيديهم لمصر غلولا
هدموا بوادي النيل ركن سيادة لهمو كركن العنكبوت ضئيلا

أرقه^(١) سرير أليك والبس تاجه
مرت أويقات عليه موحشا
ليست معالي الأمر شيئاً غائباً
كم سستموه في الشيبة مضلعا
وحيتمو زرع البلاد وضرعها
يا أكرم الأعمام حسبك أن ترى
من عثرة ابن أخيك تبكي رحمة
ولو استطعت أقالة لعثاره

وآ كرم على (القصر المشيد) نزيلا
كالرمس لا خلوا ولا مأهولا
عنكم وليس مكانكم مجهولا
وحلتموه في المشيب ثقيلا
وهزتمو للمكرمات بخيلا
للعبرتين بوجنتيك مسيلا
ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
من صدمة الأقدار كنت مقيلا

يا أهل مصر كلوا الأمور لر بكم
جرث الأمور مع القضاء لغاية
أخذت عنانا منه غير عناها
هل كان ذاك العهد إلا موقفا
يعتز كل ذليل أقوام به
دفعت بناقيه الحوادث وانقضت
وانقض ملعبها وشاهده على
فأدمتمو الشخناء فيما بينكم
كل يؤيد حزبه وفريقه
حتى انطوت تلك السنون كلعب
واذا أراد الله أمرا لم يجد

فأله خير موثلا ووكيلا
وأقرها من يملك التحويلا
سبحانه متصرفا ومديلا
للسلطتين والبلاد وييلا
وعزيزكم يلقي القياد ذليلا
إلا نتائج بعدها وذيولا
أن الرواية لم تتم فصولا
ولبثتمو في المضحكات طويلا
ويرى وجود الآخرين فضولا
وفرغتمو من أهلها تمثيلا
لقضائه ردًا ولا تبديلا

(١) كتب الكلمة في بعض الجرائد « أرقاً » وهو غلط لأنه امر رقي الناقص
لأرقاً المهموز ، ولعل سببه كتابتها في الأصل بالالف فجعلوها همزة . والمقام هنا مقام
وصل الفعل بهاء السكت كما فعلنا

آثارة تاريخية

من مقدمات الحرب المدنية الاوربية

وهي البرقيات التي تبودلت بين العاهلين العظمين

قيصر الألمان وقيصر الروس^(١)

١

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٨ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ مساء)

لقد علمت بمزيد القلق خبر الوقوع الذي وقع زحف الجنود النمسية على سرية في امبراطوريتكم . ان التحريض العظيم الذي توالى في سرية منذ سنوات أفضى الى جناية فظيعة اغتيل فيها الارشدوق فرنس فردينند ، فالروح الذي حمل السريين على اغتيال ملكهم وقرينته لا يزال سائدا تلك البلاد ، ولا ريب في انكم توافقوني انا- أي أنت وأنا- بكسائر الملوك لنا مصلحة مشتركة في الاصرار على معاقبة مرتكبي جناية القتل هذه العقاب الذي يستحقونه

على انني أعلم أيضا انه يصعب جدا عليكم وعلى حكومتكم مقاومة مظاهرات الرأي العام ، فانا نذكركم للصداقة القلبية التي بيني وبينكم منذ زمان طويل أبذل كل نفوذي في اقناع النمسة بالاتفاق مع سرية ، واني أعتمد على تأييدكم في مساعي لازالة جميع الصعوبات التي يحتمل ان تنشأ صديقكم المخلص وابن عمكم ولهم

٢

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم

قصر بترهوف في ٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة واحدة بعد الظهر)

سري خبر عودتكم الى ألمانيا واني أطلب مساعدتكم في هذه الآونة الحرجة

(١) نقلت من ملحقات الكتاب الاصفر الفرنسي الرسمي

فقد أعلنت حرب معية على أمة ضعيفة وأنا أشاطر روسية سخطها العظيم
واني أرى اتى سأعجز قريباً عن دفع الضغط الواقع علي وأضطر الى اتخاذ
تدابير تؤدي الى الحرب

فاجتناباً لنكبة حرب أوربية أرجو منكم باسم صداقتنا القديمة ان تفرغوا كل
جهدكم في منع حليفتكم من الافراط في الخطة التي سارت عليها نقولا

٣

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساء)

تلقيت برقيتكم وأنا أشاطركم الرغبة في حفظ السلام
ولكن لأرى ان زحف النمسة على سرية حرب معية كما قلت في تلغرافي
الاول، فقد علمت النمسة بالاختبار انه يستحيل تصديق مواعيد سرية مادامت
محصورة في الكتابة على الورق

وعندي انه ينبغي النظر الى ما تفعله النمسة كأنه سعي للحصول على الضمان
الكافي بان سرية تقوم بمواعيدها ، وقد تأيد اعتقادي بما صرحت به النمسة من
انها لا تبني الاستيلاء على شيء من أملاك سرية

ولذلك أرى ان روسية تستطيع أن تقف موقف المتفرج فلا تخرج أوربة الى
أعظم حرب رآها العالم

وأعتقد أن الاتفاق بين حكومتكم وفينة مستطاع ومرغوب فيه لاسيما وان
حكومي باذلة الجهد للتوصل الى هذا الاتفاق كما أخبرتكم في تلغرافي السابق

ولا يخفى ان اتخاذ روسية لتدابير حرية تعدها النمسة تهديدا لها يعجل وقوع
النكبة التي نحاول كلانا اجتنابها ويحول دون قيامي بمهمة الوسيط التي قبلتها بلا
تردد لما استعرت بصدوقي ومعونتي ولهم

٤

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ صباحاً)

صدرت التعليمات الى سفيري أن يوجه نظر حكومتكم الى الاخطار والمواقب
الوخيمة التي تنشأ عن تعبئة الجيش وهذا الذي قلته لكم في تلغرافي الاخير
ان النمسة عبأت جيشها ضد سرية فقط ولم تعبى سوى جانب من جيشها
فاذاعت رومية جيشها ضد النمسة كما يتضح من برقيتكم وبلاغ حكومتكم تعذر
عليّ القيام بمهمة الوسيط بل استحال وهي المهمة التي نطموها بي بروح المودة وقبلتها
بناء على طلبكم المعجل
فعبء البت في الامر واقع على عاتقكم وأنتم تتحملون عبء تبعه الحرب أو
السلم ولهم

٥

من الامبراطور تقولا الى الامبراطور ولهم
قصر بنزهوف في ٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ والدقيقة ٢٠ بعد الظهر)
أشكركم من صميم القواد على جوابكم السريع واني فرسل تاتيشف اليوم
بماء مزودا بالتعليمات. أما التدابير الحربية التي تتخذ الآن فقد قر القرار عليها منذ
خمسة أيام لمقابلة استعداد النمسة
واني أتمنى من صميم القواد ان لا تؤثر هذه التدابير في قيامكم بمهمة الوسيط
وهي المهمة التي اقدرها حق قدرها فانا نحتاج الى توسطكم بالحزم مع النمسة لحلها
على الاتفاق معنا نقولا

٦

من الامبراطور تقولا الى الامبراطور ولهم

٣١ يوليو ١٩١٤

أشكركم من صميم القواد على ما تبدونه من النية التي تدل على وجود بارقة
أمل بان الامور تنتهي على مايرام . اما توقيف استعدادنا الحربي فغير مستطاع
فنيا وقد اضطررنا تعبئة النمسة الى هذا الاستعداد

انا أبعد الناس عن الرغبة في الحرب وما دامت المفاوضات في موضوع

سرية دائرة مع النمسة فجنودي لا تقدم على عمل ما من أعمال التحرش وأؤكد لكم ذلك بشرفي
 اني موقن تمام الايقان بنعمة الله واثق بأن توسطكم في فينا يكلل بالنجاح
 لخير بلادينا وسلم أوربة
 نقولا

٧

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٣١ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)

لما استجرتكم بصداقتي وطلبتم معوتي قبلت أن أتوسط بين حكومتكم وحكومة النمسة
 وبينما كنت قائما بهذا العمل عبأتكم جيوشكم ضد حليفتي النمسة فأحبطتم
 الرجاء بنجاح توسطي ومع ذلك فاني ظلت متابعا له
 وقد تلقيت الساعة علما من مصدر جدير بالثقة بأنكم شرعتم تتخذون تدابير
 حرية عظيمة على حدودي الشرقية، ولما كنت مسؤولا عن سلامة امبراطوري
 فاني مضطر ان اتخذ تدابير مماثلة دفاعا عنها

ولقد بذلت أقصى ما استطاع سعيًا لحفظ السلم فاذا وقعت النكبة الهائلة التي
 تهدد عالم المدنية بأسره فان تبعثها لا تقع علي
 ولا يزال منع وقوع النكبة في يديكم اذ لا أحد يهدد شرف روسية وقونها
 وكان في طاقة روسية ان تنتظر نتيجة توسطي . ان صداقتي لكم ولا امبراطوريتكم
 التي أورثنيها جدي على فراش الموت ظلت مقدسة عندي، وقد كنت أمينا لروسية
 في محنها ولا سيما في الحرب الاخيرة . فسلم أوربة محفوظ حتى الآن اذا قر قرار
 روسية على الكف عن التدابير الحرية التي تهدد بها ألمانيا والنمسة. ولهم

٨

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم

١ اغسطس ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)

جاءتني برقيتكم وإني أعلم انكم مضطرون الى التعبئة، ولكنني أطلب منكم
 (المنار ج ١) (٩) (المجلد الثامن عشر)

الضمان الذي أعطيتكم إياه وهو ان هذه التدابير لا تنذر بوقوع الحرب وأنا نفل متابعين مفاوضاتنا لخير البلادين ومصلحة السلم العام العزيز على قلوبنا ان صداقتنا القديمة العهد والوطيدة الأركان يجب بمساعدة الله أن تفوز بمنع إراقة الدم فانا انتظر جوابكم بملء الثقة .
تقولا

٩

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

برلين في ١ اغسطس ١٩١٤

أشكركم على برقيتكم وقد دلت حكومتكم أمس على الطريق الوحيد لاجتناب الحرب

ومع أني طلبت أن يأتيني الجواب الظهر فلم يأتني حتى الساعة برقية من سفيري تتضمن جواب حكومتكم لذلك اضطرت الى تعبئة جيشي فالطريق الوحيد لمنع وقوع نكبة لا توصف هي ورود جواب صريح جلي من حكومتكم. ولا يسعني أن أهتم بموضوع تلفرافكم قبل أن يأتيني هذا الجواب، واني مضطر أن أطلب بالاختصار أن تصدروا أوامركم الى جنودكم بلا ابطاء بان لا يهجم أقل هجوم على حدودنا
ولهم

فصل الاحصاء من باب التاريخ

(مساحة المملكة العثمانية وعدد سكانها)

أصدرت الحكومة العثمانية في العام الماضي احصاء لأملاكها وعدد سكانها نشرته جريدة « الأهرام » قائلة انها أخذته عن خريطة أركان الحرب العثمانية وهو كما ترى في الجدول الآتي :

اسم الولاية	كيلومتر	نفس
استامبول	٧٠٠٠	١٣٦٠٠٠
خداوند كار	٧٣٨٠٠	١٦٢٦٩٠٠

[المزار: ج ١ م ١٨] مساحة المملكة العثمانية وعدد سكانها ٦٧

اسم الولاية	كيلو متر	نفس
آيدين	٥٤٠٠٠	١٣٩٦٥٠٠
قونية	١٠٢٨٠٠	١٠٨٨٠٠٠
اطنة	٣٧٢٠٠	٤٠٣٤٠٠
انقره	٦٧٥٠٠	٨٩٢٩٠٠
تسطموني	٤٩٧٠٠	١٠١٨٩٠٠
سيواس	٦٢٨٠٠	١٠٨٦٥٠٠
طرابزون	٣٠٧٠٠	١٠٤٧٧٠٠
ارضروم	٥١٠٠٠	٥٩٧٠٠٠
معمورة العزيز	٣٤٣٠٠	٥٧٥٣٠٠
بتليس	٢٦٨٠٠	٣٩٨٦٠٠
ديار بكر	٣٥٠٠٠	٤٧١٥٠٠
وان	٤٠٢٠٠	٤٣٠٠٠٠
حلب	٧٨٦٠٠	٩٩٥٨٠٠
بيروت	٣٠٠٠٠	٥٣٣٨٠٠
سوريا	٦١٧٠٠	٩٥٥٠٠٠
بغداد	١٤١٢٠٠	٨٥٠٠٠٠
الموصل	٧٥٩٠٠	٧٠٠٣٠٠
البصرة	٤٢٧٠٠	٣٠٠٠٠٠
الحجاز	٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠
البحرين	٢٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠
جزائر البحر الأبيض	٧١٠٨	٣٢٥٩٠٠
ازميد	١١٢٠٠	٢٢٢٨٠٠
بيضا	٦٨٠٠	١٢٩٤٠٠
الزبد	٨٥٠١٠٠	١٠٠٠٠٠٠

لبنان	٦٥٠٠	٣٩٩٥٠٠
القدس	٢١٣٠٠	٣٣٣٠٠٠
سيسام	٤٦٨	٥٢٨٠٠
قبرص	٩٦٠٠	٢٢١٨٠٠
المجموع	١٧٠١٧٧٧	١٩٣٤٠٠٠

(قالت الاهرام) فعدد الاهالي العثمانيين اذن هو ١٨ مليون و ٨٣٩ الف و ٨٠٠ نفس يخرج منهم اهالي قبرص وهم حسب الاحصاء ٢٢١٨٠٠ وسيسام وهم ٥٢٨٠٠ ولبنان وهم ٣٩٩٥٠٠ والحجاز وهم ٣٠٠ الف واليمن وهم ٧٥٠ الفا وجزر البحر الابيض وهم ٣٢٥٩٠٠ لان هذه البلاد اما انها لا تكلف بالتجنيد واما انها غير خاضعة لحكم الدولة كالجزر وعدد اهاليها مليونان ٧٤١ الف فيكون الباقي ١٦٧٦٥٧٠٠ فاذا اخرجنا منهم البكر واليزيدية والطوائف التي تدفع البدل والتي تعفى يكون الاهالي الذين يجندون نحو ١٤ مليوناً على الاكثر فاذا حسبنا ان الذين يجندون هم ٦ بالمئة يكون عدد الجيش الممكن جمعه من الامة العثمانية ٨٤٠ الف مقاتل في وقت الحرب اه

احصاء جزيرة العرب والولايات العربية

[المنار] كنا رأينا هذا الاحصاء في الاهرام ثم نقلناه عن جريدة أخرى نقلته عنها ولكن رأينا الجمع غير صحيح فأرسلنا الجدول الى رئيس تحرير الاهرام فصححه فلم يكن الجمع بعد تصحيحه صحيحاً أيضاً بل بلغ عدد النفوس ١٩ مليوناً و ٣٤٠ الف نفس ان الدولة لم تحصى سكان بلادها إحصاء دقيقاً الى اليوم ، وهي تعفى بهذا الاحصاء اهالي البلاد الحضرية الخاضعين لقوانينها كلها أو بعضها الا ما يستثنى كقبرص. أي ما تيسر لها معرفة عدده منهم، ولذلك لم تذكر بلاد نجد مع انها تعدها تحت سيادتها. وجعلت أهل اليمن ثلاثة ارباع المليون على أن بعض وزرائها الذين تولوا اليمن كحسين حطمي باشا كانوا يقولون ان أهلها ستة ملايين أو يزيدون .

ورأيت بعض أهل اليمن يعتقدون ان سكان بلادهم وبلاد حضرموت أكثر من سكان القطر المصري

هذا وان سكان الولايات والمتصرفيات العربية وهي ١٢ ولاية ومتصرفية بلغوا بحسب هذا الاحصاء ... ر ٦٩٢ ر ٦ فاذا كان في ديار بكر والموصل وحلب زهاء مئتي الف من غير العرب كالترك والكرد والارمن يكون مجموع العرب الخاضعين للدولة فعلاً نحو من ستة ملايين ونصف أو أقل . وهذا العدد أقل من ثلث مجموع العرب في جزيرتهم وحدها دع لمحققاتها من العراق وما بين النهرين وسورية وفلسطين . ويمكن أن يعيش في هذه البلاد أكثر من مئة ألف الف بالسعة ، فن مساحتها أوسع من مساحة الهند الانكليزية التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة ألف ألف . بل مساحة جزيرة العرب وحدها تقرب من مساحة الهند إذ كل منهما تزيد على ثلاثة ملايين كيلو متر

وقد قدر صاحب (النخبة الازهرية في تخطيط الكرة الارضية) سكان جزيرة العرب وحدها باثني عشر مليون نفس ، وهو انما يعتمد على كتب التقويم الاوربية القديمة التي تعتمد على قاعدة البناء على الاقل ، وحسبك نموذجاً من ذلك انه يقول ان سكان دمشق الشام ستون ألفاً ، والمشهور انهم أكثر من مئتي الف ، وان سكان طرابلس التي هي ١٣ ألفاً وهم أكثر من تسعة وعشرين

ويمكن ان تقول ان عرب الولايات والمتصرفيات العربية ماعدا اليمن والحجاز لا تقل عن خمسة ملايين ونصف بحسب احصاء الدولة . واذا قيل ان عدد الاعاجم فيها أكثر مما قدرنا بنصف مليون قلنا ان البدو فيها لا يقلون عما نقرضه من زيادة هؤلاء . فاذا أضفنا الى البدو المكتومين من الحضرة زاد عدد العرب في تلك الولايات على ستة ملايين . وقد نشر في عدد الاهرام الذي صدر في ٣ نوفمبر احصاء آخر لحد المحررين فيها (ا.س.ن) عد فيه أهل ولاية بيروت ٧٠٠.٤٠٠ وبغداد ٩٥٠.٠٠٠ والبصرة ٢٥٠.٠٠٠ والقدس ٥٥٠.٠٠٠ ولبنان ٥٠٠.٠٠٠ وهذه زيادة تبلغ زهاء نصف مليون . فاذا فرضنا بعد ذلك ان سكان الجزيرة ١٢ مليوناً فقط كما يقول صاحب النخبة الازهرية

على سبيل التقريب كان عدد العرب وحدهم في هذه البلاد كلها كعدد سكان المملكة العثمانية من جميع الاجناس كما رأيت في الجدول
ويقدر كثير من العارفين عدد العرب في تلك البلاد بعشرين مليونا ولكنهم يستثنون من ذلك أهل حضرموت ومجد وعُمان

إحصاء شعوب الهند الانكليزية

نشرت الحكومة الانكليزية خلاصة احصاء شعوب الهند في عام ١٩١٤
ويؤخذ من هذا الاحصاء ان عدد أهالي الهند الانكليزية ٣١٥٦٨٥٦٣٩٦
وهم ٧٨ ر ٥ بالمئة من الهنود و ٢٢ ر ٥ من رعايا الامارات الهندية
وهذا العدد بالهند تعادل مساحة أوربة كلها ما عدا روسيا والكن عدد أهالي الهند
ينبغي ان يضاف اليه عدد رومانيا وهو يعادل ثلاثة أضعاف أهالي الولايات المتحدة
ومنذ ٣٩ سنة الى اليوم زاد عدد أهالي الهند ٥٠ مليونا . أما الذين يدينون
بدين الهند الاصليين (١) فعددهم ٢١٧٥٨٦٨٩٢ وعدد المسيحيين ٢٠٤٢٧٨٨٢
وثباقرن من المسلمين

(المنار) نشرت هذا الإحصاء جريدة الاهرام في أثناء السنة الماضية وتلك
عبارة ثقلها بنصها . وإذا نحن طرحنا عدد الوثنيين والنصارى من المجموع بقي
٣٠٠ ر ٦٩٣ ر ٩٤ وهو عدد المسلمين . وقد كنا سمعنا من بعض كبراء الهند في أثناء
سياحتنا فيها عام ١٣٣٠ (١٩١٢ م) ان عدد المسلمين فيها تسعون مليونا ونصف .
والكثير لا يزال اسمع الناس يقولون ويكتبون ان عددهم سبعون مليونا ، حتى ان
مثل هذا القول ينقل عن بعض رجال السياسة من الانكليز أنفسهم . ولما جاء هذا
الاحصاء . قالوا لما سمعناه من أهل المعرفة في الهند ترجح عندنا ان هذه الاقوال
اما مبنية على إحصاء قديم علق باذهان اوائلك القائلين ، واما ان الانكليز منهم
يستثنون بعض الامارات المستقلة عند ذكر رعاياهم من مسلمي الهند وغيرهم
يقلدهم في أقوالهم

البدء والخرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

خرافات وأوهام في قصور الملوك *

يعتقد القراء أن الخرافات والاهام التي تتخوف منها الطبقة العامة في سورية وغيرها من بلدان الممالك المتعدنة (?) كوجود الجان وظهور الارواح والاشباح لا أثر لها في عقول الطبقة المتعدنة من الشعب الاوربي والحقيقة ان هذه الاهام التي لا يسلم بها من العلماء غير شيعة الروحانيين (مناجاة الارواح) واتباعهم مائة قصور الملوك ولها في كل رأس من رؤوس سكان القصور ثغرة واسعة. وها نحن (أولاء) موردون شيئا عن الاعتقادات الشائعة بالجان والارواح في قصور ملوك أوربة

تعتقد عائلة « هوهنزولرن » المالكة في ألمانيا ان لها جنتين إحداهما بيضاء والثانية سوداء واليهما تشير الراية الالمانية، بمعنى ان البيضاء هي جنية الشر، والسوداء جنية الخير

ففي عام ١٨٠٦ « على ماتفيد الكتب والاوراق القديمة » ظهرت الجنية البيضاء في إحدى نوافذ القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى ورد الى الامبراطور نبأ يفيد انكسار الجيش الالمانى « في « اورستاد »

وقد ظهرت أيضا عام ١٨٨٤ قبل وقوع تلك الحوادث المشؤومة في ألمانيا - في حديقة القصر الملكي في برلين

وظهرت أيضا ثلاث مرات في « انتردنلدين » وفي كل مرة كانوا يحاولون اغتيال غليوم الاول

ولمات الامبراطور الشيخ شعبانا من السنين وكان قد بلغ من المجدحظا كبيرا ظهرت الجنية البيضاء في احد أروقة القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى جاءت الانباء مفيدة ما قاساه فردريك الثالث من انواع العذاب وأصناف البلايا والمحن (*) منقول من جريدة الزمان العربية التي تصدر في بونس ايرس (الأرجنتين)

وبعد ثلاثة أشهر وقفت في القصر الملكي مكشوفة اليدين وأنبأت عن موت فردريك الثالث ابن غليوم الأول في «شارلوتنبورغ» بعد تواليه الحكم بثلاثة أشهر وأما الجنية السوداء فقد ظهرت الامبراطور احمالي في «برانبرغ» في أيام غليوم الأول وقالت له «ستكون امبراطورا قبل ان تتم اثلاثين ريعا» وهكذا كان. وفي قصر انكلترا الملكي جنية بيضاء وظيفتها نقل أخبار الموت فقط «ناعية» ففي عام ١٩٠١ عند ما ماتت الملكة فكتوريا الشهيرة أخذت (الجنية) نصيح - بشهادة بعض أشخاص موثوق بصدقهم - في داخل القصر الملكي

ويوجد مثل هذه الارواح والجنيات في القصور التاريخية القديمة، وكثيرا ما امتنع الملوك والامراء والاشراف عن سكناها خوفا من تلك الارواح الخبيثة الهائلة ففي قصر «باري يوماروي» توجد هذه الارواح بكثرة وطالما أعلنت المصائب قبل وقوعها. وعدد كبير من سكان هذا القصر أنبأتهم هذه الارواح عن انقضاء آجالهم

وبهذه المناسبة نذكر احادثة تالية اتت جرت في القصر المذكور من مضي مئة سنة كان الدكتور «ولتر» يطلب زوجة مدير القصر، وفي أحد الايام سأل المدير المذكور عن تلك المرأة الجميلة الحسنة الملبس التي تلوح على محياها امائر الحزن، والتي رآها عند دخوله الى القصر، فبغت الرجل وصاح لالا. لا أريد ان نموت امرأتى. فعجب الدكتور بما يراه واستوضحه عن العلاقة بين المرأة وموت زوجة المدير المذكور، فأطاعه على حقيقة هذه السيدة البيضاء الجميلة ومع انه لم يكن يرى في مرض زوجة مدير القصر خيرا على حياتها، فقد دأبت في ذلك اليوم هذا مارأينا ان نقله تفككة للقراء. ولا يمكننا نفى هذه الحوادث وغيرها مما نطالعه يوميا عن استحضار الارواح وافعال الارواح ولا تصديقه، لان بين المعتقدين جماعة من العلماء الاعلام كالمسترستيد وغيره، وبين المكذبين العلماء الطبيعيين على الاطلاق وغيرهم من المشاهير، ولا تزال جان العلماء والفلاسفة في أمبركة ولندن وباريس وغيرها تبحث بحثا دقيقا متوصلا توصلنا للحقيقة.

باب امر اسئلة والمناظرة

الاسلام في انكلترة

فضيلة^(١) صاحب « المنار » الاغر

يسرني جدا أن أبلغ سيادتكم ان مساعي اخواننا المسلمين المبشرين في انكلترا سائرة في طريق النجاح بدرجة فوق المأمول . ولقد تعود معظمنا اغفال الدعوة الى الدين الحنيف بل أهملنا حتى في مقاومة دعاة المسيحية في نفس بلادنا، حتى أتى تخيل ان ذكر وجود مبشرين مسلمين في انكلترا كاف وحده لدهشة غير قليل من القراء . ولاشك في أنه يدهشهم (دهشا) أكثر أن يعلموا أن هؤلاء المبشرين على قلة عددهم قد نجحوا في نشر نور الاسلام بين عدد ايسر بالضئيل من خبرة السيدات والرجال الانكليز .

يوجد في (ووكنج Woking) احدى ضواحي مدينة لندن جامع صغير يمثل المركز الرئيسي للجمالية الاسلامية في بريطانيا العظمى ، ويصدر امام ذلك الجامع مجلة شهرية تدعى « المجلة الاسلامية والهند المسلمة » - ومع أني لست ممن يرتاحون الى هذه المجلة نظرا لخلطها في كثير من الاحايين الدين بالسياسة ، فانه لا يسعني الا الاعتراف بالخدمة الاسلامية الجليلة التي قامت بها في زمن لا يتجاوز ثلاث سنوات . والفضل كل الفضل يرجع الى حضرة رئيس تحريرها امام الجامع المشار اليه والى اعوانه .

ولقد تلقيت العدد الاخير منها (عدد يناير سنة ١٩١٥) فوجدت فيه الخبر المفروح الآتي :

(١) حذفنا من مكان النقط لقب « الاستاذ الامام » الذي صار كالعلم لشيخنا رحمه الله تعالى وان كنا جرينا على نشر الرسائل والاسئلة بنصها لاسباب تاريخية وغير تاريخية

« في يوم الأحد الماضي ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ عقدت الجمعية الاسلامية البريطانية اجتماعا خطب فيه رئيسها سيف الرحمن اللورد هدي وقد اعتنقت الاسلام سيدة أخرى وهي السيدة إلينور أني ساكسبي ، ومنذ الاسبوع الماضي قد أضفنا الى قائمة الاخوة الاسلامية النامية باستمرار اسماء ثلاثة أشخاص من الانكليز . « وفي (هذا) العدد نفسه كتابان عن اعتناق الدين الاسلامي أحدهما من سيدة انكليزية تدعى أ. بامفورد ، والآخر من أحد افاضل الانكليز وهو المستر إرنست أوتن ، وكلاهما ممتلئ بعبارات تستحق التأمل والدرس وخصوصا من ساداتنا المتفرجين الذين ينسون تعاليم دينهم العالية بمجرد امتزاجهم بالافرنج . ونظرا لضيق نطاق « المنار » الاغرو لعدم سعة وقفي اكتفي بترجمة كتاب السيدة المشار اليها . وهذا تعريبه :

« سيدي محرر صحيفة المجلة الاسلامية والهند المسلمة .

لقد صرت في العهد الاخير بفضل مودة صديق مسلم اقرأ بانتظام أهم المؤلفات الاسلامية وأذكر بينها الكتب الشائعة التي وضعها السيد أمير علي وخصوصا نشرته عن حقوق النساء في الاسلام فإنها ذات قيمة كبيرة عندي .

ومما يستحق الذكر من المؤلفات الاخرى الممتعة التي شأقتني كثيرا كتاب « الهلال والصليب » تأليف خليل بك خالد ، وكتاب « اسرار مصر والاسلام الخفية » تأليف المستر ليدر ، وكذلك فصل « البطل كنجي » ^(١) من قلم كارليل . فكانت صفوة ونتيجة دراستي الدقيقة هذه أني امتلأت اعجابا بمحمد (ص) باعتباره نبيا ومصلحا عظيما وبدياته الديمقراطية السمحة التي يهنيي ويريني الآن اعتناقها

هذا وأنني اعترف بأن الديانة المسيحية المهدبة ديانة جلييلة ، الا أني مع ذلك لا يمكنني بأية حال أن آجأهل ان الاسلام لا يعلم الناس أسس مبادئ المسيحية فقط بل هو يمتاز أيضا بدون أدنى شك بمزايا عظيمة لا توجد في المسيحية ،

(١) المراد من هذه العبارة : البطل النبي ، أو البطل بصفة النبي أو من حيث هو نبي .

وذلك في مراميه الفلسفية ومبادئه النفسية العالية وفي القواعد الموضوعة لنظام اجتماعي أدق وأصح .

لقد خطر في بالي أن أبعث بهذا الكتاب الى جنابكم عسى أن لا يخلو علمكم وعلم قراء مجلتكم الغراء بذلك من الفائدة .

وختاماً أتشرف بالامضاء باسمي الاسلامي

أمنية

(« الآنسة » أ. بامغورلا)

كم كانت تكون هذه النتيجة السارة مضاعفة ياسيدي الاستاذ لو تم مشروع الجامع الكبير المنوي بناؤه في عاصمة الامبراطورية الانكليزية التي تضم تحت رايها الملايين من المسلمين في عدة من أنحاء العالم ، ولست أدري لاي سبب ضعفت هم المسلمين في مصر والهند وغيرها من الاقطار الاسلامية عن مواصلة التبرع لهذا المشروع الجليل حتى يمكن تحقيقه في المستقبل العاجل .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا وجد بين سراتنا من يعضد « دار الدعوة والارشاد » التعضيد اللائق بكلية عظيمة المقصد كذه حتى يتيسر لكم ارسال الدعوة الى هذه البلاد . وبفضل علمهم ومعرفتهم بالانكليزية يرجى لهم حينئذ نجاح كبير هنا ، وخصوصاً اذا تيسر لهم انشاء مجلة بالانكليزية تشمل صفوة ترجمة ما يصدر في كل عدد من « المنار » الزاهر .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا هزت الاريحية الدينية أحد امراء أو أغنياء المسلمين فوهب نحو من خمسمائة جنيه أو أكثر في سبيل نقل « تفسير المنار » الى الانكليزية ، فانه مما يؤسف له جداً أن تنتشر بهذه اللغة المؤلفات العديدة ضد الاسلام ولا ينقل اليها كتاب جليل هو دائرة معارف اسلامية مثل « تفسير المنار » وما هذا بعزيز على امراء المسلمين الذين نراهم من أجل الحرب الحاضرة يوجدون بمئات الآف من الجنهيات ، أفلا يوجد بينهم من يجود بجزء من مائة من ذلك في سبيل نشر نور السلم والاسلام ؟

ان من المغالطة أن يقال ان الانكليز مثلاً يمنعون امراء الهند من عمل كهذا ، فان انكلترا معروفة بمنحها الحرية الدينية الكاملة لجميع رعاياها ، وهذا ما لا ينكره

نفس أعدائها ، بل كان هذا من جملة أسباب ولاء مبلمي الهند لها ، فلا يعقل ان يتدخل رجال السلطة من الانكليز في الهند في شأن ديني محض كهذا ، أو يمنحوا أميرا هنديا مسلما من التبرع إذا شاء لما فيه صالح دينه .

وكذلك لا يعقل أن يفعلوا ذلك في مصر أو في غيرها من الممالك الاسلامية التي لانكلترا علاقة بها . وعلمنا وخبرتنا الماضية تؤكد ذلك .

أني أوافق فضيلتكم على أن تعلم العربية واجب على كل مسلم ، وأن من الحكمة جعل تعليمها اجباريا في جميع المدارس والكتليات والجامعات الاسلامية في كل قطر ، حتى يتيسر لكل مسلم أن يعرف دينه من منبعه الأصلي ، بغض النظر عن العلم بأداب اللغة العربية الشريفة التي هي لغة القرآن الكريم ، ولكن اذا تأملنا في المسألة من وجهة التبشير فاننا نجد أن من الضروري أن ينقل الى اللغات الاجنبية خبرة المؤلفات الاسلامية وخصوصا تفاسير القرآن الجليلة المشهود بسعة العلم والدقة فيها ، فان هذا عماد المبشر المسلم في نشر دينه بين الافرنج . ومن العبث ان يقول المبشر الذي يريد اجتذاب القوم اليه: تعلموا يا قوم العربية أولا وبعدها اطلعكم على القرآن وأذ كر لكم أصول الدين الاسلامي ...

أما نقل القرآن الشريف الى الانكليزية أو غيرها من اللغات الاوربية فاني أعدّه جرماً من حيث ان ذلك يؤدي الى اخفاء ما في لغة القرآن الشائقة من اعجاز البيان ، فضلا عن ان الترجمة تظهر بشكل مشوه غريب يجعل الأوربي الذي لا يعرف آداب العربية يعجب من كوننا نعتقد ان القرآن هو كلام الله جل شأنه !! .. وان أي مسلم يطلع على ترجمة القرآن لا يسهه الا الضحك مع الاسف على الوقت الذي أنفق هباء في هذه الترجمة التي لا تؤدي الى شيء مامن مرامي القرآن العالية الحكيمة... اني اعتقد أن الرجل المحسن الذي يهب مبلغا كافيا لترجمة تفسير عصري مثل تفسير « المنار » — ويعلم الله أنني لا أقول هذا مجاملة لكم فاني لست من يخطط الخصوصيات بالعموميات — الذي هو خلاصة كل علم راجح من دماغي امامين كبيرين ، انما يؤدي خدمة اسلامية وانسانية فوق كل تقدير . ويعلم ان

هذا أمر حيوي مأس كل ذي علم بالمجتمع الاوربي ، وكل من عنده غيره على نشر الدين القويم الداعي الى المساواة والاصلاح واسمى المبادئ الانسانية .
واني أعد من الاعتراضات الغربية أن يقول قائل ان نتيجة التبشير الاسلامي ليست بنتيجة مرضية ، لان كثيرين ممن يعتقدون الاسلام لا يعتقدون بالصلاة أو الصوم مثلاً ، وهما من فرائض الاسلام ، ويفوت المعترض ان ذلك الاجنبي الذي اعتنق الاسلام قد يجهل العربية ، وربما لا يجد من يعلمه تعاليم دينه تفصيلاً ، وقد يكون اسلامه مبنياً على نتيجة مطالعته وبخثه كما هو الغالب ، أو قد يكون الباعث له على التهاون في أداء فريضة الصلاة أو الصوم هو نفس الباعث للمسلم الاصيل على اغفال ذلك . على ان بياني هذا ليس معناه اني أبرر ذلك التهاون

هذا واني على كل حال أعتقد أن الايمان بمبادئ الاسلام - وان تهاون المؤمن في بعض الفرائض - ليس بخسارة للاسلام^(١) وبعبارة أخرى اننا اذا استطعنا اغراء الاجانب بالاقناع والدليل (وحملهم) على اعتناق الدين الاسلامي ووجدنا منهم ايماناً كلياً بمبادئه وسيراً على فرائضه ورأينا منهم بعد ذلك اهمالاً في أداء بعض الفرائض كما نرى من كثيرين من المسلمين الاصيلين أنفسهم فلسنا مع ذلك إلا راجحين فلا ينبغي أن يحملنا هذا على الاستياء المتناهي لدرجة أن يقول قائل ان نتيجة كذه للتبشير الاسلامي غير مرضية أولاً فائدة منها ...!

ان رجال الاصلاح كثيرون وفضيلتكم في مقدمتهم ، وقد بسطت لكم فيما تقدم بعض آراء لا أشك في أنه يشاركني فيها جميع أعضاء الجالية الاسلامية في انكلترا ، ولكن إنفاذكم وانفاذ غيركم من المصلحين لها يحتاج الى « المال » ، فهل نعيش نحن المسلمين الى الابد نعلل انفسنا بالنجاح والخير حينما نكتشف باباً جديداً لذلك ثم نفشل لاننا لا نجد مفتاحه وهو غيره وكرم امرائنا وسرراتنا ؟؟؟ ...

أتمد صحت الحكمه القائلة : « ان الله لا يساعد الذين لا يساعدون أنفسهم »
ولو وضعها كل مسلم نصب عينيه وعمل بها لكان لنا من المنعة والعز ما نحسد عليه ،

(١) يريد الكاتب ان ترك المهتدي الى الاسلام لبعض العبادات وان كانت فرائض ليس بخسارة اذا كان صحيح الايمان بعقائد الاسلام واصوله

ولعل كلمتي هذه تصادف آذاناً واعية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما
 لندن في ١٥ يناير سنة ١٩١٥ « مسلم غير متفرنج »
 [المنار] نشكر للكاتب غيرته على دينه وحسن ظنه بنا ، ونوافقه على آرائه
 في جعلتها ولكن مسألة الإيمان والعمل تحتاج الى تفصيل وتمحيص ، وأرى ان
 مسلمي الهند أرجى لخدمة الاسلام من مسلمي مصر ، وان كان يظن بعض الناس
 ان الاسلام في مصر أقوى منه في الهند علماً وعملاً . فمسلمو الهند يعملون لنشر
 الدين وخدمته ، ويتعاون العلماء والاعبياء منهم على ذلك على ضعف فيه يرجى ان يقوى
 مع الزمان . ولم يوجد في مصر غني بذل مالا لخدمة دينية محضة ، ولا وجد عالم
 تصدى لخدمة دينية محضة جديدة الا شيخنا الاستاذ الامام في تصديه لاصلاح التعليم
 في الازهر وملحقاته — الى ان قام من قام بتأسيس الدعوة والارشاد . وقد لقي هذا
 المشروع العظيم في مصر أشد المقاومة . وكانت مصلحة الاوقاف الاسلامية قد
 نفخته بإعانة قليلة ٥٥٠ جنيهاً في السنة مع الوعد بمضاعفتها ولكن وزارة الأوقاف
 الجديدة قد قطعت هذه الاعانة في هذا العام بعد ان منعت نصف ما كان مقرراً
 للعام الماضي . ويظن كثير من المسلمين ان هذا بايعاز من الانكليز وأنا لا أظن
 هذا ، بل أنا على رأي القديم في الانكليز وهو أن المسلم يستطيع ان يخدم دينه في
 بلادهم ومستعمراتهم بحرية قلما يجد مثلاً عند غيرهم . وما آفة الاسلام الا منافقوا أهله
 وجبنائهم . سيفضح مانكته في تاريخ مشروع الدعوة والارشاد كثيراً من هؤلاء
 المنافقين ، ومنهم الذين لا يزالون يكيدون في الخفاء ليحولوا دون مساعدة القصر له .
 وسيرى مسلمو العالم وغيرهم في هذا التاريخ الذي هو تاريخ الاصلاح الاسلامي
 في هذا العصر مقارنة غريبة بين باشوات الاستانة وباشوات مصر

أما اقتراحكم ترجمة تفسير المنار بالانكليزية فيقل في المسلمين من يبذل المال
 له لأن أكثر أغنياء المسلمين أغنياء أخساء ، وأما يبذل بعضهم المال في
 المشروعات العامة لاجل الجاه عند الحكام والامراء ولا يكاد هؤلاء يلتزمون في
 مثل هذا العمل جاهاً . والافراد العقلاء النبهاء منهم كثرت عليهم طرق البذل في
 هذا العصر ، ولعل هذا المشروع ينفذ في الهند يوماً ما . واني أكاد أجزم بأن

هذا الاقتراح لو عرض على مثل الأمير الجواد الشهير النواب محمد علي راجا محمود آباد ممن يثق هو بقوله في بيان مكانة التفسير لانفذه حالا ، وكيف لا وهو يهب المدارس بالآلاف من الجنيئات . أما أنا فلا أسعى الى هذا الاقتراح لان التفسير لي ولو كان لغيري لسعيت

ولا أذهب بك بعيدا فهذا مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية قد تبرع بمئة مجلد من كل جزء من هذا التفسير لتوزع على المساجد في البلاد العربية فاذا اعان الله على آتمام التفسير وانفاذ تبرعه كانت قيمة ما يدفعه زهاء ما اقترحت للترجمة . والله الموفق ويده ملكوت كل شيء .

مصاب الهند والعالم الاسلامي

بالشيخ شبلي النعماني

لعمري ينابر يد الهند اشهر علماءها وأبدهم شهرة وصيتا صديقنا الشيخ شبلي النعماني الملقب بشمس العلماء ، صاحب المصنفات النافعة واليد البيضاء في الاصلاح ، ختم الله تعالى حياته السعيدة في خاتمة العام الماضي (٢٨ ذي الحجة) وله من العمر ٥٨ سنة ، على ما يؤخذ من ترجمته في بعض الجرائد ، فان صبح هذا فقد مات في مثل سن الاستاذ الامام التي مات فيها ، الا انه كان لنحافة بدنه وشيبته يظن انه من أبناء السبعين ، ولم يكن يظهر على الاستاذ الامام مثل هذا الكبر وان عاجله الشيب في سن الشباب ، ولعل رائيه كان يظن انه لم يتجاوز الخمسين ، على ان كلا من الشيخين اللذين تساويا في العمر مات وهو شاب في علو الهمة وقوة العزيمة والنشاط في السعي الى الاصلاح .

كان الشيخ شبلي عالما مستقلا لا عالما رسميا مقفدا ، وكان كأكثر العلماء المستقلين ، والحكماء المصلحين ، استاذ نفسه ، وتلميذ همته ، تلقى قليلا عن الاساتذة ولكنه بجده واجتهاده صار أشهر نوابغ علماء الهند في هذا العصر . نعم ان فيهم من يعدون أوسع منه علما واطلاعا في علوم الحديث والفقه والأصول ، ولكن قلما يوجد من

يمثله أو يقاربه في القدرة على تقع الناس بتعليم هذه العلوم أو التأليف فيها . ولا نعرف له ثم ضربا في إتقان اللغة العربية وطول الباع وحسن الذوق في فهم منشورها ومنظومها والقدرة على الكتابة في الموضوعات المختلفة فيها . فأكثر علماء الهند وغيرهم من الاعاجم المتأخرين لا يقدرّون على الكتابة العربية الفصيحة الا قليلا . واما اقصاري ما يأتي منهم ان يكتبوا شرحا أو حاشية لبعض الكتب المشهورة أو يؤلفوا رسالة أو كتابا جديدا في بعض العلوم التي يكثرّون مدارستها كالفقه والاصول والمنطق والحديث ، بحيث يكون جل ما يكتبونه منقولاً بنصه من الكتب المؤلفة في ذلك . ومن تجاوز ذلك منهم الى منظوم أو منشور كثر غلظه وتكلفه وجاء بالغث الذي لا يكاد يفهم . وأما الشيخ شبلي فقد كان من نوادر المجيدين منهم : كان قادرا على الكتابة العربية السليمة من كلفة العجمة في العلوم والفنون والادب والتاريخ ، كما يعلم من تقدمه تاريخ التمدن الاسلامي وغيره

كان رحمه الله تعالى أمة وسطا بين أولى التفريط الجامدين على التقاليد القديمة ، وبين أهل الافراط من المفتونين بالتقاليد الحديثة ، اذ كان صاحب مشاركة صالحة في العلوم الاسلامية تمكنه من التدريس والتأليف فيها بطريقة استقلالية اذا شاء ، وصاحب مشاركة في العلوم الكونية من رياضية وطبيعية واجتماعية عرف بها حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه ، وقد اتقن علم التاريخ اتقانا لعله لا يوجد في العالم الاسلامي كله من يساويه فيه الان . وقد دخل في أعمال الحكومة ثم تركها ، واشتغل بالتعليم في مدرسة العلوم الشكية في عليكده على عهد مؤسسها السيد احمد خان الشهير وكان من أصدقائه ، واشتغل بأمر الجمعيات العلمية ، وساح في الممالك والاقطار ، فكان بعلومه وأعماله ، وسعة تجاربه واختباره ، وبما أوتيته قبل ذلك من ذكاء الذهن وعلو الهمة ومضاء العزيمة ، جديرا بأن يكون من زعماء الاصلاح . وأن يقوم في وجهه من الخصوم من ينزهه بلقب الافساد ، ويرميه بالكفر والاحاد . كما هي سنة الله تعالى في العباد . وسيعرف أهل وطنه من قيمته بعد وفاته ، ما لم يعرفوه له أو يعترفوا به في حال حياته . وسندكر في الجزء الثاني ما وصل اليه من ترجمته وما يعن لنا من البحث فيها والاعتبار بها ، رحمه الله تعالى واحسن عزاء البلاد الهندية والامة الاسلامية عنه

أوفى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أوله الإلزام
يقول الحكمة من بناء ومن يؤت الحكمة فقد

الملك

١٣١٥

أولئك الذين هدام الله وأهلكهم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فَيَسبغون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : في الإسلام سموي و من منراء كنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (ش ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٦ مارس ١٩١٥

كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل (باب الوقت)

﴿ قال الله تعالى (ثم جئت على قدر يا موسى) الوقت اسم لظرف الكون ،

وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات ^(١) : المعنى الاول ^(٢)

حين وجد ^(٣) صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو ^(٤) لعصبة

جذبها صدق خوف ، أو تلهب شوق جذبه اشتغال محبة ﴿ وجه استشهاده بالآية

ان الله سبحانه قدر مجي موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول :

جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين

موسى موعد للمجي حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى

جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في

وقته . وهذا كقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون

للأذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لان الله

سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملا الأرض نورا وهدى ، فلما سمعوا

القرآن علموا ان الله آتجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية

يدل على محله من العلم ، لأن الشيء إذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات

بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما إذا وقع الغيث في أحوج الأوقات اليه ،

وكما إذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » (٢) وقال فيه : الدرجة الاولى

(٣) وفيه « وجد وجه » الخ (٤) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجرياتها في الخلق علم انها واقعة في أليق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثته ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله (عليه و) عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى إرساله ، فهكذا وقت العبد مع الله بعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف السكون » الوقت عبارة عن مقاربة حادث لحادث عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف الكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح القوم أخص من ذلك . قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعسي فوقتك العسي ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته . يريدون أن همته لاتتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتيه ، بل بوقته الذي هو فيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعتهم يقولون الوقت سيف فان قطعته والا قطعك ، ونفسك ان لم تشغلها بالحق ولا شغلتك بالباطل

قلت : يالها كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائليهما ويقظته ! ويكفي هذا ثناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم وقد يريدون بالوقت ما هو أخص من هذا كله ، وهو ما يصادفهم في تعريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان يحكم الوقت . أي مستسلم

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقض صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس لله على العبد فيه أمر ولا نهي ، بل في موضع جريان الحكم الكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهي كالقفر والمرض والفقر والجوع والألم وآخر والبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الأمر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فإن التضييع لذلك والاستسلام والاسترسال مع القدر انسلخ من الدين بالكفاية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياماً بالتوكل وأنواع الخير والطاعة ، وإذا أراد الله بالعبد خيراً أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له ، وإذا أراد به شراً جعل وقته عليه وناكده وقته فكلاً أراد التأهب للمسير لم يساعده^(١) الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالقعود أقامه الوقت وساعده وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قال :

(فما أصحاب السوابق) فتلو بهم أبداً فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبداً ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي والتقرب الى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين اليها ، يقول قائلهم : من أين أرضيك إلا أن توفقي هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي ان لم يكن لي في المقدور سابقة فليس ينفع ما قدمت من عملي وأما (أصحاب العواقب) فهم متنكرون فيما يختم به أمرهم ، فان الأمور بأواخرها والأعمال بخواتيمها . والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يغرنك صفا الاوقات فان تحتها^(٢) غوامض الآفات

فكم من ربيع نورت أشجاره ، وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

(١) مقتطع من قوله « وإذا أراد به شراً » الى هنا - فنقلناه من ب

(٢) لعل الأصل « فتحتها » فيه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة ورعاً كانت العبارة سجداً رانكتها كتبت في ب كما يكتب الشعر

أصابته جائحة سماوية فصار كما قال الله عز وجل (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وأزانت وظن أهلها أنهم قلدرون عليها - الى قوله يتفكرون) فكيف من يريد كبا به جواد عزمه [فخر صريه للبين والفم] وقيل لبعضهم وقد شهد أنه خلاف ما كان يعهد عليه : ما الذي أصابك ؟ فقال حجاب وقع ، وأنشد

أحسن ظنك بالأيام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاعتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا
[تعجبين من سقمي صحتي هي العجب] الناكصون على أعقابهم
أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الالف واحدا واطرح الكل بعده
وأما (أصحاب الوقت) فلم يشغلوا^(١) في السوابق ولا في العواقب ، بل اشتغلوا
بمراعاة الوقت وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته^(٢) لا ماضي له ولا
مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له :
كن ابن وقتك

وأما (أصحاب الحق) فهم مع صاحب الوقت و زمان ومآلتهما وهديرهما ،
مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات ، ولا يتفرغون لمراعاة وقت و زمان
كما قيل :

لست أدري أطلال ليلى أم لا كيف يدبني بذك من يتقل
لو تفرغت لاستطالة ليلى وزعي النجوم كنت محلى
ان للعاشقين عن قصر الليل وعن حوله من العارف تراء
قال الجنيد : دخلت على السري يوما فقلت له : كيف أصبحت ؟ ونشأ يقول :
ما في النهار ولا في الليل لي فرج ولا أجلي أرا في الليل أنه
ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار . يشير لي انه غير متخاض لى الأوقات ،
بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في ب بالفكر في السوابق ٢ وفيها « المتفرغ لا يصيب له » الخ

فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب ثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق » أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له ولا متعمل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل » أي رؤية ذلك ، ولا ايناس الرؤية قال الله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قل لأهله امكثوا اني آنست نارا) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية ما يأنس به القلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فإذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك ^(١) فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لقائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسأته عنه فقال : ذكرت ما من الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والفطرة السليمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرتني ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه قوله « جذبه صفاء رجاء » أي جذب ^(٢) ذلك الوجد أو الايناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه ^(٣) بوهم معاوضة منك ؛ وان عمالك هو الذي بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرج ^(٤) من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه ، وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موانعه . كل بيد الله لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توفيقه واذنه ومشيدته

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة فصححت على ب (٤) في ب « بخلصه »

ويلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الا كدار قوله « أولعصمة جذبها صدق خوف » لازم في قوله أولعصمة معطوف على اللام في قوله أولايئناس ضياء فضل ، أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف ، فاللام ليست للتعليل بل هي على حدها في قولك : ذوق لكذا ، ورؤية لكذا . فتعلق الوجد عصمة ، وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من الرب سبحانه ، والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذب صدق الرجاء وفي الثانية جذب صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذكر جذب صدق الحب ، فهو معنى قوله « أولتلهب شوق جذبته اشتعال محبة » وخدمته التورية في التلهب والاشتعال ، والمحبة متى قويت اشتعلت ناراها في القلب فحدث عدم حبيب الاشتياق الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الخب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الاولى اصاحبه والانفع له ، وهي أساس السلوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة - أيهم أقرب - ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا) وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية وعليها دارت رحى الاعمال والله أعلم

فصل

قال في المعنى الثاني (١) اسم الطريق سالك يسير بين تمكن وتلون ، لكنه الى اتمكن ما هو سالك الحال ، ويلتفت الى العلم ، فعلى بشغفه (٢) في حين ، والحال يحمله في حين ، فبالاوه بينهما بذية شهودا حذرا ، وبكسوة عبدة طورا ، ويريه غيره تفرق طورا . هذا المعنى هو المعنى الثاني من المعاني الثلاثة من معاني الوقت عنده ، قوله « اسم الطريق سالك » هو على الاضافة أي الطريق عبد سالك ، قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

« يسير بين تمكن وتلون » أي ذلك العبد يسير بين تمكن وتلون ، والتمكن هو الاتقياد الى أحكام العبودية بالشهود والحال ، والتلون في هذا الموضع خاصة هو الاتقياد الى أحكام العبودية بالعلم . فالحال يجمعه بقوته وسلطانه فيعطيه تمكينا ، والعلم يلونه بحسب متعلقاته وأحكامه ؛ قوله « لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ويلتفت الى العلم » يعني ان هذا العبد هو سلك الى التمكن مادام يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم ^(١) فاما إن سلك العلم والفتت الى الحال لم يكن سالكا الى التمكن ، فالسالكون ضربان : سالكون على الخال ملتفتون الى العلم وهم الى التمكن أقرب ، وسالكون على العلم ملتفتون الى الحال وهم الى التلون أقرب . هذا حاصل كلامه . وهذه الثلاثة هي المفرقة بين أهل العلم وأهل الحال حتى كأنهما غيران وحربان ، وكل فرقة منهما لاتأنس بالأخرى ولا تعاشرها إلا على اغراض ونوع استكراه ، وهذا من تقصير الفريقين حيث ضعف أحدهما عن السير في العلم وضعف الآخر عن الحال في العلم . فلم يتمكن كل منهما من الجمع بين الخال والعلم ، فأخذ هؤلاء العلم وسعته ونوره ورجحوه ، وأخذ هؤلاء الحال وسلطانه وتمكينه ورجحوه ، وصار الصادق الضعيف من الفريقين يسير باحدهما ملتفتا الى الآخر ، فهذا مطيع للحال ^(٢) وهذا مطيع العلم ، لسكن المطيع للحال متى عرض به العلم كان منطاعا محجوبا وان كان له من الحال ما عساه أن يكون ، والمطيع العلم متى تعرض به عن الحال كان مضيعا منقوصا مشتغلا بالوسيلة عن الغاية ، وصاحب التمكن يتصرف علمه في حاله ويحكم عليه فينقاد لحكمه ، ويتصرف حاله في علمه فلا يده به أن يقف معه ، بل يدعو الى غاية العلم فيجيبه ويلبي دعوته ، فلهذا حال كمال من هذه الامة ومن استقرأ أحوال الصحابة وجددها كذلك : ولما فرقت المتأخرون بين الحال والعلم دخل عليهم النص والخال والله المستعان (يهب لمن يشاء إنا وإياك وإيهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرا وإنا وإياك ونجعل من يشاء عقي الله عليم قدير) فكذلك يهب لمن يشاء عاقلا ومن يشاء حالا ، ويجمع بينهما لمن يشاء ويخلي من

(١) سقطت هذه الجملة من ن فائيتها من ب

(٢) في ن « الى الحال » وهو غلط

يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحال ، لان العلم متنوع العلاقات فهو يفرق ، والحال يجمع ، فانه يدعو الى الفناء وهناك سلطان الحال ؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يقلب عليه اذال تارة فيصير محمولا بقوة احوال وسلطانه على السلوك فيشتد ^(١) سيره بحكم احوال ، يعني واذا غلبه العلم شغله عن السلوك ، وهذا هو المعهود من طريقة المتأخرين [ان العلم يشغل عن السلوك] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم ، وأما على ماقررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلا ريب ان العلم لا يجمع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولا هو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغير السلك — كما تقدم تقرير ذلك — فينا ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة للفناء عن محبة ماسوى لله وارادته فيقتى بمحبة الله عن محبة ماسواه ، وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والانتابة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وألمه بين داعي الحال وداعي العلم ، فإيمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، ووارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالغريم بين مطالبين ، كل منهما يطالبه بحقه وليس بيده الا ما يقضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والافع السعة يوفي كلا منهما حقه .

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين يذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه هو العلم قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالباء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

بأفعاله واستدلّلا عليه بها ، فانه سبحانه دل على نفسه بأفعاله ، فالعلم يكسو صاحبه اعتبارا واستدلّلا على الرب بأفعاله

وبصح أن يكون عبرة بالعين المعجزة^(١) والياء المشاة من تحت ومعناه ان العلم يكسوه عبرة^(٢) من حجابيه عن مقام صاحب ادان ، فيعار من^(٣) احتجابيه عن ادان بالعلم وعن العيان بالاستدلّان وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالايمان الذي هو ايمان بالغييب

قوله « ويريه غيره تفرق طورا » هذا بالعين المعجزة ليس الا ، أي ويريه العلم غيره تفرق في أوديته فيفرق بين أحكام ادان وأحكام العلم وهو حال صحو وتمييز . وكان الشيخ رحمه الله يشير الى ان صاحب هذا المقام يغار تفرقه^(٤) من جمعته على الله . فنفسه تفر من الجمعية على الله الى تفرق العلم ، فانه لا أشق على النفوس من جمعيتها على الله ، فهي تهرب من الله الى الحال تارة وتلى العمل تارة والى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ؛ وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفسهم تفر من الله الى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيتها على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها اليه وان يشغلها بما دونه ، فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن نواهيها ؛ فهي دائما ترضيك بالعلم عن العمل وبالعمل عن الحال وبالحال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه الا من شد منزر سيره الى الله وعلم ان كل ما سواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار اليه - : درجة الحال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الحال والعلم ، وهذه الثلاث درجات^(٥) هي المختصة بالمعنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

(١) في ب زيادة « بالعين المعجزة » (٢) وفيها « غيره » (٣) وفيها « فيعار حتما احتجابيه » الخ (٤) وفيها « تفرقه » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث الدرجات

فصل

قال ﴿ والمعنى الثالث ^(١) قالوا : الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم ^(٢) في هذا المعنى الثالث حين تتلاشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا . وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق ^(٣) مقام الجمع او دام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لسكنه يلقي ^(٤) مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود ﴿ هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أنخص مما قبله وأصعب نصورا وحصولا ، فان الاول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قاب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

فقوله « قالوا الوقت هو الحق » يعني ان بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وانهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، ومعنى هذا ان السالك بهذا المعنى الثالث اذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلاشى عنه وقته بالكلية ، وتقريب هذا الى الفهم انه اذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت الى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانصرف فيه كما تنغمر القطرة في البحر ، ثم ان الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم ان الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة الى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الانوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في علمه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه ، ^(٥) بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفي ب وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكلامهم في كماله

نسبة ما الى صفات الرب جل جلاله

والقوم اذا أطلق أهل الاستقامة منهم [مافي الوجود الا الله] أو [ما ثم موجود على الحقيقة الا الله] أو [هناك يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل] ونحو ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما إذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في الوجود ، وغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم ^(١) مغمورا بوارده ، وفي قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم الحال ، فهناك ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، ونزل أقدام كثيرة الى الخفيض الأدنى ، ولا ريب ان وجود الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كأنه لا وجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ، وغرم كلمات مشتبهات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطائفة فجعلوها عمدة الكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين يرجعون اليهم وتصير طريقة الناس واحدة (ويأتي الله الا أن ينم نوره ولو كره الكافرون)

قوله د وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي ، يريد ان الحق سابق ^(٢) على الاسم ^(٣) الذي هو الوقت ، أي هو منزعه عن أن يسمى بالوقت فلا ينبغي إطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله د لكنه اسم في هذا المعنى الثالث حين تتلشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا ، تتلشى الرسوم اضمحلالها وفنائها ، والرسوم عندهم ماسوى الله ، وقد صرح الشيخ انها انما تتلشى في الكشف لاني الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها في الوجود خلاف الحس والعيان ، وانما تتلشى في وجود العبد الكشفي بحيث لا يبقى فيه سعة الاحساس بما لما استغرقه من الكشف ، فهذه عقيدة أهل الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فعندهم انها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق ، بل وجودها هو نفس وجوده ، وانما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان انقلب » (٢) وفيها « سبحانه » بدل « سابق » وهو غلط

(٣) وفيها « هذا اسم » الخ

غاب عن حسه بكشفه تبين ان وجودها عو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ كانه عبر بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهما في كتابه ، والكشف هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس معه استغراق في الفناء ، والوجود لا يكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لاوجودا محضاً » فان الوجود المحض عنده يفتي الرسوم ، وبكل حال فهو يفتيها ^(١) من وجود الواحد لا يفتيها في الخارج

وسر المسئلة ان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي المشترك بين الموجودات ، ويصير له نشأة أخرى لقلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية اليها كنسبة النشأة في بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه النشأة الى النشأة الأخرى

فلعبد أربع نشآت : نشأة في الرحم حيث لا بصير يدركه ولا يد تناله ، ونشأة في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني ، ^(٢) وكل نشأة أعظم من التي قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلاً ، وللبدن تبعاً ، فللروح في هذا العالم نشأتان (احدهما) النشأة الطبيعية لمشاركة (والثانية) نشأة قلبية روحانية يولد لها قلبه وينفصل من مشيئة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيئة البطن ، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحاً وليشتغل بغيره . وفي كتاب الزهد للامام أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتي تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه الرسوم فوق منزلي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر بالدوام ، قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي لو دام هذا الوقت لشارف مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلاً به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشئها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

١٢٠ المسامرة هي المناجاة . استفتاء ادباء العصر في بيت من الشعر [المنار : ج ٢ م ١٨]

جمع في الشهود . وعند الملاحدة هو جمع في الوجود ، ومقصوده انه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتي يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اتقال المعاملة مع قيامه بها اتم القيام بحيث تصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على الخبر فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يعني عن المعاملات الجسمية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وربه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخلص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويشم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشم روائح الوجود وهو حضرة الجمع فانهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ماسواه . وقد عرفت ان فناء وجود ماسواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيهِ بالنسبة الى وجود الرب ، ولا تلتفت الى غير هذين المعنيين فهو الحاد وكفروا لله المستعان ؟

استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع اعيوب الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ بِبُهِرٍ والتفاتٍ وسَعْلَةٍ ومسحةٌ عُشْونٍ وقتل الاصابع

: إن ضبط التفات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان « التفات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يجيز فهمه وذوقه للغة هذا الضبط فليفضل ببيان ذلك لنا ؟

فَلَا تَنْسِيَنَّ ذَانَ الدِّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

والحق أن الاعصاب كلها تربط أجزاء الجسم بعضها ببعض كما تربط أسلاك
التلغراف بعض الممالك ببعض الآخر
﴿

تذييل لما تقدم ﴿

في الارادة والروح والقوى العقلية

قلنا إن سبب حركة القلب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى ، فهي من الخواص
التي وهبها له ، وكذلك وهب مثل هذه الحركة الذاتية للخلايا ذات الاهداب
المبطنة لبعض الاغشية كالشعب الرئوية ، وللخلايا المتحركة ككريات الدم البيضاء
وغيرها ، ولكن هناك فرقا بين حركة هذه وتلك ، فإن حركة الكريات لانظام
لها بخلاف حركة الاهداب فانها في غاية النظام ، وسريعة جدا ، وهي في انتظامها تشبه
انتظام ضربات القلب . فكل هذه الخلايا تتحرك حركة ذاتية لا يعلم لها سبب
مطلقا ، وإن كان للبيئة تأثير فيها يمثل الزيادة أو النقصان ، ولكن نفس الحركة كأنها
بارادة هذه الخلايا الحية . والحق أنها من أعظم مظاهر إرادتها وحياتها ، وهي عامة
في كل الخلايا ، نباتية كانت أو حيوانية ، ولكنها تكون أظهر في بعضها من البعض
الآخر أو تكون كامنة فيه ، وهي أدل على إرادة بعضها من بعضها

ومعنى كون هذه الحركة بارادة الخلية أنها من عملها الذاتي الذي لا يظهر أن
للبيئة تأثيرا في إيجاده وإنشائه ، فمثلا تشاهد الكريات البيضاء ، أو بعض الميكروبات
تتحرك في السائل الواحد ثم تسكن ثم تتحرك بدون أي سبب خارجي وأحيانا

تجبه الى جهة ثم تعدل عنها الى غيرها وهكذا ، أي إن عملها يختلف في البيئة الواحدة ، ولا معنى للارادة سوى هذا

وكذلك المخ قد يبدأ العمل ثم يتركه بدون أي سبب خارجي لا في الحال ولا في الماضي بحسب ما نعلم ، بل بمحض الارادة والاختيار ، وان عارض ذلك كثير من الفسيولوجيين

فالحق أن الارادة وحرية العمل هي أكبر خواص الاحياء وهي أعظم ما يميزها عن الجداد ، وأما زعم بعضهم أن الاعمال كلها ليست إلا أفعالا منعكسة فهو لا يمكن اثباته ، وما هذا الزعم إلا أثر من آثار التعاليم المادية في نفوسهم

هذا ولما كانت حياة الجسم كله متوقفة على حياة القلب فلا يبعد أن تكون الروح شيئاً مستقراً فيه ، ولا يبعد أن تكون من عالم الاثير ، ويموت القلب تنفصل عنه . ولا نقول ان الخلايا الاخرى حية بغير شيء كذا ، بل نقول ان حياة القلب أو روحه هي أكبرها وأعظمها ، ولذلك قلنا ان روحه هي روح الانسان لأن عليها مدار حياته ، فهي الروح الرئيسة وغيرها تابع لها

واعلم ان القشرة السنجابية للمخ هي مركز الشعور العام والارادة والتعقل وان كان لكل الخلايا الحية مثل هذه الصفات إلا أنها فيها في الحالة الاثرية ، كما أن الانقباض هو من خواص الخلايا الحية كلها ولكنه في خلايا العضلات أظهر منه في غيرها ، وهكذا يقال في سائر الخواص الاخرى للحياة

وهناك علاقة كبرى بين قوة المخ فيما ذكر وبين حجمه ، واذا قارنا وزنه بوزن الجسم كله وجدنا أن مخ الانسان أكبرها بالنسبة الى جسمه . أما أكبر الانمحاء على الإطلاق فهو مخ النمل والحوت

ثم إنك تجد أن مخ الذكي أثقل من مخ البليد والابله ، ومخ الرجل أثقل من مخ المرأة ، وقل مثل ذلك في الراقي في العلم والادب مع المنحط ، الا ما يستثنى من ذلك وكذلك كثرة التلافيف في القشرة السنجابية وتعدد تعاريجها وعمق الميازيب التي بينها كلها أشياء تختلف باختلاف القوى العقلية فهي تكثر في الانسان وتقل أو تنعدم في الحيوانات التي هي دونه رقياً . وعند ولادة الطفل يكاد المخ يكون غفلامها

ثم تكثر الى زون شهاب والكهولة وبعده تقل تدريجيا حتى تقارب في أرذل العمر شكل مخ الاطفال

ويلي مخ الانسان في كثرة التلافيف وتعقدتها مخ بعض أنواع القرود
ففي المخ روح الادراك والشعور وفي القلب روح الحياة ، ولا يبعد أنهما
أجزاء من روح واحدة. وهذه الروح في الاحياء ذات الخلية الواحدة (وتسمى الاولى)
وزعة على جميع أجزائها بالتساوي وكما ارتقينا في سلم الاحياء وجدنا أنها موزعة على
الجسم بدرجات متفاوتة كما ترى في الانسان ، والله أعلم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

المجموع الدوري للدم

ليس الدم في أجسام الحيوانات واقفا بل هو دائريا فيا والله في ذلك
حكمتان رئيستان ، عليهما مدار حياة الحيوان :-

(أولا) توزيع المواد الغذائية وغيرها كالأدوية على جميع أجزاء الجسم
وكذلك توزيع الأكسجين الذي هو ضروري للاحتراق الداخلي (التمثيل الحيوي)
(وثانيا) حمل جميع المواد المذخنة عن التمثيل الحيوي الى الأعضاء المختصة
بإخراجها من الجسم كالكلى في الثدييين ، ومن ذلك أيضا ما
أكسيد تتحطم في الجسم كالحديد في الدم

والأعضاء المختصة بخدمة الدم هي القلب والشرايين والأوعية الشعرية والأوردة
التي تنقل الدم من وإلى جميع أجزاء الجسم في موضوع في المصدر بين اثنين من
الدم ، جزء وقتها من الدم في الأوعية ، وبقته في الأوردة لا يبرر وهو
محال على تصليح الدم ، فلهذا سببه الأطباء المتأخرون من العرب ، لأنه
وهو ينسب إلى العرب ، وهو ينسب إلى سفيثان ، فلا يزال الدم
أديين والأخيرين ، هي من جليتين

أما الأذين الأيمن فله يفتح (الجوف الأيمن) و (الجوف الأيسر) وشما
وهو ينسب إلى جليتين ، فلهذا سببه ، وهو ينسب إلى جليتين

ومن البطين الايمن يخرج شريان كبير يحمل الدم الى الرئتين
وفي جذر الأذين الأيسر أربع فتحات لأربعة أوردة: اثنان منها آتيان من
الرئة اليمنى، واثنان من الرئة اليسرى

ومن البطين الايسر يخرج شريان عظيم يسمى بالافرنجية Aorta
(أورطى) وبالعريية الأبهري وهو أكبر شريان في الجسم يحمل الدم في فروعه
الى جميع أجزاء الجسم

وبين الأذين الايمن والبطين الايمن فتحة لها صمام (غطاء) يسمح
بمرور الدم من الاولى الى الثانية ولا يسمح بالعكس
وبين الأذين الايسر والبطين الايسر فتحة لها صمام أيضا ولكنها أصغر من
الفتحة المقدمة ووظيفتها كوظيفة تلك

وكل من الشريان الرئوي والأبهري له ثلاث صمامات تسمح بمرور الدم من
القلب الى الشريان ولا تسمح بالعكس
وأعظم أمراض القلب هي التي ينشأ عنها تلف هذه الفتحات بحيث تضيق
عن المعتاد أو تسمح برجوع الدم الى عكس المجرى الطبيعي

والقلب ينقبض من أعلى الى أسفل فينقبض أولا الأذينان فيندفع الدم منهما
الى البطينين . ثم ينقبض البطينان فيندفع الدم منهما الى الشريان الرئوي من الجهة
اليمنى للقلب، ويندفع الدم الى الأبهري من الجهة اليسرى للقلب

وإذا اجتمع الدم الفاسد في الأوردة سار الى الاجوف الاعلى والاجوف
الاسفل وانصب في الأذين الايمن ومنه الى البطين الايمن ومنه الى الشريان
الرئوي فالرئتين لينصلح هناك (بمخرج ثاني أكسيد الفحم منه ودخول
أكسجين فيه من الهواء) ثم يعود الدم من الرئتين في الأوردة الأربعة التي تصب
في الأذين الايسر ومن الأذين الايسر يندفع الدم الى البطين الايسر ومنه الى
الأبهري (الأورطى) ومن الأبهري يوزع على جميع أجزاء الجسم كافة فيحمل اليها
دما صالحا. وتنتهي جميع فروع الأبهري بعروق دقيقة جدا يتصل بعضها ببعض كشبكة
وهذه العروق هي المسماة بالشعيرية تشبها لها بالشعر وينشأ منها أوردة صغيرة

(وهي العروق التي يتجمع فيها الدم الفاسد بعد مروره على جميع أجزاء الجسم ولونه أسود) وهذه الاوردة الصغيرة يجتمع بعضها بعض فيتألف منها أوردة أكبر فأكبر حتى تنتهي الى الاجوف الاعلى والاجوف الاسفل وهما أعظم وريدين في الجسم ومن ذلك يعلم أن الشريان هو العرق الخامل للدم الصالح، والوريد هو العرق الخامل للدم الفاسد، وهذه التسمية صحيحة في الجسم كله ماعدا الشريان الرئوي فإنه يحمل دما فاسدا، وماعدا الاوردة الاربعة الرئوية فإنها تحمل دما صالحا، ولذا رأى المشرحون تعريفا آخر أصح، وهو أن الشريان هو كل عرق يحمل الدم الخارج من القلب، والوريد كل عرق يحمل الدم الذاهب الى القلب بقطع النظر عن صلاحه أو فساده

ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته في الجسم كله لا يخرج مطلقا عن العروق (الشرايين والاعوية الشعرية والاوردة) الا اذا أصابها حادث تمزقت بسببه فيخرج اذا منها وينسكب حولها ويسمى ذلك بالرض أو الكدم ^(١) وهو الزرقه التي تشاهد في الجسم عند ضربه أو اصطدامه بجسم صلب ويستثنى من ذلك موضعان ليس فيهما أوعية شعرية فيسير الدم من الشرايين الى تجاويف فيهما ومنها الى الاوردة وهما الذكرو والطحال، وانصباب الدم في هذه التجاويف بكثرة في الذكرو تحدث انتصابه

أما الاشياء الصالحة التي في الدم فتخرج مع مائة الدم من خلال جدر الاعوية الشعرية لتغذية جميع خلايا الجسم وأما الكريات الدموية فهي التي تبقى دائما في داخل العروق الا في الاحوال الاتيائية . والمواد المائية الخارجة من الاعوية الشعرية تفعل ذلك بطريقة الاسموز الذي سبق بيانه في علم الطبيعة

عدد ضربات القلب والنبض

انتباضات قلب الانسان تبلغ في الدقيقة الواحدة نحو ٧٠ أو ٧٢ مرة في الذكرو،

« ١ » الرض لغة الدق والكدم العض، وفي اصطلاح أطباء هذا العصر يطلق الاول على النزف تحت الجلد من الاعوية الكبيرة والثاني عليه من الاعوية الصغيرة

ونحو ٨٠ في الأنثى، وهي في الأجنة والأطفال أكثر منها في غيرهم، وتقل في الشيخوخة، وقد تزيد هذه الانقباضات في كثير من الأحوال كما في الخوف الشديد وفي الحميات وغير ذلك، وقد تكون هذه الانقباضات أو انخربات قليلة في بعض الأشخاص بدون مرض، وهي تضعف في بعض الأمراض وخصوصا قبل الموت. والدورة الدموية تتم في أقل من نصف دقيقة

وكذا انقبض القلب اندفع الدم منه إلى الشرايين فيحدث فيها امتلاء فجائيا وهو المسمى بالنقبض وهو الذي يحسه الأطباء فوق الرسغ وغيره لمعرفة حالة ضربات القلب، والنقبض لا يشعر به عادة في الأوردة لأن قوة الضغط اذا وصلت إلى الأوعية الشعرية التي بين الشرايين والأوردة تكون قد قلت حتى لا يشعر الإنسان في الأوردة بضغط جديد متكرر كما في الشرايين. وعدد مرات النبض في الشرايين تعادل تماما مرات ضربات القلب وتحدث بعدها مباشرة إلا أنها في الشرايين البعيدة تتأخر فترة قصيرة جدا عن ضربات القلب

الدم
الذي يستقر

يوجد في جسم الإنسان عادة ١٠ من وزن جسمه دماء فيكون القدر الذي في جسم الإنسان المعتد من ٥ إلى ٦ لترات من الدم. وهو سائل أحمر اللون غليظ يتركب ميكروسكوبي من قسمين: الأول الكريات، والثاني ماء الدم وهو المسمى بالفرنجية (Plasma)

الكريات فهي نوعان: كريات حمراء وهي عبارة عن غشاء رقيق ممتلئ بمادة حمراء اللون، من حيث من العديد تسمى «الهيموجلوبين» ويختلف شكل هذه الكريات الحمراء باختلاف الحيوانات: ففي ذوات الثدي تكون أقراصا مستديرة مفعلة من الجانبين ولا نواة لحساء، وأعدا الجمل فإن كراتها محدبة من الجانبين وهو الفرق الوحيد بينا وبين الحيوانات الأخرى الثديية

أما في الطيور والزواحف والأسماك وذوات الحياتين وهي التي تعيش في الهواء والماء^(١)

«١» تسمى باليونانية وغيرها Amphibia ومعنى Amphi «كلتا» وBios «حياة» وهي تعيش في البر والبحر

كالضفادع فكرياتها جميعا يضاوية الشكل محدبة من الجانبين ولها نواة. وحجم هذه الكريات كلها يختلف باختلاف الحيوانات . وأعظم منشأ للكريات الحمراء هو العظام الاسفنجية كما سبق وخصوصا عظام الضلوع وهي أهم مصدر لها وأما الكريات البيضاء فهي خلايا حيوية ولها نواة واحدة أو أكثر وحركة ذاتية بحيث يمكن أن تنتقل من مكان الى مكان بنفسها ، وهي تنشأ من الغدد اللمفاوية ونحوها كالطحال. وأعظم وظيفة لها أنها تقتل الميكروبات وتأكلها فتقي الدم منها فإذا أصاب جزءا من الجسم عارض أحدث فيه التهابا ودخل فيه بعض الميكروبات أسرع هذه الكريات البيضاء إليها فالتصقت بها وقتلتها فان تغلبت الميكروبات مرض الجسم وان نجحت الكريات في قتالها وقت الجسم من شر هذه الميكروبات، وما يموت منها في أثناء هذا القتال يتجمع في موضع الالتهاب مختلطا بغيره ويسمى بالمدة أو الصديد، فأكثر كريات المدة عبارة عن شهداء هذي الحرب أي كرات بيضاء ميتة أما عدد الكريات الحمراء في الجسم فهو ملايين كرية في كل ملليمتر مكعب من الدم تقريبا، وأما البيضاء فهي من سبعة آلاف الى عشرة . وسيتأتي في فصل التنفس الكلام على وظيفة الكريات الحمراء

وإذا خرج الدم من العروق تجمد، وتجمده يحصل هكذا :-
ينفصل من مائة الدم مادة تسمى الفبرين أو الليفين لأنها كخيوط الليف فتعيط هذه الالياف بالكريات البيضاء والحمراء وتنقبض عليها وتكون الجزء المتجمد الذي يسمى بالمرية العلقية^(١) (Clot) وما بقي من ماء الدم يسمى المصل وفي الدم مواد زلالية وسكر (جلوكوز) وأملاح عديدة ومواد دهنية وماء وغير ذلك، أما مائة الدم اذا خفقت بماء أكثر أو قل زلالتها فتسمى اللف وما تقدم يعلم أن الدم في دورته يحمل معه جميع المواد المغذية التي يحتاجها الجسم، وكذلك يأخذ معه من الجسم المواد التالفة التي تخلفت عن الاحتراق الجنائي ليوزعها على الاعضاء المختصة باخراجها من الجسم كالجلد والكليتين . وأهم هذه

« ١ » يسمى أول طور من أطوار الجنين أيضا بالعلقة لأنه مركب من عدة خلايا « كريات » ناشئة من انقسام البويضة وتكون قطعة جامدة كعلقة الدم

المواد النافعة البولينا وحامض البوليك والسكرياتين وغير ذلك

حكم تحريم شرب الدم في الشرائع الالهية

(أولا) أن الدم عسر الهضم جدا حتى انه اذا انصب جزء منه في المعدة تقاياه الانسان أو يخرج مع البراز بدون هضم على صورة مادة ازجة سوداء والسبب في عسر هضمه هذا هو وجود المادة الحمراء الحديدية التي فيه . وفي أثناء مرور الدم في القناة الهضمية يتحلل ويتعفن وبذلك يضر الجسم أيضا . ومسئلة عسر هضمه المذكورة هنا مشاهدة كثيرا كلما انصب دم في المعدة بسبب جرح أو غيره

(ثانيا) أن الدم - كما سبق - يحمل كثيرا من المواد المتخلفة عن الجسم وهي فضلات له فلا يصح اعادتها اليه مع أن الطبيعة اقتضت خروجها منه ، نعم قيل أن البولينا نافعة في السل الرئوي ولكن ذلك لم يثبت الى الآن وهي ليست موجودة وحدها بل معها أشياء أخرى ضارة

[ولعله اذا ثبت ان البولينا نافعة يكون ذلك احد أسباب شرب العرب بول الابل وهو يختلف بعض الاختلاف عن بول الحيوانات آكلة اللحم فلماذا ربما كان نافعا في بعض الامراض كما ورد في بعض الاخبار النبوية وأعظم اختلاف بين هذا البول وبين الابول الاخرى أنه هو وغيره من أبوال آكلات النباتات قلوي التأثير مشتمل على كثير من الكربونات وهي لاشك نافعة للمعدة وغيرها ، مدرة للبول]

(ثالثا) انه في كثير من الامراض العفنة المعدية يوجد في الدم ميكروبات ضارة جدا وكذا سمومها القتالة فانها تدور في الدم . فان قيل لم لا يطبخ الدم ويؤكل بعد قتل هذه الميكروبات بالغلي ؛ قلت (١) إن الغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسرا مما كانت (٢) إن من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغيرا يجعلها صالحة للجسم (٣) إن بعض الميكروبات اذا تجمد ، احوها من المواد الزلالية التي في الدم وقتها من فعل النار لانها موصلة رديئة للحرارة ، وأيضا فان حبيبات (أي بزور) الميكروبات تقاوم درجة الغليان بضم دقائق فاذا لم تمت تمت في جسم آكل الدم وأمرضته

أما حقن دم الحيوان في وريد الانسان ففيه أنه قد ينقل المرض اليه، أو يجمد الدم في عروقه، فإن اتقينا هذا وذلك بالطرق العلمية انحلت كريات الدم الحمراء لاختلاف كثافة الدمين ولغير ذلك ونزلت حمرة الدم في البول وذلك ضياع له . ولذلك لا يحقن الاطباء الآن الدم ويحقنون عادة محلول ملح الطعام. على أن حقن الدم خارج عن موضوع التحريم

اللحم والاعوية اللعافوية

إذا خرجت مائة الدم من الاعوية الى أنسجة الجسم عادت الى الدم ثانية بطريق الاعوية اللعافوية وهذه الأعوية عبارة عن قنوات دقيقة شعرية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وفيها صمامات عديدة فتحمل جميع مائة الدم التي خرجت منه وتعيدها اليه

أما هذه المائة المخففة^(١) والمائة لجميع أجزاء الجسم فهي المسماة (بالمادة اللعافوية) و« لفا » كلمة لاتينية معناها الماء

وجميع الاعوية اللعافوية التي في الذراع الايمن ونصف الصدر الايمن وما حوى ونصف الرأس والعنق الايمن وأعلى سطح الكبد كلها تجتمع وتصب في قناة واحدة تسمى « اقناة اللعافوية اليمنى » وهذه تصب في أحد الاوردة التي في داخل الصدر من أعلى الجانب الايمن

أما الاعوية اللعافوية الباقية فتصب في قناة أخرى عظيمة تسمى « اقناة الصدرية » وهي أيضا تصب في أحد الاوردة في أعلى الصدر من الجهة اليسرى ويوجد في طريق جميع هذه الاعوية اللعافوية غدد من مادة مخصوصة تسمى « الغدد اللعافوية » ووظيفتها تكوين كريات بيضاء للدم وتصفية جميع المادة اللعافوية المارة بها من كل ما فيها من الميكروبات وغيرها ، فإذا أصاب أحد أصابع اليد جرح مثلا فسد بسبب وجود ميكروبات فيه أحسن الانسان بانتفاخ وألم في إبطه ،

(١) نظرا لمرور المواد الزلالية خلال الاغشية بطريق الاسموز - كما سبق بيانه - كانت هذه المائة مخففة لقلة الزلال فيها لذلك السبب

وذلك ناشئ من كبر حجم هذه الغدد وانفعالها شديداً لتقل الميكروبات الواصلة اليها ، فان تغلبت عليها والاحتوات الى خراج بسبب موت كثير من الكريات البيضاء التي فيها من عراكها مع الميكروبات كما سبق وهذه المادة اللعاقوية تدفع نحو انجاب بسبب ضغط المواد اللعاقوية المتجددة خلفها ، و بسبب حركات العضلات ، وأيضاً بسبب انقباض بعض هذه الاوعية اللعاقوية على ما فيها وغير ذلك . وينبغي رجوع هذه المادة الى الانسجة ما في هذه الاوعية من الصمامات العديدة

ويوجد في بعض الحيوانات اي تحت رتبة الانسان (وهي الباشة) كالضفادع مثلاً قلوب لتحريك هذه المادة اللعاقوية كقلب الدم الموجود في الانسان وغيره

دم الحيض

ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في مشد الحائط المبطن للرحم في كل شهر قمرى مرة على الغالب ويختلط هذا الدم في المشد بزوبله بمواد مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره . ولا يعلم سبب هذا التمزق الشهري الى الآن . ومن ذلك يفهم انه ليس دم صافياً نقياً بل مختلطاً بمفرزات الرحم والمبيضين وغيرهما . وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته وانما حرم الجماع في زمن الحيض الاسباب الآتية :-

(١) إن تهيج أعضاء الانثى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقانا فائتهايات رحمة أو مبيضة أو حوضية تضر بصحتها ضراراً بليغاً . وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البیوضة يؤدي الى العقم . وأيضاً فان تعريض الانثى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهاباً

(٢) إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهاباً صديدياً في بعض الاحيان ، وهذا الالتهاب يشبه السيلان ، وقد يمتد الى الخصيتين فيؤذيها وربما نشأ عن ذلك أيضاً عقم الرجل

فجملة القول ان الجماع في الحيض قد يحدث عقماً في الذكر والانثى ويؤدي الى

التهاب أعضائها الذي يفسد صحتهما . وكفى بذلك ضررا . ولذلك تجدد أطباء العالم المتمدن الآن ينهون عن الجماع في ذلك الوقت كما نهى القرآن عنه فإنه لاشك أذى للرجل والائى

النزف والنزيف

النزف معناه خروج الدم من أوعيته (الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) والنزيف هو الدم المنزوف . والنزف ثلاثة أنواع : —

- (١) نزف الى خارج الجسم كأن ينصب الدم على الارض مثلا
 - و (٢) نزف في تجاويف الجسم كأن ينصب في البطن
 - و (٣) نزف في داخل الانسجة كأن ينصب تحت الجلد أو في العضلات
- وهذا النوع الاخير هو المسمى بالرض أو الكدم كما سبق
- وسبب النزف هو تمزق العروق بسبب ما كحادث يقطع العرق أو مرض يفجره كالدرن أو الزهري أو مرض القلب

أما النزيف الذي يكون خارج الجسم أو في تجويف من تجاويفه فالغالب أنه ينتهي بالموت اذا كان غزيرا بشرط أن لا يعوقه عائق يسد العرق الذي يخرج منه الدم ، ففي هذه الحالة لا يموت الشخص وإنما يصاب بدوار شديد واصفرار . وبعد ذلك تعود اليه صحته شيئا فشيئا كلما تجدد دم بدل الجزء المفقود

وأما النوع الثالث وهو الذي ينسكب في أنسجة الجسم فهذا في الغالب لا يورث ضررا كبيرا لان كمية الدم تكون عادة قليلة بسبب ممانعة أنسجة الجسم للنزيف ، وقد يحدث في مكان الدم خراج

أما في الحالة الاولى والثانية فاذا تقدم كثير من الجسم اشتد الدوار والاصفرار كما قلنا، ويصاب الانسان بما يسمى في علم الطب بالهبوط (أو الهمود) فيغنى عليه ويضعف نبضه ، ويصاب الجسم بعرق بارد ، وتبرد الاطراف ، وبعد ذلك يموت الشخص ، وقد يتشجع جسمه قبل الموت

وأما في النزف داخل الانسجة فيزرق الجلد إذا كان الدم المنسكب قريبا منه ، وبعد بضعة أيام تأخذ هذه الزرقة في التلاشي تدريجيا حتى يعود الجسم كما

كان ، وذلك بأن يمتص الدم بمسك شيئا فشيئا حتى يعود الى العروق وان كان منعجلا الا أنه يتركب مرذ أخرى في بنية فون عناصره لم تتبدل

المعالجة

إذا قطع عرق انكمش بسبب مرونته وانقبض فيه بسبب الالياف العضلية الموجودة في جداره ، فيمتنع بذلك النزف اذا كان العرق المقطوع صغيرا ، أما اذا كان عظيما فلا بد من عمل الانسان لاييقاف النزيف ولا هلاك الشخص ويوجد عدة طرق لاييقاف نزيف بعضها موقته وبعضها دائمة

أما الموقته فتتصرف في الضغط على المكان الذي يخرج منه الدم ، أو ربط العضو رباطا شديدا ، مثال ذلك أنا اذا رأيت رجلا طعن بسكين في ذراعه وشاهدنا دما كثيرا ينزف منه وجب علينا في احوال أن نبحث في الجرح عن مكان خروج هذا الدم ونضغط عليه ضغطا شديدا باصابعنا أو يدينا أو نربط الذراع فوق الجرح ولا يترك الضغط أو الربط حتى يحضر الطبيب لاييقاف النزيف بالطرق العلمية ، ولا ضرر اذا استمر الضغط بضع ساعات فإن العضو لا يموت من الضغط الا اذا امتنع عنه الدم فوق أربع أو ست ساعات

وأما الطرق العلمية لاييقاف النزيف فأعظمها ، وأهمها ما يأتي : ---

(١) أن يمسك العرق المفتوح بجفت مخصوص لذلك (أي مقبض)^(١)

ويربط العرق بخيط من حرير أو نحوه مطهرا تطهيرا تاما بالغلي في الماء

(٢) أن يمسك العرق بالجفت ثم يلوى الجفت عدة مرات حتى ينقطع

العرق وهذه الوسيلة يقف النزيف ، لم يكن الشريان عظيما فيفضل ربطه

(٣) أن يمسك العرق إن كان صغيرا بالجفت ويترك عليه بضع دقائق ثم

يرفع الجفت فيقف أيضا النزيف

(٤) وما يستعمل في الأوعية الشعرية أو الصغيرة جدا هو أن يوضع على مكان

النزف قطعة من الثلج أو شيء آخر بارد فتسكش الأنسجة والعروق فيبطل النزيف

(٥) أن يوضع على مكان النزف مادة حميم (شديد الحرارة) أو يكوى بشيء محمي

«١» أرى أن الاحسن تسمية مثل هذا المقبض بالحاسم لانه يقطع الدم

بالنار ، وقد كان القدماء يوقفون النزيف في الأعضاء المبتورة بوضعها في النار
حينما يغلي ، ولكنها طريقة وحشية

(٦) أن يحشي المكان الذي ينبعث منه الدم حشوا جيدا بقمح أو قش
ويربط ربطا شديدا وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في إيقاف النزفة من الأعضاء
الغائرة التي لا يمكن ربط عروقها كالرحم مثلا

(٧) أن يوضع على الجرح مواد قابضة ، اما مسحوقة أو محلولة بالماء أو
بغيره ، كالشب والقرص ومغلي الشاي ومغلي قشر الرمان والعفص وماء العجير
وألاح المعادن كالحديد والنحاس وغير هذا كثير . وهذه الطريقة قل أن تستعمل
الآن الا في الاوعية الصغيرة أو الشعرية

(٨) إذا كان النزف من داخل الأحشاء كالرئة أو المعدة يجب أن يستلقي
المريض على ظهره ويمتنع عن كل حركة حتى الكلام ويوضع الثلج على العضو
الذي ينزف منه الدم ، ثم يستدعى الطبيب في الحال

وأحسن ما يعطيه الطبيب في مثل هذه الأحوال هو مركبات الأفيون
والجويدار (وهو مادة فطرية تسقية تنمو على نوع من الشجير يسمى الشيلم)
وكوريد الكالسيوم وغيرها ، وهذه الادوية توقف النزيف إما باضعاف ضربات
القلب ، أو بقبض أوعية الدم ، أو بجعل الدم أقرب الى التجمد مما كان

أما النزف في داخل تجاويف الجسم كالبطن مثلا اذا تمزق عضو فيه فيعرف
ذلك بحصول هبوط شديد عتب الإصابة مباشرة أو بعدها بقليل ، واصفرار زائد في
جميع الجسم وصغر في النبض ، ومعنى ذاك أن يشعر الانسان المتعمر بأن الأوعية
الدموية ليست بمتلئة بالدم كالمعتاد ، واذا جس البطن في مكان الإصابة وجد
فيه انتفاخا وألما وأصمية يعرفها الطبيب عند التمرع . واذا كانت المعدة أو الامعاء
هي المصابة تقاياً الشخص دما أو وجد في برازه . واذا كانت الإصابة في الكاية وما
يتبعها بال الشخص دما

فهذه العلامات وأمثالها ندلنا على النزيف الداخلي . فالأسعاف الواجب
في مثل هذه الحالة أن يلتقى الشخص على الأرض وترفع كل البسائيد من تحت

رأسه وتدقاً أطرافه السفلى ويؤمر بالامتناع عن كل حركة حتى الكلام ولا بأس من وضع شيء بارد على البطن اذا كانت الاصابة فيه

ثم يستدعى الطبيب في الحال . ولا حيلة للطبيب في مثل هذه الحالة الا عمل عملية عظمى بأسرع ما يمكن وفيها يفتح البطن وتربط الأوعية النازقة ونخاط جميع الجروح وينظف البطن من الدم الذي انسكب فيه

أما علاج النزف تحت الجلد أو في العضلات فيكون بوضع أشياء مبردة على موضع الاصابة فانها تقبض الاوعية وتعوق النزف أو تمنعه ، واذا لم توجد هذه الاشياء المبردة فالاحسن ربط العضو فان ذلك أيضا يوقف النزف بسبب الضغط ويجب اراحة العضو المرضوض كمال الراحة

ومن الخطأ وضع الاشياء الدافئة على المكان المرضوض والدلك في أول الامر فان ذلك مما يزيد في النزف . ولا بأس من وضع الاشياء الدافئة بعد مضي عدة أيام لمساعدة امتصاص الدم المنسكب

أما علاج البنية بعد ايقاف النزف فيكون كما يأتي : -

يوضع الشخص بحيث يكون الرأس منخفضا عن باقي الجسم ، ويدقاً تدفقة تامة وتلك أطرافه ، ويستحسن أن تلف بلفائف من أسفل الى أعلى ، والغرض من ذلك كله دفع الدم الى الدماغ فان أعظم أسباب الاغماء بل الموت هو نقصان توارد الدم الى الدماغ ، ثم يعطى كيات كبيرة من المرق أو اللبن أو الماء ليشربه وتعطى له أيضا بعض المنعشات وأحسنها الخمر والقهوة والشاي أو محلول النوشادر المخفف (من ١٠ الى ٢٠ نقطة) أو الاثير (من ١٠ الى ٣٠ نقطة) ويحترس من تصاعد الاثير في الهواء فانه اذا وصلت اليه النار أحدث فرقة عظيمة خطرة وكذلك اذا استنشقه شخص بمقدار عظيم تحصل له غيبوبة تامة وللطبيب في هذه الحالة أن يحقن المصاب تحت الجلد بمادة الاستر كنين (بمقدار مليجرام الى ثلاثة) أو بسترات التهوين أو البنين (بمقدار ربع أو نصف جرام) ويحقن أيضا بمحلول ملح الطعام بنسبة سبعة جرامات ونصف في كل لتر (أي قدر ملعقتين صغيرتين في رطلين من الماء تقريبا) ويحقن برطلين الى ثلاثة فاكثر من

هذا المحلول تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة . والغرض من هذا الحقن ملء أوعية الدم بسائل بدل الدم المتزوف ليستمر القلب في عمله وليتغذى الدماغ بما بقي من الدم في الجسم ، ويسمى ذلك المحلول بمحلول الملح الطبيعي أو بالمصل الصناعي ويجب الاحتراس من عمل هذه الادوية المنعشة والحقن المائلة للعروق قبل إيقاف النزيف بالطرق العلمية السابقة والآ فان النزف يعود ثانية اذا امتلأت العروق بالسوائل وانتعش القلب، ويكون في هذه الحالة أشد خطرا على الشخص

*

ويقسم النزف باعتبار وقت حصوله الى ثلاثة أقسام : —

- (١) ابتدائي وهو الذي يحصل من الإصابة نفسها
- و (٢) انتعاشي وهو الذي يحدث بعد انتعاش الجسم اذا لم تربط الاوعية
- و (٣) ثانوي وهو الذي يحصل بعد مضي ٢٤ ساعة من حصول الإصابة بسبب أن الطرق التي أجريت لإيقاف النزيف لم تكن محكمة أو كانت عنة أو كان الشخص مصابا بالزهري أو غيره، فيفك الخيط الذي ربط به الشريان أو يسقط ، أو يتقرح الشريان المربوط بسبب عدم تطهير الخيط، أو يحدث غير ذلك أما النزف من الاوردة فانه في الاطراف يكون صادرا من أسفلها الى أعلاها غالبا ، ولا يتدفق تدفق النزف الشرياني ولون الدمين مختلف فالشرياني أحمر والوريدي يميل الى السواد. ويعالج قبل حضور الطبيب بربط العضو من أسفل الجرح لامن أعلاه ، وباقي العلاج هو كما في النزف الشرياني

الرعاف

- الرعاف نزف يحصل من باطن الانف وأسبابه عديدة تنحصر في نوعين: —
- (١) أسباب عارضية وهي التي تحدث من إصابة الانف بصدمة أو غيرها

تجرحها أو تكسر عظامها

- (٢) أسباب مرضية وهي أيضا نوعان :

- (أ) موضعية وهي إصابة الانف نفسه بمرض كالزهري أو الدرن أو التهاب غشائها المخاطي التهابا حادا شديدا (وهو المسمى بالزكام)

و (ب) عمومية وهي كثيرة منها أمراض الدم كلاسكربوط^(١) والارجوانية (الفرفورة)^(٢) والصفار « الانيميا » وبعض الحيات العفنة (مثل الحى الراجعة) وكامراض القلب والكبد والكلى

وقد يحصل الرعاف في الاطفال والفتيان والفتيات ولا يعلم له سبب سوى رقة أنسجة أجسامهم فكثيرا ما تشاهد بعض البنات في سن البلوغ يحصل لها رعاف كثير ويتكرر ذلك عدة سنين حتى اذا كبرت زال من نفسه

وفي جميع تلك الاحوال السابقة سواء اكانت موضعية أم عامة يحصل النزف بتمزق شريان أووريد صغير في غشاء الانف المبطن له . ويكثر تمزق عرق صغير يشاهد في الجزء الامامي الأسفل الحاجز بين المنخرين

المعالجة : تختلف باختلاف سبب النزيف — ففي الرعاف العادي للاطفال والشبان يجلس الشخص وترفع ذراعه حتى تكون أعلى من رأسه ويوضع الثلج على قفاه، ويستنشق الماء البارد أو أي محلول قابض كالأشيب أو مغلي الشاي باردا وغير ذلك كثير، فإن تعاص الرعاف بعد ذلك يحقن الراعف بشيء قليل من خلاصة الجويدار تحت الجلد أو يحشى الانف حشوا جيدا بالموصلي (الشاش) المغموس في شيء قابض كالدريمول^(٣) أو الشب وغيره وإذا لم يوجد شيء من ذلك وكان النزف من جزء قريب أمكن إيقافه بالضغط على الانف نفسه أو بإدخال قطعة من القطن بجفت أو نحوه والضغط بها على العرق النازف

(١) الاسكربوط مرض يحصل من عدم أكل النباتات والخضروات أو أكل الاشياء المتعفنة واعراضه ضعف عام وتقرح في اللثة ونزف من أجزاء كثيرة من الجسم وفي منسوجها

(٢) مرض يشبه الاسكربوط ويختلف عنه بعدم تقرح اللثة وقلة فساد الصبغة وبسببه وغير ذلك

(٣) مادة مطهرة قابضة صفراء ، وهي تحت عفصات البزموت . والكلمة يونانية معناها الجلد لتففع هذه المادة في بعض أمراضه

جهاز التنفس

الغرض من التنفس دخول هواء صالح الى الرئتين ليتحد أكسجينه بالدم فيها
فينصاح بذلك ويخرج بعض أشياء ضارة منه أهمها غاز ثاني أكسيد الفحم
فاذا دار الدم في الجسم حمل إليه هذا الأكسجين فانه ضروري جدا
للاحتراق اللازم لحياة الجسم
ومجاري الهواء هي الأنف ثم الخلق ثم الخنجرة ثم القصبة الهوائية ثم الشعبتين
ثم الشعب الكبيرة ثم الشعب الصغيرة ثم التجاويف القمية والخلايا الهوائية
أو الحويصلات الرئوية

وانما بدأنا بالأنف لانه هو المسالك الطبيعي للتنفس لا الفم ، وذلك لان في
الأنف شعرا ينقي الهواء من بعض قاذوراته وميكروباته، وفيه أيضا أجزاء مخصوصة
ممتلئة بالدم فتسخن الهواء قبل وصوله الى الرئتين، أما إذا كان التنفس من الفم فان
الهواء يكون حاملا لكثير من الميكروبات والقاذورات الضارة بالرئتين وبالجسم
كأه، ولا يسخن الهواء بمروره من الفم كسخنونه اذا مر بالأنف فيكون أبرد فيحدث
سعالا اذا وصل الى الرئتين أو التهابا في الخنجرة أو الشعب الرئوية
ولذلك يجب حتما تعويد الناس عدم التنفس إلا من الأنف خصوصا وقت

نومهم في الليل

أما الخلق أو الحلقوم فهو تجويف متصل بالأنف والفم والخنجرة والمرىء (البلعوم)
وهو وضعه خلف تجويف الفم ويمر به الطعام والشراب وهواء التنفس
وأما الخنجرة فهي جهاز الصوت وموضعها في أسفل الحلقوم وفي الجزء
الامامي من العنق، وهي محاطة بغضاريف تحمل حبلين يسميان «الحبلين الصوتيين»
وهما أقصر في النساء منها في الرجال ، وبينهما فتحة ضيقة لمرور الهواء منها ، وفي
أعلاها قطعة كاللسان تشبه الغطاء تسمى «لسان المزمار» تساعد على منع دخول أي
شيء في الخنجرة أثناء البلع

والجبلان المذكوران هما اللذان يحدثان الصوت بسبب اهتزازهما اذا اندفع الهواء من بينهما، ويتنوع الصوت بمروره في تجويف الحلق والفم والأنف. والكلام عبارة عن تقطيع هذا الصوت المتولد من اهتزازهما، فيتقطع بالشفتين واللسان وغيرهما. وهذا الاهتزاز يحدث تماوجا في الهواء ^(١) يتصل الى طبقة الأذن فيسمعه الانسان ونجد في أسفل الخنجرة القصبة الهوائية وهي منفصلة عن المريء انفصالا تاما وتمتد من الفقرة الخامسة العنقية الى نقطة امام الفقرة الثالثة الطهرية وهناك تنقسم الى قسمين لكل رئة قسم، وهما الشعبتان

وكل شعبة منها تمتد الى الرئة وتنقسم الى عدة أقسام وكل قسم الى أقسام أخرى كالشجرة، الى أن تنتهي بشعب صغيرة جدا وهذه الشعب الصغيرة تنتهي بتجاويف صغيرة قمية الشكل، وهي المسماة بالتجاويف القمية، وفي حيطان هذه التجاويف أبواب للخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية، ومن هذه الابواب ما يوصل الى خلية واحدة، ومنها ما يوصل الى عدة خلايا مجتمعة معا وهو الاكثر وجميع المجاري التنفسية مبطنة بغشاء مخاطي. لخلاياه السطحية أهداب (ماعدات الحويصلات والتجاويف القمية) تتحرك من أسفل الى أعلا، ووظيفتها طرد ذرات التراب وغيره الى الخارج. ومن التجاويف القمية تكون فصيصات الرئة

وصف الرئتين

الرئة اليسرى مكونة من جزئين عظيمين يسميان الفصين، والبنى مكونة من ثلاثة فصوص كبيرة، وهذه الفصوص مركبة من الفصيصات المذكورة وكل رئة مغطاة بغشاء مصللي يسمى «البليورا» كأنه كيس مختم من جميع جهاته انبعج بدخول الرئة فيه، ولذلك يغطي سطحها بطبقة منه والطبقة الأخرى تغطي الضلوع. والبليورا كلمة يونانية معناها الجنب أما الدم فيصل الى الرئتين بواسطة الشريان الرئوي الذي سبق ذكره وهناك

(١) لا بد لانتقال الصوت من وسط مادي غير الاثير يجري فيه، ولذلك لا يسمع الصوت في الفراغ فلا ينتقل من كوكب الى كوكب كالنور، وهو أسرع سيرا في الجماد منه في السائل وفي السائل منه في الغاز

ينقسم الشريان الى عدة فروع حتى تصير شعرية وهذه الاوعية الشعرية منتشرة في حيطان جميع الخويصلات الرئوية والتجاويف التمعية وايست متصلة بالهواء وانما يصل إليها الاكسجين ويخرج منها غاز ثاني أكسيد الفحم وغيرها بطريقتين الاندوسموز والأكسوسموز وقد سبق تفصيلهما (في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب) * فاذا انقطع ما بين الدم الذي في هذه الأوعية الشعرية والهواء حدث نزف رئوي واعلم أن الرئتين في الصدر كأنهما في صندوق مغلق من جميع جهاته ما عدا فتحة واحدة وهي الخنجر المتصلة بالفم والأنف. وبيان كيفية حصول التنفس تتمثل: اذا فرض أن هذا الصندوق كان كيسا من جلد أو نحوه وشدت جوانب هذا الكيس حتى اتسع تجويفه دخل الهواء بقوة الضغط الجوي اينالاً هذا التجويف المستجده فاذا حال بينه وبين أمام غرضه شيء آخر تمدد أمام الهواء والا انقبض وهذا هو عين ما يحصل في الصدر فانه يتسع فيدخل الهواء إلى الرئتين فيمددهما في أثناء الزفير (وهو جذب الهواء إلى الصدر) فاذا انتهت حركة الزفير عادت الرئة إلى حجمها الأصلي بسبب مرونتها فخرج الهواء منها ويسمى خروجه منها بالشهيق

كيفية تمدد الصدر واتساعه

اعلم أن الضلوع متصلة بالعمود الفقري من الخلف ومتجه كل منها إلى الامام والاسفل فاذا انقبض ماينبأ من العضلات ارتفعت هي والقص فتسع بذلك تجويف الصدر من جميع جوانبه

وهناك عضلة شهيرة تفصل الصدر عن البطن تسمى «بالخجاب الحاجز» وهي مقعرة من أسفها ومحدبة من أعلاها كالتبة

فاذا انقبضت هذه العضلة تحول تقعرها إلى سطح وارتأت إلى البطن فضاقت على الاحشاء كالكب والطحال والمعدة وبذلك يتسع الصدر في قطره الرأسي ومما تقدم يفهم أن الصدر في التنفس يتسع من جميع جهاته بارتفاع الضلوع وبانخفاض الخجاب الحاجز فيضغط الهواء - كما قلنا - على الرئتين فيتسعان أمامه فترى من هذا أن الرئتين لا تتسعان بنفسهما بل بحركة الصدر فاذا فرض

(*) أي ما يطبع منه على حدة

أن الصدر اخترق من أحد الجنبين مثلا بطل عمل رئة هذه الجهة لدخول الهواء من لخرق . فاذا اخترق الجنبان مات الشخص في الحال بانطباق الرئتين وبطالة التنفس وحركة التنفس هذه وان كانت تابعة للإرادة الا أن لها أعصابا تفعلها بدون ارادة الانسان أو علمه : ومركز هذه الاعصاب في « البصلة أو النخاع المستطيل » وهي الجزء الذي بين النخاع الشوكي والنخ و يسمى هذا المركز بمركز الحياة. وتنبعث اليه منبهات من اجزاء كثيرة من الجسم كالجلد والرئتين نفسيهما وغير ذلك، وتنعكس جميع هذه المنبهات في هذا المركز فتجري في الأعصاب المحركة لعضلات الصدر. ولذلك نرى انه اذا صب الماء البارد على الجسم اشتدت حركة التنفس وكذلك اذا مس الهواء جسم الطفل المولود ابتداء تنفسه

أما الذي يحمل مركز التنفس على العمل الدائم في الحالة الطبيعية فأمران :-
(١) حالة الدم، فاذا كثرا أكسجينه استراح المركز من العمل، واذا زاد في الدم غاز ثاني أكسيد الفحم تهيج المركز للعمل. وقيل ان الذي يهيجه هو نقص الاكسجين من الدم. وهذا القول الاخير هو الراجح الآن عند علماء الفسيولوجيا
(٢) تمدد الرئتين بالهواء يحمل هذا المركز على ايقاف عمله فتريح العضلات، وارتخاء العضلات الذي يتبعه هبوط الرئتين يحمل المركز على العمل فتقبض عضلات التنفس وهاجرا

وهذا وما قبله هو السبب في حصول انتفاس ولو كان الانسان نائما أو مخدرا بالكلوروفورم أو غيره

ومما تقدم يفهم معنى الحديث القائل « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقن صلبه، فان كان لا بد فاعلا قتل اطعمه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه »

فان امتلاء المعدة يعوق نزول الحجاب الحاجز ويضغط عليه وعلى القلب وبذلك يحصل عسر في التنفس وضيق في الصدر وخفقان في القلب
أما عدد مرات التنفس في الدقيقة الواحدة فيختلف من ١٤ الى ١٨ مرة في الشبان ، وحركة التنفس تختلف في الاطفال عنها في الرجال وفي النساء، ففي الاطفال

يحصل تنفسهم على الاكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الاحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضا، وفي النساء تشاهد الحركة على الاكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضا عدد مرات التنفس باختلاف الاعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني (يتبع)

الحق والقوة^{*}

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أودرس ضروري لنا نحن السوريين
خصوصا والشرقيين عموما

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما انه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الاحياء (بيولوجيا) يرجع اليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب ووجوب الالتجاء اليها عاذا اياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الاحاديث في الاندية العامة والسياسية في العالم بأسره وزادت اهميته بعد اعلان الحرب الكبرى الحاضرة لان كثيراً من الاعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأَنَّ أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين انشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المجالات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدرت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده فنشرت مقالة بليغة مسببة في عددها الاخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لاننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أم الأرض الى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدهم افتقاراً الى من (* نقل عن جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل (عدد ٩٠٢)

يذيقها بيننا بعد ان شعبنا من التعاليم الاكليريكية والمبادئ الخيالية التي اذلنا
وغير عز ، واقفرتنا وغيرنا اغثنى ، واضعفتنا وغيرنا قوي وافلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقط
بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . وانا
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضاحا لما نحن بصدد الان نشره أولا
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاول الذي لا مفر منه ، لا في
الجموع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف
اذن يجب ان يهلك ويفنى . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق
اتماما لا تطابق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المنتمي هو
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع منتظم . والامة وهي
مجموع أفراد - لا حياة لها الا بالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ
الى نظام موافق او شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت
المصلحة العمومية تضحيته (١) أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذهب

(١) الافكار: كما عينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع
منه مليون نسخة في سورية والاستانة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي
هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الامم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآنف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك، بل يجب على الامة كجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما سترى

لا يمكن تنظيم أمة مالم يجتمع عدد كبير من أفراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم، ومن العبث اجتماع البشر كلهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الامم الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها مخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول : المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا لناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة: لذلك وجب تباين الامم بعددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الامم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها^(١) كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الامم الضعيفة والامم القوية . لذلك قلت ان الامم الضعيفة

(١) المنار : يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الاممي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للقوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العدوية مع سائر الأمم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين. انتقد الفيلسوف التلياني ماشيا فلي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الأمة، والأمة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية ما لم تكن قوية، وقوتها لا تأتي إلا من حصر محبة بنينا لها وحدها أولا، والا فأتى لأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لا يحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولا . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولا

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الأمة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم يخالف للنواميس الطبيعية الثابتة، والتخصيص أولى، إذن الذي لا يحب أخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بولس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يدعن أحد الفريقين للآخر بحرب سياسية يضير الالتجاء الى السلاح أمرا لازما، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في اثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإيماء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة فخاضعة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف تموجبهم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية. واذا رأوا الخطر محدقاً بالشعب فعليهم مباغته العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وثمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بانحاء القوة المحسوسة وازديادها. ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين. وبرهاناً لذلك أقول:

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جاراتها القوي وسلت معه بشروط مكتوبة على ورق سموها معاهدة، ولنفرض أن تلك الأمة الصغيرة صارت قوية على تمامي السنين قرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها. فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً. واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المجحفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه. ولا يمكن ان ترضى العدالة المجردة بغبن شعب كامل وغدره. ليس ذلك فقط بل اننا لا قدر أن ندعو الازعاج لشروط مجحفة عدالة وفضيلة. بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة. أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الأمة ورفيق الحق والمطالبين به. واذا تركت الحرب تجبن الأمة عن المطالبة بحقوقها فتبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلها لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

والمبادئ في الحروب» ودونك مجل الاتقاد العلمي الفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصيت في عددها الاخير قالت :

تعليق مجلة القرن ١٩ على الكتاب الالماني

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل اتنا اذا أمعنا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شاراس دارون الى نياتش المادي الشهير، وغيرهما كثير . وليس من العدل والانصاف ان تقلل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذا مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولمحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم : ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلاً هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس ، والتهور رذيلة أيضاً لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض يعقل المصابين بها وخصوصاً الغرور والكبرياء (١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الافكار : اتفق ونحن قرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي :- قال أحدهم : المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل . أي ان صاحب الصفاء يتلم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال باس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتي :

« واني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اتنا نرى أفراداً بين السوربين هم مهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالاصل gentleman، وافراداً غيرهم على غاية من التأخر والانهطاط والحلقة لوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة . وبينما نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =

وكم ضل أفاضل س الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهمالهم الصدق مثلاً يكذبون، وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سترى

٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

ويعوجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراك بين مرأين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنارع لاجل البقاء قد اضرروا الحياة الاجتماعية لانهم دلوها على التواكل والاستسلام وعلموها الحيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

والجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوربا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي (تذكر ان الكاتب عالم انكليزي) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها. ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطاه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الفزوة

— أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك ينما نرى الذل والجبن في طبقة نرى الفرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء المقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على إيجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوريين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »

الامانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى
ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ بمركزه المتفوق
بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل
حكومة راقية تضمن لابنائها المتفردين بالقوة أفضل المزاكز ولو على حساب المجموع
لان مجموع الامة يستفيد منهم . وكما ان الام يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن
من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة
عليها وعلى صغيرها . هذا الشرط الأول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية
العلمية والسياسية عندنا سلمت بصحته فوراً

أما الشرط الثاني الذي أقام العلماء وأقدمهم فهو كلام الجنرال الألماني عن
علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان افراد
الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والتكاتف وتبادل الصدق والولاء والعطف
والمحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهم
نحو طفلها الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال
برنهاردي يقول بصراحة ان لا رحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ،
لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي
باتقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فقد

وبجملته أوضح أقول ان أركان حزب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة
بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء
الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب بترامة وانصاف
نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا
ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصنفين
المتصفين^(١)

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق

«١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعطاه
الامان الالءاء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الأمة الواحدة فقط أما على غيرنا من الأمم والحكومات فمن ينكر اذا لانعامهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برنهاردي أيضا ، وهالك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعني بالغريب وتعطف عليه وتساعد ، ولكن من واجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافاً نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما ضد الأمة القوية المتعدية ، ورفضت تلك الأمة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فماذا علينا ان نفعل ؟ علينا أن نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الأمة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكنا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الامم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الأمة الواحدة التي لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الأمة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الامم الاخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف^(١) »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالنقض ولو بعد حين

الاستعمار

تنازع ألمانيا وانكلترة بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لابد لها يوما من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولا الى المواد الغذائية وثانيا الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تراهم يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الأمم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : (١) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سليماً حتى يتغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، (٢) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة ، (٣) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استملك بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شي جديد كما قلت آنفا ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك ألمانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الأمم ووجود حزب قوي عندنا (أي في انكلترا) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخشت ان الذي لا سيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوميا لبيت والراديكالين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمان عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الآراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لأنها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتخط وتقتى على تمادي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وجذا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضاً حتى يصير الاقتباس تاماً، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

فضائل الحرب — نقد برنهاردي

اتي من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، قال الشجاعة فضيلة لأنها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لأنها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائماً ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الامة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الامم الاخرى فللقوة المركز الاول دائماً ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الاخير، ولكن موضوعاً اجتماعياً فلسفياً كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخلط في تدوين المبادئ، وشرحها في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شقيقته على الامم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الامة القوية قوية الى ماشاء الله — وهذا من أهم الاعتراضات أيضاً على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخلط في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعاً علمياً تروح النفس اليه، بل أراه أبقى هوّة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء (بيولوجيا) في مصنفه الاخير وهو مولع بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان منهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كياناً ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

ويحوجني الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب، فكأن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حرب المانيا عموماً يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغبضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراءاتها مما جعلها عرضة لانتقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة للانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لاغبار عليه ويجدر بالحزب السلمي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجوب تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اهـ

[المنار] قلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ملخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر ان شر عاقبة هذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها ستترجع الى رشدنا بما تقاسي من خسارة الانفس والأموال

بين روسيا والمانيا *

(وفيه وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني)

يذ كر قراء « الافكار » ما عر بناه من مدة من تالغراف الامبراطور غليوم الى القيصر تقولا إذ قال له يومئذ انه موصى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوؤه بنصائحهم ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن نملك على عرش أجدادك القياصرة فاعتنق الحق والعدل وبثهما في الرعية . واعتن بالجيش مزيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الألماني بامره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و (حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغريبة على اخلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر خليفة جرمانيا الامينة ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطاً بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم وثماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمراً واجباً فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفتها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادئ فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك وإياك ، ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطيدة نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحجي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(* منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

١٥٤ المادة السابقة والجفوة اللاحقة بين ألمانيا وروسيا [المتار: ج ٢ م ١٨]

في سبيل مرضاتها واستاة ردها اليك ، وايد الصلات السلمية التي كانت لنا في مدة المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي تنطبق على مصالح المانيا ، انتهى

هذا بعض ماوقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أمانى جده من توثيق عرى الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق حالها غير واهية ولا منقصة

وقد عرف انعام أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦ مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا، والخدمة الجلى التي قام بها اسكندر الثاني قيصر روسيا في تسهيل الوحدة الألمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا يزال العالم يذكر تفراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال له « أعترف بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفردريك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية . وقد كان بسمارك لا يطيب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفه النمسا وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين ، إذ لم يشأ ان يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة القربى ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة الذكر

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالا مشهور بعداوته لالمانيا فحين منذ سنة ونصف سفيراً لدولته في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الزهية لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا، وساعدته الظروف والحكمة

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها . وقد نجح دلکاسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية ، فتراخت العلاقات بين الحكومتين وسعى القيصر للتملص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه ، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحرية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حرية ، وأضافت عددا عظيماً الى جيشها الهائل ، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات ، وازادت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا ، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا ، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين ، ومكنت الحقد بين الشعبين . وكان المسيو دلکاسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهاها أمرها لاسبابا وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة . أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الالمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة برلين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلما ترى الآن في روسيا من يحب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفرسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في افهام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغاريين في صوفيا . وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا . وقد أرادت حكومة القيصر أولاً ان تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط ، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري — ككاريابافلونا قرينة الغراندوق فالديمر واليزابت فيودوروفنا شقيقة القيصرة ورئيسة دير كبير الراهبات ودوقات أولدنبرغ وليستنبرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانى الاصل الذين يشتغلون بجميع قوامهم لزيادة متانة العلاقات بين روسيا ومانيا ، عدا عن العلاقات الوطنية الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان، حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لاتفيد الثانية
كبيرا

أما حقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها
الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين لخمسة عشر مليوناً من الجرمانيين . لذلك
ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً
عن ان النمسا مازالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان ، وكانت الحرب بينها بين
روسيا أمراً طبعياً لا مفرّ منه اهـ

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة (عليكده إنستيتوت غازت) بقلم عبد الرزق من تلاميذ
دار الدعوة والارشاد

اتمت السنة الثانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخنا الى
زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي
الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاه غربت فيه شمس
العلم وأظلم العالم العلمي .

(ثم بين الكاتب مجد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والنابعين فيهم
الذين كانوا يخلفون السلف ، وانحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون
محل موتاهم . وقال)

ان في سيرة الشيخ عبداً ودروساً للطبقتين - طبقة النابتة الجديدة وطبقة العلماء ،
فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . ونوخياً للفائدة نلمح الى تاريخه فنقول :

الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن
رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكنني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد
سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه
السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كمحمد الفاروق
الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم
الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة

الحكومة ولكنه لم يلبث أن تركها من تلقاء نفسه . ثم قرر معلما للغة العربية في كلية علي كره فاتخذ له بيتا بجوار السيد أحمد خان رئيس الكلية . وكان السيد يبحث في العلوم المختلفة فاقبض منه ومن المعلم أرنلد الأستاذ في الكلية معلومات في الفلسفة والعلوم الحديثة ، وهو الذي علم الأستاذ المذكور عليه كثيرا من العلوم الإسلامية واللغة العربية ، لهذا كان في تأليف كتاب « الدعوة الإسلامية » Preaching Of Islain للأستاذ أرنلد يد كبيرة للشيخ .

وخرج من الكلية سنة ١٨٩٨ بعد أن توفي السيد أحمد وذهب إلى حيدرآباد وهناك كانت قد أسست الجمعية العلمية المسماة « السلسلة الأكاديمية » فتوظف فيها براتب ٢٠٠ روبية في الشهر (والآن قد زيد فيها مائة فصارت ٣٠٠ روبية) وألف بضعة كتب باسمها ثم رتب مشروع كلية حيدرآباد .

ولما رجع من حيدرآباد طلبه محسن المالك رئيس الكلية لها ولكنه لم يقبل ورجع ندوة العلماء عليها ، وأقام في مدينة اكهنو فكان فيها عضوا كبيرا عاملا . وفهم مقاصدها حق الفهم وأراد أن يشمرها فنظم شؤونها وأصدر مجلة كبيرة باسمها كانت من أبر المجلات الهندية وأرقاها . وهي لاتزال نورا في اللغة الهندية . ولكنه لما انتخب رئيسا للجمعية بعد اعتزال رئيسها الشيخ محمد علي لم يقدر على استخدام الأعضاء كلهم كما استخدمهم سلفه ، لانه اشتهر بحرية الرأي والاجتهاد في كل شيء ، فخالفه العلماء وظنوا به الظنون ، حتى قال بعضهم أنه دهري ويريد افساد الجمعية . فلم ينجح في عمله هذا كما ينبغي ، ولكنه استطاع تنفيذ كثير من مقاصدها .

وساح في البلاد الإسلامية في زمن اقامته في الكلية للاستعانة على تأليف تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطالعة الكتب التي لا توجد في الهند فكان الكتاب من أحسن الكتب التاريخية على طريقة حديثة وسيكون نورا إلى الابد . وبعد رجوعه من السفر ذهب إلى رستميد فمرض هناك مرضا شديدا ذهب بهبعته الجيدة فلم تعد إلى الموت .

ومن الحوادث المؤلمة في حياته اصابة رجله بالرصاص . وسبب ذلك انه كان جالسا في حرمه والبنديقية في يد زوجته ابنة فسقطت على الارض فاصابت ساقه . وآخر حياته ملوءة بمخالفة العلماء له في الندوة ولكنه مع هذا كله مازال مشغولا بتأليف تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم . وأرسل إلى خطابا قبل وفاته بقليل وصف فيه تأثير موت أخيه في نفسه ثم قال : أريد تأسيس دار للمصنفين ودار لتكميل العلوم أدرس فيها بنفسي التفسير والحديث ويدرس فيها غيري من العلماء

الآخرون لم يأنجح في هذا بعد العجز عن العمل في الندوة التي أضعت وقتي فيها . ولكن جاءت المنية قبل تحقق رجائه . جزاه الله خير الجزاء لأعماله النافعة للمسلمين

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

بقلم عبد الرزاق أحد طلبة دار الدعوة والارشاد
كان الشيخ شبلي النعماني من أكبر علماء الهند قدرا وأوسعهم علما وأشدهم
غيرة على الدين والامة . خدّم المسلمين زمنا طويلا بدون تعب ولا نصب ولا
مبالاة بمحوادث الدهر . ومن مزاياه الكثيرة انه كان نابغا في علوم عديدة . مجتهدا
في الدين والعلوم العقلية . ماهرا في تاريخ الشرق والغرب . أدبيا بارعا في اللغة العربية
والفارسية ، ينشد الشعر بالفارسية مثل أعظم شعراء العجم . وهو يعد من أئمة اللغة
الهندية وأفصح كتابها . له كتب كثيرة جدا في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين
الفارسية والهندية وفي علوم شتى . وآخر كتاب كان يعني بتأليفه هو « سيرة النبي صلى
الله عليه وسلم » ولم يكمل يتم جزءا منه حتى عاجلته منيته وهو ابن خمس وستين
سنة تقريبا . هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التاريخية بل أراد رحمه الله
أن يكتب باستقصاء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من آثار النبي وأقوال المتخرسين (?) إلا
أحصاها وبحث فيها بحثا تاريخيا فلسفيا ليس من ورائه بحث . وكان من اهتمامه
بالكتاب المذكور أنه قبل الاشتغال فيه أعلن في الجرائد الهندية انه يحتاج الى
خمسين ألف روية (٣٣٢٥ جنيا) لیسافر الى الممالك الاسلامية والافرنجية
ويطالع في مكاتبها الكتب المؤلفة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتساعده عن
يساعده بذلك ؟ فأجابت طلبه « أميرة بهوبال » التي اشتهرت بالأعمال الخيرية والعلمية ،
غير انها لم تأذنه بالسفر لكبر سنه وما أصابه من العرج بل وعدت بان تطلب له
جميع الكتب المحتاج اليها وتعطي ٢٠٠ روية شهريا لترجمي الكتب الافرنجية منها
(لان الشيخ لم يكن عالما بلغات الغرب) فاشتغل الشيخ بالكتاب ثلاث سنوات
وكل منه جزء واحد كما ذكر آتقا .

وكان ينتهز القرض لينفع المسلمين . ومن ما أثره أنه نجح في مسألة الوقف على
الاولاد عند الحكومة فاجازته بعد ان كانت أبطلته .

ربما يظن ظان أن هذا الشيخ الجليل كان من متخرجي المدارس العالية ومن
أصحاب الشهادات العليا . وليس الامر كذلك . فانه لم يتعلم في مدرسة ما قط بل
كان يتلقن بعض العلوم المتروكة القديمة في بيوت بعض العلماء . ولم يكن يعلم شيئا

من أحوال العالم المدني ولكن علامات الذكاء كانت تنطق على سباه بعظيم مستقبله . ولما كمل دروسه غير المنظمة انتظم في سلك المعلمين في كلية علي ككرة الشهيرة وهناك ظهر له انه يوجد عالم غير عالمه وعلوم غير الفقه والكلام والفلسفة اليونانية فآخذ بطالع العلوم حتى عد من أكبر علماء الهند . وفي هذا الاثناء ساح في البلاد الاسلامية كلها ليعرف داء المسلمين ودواؤه . وبعد رجوعه الى وطنه ابتداء دوره الذهبي ، لانه ترك الوظيفة ولم يعمل شيئاً بعد إلا لأصلاح المسلمين . ولهذا الغرض أخذ على عاتقه مشروع ندوة العلماء ، وهي لم تكن شيئاً يذكر قبله وبهيمته العالية ترقى في مدة قصيرة حتى سمع صوته في العالم المدني وتخرج فيها العلماء والمربون . وكانت له آماني كثيرة حالت منيته دونها اذ وافته بعد ان مرض نصف شهر فسقطت بذلك حلقة كبيرة من سلسلة المصلحين ، وانطفأ مصباح الهند ، فليحزن على فقده المصلحون والهنود المسلمون ، انا لله وانا اليه راجعون

(المنار) فقدنا الاستاذ النعماني في عهد هذه الحرب التي حرمتنا رؤيته ماعدا جريدة عليكده من جرائد الهند فلم تقف على شيء من تأييدها وترجمتها له . والشيخ حبيب الرحمن الذي كتب تلك النبذة الوجيزة في جريدة عليكده من أهل العلم والدين ، وحزب المصلحين المعتدلين ، ولكنه أوجز واختصر حتى انه لم يذكر لنا مصنفات الشيخ : ولعل أهل مصر وغيرها من البلاد العربية لا يعرفون منها الا رده الوجيز علي كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ، وما هو الا عجالة جعلها نموذجاً لبيان ما أنكره من ذلك الكتاب ولم يرد به الاستقصاء . وكنت رأيت له رسالة في الجزية نشرت بعضها في المجلد الاول من المنار وهي تدل على اجتهاده في التاريخ وعلوم الدين . ومن سوء حظ المسلمين أن يقوم حزب الجود في وجوه هؤلاء الأفراد من المصلحين كالشيخ النعماني ويحولوا بينهم وبين خدمتهم لملتهم وأمتهم . ويضعف أنصار الاصلاح عن احباط أعمالهم ، ومما يذكر بالاعجاب في ترجمته أنه لم يوجد في أمراء الهند وعظمائها رجل عرف قيمة هذا الاستاذ الكبير المصلح كما عرفته أميرة بهوبال فضلى نساء تلك الاقطار وأقيالها

وسننشر في الجزء التالي كلمة وجيزة من صلة المودة بيننا وبين الفقيد وكتاباً منه يعلم منه شيء من صلته العلمية الدينية بصاحبة بهوبال أدام الله النفع بها .

السرد محمد سلطان آغا خان

زار مصر في أوائل هذه السنة السرد محمد سلطان آغا خان زعيم طائفة الاسماعيلية أقدم طوائف الباطنية بل إمامهم ومعبودهم . جاءها عائداً من لندرة عاصمة انكلترا

حيث يقيم معظم سنته - الى وطنه بمجي أول ثغور الهند حيث يقيم مدة فصل الشتاء عادة . وقد نزل ضيفا على الجنرال غراثيل مكسويل القائد العام للجيش البريطاني بمصر فلقى من الحفاوة والاكرام من الحكومة المصرية وكبراء الانكليز ما يليق بمقامه ومكانه من ثقة الدولة البريطانية به وإخلاصه في خدمته لها

وقد اجتمعت به في دار (مستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية الانكليزية) وتحدثنا أكثر من ساعة في الشؤون المصرية وأحوال المسلمين في مصر وفي غيرها من الاقطار . وكان أكثر الحديث أسئلة منه وأجوبة مني ، وكنت أحب أن أسأله عن أمور فلم يتسع الوقت لذلك ، وتحدثنا بتمني اجتماع آخر فلم يتيسر ولعل من أسباب ذلك كثرة تنقله في البلاد المصرية وعدم لبثه في القاهرة بعد ذلك الا قليلا

وقد كان أول حديثه الشكوى من قلة عناية المسلمين بالعلم وسأني عن سبب ذلك فشرحت له رأي فيه ، ومما ذكرته له في ذلك أن العلم لا يرتقي وترتقي الامم به الا بالعمل ، ولا سيما العلوم الطبيعية والآلية (الميكانيكية) التي يشعر عقلاء المسلمين بشدة حاجتهم اليها ، وتوقف مجاراتهم للافرنج عليها ، وان أسبابا سياسية واجتماعية حالت دون السير في هذه العلوم على الطريقة العمالية التي تتوقف على إيجاد المعامل ودور الصناعة في البلاد ، وان الحكومات هي ذات الشأن الأول في إيجاد ذلك وأكثر حكام المسلمين ليسوا منهم . وأما الحكومات الاسلامية المستقلة فقد كانت الدولة العثمانية والامارة المصرية - وهما أقربهن الى الحضارة - شرعتا في اقتباس العلوم والفنون الأوروبية منذ مئة سنة أو أكثر ، أي قبل شروع اليابان في ذلك ، ولكن حال استمرارها على الطريقة العملية مالا سعة في الوقت لشرحه فزالت المعامل ودور الصناعة التي شرع فيها محمد علي باشا كما اضمحل ما أنشئ من ذلك في الاستانة مع كون الحاجة اليها أشد والقدرة عليها أتم ، واكتفى الترك والمصريون باقتباس المبادئ الناقصة من هذه العلوم والفنون ، وانما يتوسع قليل منهم بما هم أقل حاجة اليه من غيره كالفوانين وتاريخ الامم الأوروبية ولغاتها ، مع جهلهم بشريعتهم وتاريخ ملتهم وآدابها ، ولأجل هذا كان ضررا أكثر المتعلمين أكبر من نفعه . ولما كان الطب لا يكون الا عمليا كان هو أتم . اقتبسناه من العلم الحديث ، ففي مصر والبلاد العثمانية كثير من الاطباء الذين يخدمون البلاد أجل خدمة . وكذلك الهندسة فانها قد أفادت بقدر الحاجة اليها في الاعمال كالري وسكك الحديد فالمهندسون المصريون لا يقصرون عن الأوروبيين الذين يعملون معهم في هذه البلاد

أما حديثنا عن حالة مصر ومسألة الحماية الانكليزية الجديدة فلا يجوز نشره

الآن

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألبار

الملك
١٣١٥

فتشرع عبادي الدين يسعون في الأرض فتيقنوا
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألبار

قل عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى وده مناراء كنار الطريق

مصر ٢٩ بخادي الاولى ١٣٢٣ ٢٣ الخال (ر ا) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ ابريل ١٩١٥

فَتَاوَى الْمُنَافِقِينَ

افتتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسهل الناس عامة. وينبغي للسائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء، وأنتا تذكر الأسئلة بالتدريج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(صدق به وصدق له)

(س ١) من صاحب الامضاء مدير مجلة الأديان في بنجاب بالهند
سيدي العزيز !

كتبت في أحد أعداد المنار (كما سمعت) أن هناك فرقاً بين قولنا « صدق له » « وصدق به » وقلت أن الأخير يفيد معنى التحقق والامضاء، والاول يفيد معنى الإتمام (أي تحقق مضمون الشيء) وما استعمله القرآن بالنسبة إلى التوراة والإنجيل هو التعبير الاول . وهذا التفسير هو الجدير بالاعتبار ويحل الاشكال الذي بين المسلمين والنصارى في مسألة شهادة القرآن لكتبهم . واني أعد لكم فضلاً كبيراً

علي اذا أقنم لي الدليل على صحة هذا الفرق بين العبارتين حتى يتيسر للانسان ان يقتبسه كلما قام جدال يبتنا وبينهم في هذه المسألة وأملّي ان تبادروا بالجواب

عبدكم (?) المخلص

شرالي

مدير مجلة الادبان

(ج) إن ما أشرتم اليه من التفرقة بين صدق به وصدق له وقع في رسالة الدكتور محمد توفيق صدقي لا في كلام المنار. وما ينشر في المنار لغيرنا لا يصح أن نطالب بالدليل عليه بل نسئل عن رأينا فيه. والذي يؤخذ من استعمال القرآن لكلمة التصديق وما اشتق منها ومن استعمال العرب هو ان «صدق» فعل يتعدى بنفسه كما قال تعالى (٣٧:٣٧) بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وأن التصديق يكون بالقول كقولك: صدق فلان فيما أخبر به. ويكون بالفعل، ومثاله أن تقول: ان فلانا سيفعل كذا، او يقول كيت وكيت - فيفعل ذلك الفعل او يقول ذلك القول، فهذا يسمى تصديقا لما قلته عنه، سواء أراد به ذلك أم لا، كل جائز في اللغة مستعمل فيها. فتصديق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للمرسلين عليهم السلام ولكتبهم يصح فيه الوجهان - يصح أن يراد به إخباره بصدقهم فيما بلغوه عن الله تعالى، وان يراد به ان بعثه وصفاته وأفعاله دلت على صدقهم في البشارة به، وبكل من القولين قال أهل التفسير المأثور والمعقول، والقرائن ترجح أحدهما على الآخر في المواضع المختلفة ولم يرد صدق متعديا باللام فيما نعلم. اما مثل قوله تعالى (٢: ١١) وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم) وقوله (٢: ٩١) وهو الحق مصدقا لما معكم) فاللام فيه للتقوية لا للتعدية، وهو بمعنى قوله (٦: ٩٢) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ومعنى ذلك أنه دال على صدق تلك الكتب فيما بشرت به من بعثة النبي (ص) او ناطق بصدق أولئك المرسلين فيما جاؤا به عن الله تعالى. فان أريد بالتصديق القولي منه فهو لا ينافي ما أثبتته في آيات أخرى من تحريف القوم لبعض تلك الكتب الصادقة ونسيانهم حظا منها. ومثاله ان يقول قائل لقوم ان فلانا المؤرخ صادق وان ما كتبه لكم من تاريخكم أو تاريخ كذا صحيح، ولكنكم نسيتم بعض ما جاءكم

به فلم تحفظوه ، وحرقتكم بعض كلمه فلم تبينوه ولم تستبينوه . هذا هو التحقيق في تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة . وقد فصلنا القول فيها في مواضعها من التفسير وأيدناه بالدليل

وأما قولهم : صدق بكذا أو بفلان ، — فهو ليس من التصديق الذي معناه مجرد إثبات الصدق بالقول أو الفعل ، فان التصديق بمعنى إثبات الصدق يتعلق بالاقوال لا بالأشخاص والأشياء ، فاذا اسند الى الأشخاص فأما يسند اليهم باعتبار مضاف محذوف ، « فعنى صدق المرسلين » صدق أقوالهم . فاذا عدي التصديق بالباء كان متضمنا لمعنى الايمان فكان تصديق اعتقاد محله القلب ، فالتصديق بالنبي هو الايمان بنبوته لا قولك بلسانك إنه صادق ؛ ولا فعلك فعلا يدل على صدق كلامه . وأما تصديقه فيشمل هذا وذاك . والمصدق باللسان قد يكون غير مصدق بالقلب . وحقيقة معنى تضمين فعل معنى آخر هو أن تضم معناه الى معنى الفعل الاصلى بتعديته الى ما يتعدى اليه لكي يدل على معناه أولا وبالذات . وتبقى دلالة على معناه الاصلى مرادة ولو على سبيل اللزوم والا كمال . كقوله تعالى (ولأن تأكلوا أموالكم الى أموالكم) أي لا تأكلوها بضمها الى أموالكم لتكون ربحا لكم ككسبكم . وهذا لا ينافي الأكل منها بمخالطة اليتيم وإشراكه مع الوصي في المعيشة مع اتقاء الوصي قصد الربح منه ، كما أنه لا ينافي ضمها الى أمواله لحفظها معها لليتيم لانفسه وقد استعمل التصديق في القرآن متعديا بالباء في أربعة مواضع — ١ — قوله تعالى حكاية لبشارة الملائكة لزيكريا (٣ : ٣٩) ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله) — ٢ — قوله تعالى (٣٩ : ٣٢) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) — ٣ — قوله (٦٦ : ١٢) وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي السيدة مريم عليها السلام — ٤ — قوله (٩٢ : ٥) وصدق بالحسنى) فكل موضع من هذه المواضع يراد بالتصديق فيه الايمان المستلزم للتصديق اللساني . والحسنى صفة لمحذوف قيل هو كلمة التوحيد ، واختار شيخنا انه الشريعة والملة

والايمان يتعدى بنفسه بالباء واذا تعدى باللام كان متضمنا لمعنى الاتباع كما لا يخفى على من استقرأ استعماله في الكتاب العزيز وكلام فصحاء العرب والله أعلم

أول الخلق وكونه نور النبي (ص) (تأخر كثيرا)

(س ٢) من صاحب الامضاء في الجامع الازهر
فضيلة الاستاذ ! بعد تقديم الالائق بمقامكم أعرض على حضرتكم مسألة
طالما تكررت على مسامعنا ولم نفقه لها معنى وسألت عنها بعض مشايخي بالازهر
فأجابوا بأنها من مواقف العقول فأرجو من فضيلتكم الشرح عنها
سمعنا أن الاشياء خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجود قبل
الكائنات. فما معنى النور الذي خلقت منه الكائنات، وكيف يقبل القسمة مع أنه
من المكيفات ؟ وكيف يكون النبي أولا وآخرا ؟ أجيئوا لازلتهم للدين منارا
كاتبه احمد مصطفى النقي

(ج) ما يذكرك في الموالد وبعض الكتب من كون أول الخلق نور النبي (ص)
لا يصح منه شيء ، فما ينسب إليه من الاشكال ساقط يصدق عليه ما قلناه في الامر الثاني
من جواب السؤال عن عدد صفات الله تعالى وعلمه بها (في ص ٧٣٩ م ١٧) .
وتجدون البحث في مسألتكم مفصلا في (ص ٨٦٥ - ٨٦٩) من مجلد المنار الثامن

﴿ كتاب الجفر . وحديث الاستعاذة من الحور بعد الكور ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في جهة أبي كبير « الشرقية »

حضرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فنرجو اولا التكرم بافادتنا عن كتاب الجفر
المنسوب للإمام علي كرم الله وجهه هل هو صحيح أو باطل وما هي أدلة المبتين
وما هي أدلة النافين وما هو رأيكم الخاص

ثانيا ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »
هذا وتنازلوا بقبول فائق احترامي
ابو هاشم علي قريبط

« ج » أما كتاب الجفر فلا يعرف له سند الى امير المؤمنين وليس على النافي
دليل وانما يطلب الدليل من مدعي الشيء ولا دليل لمدعي هذا الجفر

واما معنى الحديث فقد قال ابن الاثير في النهاية : « نعوذ بالله من الحور بعد
الكور » اي من النقصان بعد الزيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل
من الرجوع عن الجماعة بعد ان كنا منهم. وأصله من تقص العمامة بعد لفها . اهـ
وفي لسان العرب : يقال كار عمامته على راسه اذا لفها ، وحرار عمامته اذا نقضها.

حرب المدنية الاوربية

والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية ، والفتوحات العربية

لقد أرتنا هذه الحرب من ضروب العبر ، ما لم يكن يخطر قبلها على قلب بشر ، وهتكت لنا من أستار الرياء ، ما أرانا كثيرا من حقائق الاشياء ، التي لم يكن يلحها الا أفراد الحكماء ، فظهر للذكي والبليد ، والغوي والرشيد ، ان هذه لمدينة المادية ، مدنية قوة وحشية ، وشهوات بهيمية ، كانت تمخضع الابصار وتقتن البصائر ، بما يدعيه أهلها في زمن السلم من حب الحق والتحلي بلباس الفضائل ، واقامة ميزان العدل ، وثل عروش أئمة الجور والظلم ، حبا في سعادة الناس ، ورغبة في المساواة بين الافراد والاجناس

وقد كان من مقدمات هذه الحرب بين الدول الكبرى حربان في البلقان ، اقترف فيها البلقانيون من ضروب القسوة وقطائع العدوان ، وتقتيل الشيوخ والولدان ، وهتك الاعراض ونهب الاموال ، ما لم يعرف التاريخ أقبح منه منظرا ، ولا أسوأ عاقبة وأثرا ، ولم يكن يخطر في بال أحد أن هذه الموبقات يمكن ان يقع مثلها من دولة من الدول الكبرى ، دول العلم والفنون والمدنية الرائعة في هذا العصر الذي يفضلونه على جميع العصور ، ويسمونه عصر الحضارة والنور ، نعم ان أنواره المادية يكاد شعاعها يذهب بالابصار ، ويمكن ان يفضل بها الليل على النهار ، ولكن يمثل لك في هذا الضوء عالم المدنية ، هيكلا من هياكل الوثنية ، قد نصب في محرابه تمثال القوة الحربية ، واضعا إحدى قدميه على الحق والاخرى على الفضيلة ، رافعا يمينه راية القهر والسلطة ، وبشمالها راية الشهوة واللذة ، والناس ما بين راعه له وساجد ، ومحرق للبخور ومقدم للذبايح

قلما كان أحد من الناس يظن ان دول العلم والحضارة تقترب مثل ذلك الظلم والعدوان ، وتجترح تلك السيئات التي اجتريحتها شعوب البلقان ، فجاءت هذه الحرب مكذبة لظن الخبير فيها ، وأحقت من القضاء بالقسوة والفظاعة عليها شر ما أحقت على من قبلها ، اذ كانت أقدر على التكيل والتدمير من البلقانيين الذين

هم عالة عليها ، بقدر ما آتاها العلم من أسبابها وآلاتها ، فقد جعلت العلم الجدير بأن يكون مصدر العدل والرحمة والسعادة ، مصدرا للظلم والقسوة والشقاوة ، فهذه دولة ألمانية الممتازة بسعة العلوم واتقان الفنون ، قد امتازت بما اخترعته من آلات التخريب وأسباب المنون ، وينقل لنا عنها محاربوها ما تقشعر منه الجلود ، ويتصدع من هوله الحجر الجلود ، من مدافع تدرك الحصون والمعقل ، وغواصات تنسف البوارج والبواخر ، وغازات سامة تكون منها دخان أخضر ، يقتفي آثاره الموت الأحمر ، فهو مصداق قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب اليم)

وضعوا للحرب قوانين لتخفيف نكباتها ومصائبها مستمدة محاسنها من الشريعة الاسلامية شريعة العدل والرحمة ، ولكن ثبت انهم مارعوها حق رعايتها ، وانما يعملون بها في بعض الامور الظاهرة المشتركة بين كل من المتقاتلين كعاملية الاسرى ، ومن أمن منهم ان يعاقب بمثل عاقب به لعجز خصمه أو لا مكانه إخفاء جنايته ، لم يلتزم أحكام قوانين الحرب وحقوق الدول ولا معاهداتها احترامها ، أو جبا في الحق والعدل اللذين توضع القوانين والعهود لاجلها .

فأين حرب هذه الامم والدول التي خدع الناس كلهم حتى المسلمون بها ، وصاروا يهاهون بفضائلها ، وارتقاؤها في معارج المدنية الانسانية بعلموها وفنونها ، — من حرب الصحابة الذين كان أكثرهم أميين ؟ تلك الحرب التي لم يعرف التاريخ البشري مثلها في رعاية الحق والعدل والورع ، واستعمال الرأفة والرحمة في السر والعلن ، بل شهد فيلسوف التاريخ والاجتماع (غوستاف لوبون) للعرب كلهم بذلك فقال : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . فبذلك العصر النوراني فليفاخر المفاخرون ، لا بعصر الوحشية المنظمة التي جاء بها القرن العشرون

هل نقل ناقل أو قال قائل ان أحدا من الصحابة عليهم الرضوان أو ممن حارب معهم من التابعين انتهك عرضا ، أو قتل شيخا أو امرأة أو غلاما ، أو سلب لأحد من أعدائه مالا ، أو هدم كنيسة أو ديرة أو قتل راهبا أو قسيسا ؟ أو مثل بقتيل ،

أو أجهز على جريح ؟ كيف وقد كان الرسول (ص) يوصيهم بمثل قوله « انطلقوا باسم الله وبالله (ص) ولا تقتلوا شيخا فانيا^(١) ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضمو غنائمكم ، (واحسنوا ان الله يحب المحسنين) » رواه أبو داود من حديث انس بن مالك - وروى احمد من حديث ابن عباس قال كان رسول الله (ص) اذا بعث جيوشه قال « اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا^(٢) ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع »

ومن وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) المقتبسة من مشكاة النبوة مارواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد ان ابا بكر بعث جيوشا الى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان - وكان يزيد أمير ربع من تلك الارباع - فقال اني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرماء ، ولا تقطع شجرا مشرا ، ولا تخرب عامرا ، ولا تعقر شاة ولا بعيرا الا لما كله ، ولا تعقرن نخلا ولا تحرقه ، ولا تغلل ولا تحنن^(٣)

نعم قد كان يقع قليل من الشذوذ يقابل بالانكار، الا اذا دفع اليه الاضطرار ، والنادر لا حكم له . روى الشيخان وأصحاب السنن ما عدا النسائي وغيرهم عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي (ص) فهي رسول الله (ص) عن قتل النساء والصبيان .

وروى احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن رياح بن ربيع انه خرج مع رسول الله (ص) في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رياح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون اليها

(١) المراد بالشيخ الفاني من لا يقاتل وقد كان الناس كلهم مقاتلة الا هؤلاء الذين نهى الحديث عنهم والقاعدة الاسلامية العامة انه لا يقاتل الا من يقاتل
(٢) القلول الخيانة والغنائم . والتمثيل تشويه الأعضاء بنحو قلع العين وجدع الاذن وصلم الاذن . وقد حرم الاسلام بالتمثيل بالقتلى فضلا عن الاحياء ، وقد ثبت وقوع التمثيل في حرب المدينة الاوربية وفي الحرب البلقانية قبلها

(٣) أخبن الرجل خباً في خبنة ثوبه أو سراويله شيئا . والخبنة بالضم طية الثوب وثنيته . وفي نسخ الموطأ المطبوعة وأكثر الكتب التي نقلت عنه : ولا تحنن بالجيم

حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فأفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله (ص) وقال « ما كانت هذه لتقاتل — وقال لأحدهم — الحق خالدا قتل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا » (٢) وروى أبو داود في مراسيله عن عكرمة ان النبي (ص) مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال « من قتل هذه ؟ فأخبره رجل انه كان غنمها فلما رأت الهزيمة أهوت الى قائم سيفه لتقتله به فقتلها قبل ان تقتله . ولا أتدكر قتل امرأة في مغازي النبي (ص) غير هاتين الا تلك المرأة اليهودية التي أمرها زوجها ان تلقي الرمح على بعض المسلمين في غزوة بني النضير ليقتلوها فلا تعيش بعده اذ كان موطننا نفسه على ان يقاتل حتى يقتل ففعلت

وقد كان وفق النبي (ص) بالنساء أعظم من ذلك فقد روى ابن اسحق ان بلالاً مرّ بصفية وابنة عم لها على قتلى يهود بعد سقوط حصن بني أبي الحقيق فلما رأت المرأة القتلى صكت وجهها وصاحت وحشت التراب على وجهها فقال النبي (ص) لبلال « أنزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما ؟

ومن ضروب العبرة في حرب المدينة الاوربية كثرة ما يتقاضونه من البلاد التي يفتحونها من الغرامات ، وما يفرضونه عليها من الأتاوات ، وقد كان المسلمون الاولون يكلفون أهل البلاد ضيافة ثلاثة أيام ، لضرورة الحاجة الى القوات وعدم تيسر أسبابه بالطرق النظامية المتبعة في هذه الايام ، وأما الجزية والخراج اللذان يفرضونهما على أهل البلاد فهما أقل مما تفرضه كل حكومة من حكومات الارض على أبناء جنسها في بلادها ، دع ما تفرضه الحكومات الاوربية في مستعمراتها ، فهو يستغرق معظم غلات أرضها ، فلا يبقى لأكثر أهلها منها الا ما يسد الرمق ، ويستعين به على مداومة العمل ، وقد قرأنا في الصحف ما فرضه الألمان على أهل بلجيكة من الغرامات وما حملهم من الاثقال ، بعد ما حل بهم ما حل من الخزي والنكال ، فاذا هو مما تعجز عن حملة الجبال لالجمال ، ولا غرو فان كل حظ أهل هذه المدينة المادية

من الحياة والدافع لها إلى القتال ، إنما هو الاستكثار من جمع الأموال ، والتمتع بالثروة والعظمة والسلطة والجاه ، ولو ظفر البلجيكيون بالألمان ، لأنزلوا بهم الخزي والهوان ، وعاملوهم كما عاملوا أهل الكونغو منذ أعوام ، فأين هذا من عفة المسلمين ولا سيما الصحابة الكرام .

روى البلاذري في فتوح البلدان عن سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين أقباهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : كولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد . فأغلقوا الأبواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة (يعني الروم أي الرومانيين) وأظهر المسلمين فتحوا مدنها وأخرجوا القسوس وأدوا الخراج . اهـ

وفي رواية أحفظها ولا أتذكر موضعها الآن أن الصحابة لما ردوا ما كانوا أخذوا من الجزية قالوا انا كنا أخذنا هاجزاً حمايتكم والدفاع عنكم وقد عجزنا الآن عن ذلك ، فحلف الأهالي أن أبناء دينهم ما كانوا يرجعوا مالا أخذه الخراج . فحل عهد من قانع في الأولين والآخرين أن يرد الخراج إلى أهل البلاد التي يفتحها ، بناء على أن الخراج لا يباح أخذه إلا لأجل حفظ البلاد والدفع عنها ، وإن المعجز عن ذلك وإن كان في سبيل الدفاع عن تلك البلاد يوجب رد الأموال إلى أصحابها ؟ لا لا ، إن هذا العدل والورع لم يعرفه البشر إلا من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن كان من وليهم من خلفاء العرب وأمرائهم ذويهم ، فهم يفضلون سائر الأمم في رقتهم وقناعتهم

كان بنو أمية أحرض العرب على نعيم الملك وسعة العيش ، فخرجوا في كثير من أمر السلطة والتصرف في بيت المال عن السنة المتبعة وسيرة الخلفاء الراشدين

وانما استقام عليها منهم عمر بن عبد العزيز . أما سيرتهم في الغزو والقضاء بين الناس وإدارة البلاد فكانوا يتحرون فيها العدل والرحمة ، وكذلك كانت سيرة العباسيين في الشرق ، والامويين في الغرب (أي الاندلس) ومن شذ عن ذلك لغير سبب حفظ الملك كان مذموما وعرضة للعقاب ، وقد تضاعفت ثروة الممالك واستبحر عمرانها بعد أن انتزعوها من الروم والفرس . بما كانوا يسوسونها به من الرحمة والعدل ، ولم يفتن لهذا بعض الكتاب الذي انبرى في هذه الايام الى ذم ولاية العرب بكونهم لم يكن لهم هم إلا جباية الخراج ، وقوله في أفراد منهم انهم لم يفعلوا شيئا للبلاد ، أو لم يقل فلان المؤرخ انهم فعلوا شيئا — وهو يعلم علما ضروريا ان عدم القول لا يستلزم عدم الفعل ، وان ماسكت عنه زيد يجوز ان لا يسكت عنه عمرو ، ويعلم علما تقليا أن مزية الفاتحين الاولين من العرب هي العدل والرحمة لا الصناعة التي امتاز بها مؤسسو الاهرام وأمثالهم ، وكانت ولا تزال شاهدة على استبدادهم وظلمهم كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه قلة دخل بيت المال بمصر بكثرة دخول الناس في الاسلام ، ويستأذنه في ضرب جزية على المسلمين . فكتب اليه عمر هذه الكلمة العالية « ان محمدا (ص) بُعث هاديا ، ولم يبعث جابيا » وكتب اليه عدي بن أرطاة : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فان قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجهم (وفي رواية : لست أقدر على استخراجهم) من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فعل « فأجابه بقوله : « أما بعد فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب بشر ، كأنني لك جنة من عذاب الله . وكأن رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه ينة عدول فخذها بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذها بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله . وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم ، أحب الي من ألقى الله بدمائهم . والسلام »

وروي عن يحيى الغساني أنه قال : لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقا وتبعا ، فكتبت الى عمر أعلمه حال البلد وأسأله :

١٨٨ قاعدة القوة للحق وهداية الاسلام والمسيحية فيها [المنار: ج ٣ م ١٨]

آخذ الناس بالظنة ، وأضربهم على التهمة ، أم آخذهم بالينة ، وما جرت عليه السنة ؟ فكتب الي أن خذ الناس بالينة وما جرت عليه السنة ، فان لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا ونقبا .

ومن ضروب العبرة في هذه الحرب ما تراه في كلام كثير من الكتاب من بنائها على قاعدة من قواعد المدنية الحديثة قررها الالمان وتوسعوا في فلسفتها وألفوا فيها السكتب ، ووافقهم عليها من وافقهم بالقول والفعل أو بالفعل دون القول - وهي قاعدة « الحق للقوة » - وقد نشرنا في الجزء الذي قبل هذا مقالا في شأن الكتاب الذي ألفه أحد قواد الالمان وعلمائهم (الجنرال فون برنهاردي) في ذلك وسماه (المنطق والمبادئ في الحروب) وفي نقد مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية له ، ومنه تعلم أنهم جعلوا الأثرة وتفضيل الاقوياء على الضعفاء حتى في الحقوق المدنية مما تقتضيه الفضيلة والحكمة بل زعموا أنه من أصول الديانة المسيحية وأحكامها ، وان مساواة الشعب الغالب للشعب للمغلوب لا يجوز في نظر العلم والفلسفة ولا في حكم الدين ندع لعلماء اللاهوت ورجال الكنيسة حكمهم فيما عزاه الجنرال الالماني وغيره الى الديانة المسيحية مع اعتقادنا ان من آداب دين المسيح عليه السلام المبالغة في الايثار (الذي يعبر عنه القوم بانكار الذات) وهو ضد الأثرة التي يـ عليها هذا الفيلسوف الالماني وغيره ، فهو ينافي طلب السلطة وانتزاع ملك الناس وملكهم بالقوة ، لاجل التمتع بالجاه واللذة ، لان من قواعد الانجيل ان يعطي المؤمن ماله لغيره ، فكيف يتفق هذا مع انتزاعه من غيره ما يملكه ؟ وأما الاسلام فهو وسط بين هذه المدنية المادية ، وبين زهد المسيحية ، فهو دين سيادة وسلطة مدنية ، وفضيلة أدبية روحية ، فالايثار فيه فضيلة مندوبة ، وهو في المسيحية فريضة مطلوبة ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) . وأما قاعدة الاسلام في الاحكام فهي العدل والمساواة في الحقوق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والقريب والبعيد ، والحبيب والبغض ، قال تعالى (٥ : ٨ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) والآيات في هذا

المعنى كثيرة أوردنا طائفة منها في الرد على الكاتب الأمريكي الذي زعم — فيما كتبه بمناسبة إلغاء الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية — ان الشريعة الاسلامية جاءت بعدم المساواة بين المسلم وغيره ، وبيننا هنالك انه لاتعرف شريعة في الارض قررت هذه المساواة غير الشريعة الاسلامية . وقد جرى على ذلك الخلفاء الراشدون على وجه الكمال ، وكان هو الاصل والقاعدة عند الامويين والعباسيين في القضاء . وانما وقع الشذوذ والخروج عنه في بعض الاحكام السياسية والعسكرية

واقعة مساواة عمر بن الخطاب بن علي صهر الرسول وابن عمه وبين رجل من عامة اليهود ، وغلط عمر في تسمية اليهودي وتكنية علي ، واستياء علي منه لتفضيله اياه على خصمه بالتكنية ، واعترافه هو بأن ذلك خطأ — واقعة مشهورة معروفة . وقد جرى لعمر بن عبد العزيز ما يقرب منها :

قال الحكم بن عمر الرعياني : شهدت مسلمة بن عبد الملك بمخاصم اهل دير اسحق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصاؤك بين يدي . ولكن وكل بخصومتك من شئت والا فجائي ^(١) القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته ففضى عمر عليه بالناعورة . ذكره الحافظ ابن الجوزي في سيرته

قلت أن هذه الواقعة تشبه واقعة علي مع اليهود . وأعني بالتشبيه المساواة في التكريم والاحترام بين الرفيع وان كان بيت النبوة أو الملك وبين سائر الناس حتى من غير المسلمين ، فعلي كان سيد آل بيت الرسول وعمادهم ، ومسلمة كان من بيت الملك فهو ابن عبد الملك بن مروان ، وناهيك بما كان لبني عبد الملك من العز والسلطان .

أما المساواة في الحقوق نفسها فكانت هي الاصل الذي يجري عليه كل الحكام الا من شذ لاسباب عارضة أو لفساد في خلق الشخص ووقائعها في عهد عمر بن عبد العزيز لا تحصى . وقد كان أول مظلمة رفعت اليه يوم توليته مظلمة

« ١ » اي اجلس بازائهم جائيا على ركبتيك مثلهم اذلا تميز في الخصومة بين ابناء الخلفاء والامراء وبين دهاء الناس كاهل الدير وغيرهم

ذمي من أهل حمص ادعى ان العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبه أرضه ، قال عمر : يا عباس ماتقول ؟ قال أقطعنيها — أي الأرض — أمير المؤمنين الوليد بن الملك وكتب لي بها سجلا . فقال : ماتقول يا ذمي ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه يا عباس ضيعته . فردها عليه

وقد كان أهل بيت الملك من بني أمية تأثلوأضياعاومزارع كثيرة من بيت المال، وكان لبعض الناس في بعضهاحق أو مقال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها، وكان أول مابدأ به رد ماكان له ولولده من ذلك

وروى انه استشار مولاه مزاحما في ذلك فقال : يامزاحم ان هؤلاء القوم اعطونا عطايا والله ماكان لهم ان يعطونا اياها وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار الي ليس عليّ فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم يا أمير المؤمنين هل تدري كم ولدك ؟ انهم كذا وكذا . قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويقول . أكلهم الى الله تعالى . ثم ذهب مزاحم وذ كر ذلك لعبد الملك بن عمر عسى ان يكف أباه عن ذلك . فقال له عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يامزاحم . ثم وثب فانطلق الى بيت أبيه عمر فاستأذن عليه فقال له الاكذن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال استأذن لي . قال : أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الوقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك . فسمع عمر الكلام فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقائلة فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة ، قال : حديث حدثنيه مزاحم . قال فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال وقع رأيي على انفاذه . قال فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني ، أصلي الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ! ومن لك ان بقيت الى الظهر ان تسلم لك نيتك الى الظهر ! فقال قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة . فيجتمع الناس (قال اسماعيل بن أبي حكيم الراوي لهذه الواقعة وهو من رجال صحيح مسلم) فنادي المنادي : الصلاة

جامعة. فخرجت فأتيت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطوناها ،
وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار اليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا
واني قد رددتها وبدأت نفسي واهل بيتي . اقرأ يا مزاحم .

قال الراوي : وقد جيء بسفط قبل ذلك - او قال جونة - فيها تلك الكتب .
فقرأ مزاحم كتابا منها فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر ويده
جلم (أي مقص) فجعل يقصه بالجلم ، واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرؤه فلما فرغ
منه دفعه الى عمر فقصه ، ثم استأنف كتابا آخر ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر
هذه هي أحكام الاسلام فمن خالفها كان خارجا عن هديهم ، استعملوا القوة ، في
اقامة العدل مع الرحمة ، وبذلك ساد من ساد من خلفائهم ودولهم ، فقاعدتهم
« القوة للحق » وقاعدة المدينة الحديثة « الحق للقوة » واما المتأخرون منا فهم
مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وما رأيت أصدق في وصف
القوم ووصفهم من قول شاعر بني العنبر أول شعراء الحنابلة :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي	بنو الأقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن	عند الحفيظة ان ذو لؤثة لانا
قوم اذ الشر أبدي ناجذيه لهم	طاروا اليه زركات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	في النسابات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد	ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة	ومن اساءة أهل السوء احسانا
كان ربك لم يخلق لخشيته	سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا	شنو الإغارة فرسانا وركبانا

ومن ضرور العبرة في هذه الحرب ، انراه في أخبارها من الكذب والتناقض
والتعارض والتهاثر والتأويل والتأويل ، يشترك في

ذلك أصحاب الشركات البرقية . والجرائد السياسية ، حتى سرى الى المجالات التاريخية والعلمية ، بل لم يعد أحدهم الناس يثق كل ائمة بالانقارير والبلاغات الرسمية ، لانهم يرون كل خصم يكذب خصمه في أخباره الرسمية . ولو سئل أصحاب الجرائد في كل قطر من الاقطار عن سبب ما ينكر عليهم مما ذكر — لا جابوا : ان سببه الاول تضيق حكوماتنا علينا ، وإلزامها إيانا عرض كل ما نكتبه على رقائنا الذين سلبوا حرية الكتابة منا ، مع اجتهادنا في جعل ما نكتبه موافقا لمصلحتنا ، وتجنبنا من تلقاء أنفسنا كل ما نرى ان نشره مخالف سياستها .

هذا عذر عارض ، والمشهور بين الناس ان الجرائد لا تتحرى الصدق فيما تنشره لان في أيام السلم وعهد الحرية ، ولا في أيام الحرب وعهد المراقبة ، وانها تعتمد الكذب والتمويه اذا كان لها في ذلك منفعة . والحق انها توارىخ فيها الصادق والكاذب ، والحق والباطل ، تجمع بين الدرة والبعرة ، وتأتي بالذرة واذن الجرّة ، وانني لا أشهد خريرة من الجرائد التي أعرفها في الشرق انها تمثل حال البلاد التي تصدر فيها والامة التي تتكلم عنها تمثيلا صحيحا كما يعرفه المختبر للبلاد والامة . ولو كانت هذه الجرائد في عصر رجال الجرح والتعديل من المحدثين ، لجمعوا أصحابها في عداد الوضاعين ، ولم يرتقوا بهم الى درجة الضعفاء أو المدلسين . كيف وقد ضعف بعضهم القاضي الواقدي وبعضهم قال انه كذاب وانه كان يضع الحديث . وهو من اكبر الحفاظ واشهر المؤلفين ، كتب عنه سليمان الشاذكوني كتابا ثم اتاه فسأله عما كتبه عنه قبل ان يخرج به ، فاذا هو لم يغير حرفا منه

لم أمنّ أمة من أمم العلم بمثل ماغني به المسلمون من ضبط الرواية في القرون الاولى . فان كانوا دونوا في توارىخهم كل ما قيل ماصح منه وما لم يصح لاجل الجمع والاحصاء ، فالعمدة عندهم على الاسانيد ، فما كان محل الشبهة منها أمكن تمحيص الرواية فيه بالبحث عن رجال سنده . فاذا انفرد بعض الرواة او المؤرخين بطعن في العلويين أو الامويين أو العرب — مثلا — يمكننا بالنظر في السند أن نعرف هل فيه أحد المتعصبين غير الثقات من النواصب أو الروافض أو الشعوية فتنهم بوضعه أم لا ؟ وتحرير هذه المسألة لا يمكن الا بمقال طويل ، وعلى الله قصد السبيل .

مَذْكُورَاتُ دُرَرِ الدَّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٥

الفرق بين الهواء الداخل الى الرئتين والخارج منها

الهواء الداخل الى الرئتين تركيبه عين تركيب هواء الجو أعني هكذا: —

أكسجين ٢٠ و ٩٦ في المائة (١)

» » ٧٩

غاز حامض الكربونيك (وهو غاز ثاني أكسيد الفحم) ٠٤ و ٠٠ » »

بخار الماء كميته مختلفة

وحارة هذا الهواء تختلف باختلاف اجابات والأوقات وغير ذلك

أما الهواء الخارج من الرئتين فتركيبه كما يأتي: —

أكسجين ١٦ و ٠٣ في المائة

» » ٧٩

» » ٤ و ٤٠

الهواء مشبع به

كحرارة الجسم

نيتروجين

غاز ثاني أكسيد الفحم

بخار الماء

الحرارة

يفهم من ذلك أن النيتروجين لا تغير كميته لعدم حاجة الجسم اليه من طريق

التنفس فيذوب في الدم كما يذوب في الماء ولا عمل له في الجسم مطلقا. وفائدة

النيتروجين في الهواء تخفيف مقدار الأكسجين فيه ، فاننا اذا استنشطنا أكسجين

(١) هذه المقادير بالحجم لا بالوزن

(المجلد الثامن عشر)

(٢٥)

(المنار - ج ٣)

ختمنا احترق جسمنا بسرعة كبيرة ونحف واحتجنا الى مقادير عظيمة من الطعام
تعويفنا هذا النقص الكبير فاذا اقتضت الحكمة الالهية تخفيفه باليتروجين
نعم ان النيتروجين ضروري لتركيب جميع الخلايا الحية ولكنه يصل الى الجسم
في الطعام وفي الشراب (كالابن) لا بطريق التنفس - كما قلنا -

بأن الأكسجين الداخل مع الهواء فكميته أكثر من كمية الخارج معه ، لانه
يتحد مع هيموجلوبين تكريت الحمراء ويدور مع الدم فاذا وصل الى أنسجة
الجسم جذبه اليها وانجذبت به وهذا ما يسمى « بالاحتراق الداخلي » أو « التنفس
الداخلي » اللازم حياة الجسم

وإذا اتحد الأكسجين مع أجزاء الجسم تولدت مواد أخرى بقاءها ضار
بجسمه فتدور مع الدم لتفرزها الأعضاء المختصة بذلك كالكليتين والجلد في
بول والعرق

ومن هذه المواد الناشئة من الاحتراق الداخلي غاز ثاني أكسيد الفحم والماء وهذا
هو السبب في زيادة غاز ثاني أكسيد الفحم والماء في الهواء الخارج من الرئتين
وقد وجد علماء الفسيولوجيا أن الهواء الخارج من الصدر يشتمل أيضا على
بعض مواد بيروجينية عضوية ولكنها لا يكتسبها إلا الآن ماهيتها ولا تركيبها
وهي سبب في رداءة رائحة هواء الغرف المسكونة ، وإذا تنفسها الانسان مرة أخرى
أضرته بصحته ضررا بليغا يفوق ضرر استنشاق القليل من غاز ثاني أكسيد الفحم ،
فإن هذا الغاز لا يفسد تركيب أي جزء من أجزاء الجسم ، ولكنه اذا ملأ الجو
منه الانسان اختناقاً لعدم وجود الأكسجين فيه

المواد المختلطة بالهواء

وإن وجد في الاهوية تناسدة غير ذلك أيضا مواد أخرى غازية ضارة
لإنسان ضررا بليغا ومن أهمها الهيدروجين المكربت وهو الذي يتولد من
تفريغ فضلات وغيرها ، وهذا الغاز يفسد الدم ويضر بالجسم أيضا

وكذلك أول أكسيد الفحم فانه سام جدا ، وهو يتولد من الاحتراق الناقص للفحم
، يوجد في الهواء أيضا ميكروبات وذرات مختلفة من التراب والمعادن والفحم

وغير ذلك، فالميكروبات تحدث أمراضا عديدة في أجسام الانساني، وتلك الذرات تحدث أيضا نزلات شعبية والتهابات رئوية مزمنة

لهذا كله يجب أن يكون الهواء المستنشق نقيا من كل ما تقدم فلا يكثر فيه أكسيد الفحم الناشئ من أنفاس الحيوانات والنباتات أيضا ومن اشتعال النيران، ويجب أن يكون هواء الأماكن المسكونة بعيدا عن المراحض، دائم التجدد، معرضا للشمس فانها تقتل كثيرا من ميكروباته، بعيدا عن الأتربة والمصانع التي تثير غبارا من المعادن وغيرها
سنة الله في الأكسجين والكاربون

ولا يتوهم القارئ مما سبق أن كمية الأكسجين في الهواء آخذة في انقراض شيئا فشيئا بسبب التنفس وبسبب النيران، فإن الله تعالى وضع ذلك سنة حكيمة بها يبقى الأكسجين في الهواء إلى ما شاء الله، وذلك بأن جعل الورق الأخضر لجميع النبات يحلل (بتأثير أشعة الشمس فيه) غاز ثاني أكسيد الفحم فيمتص منه الفحم ويخرج الأكسجين. وهذا الفحم بآثاره مع عناصر أخرى تتركب منه أخشابها وما فيها من صمغ وسكر وزيت وغير ذلك. فكان الفحم الخارج من الانسان وغيره من الحيوانات ضروري للأشجار فاذا أكل الانسان شيئا من هذه الأشجار عاد إلى جسمه ثم يحترق فيه فيخرج في الهواء فيعود إلى الشجر، وهكذا كالدائرة

وبحركة الرياح (وهي ناشئة من اختلاف درجة حرارة الهواء) وبتماوج ذراته وانتشارها توجد حركة دائمة في هواء الأرض فتبثر الأكسجين وتنتشر في جميع الجهات، ولولا ذلك لماتت الحيوانات التي في البقاع الخالية من الأشجار

ومن الخطأ العظيم تغطية الوجه أثناء النوم وكذلك غلق منافذ الغرف مع وجود أشخاص فيها أو مصابيح وغيرها فإن ذلك قد يقتل الانسان
أما ثاني أكسيد الفحم المتكون من الاحتراق الداخلي فانه يوجد في الدم لا ذائبا فيه بل متحد مع عنصر الصوديوم بصورة كربونات الصوديوم أو بيكر بونات الصوديوم، فاذا وصل هذان الملحان إلى الرئتين خرج من البيكر بونات ثاني أكسيد الفحم

بطريق الاكسوسموز، ومما يساعده في خروجه الخلايا المبطنة للحويصلات الرئوية فتفرزه. وسبب حصول الاكسوسموز هو نقصان كمية ثاني أكسيد الفحم في الهواء، كما أن السبب في دخول الاكسجين من الهواء في الدم هو أيضا قلة الاكسجين في الدم عنها في الهواء. وقبل دخول الاكسجين للدم يذوب في الرطوبة التي تغطي جدران الحويصلات الرئوية ومنها يدخل للدم. ويجب أن لا يتوهم القارئ أن كل الهواء الذي في الحويصلات الرئوية يخرج منها أثناء الشيق، فالواقع أنه يخرج جزء منه ويبقى جزء آخر، وبطريقة الانتشار يسرع أكسجين الهواء الى الداخل لكثرته وغاز ثاني أكسيد الفحم الى الخارج لكثرته أيضا — كما سبق بيانه —

ثقل غازات الهواء

من تأمل في تركيب الهواء والفرق بين درجات ثقل غازاته وجد أن النيتروجين من أخفها، وغاز ثاني أكسيد الفحم من أثقلها، فلذا يتكاثر هذا الغاز الأخير بقرب سطح الأرض وفي الحفر وكلما ارتفع الانسان نقصت كمية هذا الغاز وزادت كمية النيتروجين، ولذا كثيرا ما سمعنا بموت أشخاص هبطوا الى أماكن منخفضة كالآبار وغيرها

أما الأكسجين فلكونه أثقل من النيتروجين يكثر في الهواء المجاور للأرض ويقل في جو السماء، يشعر بذلك من تَوَقَّل [صعد] في جبل عال أو حلق في الجو بطيارة وأعظم علو أمكن للانسان أن يصل اليه في القباب الطائرة أو الماطيد أو الجبال هو ٨٨٣٨ مترا. أما الصعود بعد ذلك فيؤدي الى هلاك الانسان إما لنقص الأكسجين أو لانفكاك غازات الدم منه فتحدث أعراض خطيرة. ويتعسر التنفس أو يتعذر بسبب نقص كمية الأكسجين نقصا عظيما فلا يحدث الاكسوسموز. زد على ذلك أنه اذا عاش الانسان بضع دقائق في ذلك المكان المرتفع حصل له نزف من الأنف أو الرئتين أو غيرها لقلّة ضغط الهواء الجوي على جسم الانسان. ولتعلّم أن الصعود الى نحو ٥٠٠٠ مترا لا يوافق جمهور الناس حتى المتعودين لذلك من سكان الجبال

أما ارتفاع هواء الجو فلا يقل عن ٣٠٠ كيلو مترا

التنفس الصناعي

إذا بطل تنفس الانسان بسبب ما كاستنشاق الكاورد فورم أو الفرق في الماء أو استنشاق غازات الاحتراق أو غير ذلك مما يبطل التنفس أمكن إعادة الحياة الى المصاب بطريقة « التنفس الصناعي » واستعمال المنعشات ونحوها بشرط أن لا تكون المدة قد طالت ، وأن لا تكون أنسجة الجسم قد بدأ فيها أقل شيء من الفساد

أما طريقة التنفس الصناعي فهي أن تزيل كل ما أمكنك إزالته مما قد يوجد في مجاري التنفس كالماء في الفريق مثلا بان تقلب المصاب على وجهه وترفع رجله الى أعلاه ثم تضعه على مكان عال لتتمكن منه وتخضع رأسه وتخرج لسانه بشده بمقبض (جفت) أو نحوه ثم تمسك بعضديه وتجذبهما الى أعلا رأسه ثم تخفضهما الى جنبيه وتضغط بهما على صدره، ويستحسن أن يساعدك شخص آخر في ذلك الوقت بان يضغط على بطنه أيضا ليرتفع الحجاب الحاجز فيحصل الشيق بسبب ذلك، أما الزفير فإن الذي يحدثه هو جذب الذراعين المذكور هنا. ويتكرر هذا العمل في الدقيقة الواحدة نحو خمس عشرة مرة، ولا يصح اليأس من عودة الحياة الا بعد مضي نحو ساعة على الأقل . وفي أثناء هذا العمل توضع خرق مبتلة بالماء الحار على القلب أو ينبه الحجاب الحاجز بالضرب بمثل المنشفة على قسم المعدة وينشق المصاب (كبسول الأمل نيتريت) ويحقن بالاستركنين أو الأثير أو غيرهما تحت الجلد ويحقن بجزء من الخمر أو الكحول في الشرج الى غير ذلك . فاذا فعلت جميع هذه الاشياء باستمرار عادت الحياة غالبا خصوصا اذا كانت ضربات القلب موجودة . ومن أحسن المستنشقات في ذلك الوقت غاز الاكسجين إن وجد

جهاز الهضم

مقدمة في الغدة

قبل البدء في الكلام على هذا الجهاز ينبغي أن نبدأ بتعريف كلمة « الغدة » لشدة الاحتياج اليها فيما سيأتي

تطلق هذه الكلمة على ثلاثة أنواع من أجزاء الجسم : —

(١) الغدة اللمفاوية وهي عبارة عن شيء كعقدة مركبة من عدة كريات تشبه كريات الدم البيضاء ، يمسك بعضها بجانب بعض مادة تسمى بالمنسوج الضام ، ووظيفتها تنقية المواد اللمفاوية من الميكروبات وغيرها ولذلك نجد كثيرا منها موضوعا في طريق الأوعية اللمفاوية بحيث تصب فيها ثم تخرج منها — كما سبق —

(٢) غدة الافراز وهي التي تخرج مواد كثيرة من الجسم بعضها له منفعة خاصة والبعض الآخر لا نفع له وإنما تخرجه لضرر بقاءه في الجسم . مثال الاول اللعاب والابن ومثال الثاني البول والعرق ، وقد يكون الشيء الخارج له نفع في الجسم ويضر بقاءه فيه كالمرة وهي المادة الصفراء التي يفرزها الكبد

وتتركب الغدد الافرازية من غشاء مجهري [ميكروسكوبي] يوجد على سطحه خلايا الافراز وتكون طبقة واحدة في الغالب ، وتوجد عدة طبقات منها في مكان شهير بالجسم وهو الخصية ، وعلى الجانب الاخر من هذا الغشاء المذكور توجد أوعية الدم ومنها تخرج المواد بطريق الاكسوسموز فتصرف فيها الخلايا وتخرج منها مواد كيميائية عجيبة التركيب

أما أشكال هذه الغدد فمنها الكيسي وذلك بأن ينبعج الغشاء الى جهة الأوعية الدموية فيتكون كيس صغير مبطن بالخلايا وله فوهة يخرج منها الافراز ومنها الأنبوبي وهي التي يكون لها تجويف كالأنبوبة لا كالكيس ، ومنها الأنبوبي المتفرع ، ومنها عنقودي الشكل ، ومنها المتوي

ويلاحظ أن في هذا النوع من الغدد قناة في داخل الغدة الافرازية وفيها تجري ممرزاتها كالابن والعرق وغيرها

أما الضرب الاول من الغدد فلا قناة لها

وأما الضرب الثالث فهو أيضا لا قناة له وهو يشمل عدة أعضاء في الجسم كالطحال (وهو نوع من الغدد اللمفاوية) والغدة الدرقية والغدة السعترية في صدور الاطفال ، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في فصل خاص والذي يهمنا في الكلام على المضم هو الضرب الثاني

تشرح الجهاز الهضمي ووظيفته

يبتدىء هذا الجهاز بالفم ثم المري ثم المعدة ثم الامعاء الصغيرة والكبيرة وينتهي بالدبر. ويصب فيه عدة افرازات من غدد متنوعة لهضم الطعام ولغير ذلك، وتتم فيه الاغذية والاشربة في مدة تختلف من يوم الى يوم ونصف وقت تكون أقل من ذلك بكثير كاحوال الاسهال وقد تكون أكثر من ذلك في أحوال الإمساك

أما الفم ففيه اللسان والاسنان وغدد اللعاب وفي نهايته توجد الناقورة ووظيفته اللسان هي تحريك الطعام ليمتزج باللعاب ويمكن مضغه وبلعه، ومن وظائفه أيضا الكلام كما سبق، وإدراك طعوم الأشياء وجليه مدار معرفة ما ينفع الانسان وما يضره من الماء كولات والمشروبات. وإدراك الطعوم الذائقة بحركات شهوة الطعام فيجيد هضمها

أما الاسنان فهي عادة نوعان: الاسنان اللبنية أو المؤقتة، والاسنان الدائمة، وقد ينبت للشيوخ أسنان مرة ثالثة ولكنها مسئلة نادرة الحصول
أما الاسنان اللبنية فهي ٢٠ والاسنان الأخرى ٣٢ منها ١٦ في الفك الأعلى و ١٦ في الفك الأسفل

وعلى الاسنان مدار جودة هضم الطعام لأنها تهشمه وتسحقه الى قطع صغيرة لتتمكن الأعصرة الهاضمة من الوصول الى جميع أجزائه، فمن ازدرد طعامه بلا مضغ أضر بجهاز الهضم خصوصا وبالجسم عموما، فيجب إطالة المضغ وإتقانه. ويجب علينا أيضا المحافظة على الاسنان وإلا أصابها العطب وفقدناها فنخسر جزءا عظيما من أجزاء جهاز الهضم. وأعظم شيء للمحافظة عليها هو تنظيفها جيدا وعدم استعمال شيء بارد على شيء ساخن في الفم أو بالعكس فإن ذلك من أعظم ما يفسدها وأشهر أمراض الاسنان نوعان: -

(١) النوع الاول ان يصيبها الحفر (التسويس) وهو عبارة عن ثقت جزئية من عظم السن وانكشاف له والتهاب هذا اللب فيحصل بسبب ذلك ألم شديد يحرم الانسان لذة النوم والطعام وتموت السن فسادا أوعية الدم المغذية لها التي في داخل اللب. والميكروب المسبب لذلك يسمى (Dactylitis Buccalis) أي

«الشعرة الدقيقة الفمية» ويوجد في هذا المرض أيضا الاميا^(١) الفمية [Amocha] وعلاجه يكون باعدام العصب الذي في داخل اللب بمادة كاوية كحامض الفنيك أو الكريوزوت، وذلك يطهر اللب ويسكن الألم . والاولى أن يعدم اللب بأ كسيد الزرنيخوز - كما هي العادة - ثم يحشا التجويف بالذهب أو بمواد أخرى يعرفها أطباء الاسنان كالخرف، وهو أحسن من غيره

(٢) النوع الثاني داء ريج (Rigg) وهو مرض كثير الانتشار بين الناس يبدأ بالتهاب حول جذر السن في سمحاق العظم فتكون مواد صديدية وبضغطها على جذر السن يرتفع شيئا فشيئا حتى تسقط ، وهذا الداء هو سبب سقوط أسنان كثير من الناس ، وسببه دخول ميكروب خاص الى جذر السن من أي تقرح صغير في اللثة وهذا الميكروب يسمى (الاستربتوكوك^(٢) اللعابي) [Streptococcus] وهو يوجد عادة في أفواه جميع الناس، إلا أنه في بعض أحوال مخصوصة كضعف البنية بسبب ما - يمكن من ايداء الانسان فيدخل الى جذور الاسنان وهناك يفعل فعلته الشنم.

ولا علاج ناجما لهذا الداء سوى الحقن بميكروب المرض^(٣) المأخوذ من نفس المريض كما سيأتي توضيحه والا فالمبادرة الى قلع ما يصاب به من الاسنان والاستعاضة عنها بأسنان صناعية واستعمال المطهرات المتنوعة والنظافة التامة للفم مع تقوية البنية بالاغذية الجيدة والهواء النقي وغير ذلك . ومما يسكن الألم في هذا المرض استعمال مضمضة من الخل، وهي فائدة شائعة بين العامة

وأحسن طريقة لنظافة الاسنان هي استعمال السواك خصوصا بعد كل طعام . وهو يؤخذ من شجرة الاراك، وفيه مواد عطرية مطهرة بعض التطهير للفم ومعترة

(١) اسم يوناني معناه « المتغير » يطلق على حيويين دقيق ذوخلية واحدة ، وهو دائم التغير لشكله ، وله حركة ذاتية

(٢) أي البزور السلسلية لوجودها بهيئة سلاسل حينما يراها الانسان بالجمهر . والكلمة يونانية

(٣) ذلك يشبه ان يكون مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

له وتساعد على الهضم أيضا وهو يشد اللثة لقبض فيه . ويسمى الاراك بعض الافرنج (شجرة محمد) لحث الشريعة الاسلامية على استعمال السواك كما هو معلوم ، ولا يغني عنه الا استعمال المسفرة (الفرشة) مع بعض أدوية عطرية مطهرة قابضة ، ويجب عليها بعد كل استعمال والا تكاثرت فيها الميكروبات الضارة بالاسنان ، وكذلك يجب تجديد طرف السواك بعد كل استيائك

أسماء الأسنان ووقت ظهورها

أما أسماؤها فهي : — ثنيتان في الوسط وبجانبيهما رباعيتان ثم نابان ثم ضاحكتان ثم ست أرحاء ، ثلاث في كل جانب ، ثم اُجذان ، واحد في اليمين وآخر في اليسار وهما آخر الاضراس . وذلك في كل من الفكين الأعلى والأسفل

وقت ظهور الأسنان

الاسنان اللبنية تظهر في الطفل من الشهر السادس الى الرابع والعشرين على هذا الترتيب : —

الثنيتان السفليتان	٦ - ٩ أشهر
الثنيتان العلويتان والرباعيتان العلويتان	٨ - ١٠ أشهر
الرباعيتان السفليتان والضواحك	١٥ - ٢١ شهرا
الناب	١٦ - ٢٥ شهرا
الأرحاء	٢٠ - ٢٤ شهرا

وليس للطفل سوى أربع أرحاء في فمه ، وأسنانه كلها عشرون فقط وهذه المدد تقريرية فانها تختلف كثيرا بحسب بنية الاطفال واختلاف أمزجتهم وغير ذلك . فمنهم من يولد وفيه اثنايا ظاهرة ، ومنهم من يتأخر ظهور أسنانه الى نهاية سنة ثانية أو الى عدة سنين بعدها

وفي وقت ظهور الأسنان تصاب الاطفال عادة ببعض اعراض مرضية كالاسهال وانقي ، والحمى والضعف . وتنتهي كمات أسنان الطفل العشرون يمكث بها الى السنة السادسة أو السابعة ثم يظهر خريس (بحي) خلفها في السنة السادسة أو السابعة وتسقط

بأقي الأسنان واحدة بعد الأخرى ويظهر مكانها غيرها على هذا الترتيب : —

في السنة	السادسة :	الأرحاء الثانية
»	»	السابعة : اثنا
»	»	الثامنة : الرباعيات
»	»	التاسعة : الضواحك
»	»	العاشرة : الأرحاء الأولى
»	»	١١ — ١٢ : الأنياب
»	»	١٣ : الأرحاء الثالثة
»	»	١٧ — ٢٥ : النواجذ

فترى من هذا أن الأسنان التي تظهر في السنة ١٣ أو ١٣ يكمل الشاب بها إلى السنة ١٧ فيظهر ضرس العقل أو الحلم وهو الناجذ إما في هذه السنة أو فيما بعدها إلى ٢٥ أو ٣٠ وفي النادر أن يتأخر عن ذلك

أما أسنان الشيوخ — ان ظهرت — فيكون ظهورها بين السنة ٦٣ و ٨١

وجوب أكل الانسان اللحم والنبات

بالتأمل في أسنان الحيوانات المختلفة نرى ان آكلة اللحوم أسنانها حادة جدا ، أما أسنان الحيوانات الآكلة للنباتات ونحوها فهي كليلية ، وأسنان الانسان متوسطة في حداثتها بين الطرفين . وكذلك اذا نظرنا في مقياس أمعاء الحيوانات المختلفة نجد أن أمعاء آكلة اللحوم قصيرة وآكلة الخضروات ونحوها طويلة وأمعاء الانسان وسط بينهما ، وذلك يدلنا على أن الانسان بطبيعته يجب أن يأكل اللحوم والخضروات جميعا ، وفي ذلك اعظم دليل على خطأ مذهب النباتيين فانه مخالف للطبيعة البشرية ، هذا وقد وجد ان الفيران البيضاء وهي التي لا يؤثر فيها ميكروب الجرمة الخبيثة تتأثر به اذا غذيت بالنباتات فقط . فلا يبعد أن يكون الانسان كذلك بمعنى أنه يصير عرضة لبعض الامراض إذا اقتصر على الخضروات (راجع صفحة

١٧٩ من كتاب Manual Of Bacteriology تأليف Hewlett)

اللعب

يتولد اللعب من غدد مخصوصة وهي ثلاث : الغدة النكفية وموضعها تحت
الاذن وأمامها ، وتسمى أيضا الأذنية ، ولها قناة تمتد منها الى الفم تسمى قناة
ستنسون (Stenson) وفتحتها بقرب الرحي الثالثة للفك الاعلا

والغدة الثانية تحت الفك الأسفل ولها قناة تسمى قناة هوارتون (Wharton)
تصب بجانب قيد اللسان ، وفتحتها مرتفعة قليلا كحلمة صغيرة
والغدة الثالثة تسمى « الغدة التي تحت اللسان » لأنها تحت الغشاء المخاطي
المكون منه قيده ، ولها عدة قنوات بعضها يفتح في الفم مباشرة وهو الأكثر والبعض
الآخر تتكون منه قناة أكبر تصب في قناة هوارتون المذكورة

واللعب مركب من ماء وزلال وأملاح متعددة ومادة مخصوصة تدعى
« اللعبين » وهي أهم ما فيه . « واللعبين » ^(١) من الخماز التي سيأتي توضيحها في الفصل
التالي . وفي لعب الانسان أيضا آثار من مادة سامة جدا لاتعرف فائدتها الآن ،
وربما كانت مما يقتل الميكروبات . ووظيفة اللعب أن يرطب الطعام حتى يسهل مضغه
وازدراجه ويذيب بعض مواد هيدرك طعامها وهو ضروري للنطق الفصيح ويهضم
المواد الشوية التي في الطعام فيحولها الى سكر يسمى الملتوز (أوسكر الشعير) ^(٢)
ويستمر تأثير اللعب في المواد الشوية حتى بعد وصولها الى المعدة بنحو ربع أو
نصف ساعة حتى يفسد عصير المعدة الحضي مادة اللعبين فيبطل تأثيرها في نشا .
واللعبين لا يهضم النشا غير المطبوخ لانه لا يؤثر في مادة « المللولوز » المحيطة
بذراته ، وهي مادة الخشب أيضا

(١) في اصطلاح علم الكيمياء كثيرا ما يتركب اسم المادة الفعالة في الشيء
بإضافة (ين) إليه فشلا (البنين) هو اسم المادة الفعالة في البن أو القهوة ولذلك
يسمى أيضا (القهوين) وهكذا . فاللعبين مادة اللعب الفعالة في الهضم وقد جازينا
هنا الافرنج في هذا الاصطلاح كما جازيناهم في غيره مما سبق بيانه لسبقهم لنا في
العلم والاختراع والاكتشاف

(٢) سمي بذلك لانه يتولد في التعبير الثابت (Alkal) وغيره لتغيرات كيميائية
تحصل في نشائه اذا ابتل بالماء

اللوزتان

أما اللوزتان فهما غدتان لمفاويتان موضعهما على جانبي الحلق في منتهى الفم يخرج منهما كريات بيضاء تبرز باللعاب أو تسير في الدم . وفائدتهما قتل بعض الميكروبات بهذه الكريات البيضاء وقتل ما يقف عليهما من الميكروبات أيضا أو يدخل فيهما ، فهما كحصنين يقتلان ما اقترب منهما ويبعثان بجنودهما في اللعاب لقتل بعض الأعداء التي تحمل في أجزاء الفم المتنوعة . وهذان الجسمان كثيرا ما يحصل فيهما التهاب يحدث عنه الحمى ويمرض الجسم بسببها ، وعلة حصول هذا الالتهاب ضعف البنية ودخول ميكروبات كثيرة فيهما فيزداد حجمهما وتكثر كرياتهما ليتغلبا على هذه الميكروبات ، فإن نجحنا حفظا الجسم من خطر عظيم - وإن كان الإنسان يمرض بضعة أيام أثناء هذه الحرب - وإن غلبا تكون فيهما خراجات أو أفلت بعض الميكروبات منهما إلى الدم فتنشأ عن ذلك أمراض متنوعة كالروماتزم (الرثية) وآفت الثآليل وغير ذلك . ويقل التهابهما في الأقوياء لأن كرياتهم البيضاء تكون قوية فتقتل الميكروبات بسهولة بدون حاجة إلى إثارة حرب عامة

كلمة في الخائثر

يحصل تخمر الأشياء بسبب وجود ميكروبات خاصة ، ومن أشهر أنواع هذه الميكروبات التحول السكر إلى غول (كحول) ^(١) وغاز ثاني أكسيد الفجيم ، ولهذا التخمر سميت الخمر خمر في أحد الأقوال . وهو السبب في فورانها وحرارة طعمها ومن الميكروبات ما يحول بعض أنواع السكر (سكر اللبن) إلى حامض اللبنيك ، وهو السبب في حموضة اللبن فإذا أمكننا منع الميكروبات من الوصول

(١) يسمى الكحول بالدراسية (Alcohol) وهو روح الخمر أو المادة الفعالة فيها وهي سبب جميع شرورها ومضارها ، ويقول الأفرنج إنهم أخذوا هذه الكلمة عن اللغة العربية ، فلظاهر أنها مأخوذة من كلمة « غول » الواردة في وصف خمر الجنة في قوله تعالى (لا فيها غول) وهو ما يغتال العقول ويفسد الصحة (ولا هم عنها ينزفون) أي لا يسكرون منها لعدم وجود تلك المادة الضارة في خمر الآخرة وعليه فيستعمل في كتابنا هذا كلمة (غول) بدل كلمة كحول أو (Alcohol) والمراد بها ما يسمونه (السبرتو) (Spirit)

إلى الأشياء أو قتلها فيها بطل كل تخمر أو تعفن ، فإذا أردنا حفظ اللبن مثلا من أن يخنث وجب أن نغليه غليا جيدا ونضعه في زجاجات معقمة (مطهرة) بحيث لا يصل إليه أي ميكروب ، فيبقى سليما من الفساد طول الدهر ، وهذه الطريقة مستعملة في جلب الألبان إلينا من البلاد الأجنبية كويسرة وغيرها

ومن هذا يتضح أن السبب في الفساد والتعفن هو هذه المكروبات ، وتسمى بالخائثر أما فعل هذه المكروبات فهو إفراز مواد مخصوصة لها تأثير كيمياوي في الأجسام ، وهذه المواد المفردة يسمونها أيضا بالخائثر . وعلى ذلك فالخائثر نوعان : الميكروبات نفسها ومفرزاتها ، وكما أن إفراز هذه المكروبات سمي بالخائثر كذلك يسمى بعض افرازات الجسم بالخائثر أيضا لأنها تؤثر في الأجسام تأثيرا كيمياويا فتحدث فيها تغييرا بالتركيب والانحلال كتأثير إفراز المكروبات ، وذلك مثل اللعاب الذي سبق ذكره في الألعاب . وسيأتي ذكر غيره في بحث مفرزات (عصارات) المعدة والأمعاء . وهذه الخائثر كلها تقريبا مواد آزوتية ، إما زلالية أو قلبية من الزلالية — بحسب ما نعلم الآن — ما عدا البيسين فيقال أنه لا ينتروجين فيه

ومن الغرائب أن إفراز الميكروبات إذا كثر يقتل نفس الميكروبات التي تولده كما في الحُر مثلا فإن غولها يقتل ميكروباتها وغيرها ، وإذا غلب الشيء الذي فيه هذه الخائثر بنوعها ماتت الميكروبات وفسدت الخائثر فيبطل عملها . ومن الخائثر المشهورة مادة تستخرج من غشاء المعدة الرابعة للحيوانات المجترة كالعجول تسمى بالأنفحة ، وفائدتها تحويل اللبن إلى جبن

والميكروبات هي نباتات مجهرية ، بعضها يحتاج لأكسجين مطلق ^(١) يعيش فيه ، والبعض الآخر يعيش بغير أكسجين مطلق

بقية الكلام على جهاز الهضم

يندفع الطعام بعد الفم إلى الملقوم ، وهو تجويف يفتح فيه تحويفا الأنف والفم ثم الخنجرة ، وفي أسفله المريء

وفي جدران الملقوم غدد امفاوية تشبه في منسوجها الازتين ، ووظيفتها

(١) أي غير متحد بشيء يتقيد به

كوظيفتهما أي أنها تقتل الميكروبات كما سبق
أما المري فهو أنبوبة لحمية تمتد من الخافض إلى المعدة وطولها من ٩ إلى ١٠
بوصات ، ويدخل في تركيب جدرانها ألياف عضلية تكون في نحو ثلثه الأعلى اختيارية
وفي الباقي غير اختيارية ، وهو مبطن بغشاء مخاطي كالمتعاد . وفي المري يمر الطعام
إلى المعدة

وأما المعدة فهي كيس كهرلي الشكل تحت الحجاب الحاجز في البطن ،
ولها فتحتان : الأولى منهما متصلة بالمري وتسمى « بالفؤاد » لقربها من القلب ،
والفتحة الثانية تسمى « بالبواب » والمعدة مركبة من ألياف عضلية ومبطنة بغشاء مخاطي
وسطحها الخارجي مغطى بغشاء مصلي وهو جزء من البريتون ^(١)

وفي الغشاء المخاطي عدة غدد لإفراز العصير المعدي . وتتحرك المعدة حركة
غير اختيارية بما فيها من الألياف العضلية وهذه الحركة تشبه مخض اللبن ويراد بها
مزج الطعام بالعصير المعدي حتى ينهضهم الهضم الأول

أما العصير المعدي فأهم ما فيه من المواد هو حامض الهيدروكلوريك ^(٢)
(بنسبة ٢ في الألف) ومادة يسميها الأفرنج (Pepsin) ونسبها بالعربية
« الببسون » وهي خبيرة تفرزها الغدد المعدية ، ويقال إنها خالية من النيتروجين
-- كما سبق -- وعلى ذلك فهي ليست من المواد الزلائية . ووظيفتها تحويل
المواد الزلائية إلى مادة أخرى تسمى بالأفرنجية (Peptone) (أي المضموم) وذلك
بضم عناصر الماء إلى ذرات المواد الزلائية ثم انقسامها فتحدث هذه المادة الببتونية ،
وهي سهلة الذوبان سهلة الامتصاص لكون ذراتها أصغر من ذرات الزلال

وأما نظامه فإنه يمكن في المعدة نحو أربع ساعات فيها يحصل هذا الهضم
الذكوري في المواد الزلائية ، ويتحول سكر النصب إلى مادة أخرى سكرية ، وتقتل
جميع الميكروبات تقريباً في هذا العصير المعدي من الخافض فيصير الطعام
طاهراً الكيلاً يضر الجسم ، فإذا حدث للمعدة ما يقلل إفراز هذا الحامض أو يمنعه

(١) هو الغشاء المغشي بالأحشاء البطنية . ومنه جزء كانديل يسمى بالرب ، ويمكننا
أن نرى البريتون بالعربية (الغشاء الخيط) (٢) مركب من هيدروجين وكالورين

أمكن دخول ميكروبات أو ديدان الى الامعاء ، أو الى الجسم نفسه هذا كله هو وظيفة المعدة ، ولا تأثير لها في المواد النشوية ولا في المواد الدهنية الا بإسالتها وبهضم ما أحاط بها من الغلف الزلالية . والعصارة المعدية لا تنفرز الا وقت الطعام

وأول انفتاح للبواب يحصل بعد نحو ٢٠ دقيقة من نزول الطعام في المعدة فيمر الى الامعاء جزء مما في المعدة ، ثم ينغلق البواب ، ثم يتتابع هذا الفتح والانغلاق في البواب وتأخذ مدة انغلاقه في القصر ومدة انفتاحه في الطول حتى يمر الطعام الذي في المعدة شيئاً فشيئاً الى الامعاء بحيث يمر كله في نهاية الساعة الرابعة تقريباً

وبعد المعدة توجد الامعاء الصغيرة أو الدقيقة ثم الامعاء الكبيرة أو الغليظة أما الامعاء الصغيرة فطولها نحو من ٢٠ قدماً ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :
(١) الاثنا عشري ، وطوله ١٢ أصبعا أو ١٠ بوصات وفيه يحصل الهضم الاعظم للطعام كما سيأتي تفصيله (٢) الصائم ، سمي بذلك لوجوده فارغاً بعد الوجبة عند تشرح الجثة ، يبلغ طوله خمسي الامعاء الصغيرة الباقية بعد الاثني عشري (٣) اللغائف ، وهي الثلاثة الأخماس الباقية من الامعاء الصغيرة

وأما الامعاء الكبرى فتبتدى من الحفرة الحرقفية اليمنى بما يسمى (بالاعور) وفي أسفله مصبر صغير كالودودة يسمى بالزائدة الدودية ، وفيها يحصل مرض مشهور هو التهابها الذي قد يكون سبباً في وفاة الشخص ان لم يتداركه الاطباء بالعلاج الفعال . وهذه الزائدة هي أحد الاعضاء الاثرية الشهيرة في جسم الانسان التي لما ينته الناس الى حل لمعناها أحسن مما ذهب اليه دارون ^(١) وقيل ان لها إفرازاً

(١) هو العلامة الانكليزي (تشارلس دارون) عاش بين سنة ١٨٠٩ و ١٨٨٢ ميلادية . وقد ذهب الى أن الأنواع الحية ليست ثابتة ، ولم يخلق كل منها مستقلاً عن غيره بل نشأ بعضها عن بعض بالتغير التدريجي البطيء مع طول الزمان لعوامل طبيعية بينها بيانا شافيا . وقد توسع العلماء في هذا المذهب حتى طبقوه على كل شيء في هذا الوجود فصار يشمل الجماد والامور المعنوية كالأفكار واللغات =

يحدث لنا قُطْرَد المواد البرازية وترتفع في القولون ، مضادة للجذب الارضي في الحيوانات المنتصبة القامة (القرد والانسان) ولذلك لا توجد في الحيوانات الأخرى ، وإذا استصلت حدث امساك متعاص مستديم يؤدي الى ضعف الجسم ومرضه كما دلت عليه تجاربهم على ما قالوا

وبعد الاعور يوجد القولون ^(١) وهو أربعة أقسام القولون الصاعد والقولون

المستعرض والقولون النازل والتعريض السيني

ثم المستقيم الذي ينتهي بالشرح وهو فتحة الدبر

وطول الامعاء الكبيرة يختلف من ٥ الى ٦ اقدام

والامعاء مركبة من الطبقات الآتية (١) طبقة مصلية وهي من البريتون الذي سبق ذكره (٢) طبقة عضلية مركبة من طبقتين : مستطيلة وحقانية ، فالمستطيلة في الخارج والحلقية في الداخل (٣) الغشاء المخاطي ويفصله عن الطبقة العضلية (٤) طبقة رابعة فيها تتفرغ أوعية عديدة دموية ولمفاوية وأعصاب دقيقة . وفي الطبقة المخاطية غدد كثيرة لافراز العصير المعوي ، منها نوع في الاثني عشري يسمى بغدد (برُونز) ^(٢) ونوع آخر في الامعاء كلها يسمى بغدد (ليركن) وهي من الشكل الأنبوبي البسيط . ويوجد غير ذلك في الغشاء المخاطي وتحت منسوج لمفاوي ، بعضه يتكون منه غدد صغيرة تسمى (بالغدد المنعزلة أو الوحيدة) والبعض الآخر يتجمع على شكل يضاوي يحدث بقعا في طول جدران المصران تسمى ببقع باير (Peyer) ^(٣) وهي توجد بكثرة في اللغائف

وفي هذه الغدد اللمفاوية بنوعها يحصل التهاب بسبب ميكروب مخصوص فتحدث

= والمعتقدات والشرائع وغير ذلك . فحصل هذا المذهب أن الكون بما فيه لم يخلق دفعة واحدة بل خلق أطوارا طبقا لسنة التدرج والترقي . فالمذهب في الجملة صحيح لاشك فيه ، ويكفي في إثباته قوله تعالى (وقد خلقكم أطوارا) وإنما النزاع في بعض تفاصيله ، ومنعود الى بيان ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

(١) القولون اسم هذه الامعاء الغليظة باليونانية ، والكلمة من تعريب المتقدمين

(٢) نسبة لعالم ألماني يدعى « فون برون »

(٣) مشرح سويسري عاش بين سنة ١٦٥٣ و ١٧١٢

عنه الحمى المعروفة بالتيفودية أو الحمى المعوية وهذه البقع المنسوبة لباير لا توجد في الامعاء الغليظة وإنما توجد فيها الغدد المنعزلة فقط — وهي التي تكثر جدا في الأور والرائدة الدودية —

وبالتهاب هذه الغدد التي في الامعاء الغليظة مع الأغشية المخاطية وتقرحها يحصل المرض المسمى بالدوسنتاريا (الزحار) سمي بذلك في العربية لانه يحدث منه زحير شديد متكرر ، ومن أعراضه أيضا المنص الشديد والحمى والاسهال مع نزول مواد مخاطية دموية صديدية متكررة بمقادير صغيرة في كل دفعة وفي الغشاء المخاطي للامعاء الصغيرة ما يسمى بالخمّل وهو كالأهداب لهذا الغشاء ، وهو أعظم آلات امتصاص المواد الغذائية . وفيه أيضا غير ذلك ما يسمى بالصمامات الهلالية لكركنج (Kerkring) وهي عبارة عن ارتفاعات تتكون من ثنيات الغشاء المخاطي على نفسه ، وفائدتها ان تعوق سير الطعام حتى يهضم وأن تكبر سطح الغشاء المخاطي للامعاء ليكثر افرازه وامتصاصه للمواد المهضومة ، ولذلك يتبدى وجودها بعد البواب بأصبعين أو ثلاثة وتكثر شيئا فشيئا خصوصا في الاثني عشري والصائم وكذلك تكبر تدريجا ، ثم تأخذ في القلة والصغر حتى تنتهي في منتصف اللقائف . ولا وجود لها هي والخلل في الامعاء الكبيرة لقلة الامتصاص وعدم الهضم فيها

والحكمة في وجود الغدد اللعناوية المذكورة آنفا هي حفظ الجسم من دخول الميكروبات فيه ولذلك تكثر في اللقائف وفي الامعاء الغليظة حيث يكثر التعفن والفساد لخلو هذه الاجزاء من العصارات المطهرة ، بخلاف المعدة فان عصيرها مطهر كما سبق ، والصفراء في الاثني عشري من وظائفها أيضا تقليل تعفن الطعام

ويصب في الامعاء الصغيرة قناتان عظيمتان : إحداهما من عضوي يسمى باليونانية (البنكرياس) ويمكننا أن نسميه بالعربية (الغدة الجسدية) والاخرى هي قناة الكبد تحمل المرة (الصفراء) الى الأمعاء ، وهاتان القناتان يجتمعان معا عند نهايتهما وتصبان بفتحة واحدة غالبا في الجزء النازل من الاثني عشري في الجهة الانسية منه

أما البنكرياس (الغدة الجسدية) فهي أهم غدة في الجهاز الهضمي كله ، طولها نحو ٦ الى ٨ بوصات ، وموضعها خلف المعدة وموضعها مستعرض بالنسبة للجسم امام الفقرة القطنية الاولى . وتفرز عصيرا فيه خاتر أربع هامة جدا كل منها يهضم جزءا مخصوصا من الطعام (إحداها) الهاضوم الزلالي^(١) لهضم جميع المواد الزلالية كاللحم والبيض فيحولها الى المادة المسماة (بيتون) وهو أقوى من هاضوم المعدة المسمى ببسين بكثير (الثانية) الهاضوم النشوي وهو الذي يحول المواد النشوية الى سكر الشعير وهو أيضا أقوى بكثير من [العاين] حتى انه يؤثر في النشاء غير المطبوخ . ولا يوجد هذا الهاضوم في أمعاء الاطفال الرضع قبل الشهر السادس ولذلك كان من الخطر عليهم أن يطعموا أي مادة نشوية كالبطاطس والخبز ؛ فان ذلك يفسد جهازهم الهضمي ويضعف صحتهم فيصابون كثيرا بالاسهال وغيره وبداء الكساح (Rickets) (الثالثة) الهاضوم الشحمي ووظيفته أن يحدث مستحلبا مع المواد الشحمية أو الدهنية ويحلها أيضا الى جلسرين^(٢) وحوامض شحمية ، وكلاهما سهل الامتصاص . وقد يتحد بعض هذه الحوامض مع البوتاسيوم أو الصوديوم فيتكون من ذلك الصابون ، والصابون أيضا سهل الامتصاص ؛ فاذا امتصت هذه الاشياء عادت الى شحم كما كانت (الرابعة) خيرة تشبه الأنفحة وظيفتها تحويل اللبن الى جبن ، وهذه أقل الخاتر المذكورة تأثيرا في الهضم

والعصير البنكرياسي قلوي التأثير بخلاف العصير المعدي فانه حمضي أما الكبد فهي أكبر عضو في الجسم ، موضعها الجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة . ولها وظائف عديدة فهي تفرز المرّة (الصفراء) وتخزن فيها أكثر المواد السكرية وبعض الزلالية بعد ان تتحول الى النشاء الحيواني (جليكوجين) لحين الحاجة اليها فتحولها ثانية الى سكر يخرج منها مع الدم ليحترق في الجسم خصوصا في عضلاته ، وهذه الوظيفة هي من أكبر وظائفها ، وتكون أيضا حامض البولييك والبولينا لتفرزهما الكلى ولولا ذلك لتراكمت بعض المواد الضارة بالجسم

(١) اذا أطلقنا هذه الكلمة أردنا بها الهاضوم المعدي المسمى باليونانية ببسين

(٢) كلمة يونانية معناها حلو

ومن وظائفها أيضا أنها تصفي المواد التي انهضت في الأمعاء وتنقيها من
الميكروبات ومن بعض السموم وذلك أثناء مرورها فيها ولذلك اقتضت
الحكمة الإلهية أن تجتمع جميع الأوردة الآتية من القناة الهضمية ويتكون منها
وريد واحد هو الوريد الذي يسمى (الباب^(١)) الذي يجتمع فيه ما انهضم من
الزلال والسكر وبعض الشحم فيصل إلى الكبد وهناك تفرز منه الصفراء وينقى
أما المرة (الصفراء) فهي إفراز ضار بقاءه بالجسم، فلذا تنصب في الأمعاء
لتخرج مع البراز وهي السبب في تلون البراز باللون المعهود، وجزء من الصفراء
لا يخرج مع البراز وإنما يمتص ثانية في الجسم فتفرزه الكلى وهو السبب في تلون
البول باللون المعروف. وفي الأجنة تتجمع الصفراء في أمعائهم حتي إذا ولدوا نزل البراز
من أمعائهم أسود اللون ويسمى (بالعقي)

ولا يتوهن القارئ مما ذكر أن الصفراء لا فائدة لها في الهضم بل هي أكبر
ما يعين العصير البنكرياسي على هضم جميع المواد المذكورة سابقا وخصوصا المواد
الدهنية، والصفراء تقلل التعفن والفساد كما قلنا، وهي أيضا منبهة للحركة الدودية
للأمعاء، ولذلك يعرض لمن احتبست فيه الصفراء - بأن انسدت - مجاريها ما يسمى
(باليرقان) فيصفر جميع جسمه ويحصل له امساك متكرر ويرى في برازه شحم
غير مهضوم وتكون له رائحة كريهة جدا

أما مجاري الصفراء فهي في مبدئها مجهرية (ميكروسكوبية) وتبتدى من
داخل الخلايا الكبدية وتجري فيما بينها وتتجمع هذه القنوات بعضها مع بعض حتي
تكبر شيئا فشيئا إلى أن تنتهي بقناتين عظيمتين: أحدهما تخرج من الفص الأيمن
للكبد، والآخرى من الفص الأيسر لها وتجتمعان معا فيحدث منهما قناة واحدة.
وفي أسفل الكبد كيس صغير يسمى بالحويصلة الصفراوية (المرارة) لها قناة
أيضا تتحد مع قناة الكبد وتكون منهما القناة الكبرى المسماة (بالقناة المشتركة)
التي قلنا أنها تنصب في الأتي عشري. وفائدة هذه الحويصلة أن تكون مستودعا

(١) سمي بذلك لأنه يحمل الأغذية والاشربة بعد الهضم إلى الكبد ومنها
إلى الجسم، فكانت له باب لدخول الطعام والشراب إلى البدن

للمرة في وقت عدم الحاجة اليها
واذا انسدت القناة الكبدية وحدها حصل البرقاق وكذلك اذا انسدت
القناة الكبرى ، أما اذا انسدت قناة الحويصلة فقط كبرت هذه بسبب افراز مواد
مخاطية من باطنها وحدث كيس تحت الكبد ، و بانسداد هذه القنوات السالفة الذ كر
بمحصات كبدية تكون غالبا في الحويصلة يحصل المغص الكبدي

وإذا انعكست حركة الامعاء بحيث تعود الصفراء الى المعدة من البواب حصل
القيء الصفراوي ، وهو مر الطعم

أما لون المرة فسيبه اشتغالها على مواد ملوثة لا تختلف عن هيموجلوبين الدم إلا
بعدم وجود الحديد فيها ، وذلك لان الكبد من المواضع التي تباد فيها
الكريات الحمراء القديمة فتأخذ الكبد منها الهيموجلوبين وتفصل منه الحديد
وتلقي بالباقي في افرازه وهو السبب في تلون المرة باللون المعروف . أما الحديد فان
الكبد تركبه مع غيره من العناصر ويخرج منها في الدم فاذا وصل الى تقو العظام
امتزج بكريات (خلايا) هناك فتنشأ منها الكريات الحمراء

ولوجود مادة الحديد في خلايا الكبد كانت الكبد من أحسن المآكل المغذية
المجددة ، للدم غير أنها أعسر هضمها من اللحوم البيضاء

اما جميع المواد النشوية والسكرية المهضومة فانها تمتص في الدم بعد أن تتحول
الى سكر العنب ، فاذا وصلت الى الكبد حجز منها مؤقتا ما زاد عن حاجة الجسم
بصورة النشاء الحيواني المذكور (الجليكوجين) وهذا النشاء يتحول شيئا فشيئا
كلما احتاج الجسم اليه الى سكر العنب مرة أخرى ويسير في الأوردة الكبدية
ويدور مع الدم فيغذي أنسجة الجسم وعضلاته وفيها يحترق فيتحول الى ثاني
أكسيد الفحم وإلى الماء -- كما سبق --

واعلم ان الطعام الذي تم هضمه في المعدة وسار منها الى الاثني عشري
يسمى (الكيموس) وهي كلمة يونانية معناها العصير

أما الأمعاء فانها تفرز عصيرا آخر أهم وظيفة له تحويل سكر القصب وسكر
الشعير الى سكر العنب ، ولها أيضا بعض التأثير في المواد النشوية فتحولها الى سكر

ومما تقدم يفهم أن أجزاء الطعام الأصلية تتحول قبل امتصاصها كما يأتي — :
 (١) الماء والاملاح لا تتحول الى شيء وتمتص كما هي
 (٢) المواد الزلالية ^(١) تحولها عصارات المعدة والبنكرياس الى بيتون
 ولكنها عند امتصاصها تحولها خلايا الغشاء المخاطي للأمعاء الى مواد زلالية أخرى
 مثل التي في الدم

(٣) المواد الشحمية والدهنية تمتص جزء منها كما هو ، وأكثرها ينحل بالعصير
 البنكرياسي الى جلسرين وحوامض شحمية — كما تقدم — وكل من هذه
 الحوامض والجلسرين سهل الامتصاص ، ولكن في أثناء مرورها خلال الغشاء
 المخاطي للأمعاء تحولها خلاياه الى شحم أو دهن كما كانت من قبل انحلالها ، وبعض
 الحوامض يتحد مع صوديوم المرة فيتكون صابون وهو سهل الامتصاص ويساعد
 أيضا على امتصاص الشحم كما هو ، فالشحم يهضمه عصير البنكرياس مع المرة بعد
 أن يحولاه الى (مستحلب) وذلك مما يعين أيضا على هذا الهضم والامتصاص
 (٤) أما المواد النشوية فانهما تتحول باللعاب والعصير البنكرياسي الى سكر
 الشعير ، ثم يتحول هذا السكر وسكر القصب — ان وجد — بواسطة العصير
 المعوي الى سكر العنب ، وهذا السكر سهل الامتصاص ويبقى في الدم كما هو غير
 أنه يخزن الزائد منه مؤقتا في الكبد على صورة الجليكوجين — كما قلنا — أما سكر
 اللبن فيتحول أثناء امتصاصه الى سكر العنب أيضا ، ولا تأثير للعصارات الهاضمة فيه
 امتصاص الاغذية

أما الامتصاص فانه يحصل في القناة الهضمية من أولها الى آخرها أي من
 انتم الى المستقيم ، ولكن الامتصاص في الفم قليل جدا كثير في المعدة والأمعاء خصوصا
 في الصائم من الأمعاء الصغيرة

ولما كان بعض المواد الزلالية يمكن امتصاص القليل منها وإن لم تهضم ^(٢)

(١) تسمى أيضا الاولية (Proteids) لان لها المنزلة الأولى بين الاغذية ،
 والنيتروجين من لوازم تركيبها (٢) المراد بالهضم هنا التغير الكماوي المخصوص
 الذي يحصل في الاغذية قبل امتصاصها

وكذلك الشحم والزيوت فلذا يستعمل الأطباء في بعض الأمراض الحقن الشرجية المغذية للمرضى وان كان أكثر هذه الحقن بهضم هضمًا صناعيًا قبل حقنه لتسهيل امتصاصه لعدم وجود عصارات هاضمة في المستقيم أما الماء والأملاح والمواد السكرية والزلاية فكلها تمتص من الأمعاء بواسطة فروع الوريد الباب ليحملها إلى الكبد — كما سبق — مع بعض أجزاء من الدهن قليلة جدًا، ولكن أكثر المواد الدهنية تمتصها أوعية لمفاوية مخصوصة موجودة في الأمعاء، وهذه الأوعية تسمى (بالوعية البنية) لأن هذه المواد الدهنية التي تجري فيها تشبه اللبن وتسمى (بالكيلوس) وهي كلمة يونانية أيضا معناها العصير؛ وهذه الأوعية اللمفاوية تصب في غدد لمفاوية مثورة في طريقها لتفتيتها من الميكروبات ونحوها، وكل من الأوعية وهذه الغدد موجود بين طبقتي المساريقا (Mesentery) ^(١) وهي عبارة عن غشاء من البريتون يعلق الأمعاء الصغيرة بالظهر ويحيط بها

والغدد اللمفاوية التي بين طبقتي المساريقا يحصل فيها التهاب فضخامة عند تفرح الأمعاء في الحمى التيفودية وغيرها واعلم أن الزلال المهضوم المسمى (بيتون) إذا دخل الدم من غير أن تحوله الخلايا المخاطية إلى زلال كزلال الدم كان سما زعاقا فلذا كان تحويله قبل امتصاصه واجبا

ومن المعلوم أن سم الثعابين ونحوها هو مواد زلاية تقرب من البيتون فلذا كان أكله مغذيا لا ضرر فيه لأن خلايا الغشاء المخاطي تكفل بتحويله إلى ما يصلح للجسم قبل امتصاصه، أما إذا حقن في الدم أو تحت الجلد بدون هذا التحويل كان خطرا على الحياة

وفي الأمعاء ميكروبات عديدة، وهذه الميكروبات تحدث تغييرا وتحليلا في الأغذية فوق الذي تحدثه العصارات الهاضمة فينشأ عن ذلك غازات وغيرها، بعضها يضر امتصاصه وبعضها لا ضرر فيه، وهذه الغازات هي التي تحدث القراقر (١) كلمة يونانية معناها (وسط الأمعاء) لأن هذا الغشاء متصل بوسط الأمعاء

في البطن وخروج الأرياح ، ويكثر تكون هذه الغازات بأكل المواد النباتية . وقد تؤثر العصارات الهاضمة في بعض المواد المأكولة فتخرج منها مواد سامة للجسم اذا امتصت في الدم ، ولكن هذه الميكروبات تحللها الى أجسام أخرى وبذلك تبطل ضررها ، فوجودها في الامعاء ضروري ، ومن الخطأ محاولة قتلها بالأدوية المطهرة أما البراز فهو فضلات جميع الاغذية والاشربة التي لم تمتص . وفضلات الحباب الهضمي ، وغير ذلك

والسبب في حصول الاسهال أحد ثلاثة أمور (١) إما اضطراب حركة الامعاء حتى تكون أسرع من الحالة الطبيعية فيمر فيها الطعام والشراب بسرعة زائدة قبل ان يجف بالامتصاص (٢) وإما زيادة العصارات الهاضمة وخصوصا افرازات الامعاء بسبب مرضها كالتهابها (٣) وإما قلة امتصاص خلايا الغشاء المخاطي للاطعمة والاشربة لمرض ما فيها . وهذه الاسباب في الغالب تكون مجتمعة في الاسهال العادي وقد تحصل بالمسهلات ، ولذلك كان الاسهال الزائد عن الحد ضارا جدا لانه ينهك القوى

والسبب في الامساك عكس ما تقدم ، وضرره يكون بامتصاص بعض المواد الضارة في الدم ووضغطه على بعض الاعضاء كالأوردة أو الاعصاب فيعوق وظيفتها وقد تنشأ عنه البواسير والصداع والضعف وآلام عصبية في الفخذ اليسر لضغط المواد البرازية في التعرّيج السيني والمستقيم على الاعصاب . أما مدة مرور الطعام في الامعاء فهي عادة من ٢٤ — ٣٦ ساعة ، منها نحو ١٢ ساعة للامعاء الدقيقة

(فصل في الاطعمة والاشربة وغيرها)

المواد الضرورية للجسم سبق ذكرها مرارا وهي باختصار : المواد الزلائية (الأولية) والسكرية والنشوية (الكربوهيدراتية) والدهنية والماء والاملاح وهذه المواد يأخذها الانسان اما من الحيوانات أو من النباتات ، والحيوانات المأكولة تأخذها أيضا من النباتات ، فصدر غذاء الانسان كله هو النباتات . وهذه المواد كلها توجد في أنواع مختلفة من الاطعمة أهمها : —

(١) اللبن

هو غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد السابقة وعلى الدهن المعروف (السمن والزبدة والقشدة) ويستخرج منه اللبن وهو جل المواد الزلالية والدهنية مع بعض أملاح تضاف إليه من الخارج

وإذا تعرض اللبن للهواء زماناً هبطت إليه بعض ميكروبات مخصوصة تحول سكره الى حامض اللبنيك وهذا يُرسب الزلال الذي في اللبن فيغاط ويكُون كاللبن المعروف في مصر (باللبن الزبادي) المسمى بالعربية (اللبن الخائر والرائب) وقد توضع في اللبن خميرة فيها بعض ميكروبات أخرى فتحول سكره الى غول فينشأ نوع من الخمر بسبب ذلك يعرف في بلاد التار بالكفير أو الكوميس وكل من الكفير^(١) أو الكوميس^(٢) سهل الهضم مغذ للانسان منه للدورة الدموية بما فيه من الغول بمقادير قليلة ونافع في السل الرئوي - كما يقال - ولكن الاكثار والادمان عليه له بعض الاثر السيء الذي للخمر عامة

أما اللبن الخائر فهو أيضاً سهل الهضم لقلته مائه ووجود الحامض فيه ، مغذ للانسان ولكن اذا طالت مدة تخمره تولدت فيه مواد سمية ضارة، وهذا النوع نافع في الحميات لقلته افراز المعدة للحمض أثناء الحميات وهو مفيد أيضاً في نزلات المثانة واللبن قد يختلط بميكروبات أخرى محدثة للأمراض بعضها يصل اليه من الانسان كميكروب الحمى التيفودية ، والبعض الآخر قد يصل اليه من غيره كميكروب الحمى المالطية في لبن بعض المعز وكالدقيريا فانها تصيب البقر والضأن . وكثير من البقر يصاب بالتدرن فيكون اللبن سبياً في الدرن الانساني وان لم توجد فيه ميكروبات الدرن نفسها اذ يكفي وجود سمومها فيه فان ذلك يضعف البنية ويهيئها لقبول ميكروب الدرن. فلذا يجب أخذ اللبن من الحيوانات السليمة في أوان نظيفة جداً وبأيد كذلك . ولثقة بطهارته من جميع الميكروبات يجب غليه قبل تعاطيه مدة خمس دقائق على الاقل

(١) يصنع من لبن البقر والمعز والغنم (٢) يصنع من لبن الفرس

واذا منعنا وصول سائر الميكروبات الى اللبن أمكننا حفظه دهورا بدون فساد كما سبق
وللانفعال النفساني الشديد تأثير في افراز اللبن حتى إنه قد يسم الصغار
ومن السهل أخذ زبدة اللبن أو القشدة بالآلة المبعدة عن المركز المسماة
باللاتينية [Centrifuge] فإذا أديرت بسرعة أبعدت جميع المواد التي في اللبن
عن المركز لثقلها ماعدا زبدة اللبن فانها تأتي نحو المركز لحقتها ، وبسبب خفتها أيضا
تصعد الى سطح اللبن اذا سخن بالنار كما هو معلوم

واذا أخذت زبدة اللبن صار ثقله النوعي أزيد من المعتاد فاذا أضيف إليه
جزء من الماء عاد ثقله الى المعتاد (وهو في لبن البقر ٢٨ ١٠ الى ٣٤ ١٠)

ومن طرق غش اللبن أن يضاف عليه الماء مع النشاء لإكثار كميته ولكن
النشاء تمكن معرفته بطريقة كيمياوية سهلة جدا وذلك بوضع جزء من صبغة اليود
عليه فيتلون في الحال باللون الازرق اذا كان فيه نشاء

ويصنع من زيوت النباتات وشحم الحيوانات زبدة كاذبة تسمى باللاتينية
وغيرها المرغرين (ومعناها حرفيا مادة اللؤلؤ سميت بذلك للمعانها) يستعملها
التجار كثيرا بقصد الغش وهي في الحقيقة لا ضرر فيها الا أنها أرخص ثمننا

ومن أكثر الالبان تغذية لبن الجاموس والعنز، وأسهلها هضم لبن المرأة والأتان
(أثنى الحمبر) وأكثرها سكر لبن المرأة ويقرب منه في ذلك لبن الأتان

(جدول تركيب الالبان المختلفة)

نوع اللبن	المواد الزلالية	الدهن	السكر	الاملاح	الماء
لبن المرأة	٢٩ ٢٠	٨١ ٣٠	٢٠ ٦٠	٣٠ ٠٠	٤٠ ٨٧
» البقرة	٥٥ ٣٠	٦٩ ٣٠	٨٨ ٤٠	٧١ ٠٠	١٧ ٨٧
» الفرس	٠٠ ٢٠	٢٠ ١٠	٦٥ ٥٠	٣٦ ٠٠	٧٩ ٩٠
» الأتان	٢٥ ٢٠	٦٥ ١٠	٠٠ ٦٠	٥٠ ٠٠	٦٠ ٨٩
» العنز	٣٠ ٤٠	٧٨ ٤٠	٤٦ ٤٠	٧٥ ٠٠	٧١ ٨٥
» الجاموسة	١١ ٦٠	٤٥ ٧٠	١٧ ٤٠	٨٧ ٠٠	٤٠ ٨١

(٢) البيض

وهو يؤخذ من أنواع مختلفة من الطيور ، وأكبره بيض النعام ، وهو أيضا غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد اللازمة للجسم ، ولذلك تكون منه أجنة الطيور فتخرج منه كاملة الاعضاء والاجزاء . وطبقاته مؤلفة كما يأتي : —

القَيْض (القشرة) مركبة من مواد جيرية أهمها كربونات الكالسيوم ، وبها ثقوب عديدة لازمة لدخول الهواء الى البيضة وخروجه منها لتنفس جنين الطير ، فإذا سدت جميع هذه الثقوب اختنق ما في داخلها ومات . وسدها أيضا بمثل الشمع أو الصمغ يحفظ البيضة من الفساد ، فانه يمنع دخول الميكروبات اليها . ويلى هذه القشرة طبقة أخرى رخوة ، ثم يياض البيض (الغِرَقِي) وهو يتركب من مواد زلالية مع قليل من الدهن والملح ، ووظيفته تغذية جنين الطير ، وهو محيط بالبح (الصفار) من جميع الجهات ، أما (البح) فهو عبارة عن خلية حية كبقية الخلايا الحيوانية ولها نواة يتبدى فيها تكوّن الجنين باقسامها وتغذيها بما حولها من المواد المغذية . والملح يتركب أكثره من مواد دهنية وأملاح مع قليل من الزلال المسمى جلوبيولين ، ولا يحصل هذا الاقسام في النواة الا اذا كانت ملقحة بالحيوان المنوي للذكر ، ومدة التفريخ للدجاج ٢١ يوما أي ثلاثة أسابيع

والبيض مغذ جدا سهل الهضم الا اذا طبخ طبخا شديدا فان ذلك يجمد مواده ويجعلها عسرة الهضم ، واذا شرب منه جزء بدون طبخ أو مع طبخ قليل أفاد الجسم وغذاه ، غير أن الافراط فيه مما يتعب الكلى ، وقد ينزل جزء من زلاله في البول ولمعرفة البيض الجيد من البيض الفاسد تذاب أوقيتان من ملح الطعام في نصف لتر ماء فاذا غرقت البيضة في هذا السائل دل ذلك على جودتها ، والا كانت فاسدة مشتملة على غازات ناشئة من الفساد هي السبب في خفتها

(٣) العسل

هو في الاصل ما تجمع النحل من رحيق الازهار ، ثم تحوله في معدتها الى هذه المادة المخصوصة ثم تلقيه من أفواهها في خلاياها مصداقا لقوله تعالى (يخرج من

بطونها شراب مختلف ألوانه) وقائدة العسل للنحل تغذية صفارها ^(١) به والعسل يشمل أنواعا من السكر أهمها سكر العنب مع مواد عطرية ، وفيه أيضا جزء من الأبور (وهو المادة التي تسميها الأفرنج (Pollen) وهي عبارة عن عنصر الذكر في الأزهار الذي تلقح الأنثى به ، والابور مادة بروتو بلازمية حبة أي مشتملة على زلال وغيره ، ولذا كان العسل مشتملا على كثير من العناصر الضرورية للحيوانات . أما شحمه فلا يهضم ولا يكتسب منه الجسم شيئا والعسل مفيد جدا سهل الهضم للغاية بل إن سكر العنب الذي فيه لا يحتاج إلى العصارات الهاضمة فإنه يمتص بدونها. والعسل ملين مقو للجسم ، وبسبب سهولة هضمه وتقويته للجسم واحداثه اللبن كان نافعا في كثير من الأمراض فيجعل الجسم قوي المقاومة لأنواع كثيرة من الميكروبات ، وقد يتغلب عليها بسبب ذلك ، فهو نافع في سائر الأمراض التي تنهك القوى كالسل والسرطان والاليميا والبلغم وفي الجيمات وغير ذلك حتى قال بعضهم انه نافع في البول السكري ، ولكن ذلك لم يثبت الآن عند الجمهور

وهو يحرض شهوة الطعام أيضا ويكثر من إفراز المعدة ومن اللعاب فيرطب الحلق ، ولذا كان نافعا في التهاب اللوزتين والحلقوم وفي السعال . كل ذلك يؤيد قوله تعالى (فيه شفاء للناس) وقد يجوز اعطاؤه أيضا في أحوال الاضطرابات المعدية المعوية لانه سهل الهضم جدا يساعد عليه — كما قلنا — فلذا ينفع المصابين بعسر الهضم ، ويجوز اعطاؤه في أول الأمر للمصابين بالذرب كما يعطى زيت الخروع بقصد تنظيف القناة الهضمية من المواد التي تحدث تهيجها ، ويحسن اعطاؤه ملينا للأطفال بدل زيت الخروع فإنه ملين لذيد الطعم تشبهه أنفسهم . ومن ذلك تعلم حكمة وصف رسول الله (ص) العسل لمن أصيب باطلاق بطنه بقصد تنظيف القناة الهضمية وتغذية المريض به لسهولة هضمه ، ويشبه ذلك وصف الأطباء غذاء اللبن في الذرب مع أنه سهل كثيرا من الناس

(١) تسمى صفار النحل اللوث (بالضم) والطرْد (بالفتح) والرصع بالتحريك والديسم (بوزن جعفر)

ومن أحسن الاغذية النافعة للحيات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق أجزائه الاخرى بسبب الحمى . وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها . هذا وإن عسل النحل الذي يجمعه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ؟

الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلاوة ، وارشفها عبارة واجودها اختيارا للآلئ الكلام المشورة والمنظومة ، واطبعها للملكة البيان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لامام ائمة الادب ابي عثمان الجاحظ ، الذي نوه الزخشي بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كتابيه اساس البلاغة والكشاف . وهاك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب —
سببا يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنى يحدو^(١) على جمع ما كان
متفرقا ، ومتى أغفل حملة الادب وأهل المعرفة تميز الاخبار ، واستنباط
الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة
الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس
مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، ونقرهم آثار
الاولائل في الصخر ، — لبطل أول العلم وضاع آخره ، ولذلك قيل :
لا يزال الناس بخير ما بقي الاول يتعلم منه الآخر

وان السبب على جمع نتف من أخبار العرب في خنيتها الى أوطانها،

(١) يحدو — حده على الامر بعثه اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها،
 أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والتزاع^(١) الى
 الاوطان، فسمعت يذكروا أنه اغترب من بلد الى آخر أهد من وطنه،
 وأمر من مكانه، وأخصب من جنابه؛ ولم يزل عظيم الشأن، جليل
 السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم
 أنجادها^(٢) وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا
 راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين
 الابل الى أعطانها^(٣)، وكان كما قال الشاعر:

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبة للهامم^(٤)
 حينئذ الى أرض بها اخضر شاربني وحلت بها غي عقود التمام^(٥)
 وألطف قوم بالفتى أهل أرحمه وأرعاهم للمرء حق التقادم
 وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود^(٦)

١ التزاع الى الشيء الاشتياق اليه

٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه

٣ الاعطان أوطان الابل ومباركها عند الماء، واحدها عطن

٤ الهامم الهموم

٥ التمام جمع تميمه، وهي خرزات كانت العرب تعاقها على أولادها يتقون
 بها العين في زعمهم فابطلها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها، وقال في معجم
 البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء
 خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المكان
 استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به سليمان وقدمل السرى كل واخذ^(١)
والصق أحشائي يبرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الاساود^(٢)
فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن
تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواق^(٣) وقالت
الهند : حرمة بلدك عليك ، حرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وأنت
جنين — وعذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلدًا رشحك غذاؤه ، وارع
حجي أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصابتك اليه بلد رضعت مائه ،
وطعمت غذاؤه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره^(٤) ، وداره مهده ،
والغريب النائي عن بلده ، المنتحي عن أهله ، كالثور الناذ^(٥) عن
وطنه ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى
جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ، وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل
رضاعه ، كالعير^(٦) الناشط^(٧) عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصة ،
ولكل رام دريثة^(٨) ، وقال آخر : تربة الصبا تغرس في القلب حرمة
وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة^(٩) ، وقال آخر : أجق

١ السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال
جمل واخذ ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخذ يخذو وخذاً ووخداً

٢ الاساود جمع أسود وهو العظيم من الحيات

٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها

٥ ند البعير ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شاردا

٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا

٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط — خارج من أرض الى أرض

٨ الدريثة حلقة يتعلم عليها الطعن

٩ الحفاوة المبالغة في الاكرام

البلدان بنزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه؛ وقال آخر: اذا كان الطائر
يحن الى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه؛ وقالت الحكماء:
الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من
الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشدة^(١)
وطهارة الرشدة من كرم المحتد^(٢)؛ وقال آخر: ميلك الى مولدك، من
كرم محتدك؛ وقال آخر: عسرك في دارك، أعزلك من يسرك في
غربتك، وأنشد

لقرب الدار في الإقترار خير من العيش الموسع في اغتراب^(٣)
وقال آخر: الغريب كالغرس الذي زایل أرضه، وفقد شربه، فهو
ذاو^(٤) لا يثمر، وذایل لا ينضر. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل
مسيجة بحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يداوى كل عليل بمقايير
أرضه، فان الطبيعة تتطلع لهوائها، وتنزع الى غذائها؛ وقال أفلاطون:
غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها؛ وقال جالينوس: يتروح العليل بنسيم
أرضه — كما يتروح الارض الجذبة ببلل القطر

والقول في حب الناس الوطن، وافتخارهم بالمحال قد سبق، فوجدنا
الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع
الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق؛ وترى الاعراب
تمحن الى البلد الجذب والمحل القفر والحجر الصلد؛ وتستوخم^(٥) الريف

١ الرشدة صحة النسب وهي بكسر الراء، والفتح لغة

٢ المحتد الاصل، يقال هو كريم المحتد وهم كرام المحتد

٣ الاقترار مصدر اقتر الرجل اذا اقتر ٤ ذاو — ذایل

٥ استوخم البلد، وهو وخم وخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح للسكن

حتى قال بعضهم

أتجلىن في الجالين أم تتصيري على ضيق عيش والكريم صبور^(١)
فبالمصر برغوث وحمى وحصبة وموم وطاعون وكل شرور^(٢)
وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام بأطراف الإكعام تمور^(٣)
وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب — فاذا
وقع يبلد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى حن
الى وطنه ومستقره .

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه .
ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنح من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق
ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر
الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أن
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوى بين
قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في
سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الا ول : عمر الله البلدان
بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان لخربت البلدان ،
وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : تفتنا عن الاوطان ، وقطعتنا
عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم الخيل أجزعها من السوط ،

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

٢ الموم هو البرسام مع الحمى

٣ الركام السحاب المستراكم بعضه فوق بعض — والاكمة تل ، وقيل شرفة
كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ ، والجمع اكم وجمع
الاكم اكام مثل جبل وجبال — ومار الشيء تحرك بسرعة

واكيس الصبيان أبغضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدّها حنينا الى أوطانها، وأكرم المهارى أشدّها ملازمة لأُمّها ، وخير الناس آلفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل برة لآخوانه ، وحنينه الى أوطانه ، ومذاراته لاهل زمانه. واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟ فقال يحسّل^(١) فلاة وحسوّ^(٢) قلات^(٣) ؛ وسئل آخر فقال : مخضّا^(٤) رويّا، وضبا مشويا، وسئل آخر فقال : ضبا عينا أعور ؛ وقالت العرب حماك أحى لك، وأهلك أحنى بك ؛ وقيل الغربة كربة، والقلة ذلة. وقال لا ترغبوا إخوتي في غربة أبداً إن الغريب ذليل حينما كانا وقال آخر : لا تنهض عن وكرك فتنضمك الغربة ، وتضيمك الوحدة ؛ وقال آخر لا تجف أرضا بها قوايلك^(٥) — ولا تشك بلدا فيه قبائلك ؛ وقال أصحاب القيافة^(٦) في الاسترواح : اذا أحست النفس بمولدها تفتحت مسامها فمرفت النسيم. وقال آخر يحن الليب الى وطنه ، كما يحن النجيب^(٧) الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك لأرضك حق وطنها ؛ وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين زكامها، ورضيع غمامها ، فحضنتي أحساؤها، وأرضعتني أحساؤها^(٨) ؛ وشبهت

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرقى يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ٤ المخض والمخيض ما مخض من اللبن وأخذ زبده ٥ القوايل جمع قابلة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة

٦ القائف الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة ويسمى فعله بالقيافة ٧ النجيب من الإبل القوي الخفيف السريع

٨ الاحساء جمع حنى وهي سهل من الارض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغريب باليتيم اللطيم^(١) الذي شكل^(٢) أبويه - فلا أم ترأمة^(٣)
ولا أب يعذب عليه^(٤)؛ وقالت أعرابية اذا كنت في غير أهلك فلا
تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لعمري لرهط المرء خير بقية عليه وان عآلوا به كل مركب
اذا كنت في قوم عدا لست منهم فكل ما علفت من خيث وطيب^(٥)
وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة اذا كانت هديا
في غير أهلها تفقد من وجهها وهيئتها ما لا تفقده وهي في قومها
وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تتعبد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة
لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجج^(٦)

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ الشكل فقدان المرأة ولدها ٣ رعت الناقة الولد
عظمت عليه ٤ يحذب عليه بمطف عليه ٥ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء وانشد
البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وهم اسم
للجمع. وقال ابن السيد في الاقتضاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدي فيما ذكر
يعقوب وذكر الجاحظ أنه لخالد بن فضالة الجحواني من بني أسد - والعدي
الغريب والعدي أيضاً الأعداء - والاكل والعلف هنا مثلاً مضر وبان للمواقفة
وترك المخالفة - وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وعتب عليهم ثم جاور غيرهم -
وندم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لعمري لقوم المرء خير بقية عليه وان عآلوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دودان لصرأ وأرضها فما ظفرت كني ولا طاب مشربي
ثم أقاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الآذان - والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف
الاذن - والاسيل من الحدود الطويل المسترسل. وسجج الخد كفرح سهل ولان
وطال في اعتدال. وقل لجه وقال في اساس البلاغة وجه اسجج مستوي الصورة
ورجل اسجج الخدين وقد سجج قال ذو الرمة وقد انشد البيت

سفور النساء واختلاطن بالرجال

وفوضى الآداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كلهن ، حتى غايات باريس
منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفولهن في تلك الأزياء ، التي قلدهن فيها
سائر النساء ، في جميع الارحاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناسكات ، وهن أولئك
القائئات ، الكاسيات العاريات ، المائلات الميلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ،
حتى صاروا يشدون اليهن الرجال ، بل يطيطون اليهن على مراكب النار ، في سباسب
الارض وأجواز البحار ، وتركفن المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال
والمستشفيات ، والى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، لينخفن عن أمتهم أفعال هذه
الحرب الفروس ، في هذا العصر العيوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر ، وهدد الأمم والدول العسر ،
فكسدت غلات الزراعة ، وتعطلت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقل
الدرهم والدينار ، وغلت أثمان الاشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط
ومجاعات ، تلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشعر المبذرون من أهل السعة والثروة ،
بوجوب الاقتصاد في النفقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعازل ، وتدمر المعابد والمنازل ،
وتتل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتنذر أقوى الدول بأسا ، وأشد هـن
بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعد ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ،
وقال الانسان ماله ، وما عسى ان يكون مآلها — انبرى نفر من الشبان والشواب ،
من المتفرجين والمتفرنجات في هذه البلاد ، يتبارون في تحيير المقالات ، وإقامة الحجج
والبيانات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيالات ، على وجوب سفور النساء المصريات ،
واختلاطن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والاوقات . إشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسعون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فرادهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصدها عما تحب وتهوى

ينوم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الافرنج ، والتي بها وصلوا الى ماوصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أتجا من الملك والسيادة ، ولم يعقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية، وجرفت ثروتهم الى البلاد الاجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا الغرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بالسنتهم .
النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهن يشاركن الرجال في كل شيء ، ولا يعنين طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزيينة الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لا تفسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للثزء الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو متهتكة .

وأما البرقع فهو زى اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفى المعاييب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين . وسبقه اليه الشيخ احمد فارس السكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :
لا يحسب الغرُّ البراق للنسا معالهن عن التماذي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوا
على ان البراق كانت في عهد زيارته لمصر ساترة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براق هذه الايام التي قلبت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، وتحترقها أشعة

عيون الناس ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يعدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو متماته ، وما هي الامن هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي به خصومهم من العبث بعادات الامة لاجل التفريق وزيادة التهلك. كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقارا له ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالشخصيات الوطنية تعظيما لقدرها ، أو توهمها أن تشبهنا بالأفريق في شخصياتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كمقوماتهم — وهو ماعز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنياتهم وقد انحطت همنا عن اللحاق بهم في لباسها وحقاتها .

أولم يكفهم اتناشرعنا تقلدهم في هذه الظواهر القشرية قترنا حكامنا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدريج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا ، وانزعاجهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحمل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما يدينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها ، يأخذها المعرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لا نعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقيها وصفاتها وعاداتها ، كالتببات والتروي والمحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شي من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدريج البطيء ، في الزمن الطويل

وجملة القول ان زي النساء المدنيات بمصر هوزي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن قلما يوجد زي يفي بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شي ، ولعله أبعد الأزياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحة — لانه من الحجاب الضار المذموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفته للآداب الدينية، وشرف الصيانة الاسلامية، والى استبداله بزى آخر يجمع بين الجمال والكمال، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال.

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخط في ليل دجوجي

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجدل الذي يؤبه له ويهتم به، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع، ما قلناه آتفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزى، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع

لعل عدد نساء الموسرين في المدن لا يبلغ معشار $\frac{1}{100}$ عدد نساء الفقراء اللواتي يعن في الاسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب، والجهاد كله في سبيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات، وكذا في بعض البيوت. فالتساء المدينيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتاجن اليه من الثياب والحلي والاعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره. ونرى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المركبات، أو يمشينهم في الطرقات، ومنهن السافرة عن وجهها. والمحاصرة لخدمتها، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا، وان أخذاتها من النساء (المحجبات)، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات، يعدون بالآلاف لا بالمئات، دع ذكر الذين يذهبون بنسائهم الى أوربة فيلبسن مدة سفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن، ويجتمعن معهم أو منفردات عنهن بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقاتهم من الرجال على

نسائهم في بيوتهم، ويأمرورنهم بمجالستهم ومواظبتهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحورهن، لاسافرات عن وجوههن قطع. بل أقول لك همساء، ما أخجل ان أجهر به جهرا : ان المخادنة ذائعة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت هم الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب ؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يخلو بامرأة أجنبية من هؤلاء المدينيات (كما يحظر الشرع الخلوة بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الاقتراد بها بزيارة أو غير زيارة . فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المنتهكين الا خفية .

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي ، الا من شذ

أما اباحة خلوة المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير نكير فلا يكاد يذكرها محاربو الحجاب في مقالاتهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها ، وانما يكثرون اللفظ في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقى عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن ، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب . وقد اشرعنا لها طريقا لا ينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من المنار تقریظا لكتاب تحرير المرأة ، وهو انه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاخوال ، وأولاد الاخوة والاخوات ، وبقضاء الأزواج أوقات فراغهم مع نسائهم في البيوت ، فلماذا يترك هذا مدعو الحرص على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين ؟

وأما المجامع العامة فقلما يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهاد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والاعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستفدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلو من مقاسد:

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغوائهن إياهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل مام ، وأكثرم — ولا كثرة فيهم — لا يجب هذا الاختلاط ولا يميل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للاصلاح الخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ???

الى متى نفش أنفسنا ، ونعامي عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابتنا ، الذي لم يزد مع تربية التفرج الا تفاقم واستشراء ؟ أنبذل هذه الصباية الباقية لتسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسي هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس » كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادي الفنون، لم يستعدوا بها لعمل ما للامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون الهج بدمها من شعائر الوطنية الصادقة، فمن تستغني الحكومة عن استخدامه منهم بمسون ويصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يا كلون ثمرات أعمالهم، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والادب والاصلاح، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية، ولم يندلجها بها روابط خيرا منها ولا مثلها

[المنار: ج ٣ م ١٨] الشيخ شبلي وحزب الاصلاح بين الجامدين والمتفرنجين ٢٣٣

ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النفس بترية الاخلاق والاداب الدينية أولا ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وادارة البيوت — وانما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة ديناً وعقلاً وأدباً بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فان لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجه بالتعاون فان الامة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا اولو الانباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركنا من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فتك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل ما ترك سلفهم من العلم والمجد النليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرنجين الذين أصابوا حظاً من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلاً من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غروراً بأنفسهم ، واحتقاراً لأمر أمتهم ، فطفقوا يبرقون منها بزلزال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلاً .

المباينة بين الجامدين والمتفرنجين عظيمة ، كل منهم يحقر الآخر ويكرهه ، ويمده علة لضعف الامة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، وينفرون وينفرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويمدونهم آلات الاجانب التي يحللون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تنمية ثروتهم ،

(المنار : ج ٣) (٣٠) (المجلد الثامن عشر)

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لإقامة بناء الحضارة والمدنية . ولحق أن كلا منهما مخطئ في شيء ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة ورزايا ضارة ، وإن الأمة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها إلا الانحلال والهلاك .

وأما حزب الإصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لأنه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد أن يكون معقد الارتباط والاتصال بينهما بارجاع كل منهما عن خطئه ، والسير بالأمة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها ، وتعيد الموروث النافع منها إلى جدته ، وتترج في استبدال النافع بالضر منه ، وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم الأمة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الإصلاح ولا بيان أحوال الأحزاب الثلاثة ، وإنما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا أن فقيده الإسلام في الهند كان ركنا من الإصلاح الإسلامي ولم يكن طلاب الإصلاح إلا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجمود أو حزب التفرنج ، هدام الله تعالى باستعداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، إلى معرفة الطريقة المثلى لإصلاح أمتهم . وكان المعقول أن يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجمود منهم على المتفرنجين ، ولكن أكثر ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبراء الجامدين من الشيوخ هم أشد حسداً وبغضاً للمصلح الديني من غيره ، فهم يكيدون له ، ويضعون من العوائير له ما لا يضعون لغيره . — فلماذا لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الإصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس إلى مساعدته المتدينون من كبراء الدنيا كأميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الأمير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي راجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغاً كبيراً من المال يدفعه سنوياً لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كمدرسة عليكره لا خاصة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الإصلاح ما كان ليشايه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فلذلك اعتذر للأمير بأن هذا عمل ما حان وقته

وأما الاميرة المحسنة التقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بعد المصلح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام ، فقد كانت ظهيرة للشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . وانا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم متم الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

إني لم أزل أقرأ في الجرائد ما تبذلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بفتينا التي كنا ننشدها نحن أهل الندوة ، فجعل الله سعيكم مشكورا ، وتوج عملكم بالنجاح . طالما تاقت نفسي الى زيارة مصر لائقكم ، ولكن هيات فاني قد قطعت إحدى رجلي لرصاصة أصابتها فبقيت جليسا^(١) للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر . والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النميقة ان الاميرة سلطان جهان (بيكم) صاحبة ايالة بوفال^(٢) خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جرج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عظماء بلادنا أعطت مائة ألف روية^(٣) لتكميل كلية عليكده ، وعينت ثلاث مائة روية جراية شهرية لندوتنا ، وكم لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب إحدى الملمات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالمرجوم من حضرتكم انها لما تصل الى القاهرة^(١) وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم^(٢)

شيلي نعماني

لكنو

ندوة

في ٧ مايو سنة ١٩١١

- ١ - يحتمل ان تكون الكلمة « حلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان حلس بيته ، أي ملازمه . وأصل الحلس ما يفرش تحت سرح الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه
- ٢ - هكذا يكتب الهنود اسم هذه الايالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوبال »

٢٣٦ دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام [المنار ج ١٨ م ٣]

هذا وان الفقيه رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجبا به. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما حمله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلبي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تضيد الندوة ومساعدتها . وهذا نص كتابه الاول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه

لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي أكثر من ان تحصى، وان كل ما دسه وموه به لا أصل له أصلا، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي ان يتبرز من الغيظ غير اني صبرت وأمعنت النظر فيما به نظر . ولما عيل غني الصبر ونأى، قمت على ساق وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما قرع من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم — وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

ومما أنيه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخواص والعوام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقاده عامنا هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتمدين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر^(٣) هذا المحفل العظيم وواسطة عقده التنظيم حضرته الشريفة، فان تشرفونا بالقدوم علينا في الهند نهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فج عميق لمقدمكم المبارك ان شاء الله تعالى، ويحصل بعون

١- كذا في الاصل ومهما اتقن علماء الاعاجم العربية فانهم يظنون يغلطون في تعريف الاعلام وتنكيرها

٢- لقصر مدة إقامة الامير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها وتختبرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الآيسة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى، وانه ليوجد في الهند معلومات انكليزيات لا يزيد راتب احداهن عن بضعة جنيهات

٣- يعنون بكلمة صدر ما نعرض نحن عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في لغتهم الأوردية

[المنار: ج ٣، ص ١٨] دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام ٢٣٧

الله لكم ما أتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، ويعظم بذلك محفل ندوتنا ويقدر قدره. وفي طي رقيمي هذا أرسل اليكم خطبة والي الهند وعميدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم تعين لها في كل شهر خمسمائة روية من خزائنها، فان عزم جنابكم على تشريقنا بما اقترحناه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة والي الهند وعميدها في حق ندوة العلماء، وعريضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته المعظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم ويستحسن قدومكم علينا، وان أمكن منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فتم ذلك. ودمتم أفندم، شبلي نعماني
٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣ ندوة العلماء — لکھنؤ

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشهر أو أقل — وأنا ناظر موظف لها، والروح المدير في تأسيسها والقيام بها، — ولكن أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلي الى الهند خير لمشروعنا لان إشاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقرروا في جلسة رسمية إجازتي واعاتي على ذلك اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن امافر بإجازة من عيد الدولة الانكليزية هنا، وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لا توصل بها الى هذه الاجازة، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة، وكان مراده أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك، فلقني الشيخ من انكار والي لکھنؤ عليه دعوتي الى رئاسة مؤتمر الندوة ما لقي، وأمكنه ارضاءه بما كان أعده لذلك من الحجج، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأييد شيخنا الاستاذ الامام من مدح حزبه، وخطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ الشير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا، اذ كان الاقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل. ورحم الله الشيخ شبلي وأحسن عزاء المسلمين عنه

تقرير المطبوعات الجديدة^{*}

خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع

بقلم فقيه العلم والعمل والجلد المرحوم علي ابو الفتوح باشا وكيل نظارة المعارف العمومية المصرية، طبعه باذن المؤلف نجيب القندى مترى صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م على ورق جيد طبعا نظيفا فجاءت صفحاته ٣٦٠

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير العربية فجمعت في حياة كاتبها ومر عليها فأصلح فيها ما أراد، وزاد في بيان المراد. وهو يطلب من ناشره ومن مكتبة المنار بمصر

جملة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علما وعملا فجاءت وافية واضحة مفيدة ونحن ننقل طائفة عنه من مقالة [الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية] قال :
« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة، ويتوهمون أن الاحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الاصول الاسلامية ، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد !

« ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا في الرفاهة وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواً قلما يجاريهم فيه أحد ، الا ان صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها ، والتواء أساليبها ، وتعقيد عباراتها ، قد أوصد الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء من غير المنقطعين لدراستها

« ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق ان يقصد المؤلفات القديمة لانها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتزورها عن المشاغبات اللفظية ، وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لهنها بدون ملل ولا حساب للوقت

^{*} كتب تقرير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا وقد تأخر نشره على انه هو قد قصر فيما عهد اليه من كتابة التقارير حتى اجتمع لدينا كتب كثيرة من مطبوعات السنين الاخيرة

«أذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية . وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بأمرء المسلمين اتباعه والعمل به

«عثرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة عمدت الى نظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون ولا سيما المشتغلين منهم بالقوانين الاقرنكية ان المتقدم لم يترك شيئاً للمأخر . ولعلمهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهم حق الفهم ودروا بعقل وبميز

«وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراماً في النفوس وأشدّ موافقة لاخلق وعادات من وضعت لهم»

ثم أتى بوجوه قانونية وبنود وافقت فيها القوانين الوضعية الفقه الاسلامي

كتاب الانساب للسمعاني

تأليف أبي سعيد عبد الكريم السمعاني ، نقله الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفر د بالهوتغرافية عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وطبع سنة ١٩١٢ على ورق من أجود الورق على نفقة (تذكاري جب) وصفحاته تزيد على ١٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير

وضع السمعاني كتابه هذا في القرن السادس الهجري ، فكان عمدة المؤرخين والمحدثين . وقد ذكر في مقدمته فضل علم الانساب وجاء بالآيات والاحاديث في ذلك وعقد فصلاً للحث على هذا العلم ، وقد زاد الاستاذ مرغوليوث هذا المعنى ايضاً اذ وضع للكتاب مقدمة وجيزة باللغة الانكليزية بين فيها المراد بعلم الانساب واشتهار بعض الاعلام من المحدثين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي مما دعا الى تعريف الرجال بانسابهم .

وقد ساعد المستر السن الاستاذ مرغوليوث فوضع في هوامش الكتاب دوائر صغيرة قبالة كل سطر تبدي في ترجمة أحد المترجمين فأفاد ، ولولا ذلك لما أغنى كتابة أكثر الاسماء المترجمة بخط ثخين لان ذلك لم يلتزم في جميع صفحات الكتاب اذ لم يكن من نسخ ناسخ واحد ، بل يظهر انه تعاقب عليه عدة نساخ وخطه دقيق ملوّن

بعضه الى بعض ، وينقص بعض كلمة النقط فتبقى ، لو يطبع ثانية بالحروف المطبعية بعد مقابلة هذه النسخة بغيرها من النسخ الواضحة الصحيحة كالنسخة التي رآها صاحب المنار في لكنهو بالهند فتم فائدته ، فنحن أحوج الى هذا الكتاب ممن تولوا طبعه وأحق بإحياء مآثر أسلافنا ، وانا نشكر للاستاذ مرغوليوث هذه الهدية النفيسة كما نشكر لجمعية [تذكارجب] احياءها هذا الكتاب وغيره من آثار العرب

شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣٢٩ ، وكتب في طرته ما تقدم ، واه مطبوع بارادة « أمبراطور ألمانيا وملك بروسية وملك ورنميرج »
تأليف الشيخ الامام الحافظ المحدث الفقيه أبو ذر محمد بن مسعود الحشني .
استخرجه وصححه بولس بروثله . وأبو ذر هذا اسمه مصعب بن محمد كما في القاموس ، وهو من علماء الاندلس أخذ عنه الشريشي شارح مقامات الحريري .
وكتابه هذا أمالي أملاها في شرح غريب السيرة . وجعله عشرين جزءا وكان ينبغي ان تسمى فصولا لا أجزاء ، وقد طبع طبعا جيدا في جزئين من قطع أصغر من المنار ، وجعلت أرقام صفحاتها متصلة فيحسن ان يجعل مجلدا واحدا فيكون مؤلفا من ٤٦٦ ص ومن الكتاب عشرة قروش ويطلب من مكتبة ديمر بمصر

رجال المعلقات العشر

تأليف الشيخ مصطفى الفلايبي استاذ اللغة العربية في مدرستي المكتب السلطاني والسككية الثمانية في بيروت وطبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ على ورق جيد طبعا نظيفا وصفحاته ٣٦٠ : اقطع الوسط و١٢ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر .
الكتاب مصدر بمقدمتين أولاهما في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى اليوم وصفحات المقدمة الاولى ١٦ صفحة والثانية ٣٠ صفحة ثم الكلام على رجال المعلقات بالتفصيل ويتضمن سيره الشاعر وموته والكلام على شعره ومعلقته وسبب نظمها ونجبة من شعره . وقد ضمنت من الفوائد اللغوية والتاريخية والادبية مالا يوجد في غيره . وقد جعله لتلاميذ السنة الرابعة والخامسة في المكاتب السلطانية والسادسة والسابعة في المكاتب الاعدادية أو ما يضاهاه هذه السنين في المدارس الاهلية (الحنين الى الاوطان) نشرت نبذة منه في هذا الجزء وستقرظ فيها بليه ان شاع الله

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المكتبة
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوي و « مناراء كنار الطريق »

مصر ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٣٣ — ٢٣ الثور (٢) ١٢٩٣ هـ ١٤ ش ١٤ مايو ١٩١٥

اللغة العربية

أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية

كنا نستدل على عراقة العرب في المدنية بما روى لنا التاريخ القديم من استعمارهم
لمصر في عهد دولة الرعاة (الهكسوس) وغيرهم ، واستعمارهم قبل ذلك للعراقيين ،
وما كان لنا في ذلك الا علم اجمالي ، ثم جاءنا علماء العاديات (الآثار القديمة)
بالاكتشافات والتحقيقات التي خرجنا بها من حيز العلم الاجمالي الى حيز العلم
التفصيلي ، وكان أعظم ما اكتشفوه في حفائر العراق شريعة حمورابي (ملكي
صادق) الموصوف في العهدين القديم والجديد بأنه ملك البر وملك السلام وكاهن

الله العلي ، ومن أخبار سفر التكوين انه بارك على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله ، وان ابراهيم أعطاه العشور . وقد بين هؤلاء العلماء ان شريعة حمورابي كانت عريية ، وهي أقدم شريعة من الشرائع التي عرفها التاريخ ، وقد زعم بعض علماء الألمان ان التوراة مقتبسة منها (راجع المجلد السادس من المنار)

وقد نشرنا في المجلد الخامس عشر (سنة ١٣٣٠) خطاباً طويلاً في اللغة العريية لجبر افندي ضومط استاذ العلوم العريية في القسم العالي من المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت ألقاه في الاحتفال السنوي لسنة ١٩١١م أتممتنا به ، وموضوعه [بحث تاريخي فلسفي في مواطن العريية المصرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية] وما جاء فيه ان العلامة رونسن المؤرخ الاثري يرجح ان المدينة المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءت من العراق وبلاد العرب (المنار ص ١١٦ م ١٥) وأن الباحثين اتفقوا على ان لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة ، وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أهل البلاد الاصليين ، وانما جاءوها من مكان آخر وتغلبوا على أهلها الذين كان لهم مدينة عظيمة إذ كانوا غزاة فاتحين ثم ترجموا الكثير من آداب أهل البلاد بلغتهم السامية ، والظاهر انهم كانوا من جزيرة العرب (المنار ص ١١٧ م ١٥)

ثم بين ان اللغة العريية هي أم اللغات السامية وسيدتها ، وان أرومتها الاولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان . وانه انشعب منها فرع الى بلاد بابل بالعراق فاقسم الى شعبتين بدوية وحضرية ، وان بعض العمالة والعاديين من قدماء العرب هاجروا الى سورية — بعضهم هاجر من العراق لما اضطهدهم الفارسة ، وبعضهم هاجر من جزيرة العرب بقصد التجارة والاستعمار — كما هاجر غيرهم من اخوانهم الى شطوط افريقية فكان منهم الامهرية والحبشية — (قال جبر افندي ضومط) ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وأمم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية والفينيقية والعريية (أي المصرية) شعبتين من الفرع العادي ، والحمرية والحبشية من الفرع القحطاني (المنار ص ١٩٩ م ١٥)

أقول فعلى ما تقدم يكون كل من مدينة العراق وسورية ومصر عريي الاصل

ثم تولد من ذلك الاصل فروع استقلت واختلفت باختلاف الدول والمال ، حتى جاء الاسلام فأرجع تلك الفروع كلها — ما قرب منها عن أصله وما بعد — الى الفرع المصري ، فكانت له عمد الى أفراد عشيرة كانوا متفرقين متباعدين بحسب كل منه انه اجنبي عن الآخر فجمع بينهم فعادوا الى الوشيج الجامع فكانوا أسرة واحدة لكن علامة الآثار والعاديات المصرية وامام اللغة الهيروغليفية في مصرنا الآن أحمد بك كمال أمين دار الآثار المصرية اظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان ، فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب — إما موافقة تامة وإما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والإبدال المعهود مثله في اللغتين . ومن المعلوم ان المدنية العربية القديمة كانت في العاديين والقحطانيين سكان حضرموت واليمن ، وهم الذين استعمروا مصر والعراق وسورية . وقد ضاع أكثر لغتهم ، ولعلها لو دونت كاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر الى اليوم ، حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو إبدال

وكان المشهور عن أحمد بك كمال أنه يرى أن العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدنية كانوا من العرب . ثم إنه رأى نصا يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق ، وبني عليه محاضرة ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في العام الماضي . وذلك النص ما وجد منقوشا في الدير البحري (مكان بجبة الأقصر) في زمن الدولة الثامنة عشرة (كان زمنها من سنة ١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق م) وهي أرقى دول مصر ، وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الاعناء ، ولم يبين النص أصلهم ، ولا من أين جاؤا ، ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم . وفيه ان بعضهم هاجر الى القبروان وتونس والجزائر . وبعضهم الى أواسط أفريقيا والصومال ، وبعضهم قطع البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك الى جنوب فلسطين ، وأطلق على كل عنو من

أولئك الاعناء المهاجرين اسم مركب تركيا إضافيا فصار يقال أعناء كذا واعناء كذا.. ولفظ « أعناء » عربي معناه الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى. أما نحن فنرى أن ذلك النص ربما كان عن عقيدة تقليدية وهمية بأن مصر الموطن الاول للبشر، والاصل الذي تفرقت منه الشعوب والامم، وينقل مثل هذا عن قدماء الهند والصينيين . فهذه تقاليد متعارضة ليس لنا عليها دليل عقلي ولا قلبي للرجيح بينها ، فتجري فيها على قاعدة تعارضت فتساقطت . على أن أولئك الاعناء المجهول أصلهم يجوز ان يكونوا من العرب ، وان يكون من هاجر الى جزيرة العرب منهم عاد الى بلاده، وبهذا يجمع بين هذا القول وقول العلامة رونس الذي رجح كون المدينة المصرية الاولى قد جاءت من بلاد العرب والعراق. والامر المتيقن عندنا الآن هو ان لغتنا العربية الشريفة هي لغة قدماء المصريين ومظهر مدنيته، ونتيجته ان قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة ، وكذلك السوريون والعراقيون كما تقدم

وقد رغبت الى احمد كمال بك أن يتحفنا بفصول ملخصة من قاموسه الذي أشرنا اليه فتفضل بالاجابة وجعل الفصل الاول في بعض الحبوب والنبات وهذانه

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية*

١

(في بعض الحبوب والنبات والاشجار والثمار المصرية)

وفيه استطراد الى كلمات أخرى

بُر القمح الواحدة بُرة

قمح هو اسم عندهم للقمح والخبز ويميز بينهما برسم النبات عند

(*) راجع ما ذكرناه عن اللغة المصرية في المقتطف المطبوع في مارس سنة ١٩١٤ وفي تقويم الشرق للدكتور هنري مدور المطبوع سنة ١٣١٥ وذلك في صحيفة ٣٥٠ الى ٣٥٨ وقد رمزنا هنا بحرف (ع) للعربية وحرف (ق) للبطية

نهاية الكلمة في الاول والخبر في الثاني^(١)

وجد الكثير منه في المقابر المصرية فحفظ بالمتاحف واختبرت حبوبه في الزراعة فلم ينجح، وقد اختبر الكياويون بعض هذه الحبوب فوجدوها مدهونة بطلاء حافظ لها على مرور الدهر ووجد (شوينفورت) قمحا أصغر في الحجم من قمحنا المعروف وهو يشبه القمح البحري وكان يستعمل في الطب والغذاء

حنط حنطة هي البر- ج. حنط

(بُد) بض يياض : وكلمة البيضاء تطلق في العربية على القمح

فهو القوم هو الحنطة وقد ذكر في القرآن الكريم

جل (والجيم قلب غينا) غلة- ج غلال

يشرت ق سريت : سلت - هو الشعير أو ضرب منه ، والشين

تقلب سينا بالمصرية فيقولون شلم بمعنى سلم ، واللام قلب راء وبالعكس الشعير عندهم صنفان أبيض وأحمر ويصنع منه الخبز والجمعة ومن خزه ما هو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة، ووجدت حبوبه في مقبرة كاهون بالقيوم من عصر العائلة الثانية عشرة لكن حبه أصغر من شعيرنا الآن وكانوا يتخذون من سوقه مزامير

تُرا ذرة

بول فول - لان الباء قلب فاء كفيوم أصلها يوم أي اليوم ،

وكفأى أصله عندهم بأى

قال هيرودوت في كتابه الثاني ان المصريين لم يزرعوا الفول في أرضهم فاذا خرج فيها لم يأكلوه لانها ولا ناضجا وان قسوسهم لا يستطيعون النظر اليه لانهم يرون انه نجس ، ومع ذلك فقد ورد عنهم انهم كانوا يحفظونه ويحفظونه بدليل فوهم (فول هاف) أي جاف، لان فاء الكلمة مقلوبة عن الجيم. فلا بد وان يكون قول هيرودوت هذا غير صحيح اذ الفول كان ولا يزال من الاغذية المصرية الى هذا اليوم

(١) اصطلح أهل اللغة المصرية القديمة على ان يرسموا في آخر كل كلمة الصورة الدالة على معناها أو المؤيدة له

عرشان ق . أرشان : بلسن واحده بلسنة . بلس . بلس : عدس
كمن كمن

سنوت سنوت وهو الشمار أو الكمون
رمان حرمان ، إرما — الرمان . ق . أرمان . ع ريمون
وبالبرية — أرمون

شجر دخل مصر في عصر العائلة الثامنة عشرة وقت انتشاب الحرب العظيمة
مع أهل آسيا في عهد الملك أحتمس وقد وجد مع اسمه مرسوما في صورة البستان التي
زين بها (أنا) جدر حجرة قبره بطيبة وهو الذي توفي أيام (تموتس) الأول الذي
كان أول فرعون تجول في بلاد الشام وأخضعها لحكمه وعليه ربما كان هذا
الملك أول من جلب لبلاءه هذا الشجر فخرس في البساتين . وهذا لا ينافي معرفة
المصريين لاسمه من قبل . وما وجد في المقابر منه أصغر حجما من نوعه المعروف
الآن فهو شبيه برمان طور سينا وكان يستعمل قشره لقتل الدود واستعمله القبط
للحكة وصنع منه المصريون شرابا في عصر الرمسيسيين

دبح دبحو ، ضبحي : تفاح — ق . جبع
وهو الشجر المعروف بحسن فاكته ويكثر اسمه في القرابين التي يذكر فيها
الزيتون والتين وتدل النصوص على أن وجوده في أرض مصر كان في
عصر العائلة التاسعة عشرة

نرا لوز : وكذا في العبرية والحبشية ونونها تلب لاما كما في ثقب
ولقب فالاول مصري والثاني عربي

برني لا يزال يعرف في بعض الجهات بالنور وصحته برني اسم
للنخلة والتمر . ويقال تمر برني ولا تكاد الاضافة تكون في البرني لان
البرني هو التمر وقد ذكر في قول الشاعر —

باتوا يعيشون القطيعاء ضيفهم^(١) وعندم البرني في جلل دسم

(١) المنار : رواية لسان العرب : جارهم — بدل ضيفهم . والقطيعاء نوع من =

أَعَمَّ عَمَّ عَمَّ ج عمومة، أعم، أعمام، أعمّة — نخل طوال. والالف تنوب عن العين في كثير من الكلمات
عَوَنْتْ عوانة : نخلة طويلة

حُنْ حُونْ أمان ج أهنة وأهْن : عرجون الترمافوق الشماريح والهناء عذق النخل (فالهاء فيها بدل من الحاء لقرب مخرجيهما)

طَارُوي جمار النخل — الجيم والطاء يتناوبان في المصرية كقو لهم : طراً بمعنى كلاً . وهاتان الكلمتان مصريتان عربيتان
سر : سلاّ ج سلاءة، وأسل الواحدة أسلة : شوك النخل (الراء بدل اللام) ق سوره سوري

زَيْتُون ق جويث جيت . ع . زيت :

زَيْت زيت وكان يستعمل للاضاءة خصوصاً في المعابد

وجد الكثير من أ كاليل الزيتون على رؤوس الموتى التي لا يتجاوز تاريخها العائلة المتبعة للعشرين وعليه يظن ان الزيتون لم يغرس في ديار مصر قبل العائلة الثامنة عشرة لكن وجد مذكورا في نصوص هرم الملك (تيتي) فهو معروف من عهد بناء الاهرام أو قبل ذلك

كِرْمَا كرم : كرم ج كُرُوم وبالعبرية كرم

كَامُو : كرام — صاحب الكرم والممتني به وأصله كرموفسقطت منه

عين الكلمة لان الراء والنون واللام تسقط في كثير من الكلمات .

ق جمى جمه

== التمر يظهر من مقابلته بالبرني الذي هو أجود التمرانه رديء وقيل هو البسر قبل ان يدرك. والجلل ج جلة — كقلة وقلل . وهي قفة التمر ، ودسم ج أدسم ودسماء صفة لها ولعله باعتبار ثمرها

كارج كاريو : أكارج أكرة وأكارون اي حرّاث من أكرّ
الارض اكرأ وأكره حفرها. وجاء في المصرية والعربية ايضا :

مَن مان الارض شقها للزراعة . والاسم منه :

مَن أمان : مزارع. ويقال ايضا :

سق شق الارض اي فلحها والسكة الحرث. ق إسكاي. إسخاي

باث (المكان) يبوته بوثا حفره

باي فأى فأوأ وفأيا : فاق (والباء تنوب عن الفاء نحو بدح

وفدح بمعنى ضرب)

قنا. كنا : قناة ج قنا، وهو الرمح وصاحبه قناء بالتشديد . عود

القنا قصب الذريرة

ويقال له باليونانية (كانا) وبالعبرية (قناح) ويذكر في التذاكر الطبية مع انه لا ينبت بديار مصر ولو اعتمدنا على انه هو المذكور في النصوص المصرية بقصب فتيها لساغ لنا ان قول انه كان يستحضر من آسيا في عهد الفراعنة وقد اطلق عليه العرب والعبريون والمصريون القدماء اسم قنا

نرا : اللوز في العربية والحبشية

سير : زير، أي كتان. وفي القبطية : سال. سول وله اسماء أخرى

وهذا النوع المسمى بالنباتية (لينوم هيميله) وجدت بذوره في مقابر العائلة الثانية عشرة والعائلة المتممة للعشرين ويذكر كثيرا في تذاكر الطب واتخذوا منه الغزل والنسيج والثياب الخ

سشن : سوسن وسوسن وسوسان - نبات طيب الرائحة

الواحدة سوسنة والجمع سواسن . ق . شوشن . واللاتيني : سوزينوم ومنه اسم العلم سوزان، وبالبربرية سوشانه وهو اللوطس الابيض المعروف عند المصريين القدماء ولا يزال ينبت في المستنقعات وعلى شواطئ القنوات الى يومنا هذا

عنبنى عنب . بالعربية والعبرية .

حرر حلق حلي حري حري: حنون نور كل شجرة ونبت

وقد حن الشجر والعنب اذا نور (لان النون عندهم تنوب عن الراء)

وكذلك يقال عندنا في اللغة العامية المصرية الآن وفي المصرية القديمة نقب

بدل نقب بالعربية الفصيحة وفي المصرية نقن نقابلها في العربية نقل ، أي بصق .

والقلب والابدال لهما أصول في هاتين اللغتين يقتضي مراعاتها لتظهر المقابلة . ومنها :

حلل هلال تهليل ، وقد جاء في نقش بمدينة (أبو) الواقعة

في الجهة الغربية من لوقصر ما نصه [وكان المحاربون مثل السبع يهللون

في بهرة الاصواء ^(١) (أي وسط الجبال)] هذه العبارة نقلت بنصها ليعلم

وجه الشبه بين اللغتين . ويقال في المصرية والعربية إبهار النهار أو الليل

أي انتصف ، وبهر : فاق ، وبهار : صبح

حر حر حية دقيقة مثل الجان أو ولد الحية كما في القاموس

بد كما بطيح

نبا طبار — أكبر التين ^(٢) بسقوط الراء وتقدم مثله في كلمة كامو

تون تين

وجد كثير من التين في المقابر القديمة العهد وحفظ بالمتاحف ولا يزال يرى

مرسوما فوق موائدهم مع العنب والقثاء والرمان

كونت جنة : تين قل بعض المفسرين في تفسير : (وطفقا يخلصان

عليهما من ورق الجنة) أي ورق التين أكنت : جنة ج جنات

(١) المنار : الاصواء جمع صوى بالضم ، وصوى جمع صوة (كقوة وقوى)

والصوة ما غلظ وارتفع من الارض فلم يبلغ أن يكون جبلا ، فيظهر أن المصريين

أطلقوه على الجبال أو على غير الشامخ منها ، على أن رسم الشامخ وغيره متشابه ،

والرسم هو المفسر للغة في كتابهم . وللصوة أيضا الاعلام التي يهتدى بها المسافرون

وجماعة السباع (٢) في القاموس أن الطبار (بوزن الرمان) شجر يشبه التين

أسى . أسى نبت معروف . قال ابو حنيفة الدينوري ينبت بأرض العرب وبالسّهل والجبل وخضرته دائمة

وهو نبت مصري ترى أغصانه في أيدي الراقصات المرسومة على جدران المقابر ووجد من آثاره شيء في قبور تل بسطة بالزقازيق وفي مقابر هواره بالفيوم وقد حفظ في متحف الليد شيء منه

أسى بوللى أسى برى بصر بصل (الراء تنوب كثيرا عن اللام ومنه رأراً ويقابلها في العربية رأراً ولائلاً بمعنى لمع) اسل أسلة : الاثل شجر ذكر في القرآن واحده اثلة ج اثلات وأثول ، وهو نوع من الطرفاء والتمر ويقال له بالقبطية: اسى واسه

اعلمنا هرودوت وبليني ان الاثل كان ينبت في مصر ووجد منه (أنجر) بقايا في طوبة عثر عليها في قرية السكاب بصعيد مصر ووجد شوينفورت فروعاً منه في تابوت من العائلة المتممة للعشرين وكثيراً ما تذكر النصوص هذه الشجرة لأنها كانت مقدسة عندهم

حمتى كماء زلم الزلم : وهو حب العزيز بسباس بساسة وهي الشمار

بكاء قال ابو العباس النبائي هو شجر معروف عند العرب بمكة شبيهة باليسام

يسر إيصار أنصر حشيش وبالجبشية اثر .

شنت سنط سنط شنيز سنط ق شنت شنته : شجر مصري قديم يذكر في نصوص الاهرام

وجد من زهره اكاليل على مدينة الملك احمس الاول وامنوفيس الاول كلاهما من العائلة الثامنة عشرة وكانت تصنع من خشبه السفن والتوايت والثمايل واثاث البيوت الخ

أحمد كمال الامين بالمتحف الوطني (للمقارنة بقية)

فَاللَّحْمُ لِأَنَّ الْبَشَرَةَ وَالْأَنْشَاءَ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٦

(٤) اللحم

يؤخذ هذا الصنف من الطعام من الأنعام والطيور والحيوانات البحرية، والمتاد أكله من الحيوانات البرية هي التي لا تأكل اللحم لحكمة متظهر في الكلام على الديدان المعوية فيما يأتي إن شاء الله

واللحم نوعان: اللحم الأبيض، واللحم الأحمر. فثالث الأول لحم الأرانب، ومثال الثاني لحم الضأن. والأبيض أسهل هضما من الأحمر ولكن الأحمر أكثر تغذية لاشتماله على جزء من مادة الهيموجلوبين فتكثر الدم. واللحم يشتمل على جميع الأجزاء الضرورية للجسم تقريبا، ففيه الماء والزيلا ونحوه من المواد الآزوتية كالجلاتين والزنثين [xanthin]^(١) وغيرها وفيه أيضا الدهن والمواد السكرية (الجليكوجين وسكر العنب والإينوسيت Inosite^(٢)) وفيه أيضا أملاح عديدة منها فوسفات البوتاسيوم وملح الطعام وغيرها؛ وكل هذه المواد تختلف مقاديرها باختلاف الحيوانات المتنوعة وهي توجد بكثرة عظيمة في لحم الدجاج فهو أكثرها تغذية؛ وفي اللحم أيضا حامض السار كولكتيك [Sarcolactic]^(٣)

«١» معناها الأصفر باليونانية لأن هذه المادة صفراء

«٢» سكر اللحم والكلمة يونانية أيضا، ومعناها الحرفي (المضلة)

«٣» لفظ مركب من كلمتين (Sarco) يونانية معناها اللحم و (Lactis)

لاتينية معناها اللبن، أي حامض اللبنيك المتولد في اللحم

(المجلد الثامن عشر)

(٣٥)

(المنار : ج ٤)

إذا كان جديدا فلذا ينفع في الاسكربوط . ويوجد في الخنزير الشحم بكثرة تفوق سائر أنواع اللحوم الاخرى فلذا كان أعسر اللحوم هضما لأن الشحم فيه يحيط بأليافه العضلية فيحول دون وصول العصارات الهاضمة اليها فيتعب المعدة والامعاء، وقد يحدث منه القيء أو الاسهال، وربما هيا الزائدة الدودية للالتهاب ولذلك تبكر أصابتها به في بلاد الاقربان فان فساد الهضم من أسباب هذا المرض

وكثيرا ما تكون الحيوانات مصابة بأمراض متعددة مثل الدرن^(١) والحجرة الخبيثة وأنواع كثيرة من الديدان سند كرها تفصيلا فيما يأتي، فلذا يجب أن يكون الحيوان المأكول سليما من كل مرض . ويجب أيضا طبخ اللحم جيدا حتى تقتل فيه الميكروبات وأكياس الديدان بقدر الامكان . وأضر ديدان تنشأ من أكل اللحوم هي الديدان التي تنشأ من أكل الخنزير، وهذه حكمة أخرى في تحريمها . ولا يتوهم القارئ أن الطبخ يزيل جميع أضرار اللحوم المريضة فانه اذا قتلت الميكروبات بسبب شدة الحرارة بقيت سمومها وكلما اشتد الطبخ للتأكد من قتلها زاد تجمد المواد الزلالية وعسر هضمها ، على أن الطبخ قد لا يقتل بعض ميكروبات الدرن التي تكون في باطن اللحم لأنه موصل ردي للحرارة

أما لحوم الحيوانات البحرية فمن أسهل اللحوم هضما وقد لوحظ أن الناس الذين يأكلونها بكثرة أقوىاء البنية أصحاء، إلا أنه قد يصاب بعضهم بالجذام فلذا ظن بعض الأطباء أن الاقتصار على أكل السمك أو الاكثار من أكل الفاسد المتعفن منه كالفسيخ مما يهيج الجسم لقبول هذا المرض الخبيث، ولكن ذلك لم يثبت الى الآن

ومن أنواع الحيوانات البحرية الحيوانات ذوات الاصداف كالبطلينوس وهي سهلة الهضم جدا ، غير أن ميكروب الحى التيفودية قد يوجد فيها

ومن أنواعها أيضا السرطان البحري ونجوه وهي بكثرة أكلها المواد القنطرة تضر آكلها بذلك وبشدة عسر هضمها . وأجود أنواع السمك هو الذي يصطاد حيا من المياه الجارية النظيفة . والسمك سريع الفساد فلذا يجب أن لا يترك زمنا

(١) الدرن كثير الحصول للبقر والخنزير ، قليل جدا في الضأن ، ونادر في المعز

طويلا بل يؤكل غضا غريضا. ويعرف السمك الغريض (الطازة) ببس لحمه ، وباتصاب ذيله . والسمك الفاسد المتعفن هو من أضر المأكولات فانه يتولد فيه من الفساد بعض مواد سمية آزوتية تسمى Ptomaines^(١) وهي شديدة الخطر حتى ان كثيرا من الناس قتلوا بسبب أكلهم السردين والفسيوخ، ومن لم يمت منهم قد يصاب بالدوار والصداع والاسهال أو القيء وغير ذلك

أما البطارخ (وتسمى الصمة قُر وهي عبارة عن بيض السمك) فهي أقل فسادا من لحمه ، وهي مغذية محرصة لشهوة الطعام ويشترط أن لا يكثر الانسان من أكلها في المرة الواحدة ، وقيل أن أكلها يمسك البطن ويمنع الاسهال

والأسماك ذوات الحرشف هي غالبا أذ طعاما وأسهل هضما من التي لا حرشف لها لكثرة دهنها وقذارة المياه التي تعيش فيها، ولذلك حرمت التوراة أكل ما ليس له حرشف (راجع سفر اللاويين ١١ : ٩ - ١٢) ومن أسماك الانهار ما يكون سببا في إصابة الانسان بدودة شريطية كما سيأتي تفصيله

ويقال ان أكل الأطعمة الحيوانية الفاسدة مدة طويلة يسبب الاسكربوط وهو رأي راجح جدا الآن ، وذلك مثل أكل القديد (البسطرما)

(جدول تركيب أشهر اللحوم)

المواد	الثور	العجل	الخنزير	الحصان	الدجاج	نوع من السمك
ماء	٧٦٠٧	٧٥٠٦	٧٢٠٦	٧٤٠٣	٧٠٠٨	٧٩٠٣
زلال وجلاتين	٢٠٠٠	١٩١٤	١٩٥٥	٢١٠٦	٢٢٥٧	١٨٠٣
شحم	١٠٥	٢٥٩	٦٥٢	٢٠٥	٤٠١	٠٠٧
مواد كربوهيدراتية	٠٠٦	٠٠٨	٠٠٦	٠٠٦	١٠٣	٠٠٩
أملاح	١٠٢	١٠٣	١٠١	١٠٠	١٠١	٠٠٨

(٥) الاطعمة النباتية

هذه الاطعمة منها ما يؤكل بلا طبخ كالجرجير والفجل وغيرهما، ومنها ما يؤكل

(١) معناها (مواد الجيفة) وهي لفظ يوناني

مطبوخا كالبقول وغيرها . وهي في مجملها تشمل كثيرا من الزلال والدهن والمواد الكربوهيدراتية والحوامض النباتية وأملاح عديدة، وفيها مادة يتعسر هضمها تسمى (السلولوز^(١)) وهي التي يتكون منها جدران خلاياها وأخشابها وغير ذلك من أليافها أما زلالها فيوجد بكثرة في البقول كالقمح والفل والعدس والحمص . ويسمى الزلال الذي يستخرج من القمح باللاتينية — الجلوتين (مادة غروية) ، وهو لا يوجد فيه بشكله المعروف الا بعد أن يضاف اليه الماء فيتحد مع ما فيه من المواد الزلالية ويتولد هذا الصنف المخصوص من الزلال ، وهو سهل الهضم ، ولذلك كان من الأغذية النافعة المفيدة

وأما الدهن فهو يوجد بكثرة في بعض الثمار كالزيتون واللوز وغير ذلك الا أنه يقل وجوده في بعض البقول كالقمح مثلا

والزيوت نوعان : ثابتة ، وطيارة . فالثابتة هي كالشحم في تركيبها ، ويحصل الانسان عليها بعصر الحبوب بآلات مخصوصة ، وسميت ثابتة لانها لا تتطاير أما الزيوت الطيارة فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والا كسجين الا أن مقادير هذه العناصر وأوضاعها مغايرة كل المغايرة لتركيب الزيوت الثابتة ، ومن أمثلة هذا الصنف من الزيوت زيت القرنفل ونحوه من الزيوت العطرية ونظرا لكونها سهلة التطاير تُتَحصَل بالتقطير . فاذا غلي اليونسون مثلاً في ماء صعد منه الزيت في بخاره ويمكن الحصول عليه بالانبيق . أما الماء الذي غلي فيه فلا يبقى فيه من هذا الزيت الا النادر جدا أو لا يبقى فيه شيء

الزيوت الثابتة مغذية مليئة وتحترق في الجسم فتولد فيه حرارة عظيمة جدا ، ولذلك يحسن أكلها في البلاد الباردة

والزيوت الطيارة منشطة منبهة للأعضاء كلها فتقوي الهضم ودورة الدم وتدر البول وتنفض البلغم من الصدر وتزيد في قوة الحركة الدودية للأمعاء وبذلك تخرج أرياحها وتزيل آلامها ، وهي مطهرة أيضا قاتلة للميكروبات فتطهر الشعب

(١) كلمة اصلها لاتيني معناه (خلية صغيرة) سميت هذه المادة بذلك لتركيب جدران الخلايا النباتية منها

والامعاء والبول

أما الاملاح التي في النباتات فهي مقادير كبيرة من فسفات البوتاسيوم وفيها أيضا فسفات الحديد وهو كثير الوجود في البقول خصوصا في القمح ، فيكثر دم آكله، ويقل في الاطعمة النباتية ملح الطعام فلذا يحتاج اليه النباتيون كثيرا فيأخذونه من الخارج . وفي الخُضَر والقواكه أملاح عضوية وحوامض مثل حامض الطرطريك (الدرديك) وهو موجود بكثرة في عصير العنب متحدا مع البوتاسيوم، وحامض الليبونيك الموجود بكثرة في الليمون والبرتقال (واليوسف افندي) والكريز وغير ذلك، وحامض التفاحيك موجود بكثرة في التفاح والكمثرى (الاجاص) وحامض الاكساليك^(١) يوجد في الحمض والكرب والطماطم والراوند، وغير ذلك من الحوامض ، وهي تتحول في الدم الى كربونات قلوية فتدر البول وتذيب حامض البوليك الذي ينشأ من احتراق المواد الزلالية احتراقا ناقصا فينشأ منه النقرس (داء مخصوص في المفاصل) والحصوات الكلوية والمثانية . فهذه الحوامض النباتية تساعد على إزالة حامض البوليك الضار بالجسم

والامتناع عن أكل الخضر زمنا طويلا يؤدي الى ضعف بالجسم وتقرح بالثة وحدوث أنزفة متعددة في أنسجة الجسم وخارجه ، وهذه الاعراض كلها هي المسماة (بداء الاسكربوط) ولا دواء له الا الخُضَر والاغذية غير المتحفنة

ومما تقدم يعلم ان الاقتصار على أكل اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية قد يضر بالجسم وخصوصا اذا أكلها الانسان ولم يروض جسمه بالحركات أو الاعمال البدنية المتعبة فان ذلك يقلل احتراق المواد الزلالية الاحتراق الواجب الذي تتحول به الى (بولينا) ليتيسر للكلى أن تخرجها من الجسم بسهولة ذوبانها، بل يكون الاحتراق ناقصا فيتولد من المواد الزلالية حامض البوليك الذي يحدث مرض النقرس والحصوات كما سبق . وهذا المرض كثير الحصول للمتفرقين بسبب إسرانهم في المآكل الزلالية كاللحوم وغيرها وإقلالهم من الحركات الجثمانية ولذلك يسمى «داء الملوك» . وللوقاية منه يجب القصد في أكل المواد الزلالية ، والمواظبة على الرياضة

(١) اكسس (Oxys) باليونانية معناها حامض و (Oxalis) اسم الحمض فيها

البدنية، والا كثار من أكل النباتات من خضر وفواكه وغيرها حتى تذيب هذا الحامض الضار (أي حامض البولييك) وتخرجه من الجسم وأكل المواد النباتية بلا طبخ قد تنشأ عنه أمراض كثيرة كالحمى التيفودية والدوسنتاريا وبعض الديدان المعوية كالديدان الخيطية الذي يوجد بكثرة في المستقيم عند بعض الناس . والسبب في تلك الأمراض هو وجود بعض الميكروبات وبويضات الديدان في الطين والماء الذي يسقى به الزرع، فتعلق هذه بالنباتات وبذلك تصل الى الانسان اذا أكلها بدون تطهير، ولذلك يجب غسلها غسلا جيدا متكررا فان ذلك يزيل كثيرا من مضارها ولكن الأولى تطهيرها بالغلي لمن أراد أن يصون نفسه صيانة تامة من هذه الأمراض . ويجب في زمن انتشار بعض الأوبئة كالمليضة (الكوليرا) والحمى التيفودية أن تغلى جميع هذه المأكولات غليا جيدا أو يترك أكلها حتى ينتهي الوباء

ولما كانت الحوامض كالليمون والخل قاتلة لبعض الميكروبات المرضية كان وضعها على النباتات الخضراء كالخس مثلاً أو الفجل هو من أحسن الوسائل التي تقي الجسم شر هذه الميكروبات . أما تأثيرها في بويضات الديدان فهو غير واف بالغرض، والراجح أنها لا تهي الانسان منها مطلقا

الكلام في الحبوب وأغذيتها وغير ذلك

(١) القمح، فيه نشاء كثير، وزلال، ودهن قليل جداً، والمادة المسماة سلولوز وأملاح أهمها فسفات الحديد كما سبق وماء، أما السلولوز فيوجد أكثره في غلاف حبوب القمح وهو الذي يفصل بالطحن والنخل ويسمى بالنخالة، وأكلها يهيج حركة الأمعاء ويحدث لنا قلداً كان نافعاً من هذه الوجهة

الطبقة التي تلي غلاف القمح تشتمل على الجزء الأعظم من الزلال ولونها أسمر. وأما باطن الحبة ففيه الجزء الأعظم من النشاء

والخبز يصنع بعجن الدقيق بالماء— كما هو معلوم— فيتحول زلال الدقيق الى المادة للسماة جلوتين واذا أريد الحصول عليها يوضع العجين في قطعة من الموصلي (الشاش) ثم يفرك عدة مرات في الماء فيخرج النشاء الذي في العجين من ثقب الشاش وتبقى

مادة الجلوتين في داخل الشاش، وهذه يصنع منها خبز أو فطير للمصابين بالبول السكري أما الخبيرة فهي مركبة من خلايا نباتية، وفائدتها أحداث الفول (الكحول) وثاني أكسيد الفحم، وهو المقصود بالذات لانه يحدث الققاقيع في المعجن فيجعله اسفنجيا وبذلك يسهل هضمه بعد خبزه. وبالخبز يزول ما في المعجن من الكحول والغاز وتقتل خلايا الخبيرة

(ب) الشعير، وتركيبه يقارب تركيب القمح الا أن زلاله لا يتكون منه الجلوتين بإضافة الماء اليه وانما يبقى ذائبا في الماء، ويصنع من الشعير (ماء الشعير) وهو مغذ قليلا نافع للمرضى والاطفال، واذا وضع على لبن الجاموس أو البقر منع تجمده في معد الاطفال تجمنا كبيرا بل تكون قطع جينية صغيرة متفرقة يسهل هضمها. ولا يصح اعطاء هذا اللبن للاطفال الا اذا خفف بماء الشعير. وكيفية صناعة هذا الماء ان يغلى ٥٠ جراما من الشعير اللؤلؤي^(١) في ٧٥٠ جراما من الماء مدة ٢٠ دقيقة في اناء مغلى ثم يصفى الماء، وهذا الماء هو المسمى بماء الشعير

(ج) القرطم (الشوفان) وهو يشبه الشعير في زلاله وفيه دهن كثير
(د) الارز، وفيه نشاء كثير وزلال قليل جدا ودهن أقل من الزلال وسلولوز أقل منها كلها وملح قليل جدا فكأنه لا يشتمل الا على النشاء، وإذا طبخ جيدا كان سهل الهضم جدا بسبب قلة السلولوز فيه

(هـ) الذرة، هي مثل القرطم في تركيبه بالنسبة لاشتغالها على دهن كثير وزلال كزلاله، وتنقصها كذلك مادة الجلوتين اللزجة ففتت خبزها، وينمو في العتيق منها فطر مخصوص يفسدها. فاذا أكلها الناس فقد يحدث لهم المرض المسمى (باللغرا) وهي كلمة يونانية وإيطالية أيضا معناها «الجلد الوحشي» (Pellis جلد و Agria وحشي) وقال بعضهم إنه قد ينشأ حتى من أكل الذرة السليمة اذا كان الشخص معدما رديء التغذية

وظن آخرون سنة ١٩١٠ أن له ميكروبا ينتقل ببعض أنواع الذباب (السكيت)

(١) شعير ازيل قشرة ثم كسرت حبوبه الى قطع مستديرة مساء، يوجد عند كثير من البقالين

[Sandflies] وقيل إن سببه كسبب الاسكربوط أعني أنه ينشأ من عدم إعطاء الجسم حقه من المواد الضرورية لتغذيته، فالأسباب أحد ثلاثة: (١) إما الذرة الفاسدة (٢) وإما نقص بعض المواد الضرورية للجسم (٣) وإما ميكروب مخصوص ينتقل بلسع السكيت

وهذا المرض كثير الانتشار في مصر، وأعراضه: آلام بالمعدة وإسهال متعاص وفساد في المهضم وضعف في الجسم وقر في الدم وطفح يظهر كثيرا في الأيدي والأقدام والمرافق والركب والعنق والصدر، ويسمى هذا الطفح عند الفلاحين (بالقشف) ويكون الجلد فيه خشنا متشققا أسمر اللون أو أسود، ثم يتقشر ويضر. ومن أضر أعراض هذا المرض ضعف يصيب المجموع العصبي كله فيصاب الإنسان بالضعف العقلي والماليخوليا^(١) (أي جنون الكآبة والحزن) وأعراض أخرى من الجنون كالليل للاتحار. وهذا الداء من أعظم أسباب الجنون في مصر وكذلك شرب الخشيش. وأعراضه تزول في آخر الصيف عادة ثم تظهر في الربيع، ويتكرر ذلك كل سنة، وبعد ٣ أو ٤ سنوات تشتد الأعراض ويزيد الضعف إلى أن يموت المريض. ومدة المرض غالباً ٥ سنوات وفي الحالات الخفيفة ١٠ إلى ١٥ سنة والأطفال قليلو الإصابة به وهو يكثر بين سن الثلاثين والخمسين

وعلاج هذا الداء أن يمنع الذرة بتاتا عن المصاب، ثم تعالج الأعراض التي عنده مثل الإسهال فيعالج بالغذاء اللبني والمواد القابضة المعروفة في الطب، فإذا زال الإسهال يعطى المريض الأغذية الجيدة السهلة المهضم والأدوية المقوية كالحديد والزرنيخ خصوصاً، وتراعى جميع الوسائل الصحية. وهذا الداء إن لم يتدارك في أول الأمر استغل واستحال شفاؤه وأدى إلى الموت لا محالة وقد يموت الشخص منه ولا يصاب بالجنون

والذرة التي تحدث هذا المرض هي الذرة الشامية وجوبها كبيرة - كما هو معلوم -
وأما الذرة الرفيعة المستديرة فلم يعرف أنها تحدثه

(١) معناها الحرفي في اليونانية (المرء السوداء) لتوهمهم أنها تختلط بالدم فتحدث هذا الجنون، ومثل هذه المرة لا وجود لها. وكلمة ماليخوليا من تعريب المتقدمين

وتتماز حبيبات نشاء القمح عن حبيبات نشاء الذرة بتكويراً كبيراً، أما حبيبات الذرة فهي كثيرة السطوح، وبهذا يمكن بالمجهر تمييز دقيق القمح عن دقيق الذرة (و) الحنظل والبقول والعدس، هذه المواد فيها زلال أكثر مما في اللحم وفيها نشاء كثير أيضاً ودهن قليل، وفيها أيضاً مادة السلولوز، فهي من أعظم ما عند النباتين من المواد المغذية، أما زلالها فيوجد فيها متحداً على الأثر مع الكبريت والفسفور، وهو غير الجلوتين الذي بالقمح، ولولا أنها عسرة الهضم لكان للنباتين وجهه وجهه في تأييد مذهبهم (راجع أيضاً صفحة ٧١ من هذا الكتاب)

(ز) البطاطس، فيها نشاء كثير وزلال قليل ودهن قليل جداً وبعض أملاح وسلولوز، وفيها أيضاً مقدار من حامض الليبونيك إما خالصاً أو متحداً مع البوتاسيوم والصوديوم والكلسيوم، ولذلك فهي مغذية جداً نافعة في الاسكريبوت

(جدول تركيب بعض الاغذية النباتية السابقة)

المواد	القمح	الشعير	القرطم	الأرز	العدس	الحنظل	البطاطس
الماء	١٣٠٦	١٣٠٨	١٢٠٤	١٣٠١	١٢٠٥	١٤٠٨	٧٦٠
المواد الزلالية	١٢٠٤	١١٠١	١٠٠٤	٧٠٩	٢٤٠٨	٢٣٠٧	٢٠
الدهن	١٠٤	٢٠٢	٥٠٢	٥٠٩	١٠٩	١٠٦	٥٠٢
النشاء	٦٧٠٩	٤٠٩	٥٧٠٨	٧٦٠٥	٥٤٠٨	٤٩٠٣	٢٠٠٦
السلولوز	٢٠٥	٥٠٣	١١٠٢	٠٠٦	٣٠٦	٧٠٥	٥٠٧
الأملاح	١٠٨	٢٠٧	٣٠	١٠	٢٠٤	٣٠١	١٠

(ح) الفواكه، يكثر فيها الماء وأنواع مختلفة من الحوامض والأملاح والسكر والسلولوز وغير ذلك كالتصنع في التين مثلاً، وفي بعضها نشاء كثير كالطلع (الموز) فهي مغذية معدرة للبول مذيبة لحامض البولييك مانعة للاسكريبوت والقرس وبعض الحبوب البولية. وطبخ بعضها مما يسهل هضمها كالتفاح والخوخ، وهو قاتل لما فيها من الميكروبات وغيرها. وفي البلح والموز — فوق ذلك — مواد زلالية،

٢٨٢ المواد التي يتركب منها البلع والموز . الماء [المنار: ج ٤ م ١٨]

فهما من الاغذية الكاملة
وأكل الفواكه عقب الطعام يعين على الهضم لانها تكثر عصارة الفم والمعدة
بلديذ طعمها

تركيب البلع*

ماء	١٢٠٠٠	مادة صمغية	١٢٠٠٠
سكر (من نوع سكر القصب)	٥٠٠٠٠	سلولوز	٢٠٠٠٠
مواد زلالية	٦٠٠٠		

تركيب الموز*

ماء صاف	٧٣		
مواد أخرى متنوعة	٢٧		
أما هذه المواد الاخرى ففيها ما يأتي بالنسبة للمائة : —			
ماء	١٣٠٠٠	مواد زلالية	٤٠٢٥
نشاء	٦٧٠٥٠	أملاح	٣٠٥٠
صمغ	٤٠٥٠	سكر	٢٠٠٠
سلولوز	٤٠٧٥	زيت ودهن	٠٠٥٠

(تنبيه) اعلم ان الدهن والزلال المأخوذ من عالم الحيوان أسهل هضما بكثير مما يؤخذ من عالم النبات . والعبرة في جميع الاغذية هي بما يمتصه الجسم من الاشياء المأكولة ، لا بمقدار ما في الطعام الذي يزدرده الانسان من المواد المغذية ، فانها قد تكون عسرة الهضم

(٦) الماء

مركب من الهيدروجين والاكسجين — كما سبق — بنسبة اثنين من الاول الى واحد من الثاني حجاء وهو ضروري جدا لجميع الاجسام الحية فان ٦٤ في

(*) اهدانا بهذا التركيب محمد شوقي بك بكير النباني الشهير في مصر فشكرا له

المائة من جسم الانسان ماء ، وهو أيضا ضروري لجميع افرازات الجسم وليسولة الدم ولغسل ما في الجسم من الاوساخ واخراجه في مثل العرق والبول ، وتبخره اذا خرج في العرق لتلطف حرارة الجسم

• والماء عسر الهضم قليلا في المعدة بمعنى أنه يمتص منها ببطء ، ولكنه يمتص بسرعة زائدة من الامعاء ، ولذا كان الاكثار منه مع الطعام أو عقبه بقليل محدثا لعسر الهضم بسبب تخفيفه للعصير المعدي ، ولكن المقادير المعتدلة منه أثناء الاكل تزيد في افراز هذا العصير ، واذا شرب الماء بمقادير كبيرة في وقت خلو المعدة من الطعام أدرّ البول وغسل كثيرا من أوساخ الجسم وزاد في سمته بترسيب مواد شحمية فيه وكل التغيرات الحيوية في الجسم فينقص مقدار حامض البوليك المنفرز في البول وبذلك يقلل تكون الحصوات الكلوية ويفعل الصغير منها ، وكذلك يقلل تكون الحصوات الصفراوية في مرارة الكبد وقنواته

والماء ينعش الخلايا الحية فيزيد في قوة مقاومة الجسم للميكروبات المختلفة . ومن فوائده أيضا انه اذا شرب منه قليل عند القيام من النوم صباحا أحدث لنا عند المصابين بقبض الامعاء

وللماء فوائد أخرى كثيرة في استعماله في الغسل والاستحمام سنكلم عليها — ان شاء الله تعالى — عند الكلام على النظافة

وبالاختصار انه من أكبر ضروريات الحياة بحيث ان الامتناع عن شربه أياما قليلة قاتل لا محالة ، والممزوج منه بالاشربة السكرية وغيرها كالشاي والمرق قد يغني عن الصرف

هذا ويجب الاحتراس من شرب الماء البارد عقب التعب الجثامي الشديد كأن يشرب الانسان بعد العدو ونحوه من الاعمال والرياضات المتعبة فان ذلك قد يقتل الشخص بالسكتة القلبية . وشرب الماء الحار مسكن للقيء مساعد للهضم ولكن الماء الفاتر هو من اشهر المقيئات وأبسطها

ويجب خلو الماء من جراثيم الامراض خصوصا وقت فراغ المعدة من الطعام لعدم وجود العصارة الحمضية المطهرة حينئذ

(٧) الاملاح (ومن أهمها ملح الطعام وهو كلوريد الصوديوم)

هذه الاملاح ضرورية للجسم أيضا لانتها تدخل في تركيب جميع أجزاء الجسم وسوائله ويتكون منها حامض الهيدروكلوريك الضروري للهضم المعدي ، وتذيب المواد الزلالية الموجودة في الدم وغيره من سوائل الجسم ، ولولاها لرسب كثير من الزلال في الاوعية الدموية واللمفاوية فتبطل الدورة . وقلة تعاطي ملح الطعام تحدث ضعفا شديدا وتورما وقرا في الدم وموتا ، وهذه الاعراض كانت تشاهد كثيرا في بلاد فرنسا حينما كان الناس يمتنعون عن تعاطي الملح بسبب وضع ضرائب عليه . والمقادير الكبيرة من ملح الطعام مثل ملء المعلقة من أحسن المقيثات فيفيد في الاسعاف لسهولة الحصول عليه في أوقات التسمم ، وهو أيضا يحدث اسهالا اذا اخذ بكثرة . ويحقن محلوله في المستقيم يزيل الديدان الخيطية منه ، ويحقن أيضا تحت الجلد وفي الاوردة بنسبة ٧٥٥ جرعات الى كل لتر ماء معقم عند حصول النزف — كما سبق — وفي تسمم الدم وفي النسيوبة الدايابيطيسية أي الناشئة من البول السكري. والغرض من حقنه أن يخفف من تأثير السم في الجسم ويزيل بعضه بإدرار البول

والا كثار من ملح الطعام قد يحدث تورما في الجسم أيضا ، خصوصا في الالتهاب الكلوي الحاد ، لتعسر خروج هذا الملح مع البول في هذا المرض ، فيتراكم في أنسجة الجسم ويجتذب اليه الماء الذي يتخلف فيها ويحدث الورم (oedema)

أما الاملاح الاخرى كفسفات الكالسيوم ومركبات الحديد فهي ضرورية لتكون العظام وتولد الكريات الحمراء وغير ذلك . وأملاح الجير موجودة بكثرة في اللبن والبيض والخضر وهي مما ينمي عظام الاطفال ولذلك كان أكل هذه المواد المذكورة واجبا على المراضع لكيلا تصاب أولادهن بداء الكساح

(٨) التوابل والاقاوية والمنبهات

يوجد غير ما تقدم مواد أخرى كثيرة يستعملها الانسان في طعامه وشرابه والغرض منها تنبيه الهضم أو الجهاز العصبي وغيره ، ومن هذه المواد الفلفل والبصل والثوم^(١)

(١) في الثوم زيت طيار فيه كبريت وهذا الزيت هو السبب في كراهة رائحته كما أنه هو السبب في كراهة رائحة الخلتيت

وأنواع البهار المعروفة والقهوة والشاي وغير ذلك
أما المواد العطرية والبهارات فالشيء الفعال فيها زيوت طيارة تنبه الاعصاب
والعضلات وتكثر العصارات الهاضمة، ولكن الغلو في تعاطيها مما يؤدي الى تعب
المعدة وفساد الهضم

(١) الخل — حامض مخفف معروف، يستخرج اما بالتقطير الجاف للخشب، أو
بتأكسد الخمر بواسطة بعض الميكروبات فائبا اذا عرضت للهواء مدة طويلة استحوالت
الى خل وبطل تأثيرها المعروف . وعناصر الخل (وهي الكربون والهيدروجين
والاكسجين) توجد في الخشب بحالة أخرى ، فاذا حلل الخشب بالنار في إناء مغلق
حدث منه الخل . وهو نافع في داء الاسكريوط الا أنه أقل فائدة في ذلك من
عصير الليمون ، ومن فوائده أيضا أنه يساعد الهضم ويدر البول فهو كباقي الحوامض
النباتية المذكرة آنفا

وحامض الخليك في الخل (بنسبة ٣-٦ في المئة) مختلط ببعض مواد أخرى
(ب) القهوة — معروفة ، وتسمى حبوبها بعد تحميصها ودقها « البن » وهو
الذي يوضع في الماء المغلي ويشرب . وفي القهوة مادة آزوتية وقهوين ودهن
وسكر وحامض التنيك (الدبغ) وسلولوز وأملح . أما القهوين فهو أهم
ما فيها وفائده تنبيه المخ فيقلل النوم ، وهو أيضا يقوي العضلات وضربات
القلب ويدر البول، فلذا يستعمله الناس لازالة النعاس ولتنبيه المخ للاعمال العقلية وفي
بعض أمراض القلب . والقليل من القهوة أيضا يحدث في بعض الاشخاص لينا
ولكن الاكثار من تعاطيها يحدث عسرا في الهضم وينهك القوى العصبية، فيحدث
أرقا وخفقانا وقطعا في ضربات القلب، فلذا يجب عدم الافراط في شربها. وأحسن
وقت لاستعمالها أن يشربها الانسان اذا أحس بالنعاس بعد أن يستوفي الجسم
الراحة التي يحتاجها من النوم وغيره . وشرب القليل منها عقب الطعام يساعد على
الهضم ، خصوصا بما فيها من الحرارة . وحامض التنيك الذي فيها من أشد المواد
القابضة فاذا أخذت القهوة بمقدار زائد أحدثت قبضا بدل اللين المذكور

والقهوة بما فيها من حامض التنيك والقهوين من أحسن ما يستعمل ترياقا للتسمم

٢٨٦ الشاي والكافكا والشوكولاتا والياه الغازية [المنار: ج ٤ م ١٨]

بالأفيون، ويصح حقنها بمقادير كبيرة في المستقيم عند المسموم به اذا كان في حالة الغيوبة
(ج) الشاي — مثل القهوة في التركيب تقريبا، وفائدته كفائدتها ويصح

استعماله مع اللبن في الاسهال والدوسنطاريا فانه يحدث قبضا

وطريقة صنعه هو أن يغلى الماء غلياً جيداً ثم يجملى على ورق الشاي بضع دقائق فيخرج منه بقيع مشتمل على المواد النافعة في الشاي ويقل بذلك نزول حامض التنيك في النقيع بخلاف ما إذا غلي في الماء ونظرا لكونه أشد صفاء من القهوة جاز استعماله أكثر منها في الاسهال ونحوه لعدم وجود راسب فيه تؤذي الأمعاء. وحكم الاكثار منه أو الادمان عليه كحكم القهوة الا أنه يحدث الذقة في الاسنان

(د) الكافكا — حبوب شجرة مخصوصة تثبت كثيرا في جزائر الهند الغربية. ويدخل في تركيبها الماء والزلال والثيوبرومين^(١) والدهن والنشاء وبعض أملاح وصمغ وسلولوز. وليس في الكافكا (تين) ولذلك لا يحصل منها القبض الذي يحصل من القهوة والشاي

والثيوبرومين مادة تشبه القهوين والشاين في تركيبها وتأثيرها غير أنها تؤثر في المجموع المضلي أكثر من تأثيرها في المجموع العصبي، ولذلك يشعر الانسان بقوة في جسمه وعضلاته بعد تعاطي الكافكا، وهو أيضا مدر للبول، ونظرا لإشتمال الكافكا على كثير من الدهن (نحو ٥ في المائة) تعد من الأغذية النافعة، وفيها أيضا نشاء كثير. ومن الكافكا تصنع (الشوكولاتا) وذلك بإزالة جزء من دهنها ثم يضاف عليها السكر وبعض مواد أخرى عطرية وغيرها فلذا كانت (الشوكولاتا) مغذية منبهة.

وكلمتا «كافكا» و«شوكولاتا» مكسيكيتان

ودهن الكافكا أو زبدته يستعمل طبيا في صناعة الاقماغ الشرجية التي تلبس لإزالة بعض الآلام والأمراض التي في الشرج، والسبب في اختيار هذه الزبدة هو أنها تذوب بحرارة الجسم الطبيعية

(هـ) المياه الغازية — مثل ماء الصودا والغازوزة — أهم ما فيها الماء مع

(١) لفظ يوناني معناه الحرفي (إله الطعام)

غاز ثاني اكسيد الفحم. وشربها منه للهضم مسكن لآلام المعدة وللقىء، ويجب أن تعمل من ماء نظيف لكيلا تنقل الى الانسان ميكروبات الامراض. على أننا نعلم أن ثاني اكسيد الفحم مع الضغط الشديد يقتل كثيرا من الميكروبات التي في الماء (و) الخمور — يستعملها الناس أيضا للتفتيح والانعاش، وقد سبق الكلام عليها فلا حاجة للتكرار. وإنما قول كلمة في كيفية صنعها، فهي نوعان: أحدهما أنها تعمل بتخمير بعض أنواع السكر المستخرج من الفواكه وغيرها كالشعير المستعمل في الجعة (البيرة) والنوع الآخر يستخرج بالتقطير بعد التخمير. فمن أمثلة النوع الاول الخمور التي يسمونها الآن النبيذ^(١) والبيرة، ومن أمثلة النوع الثاني الكونياك والوسكي. وأهم ما في النوعين هو الفول (الكحول) ولكن فيها مواد أخرى بعضها ينشأ من التخمير والبعض الآخر أصله مما في الفواكه وغيرها

ومن الخطأ الشائع اعتقاد أن شرب البيرة نافع فقد قرر الأطباء أنها ضارة بباقي أنواع الخمور، زد على ذلك أنها تهيج الجسم أكثر من بعض الأنواع الأخرى لمرض القرس والروماتزم والسمن الرائد وشربها بكثرة يفسد الهضم. ويضاف عليها حشيشة الدينار وهي مما ينجدر الأعصاب فتحدث ثقلا في الدماغ وميلا للنوم الكثير وفيها مواد أخرى تنشأ أيضا أثناء التخمير وهي ضارة بالجسم ضررا بليغا (ز) الدخان — يسمى بالطباق أو التبغ (Tobacco) وبالتن، وهو ورق شجرة معروفة. أعظم مادة مؤثرة فيه تسمى النيكوتين (Nicotine) نسبة لرجل يسمى «نيكوت» (Nicot) وهو الذي جلبها لفرنسة في سنة ١٥٦٠ ومادة النيكوتين من أشد السموم فعلا وأقوا تأثيرا وسرعة، وهي تكثر اللعاب وقد تحدث اسهالا وقئنا وهودا (هبوطا)، والاكثر من التدخين قد يحدث التهابا في الحلق وإقهاء (فقد شهوة الطعام) وتقطعا في ضربات القلب وخفقانا ونزلة حنجرية والتهابا في

(١) النبيذ من الشراب هو تبيع التمر والزبيب ونحوهما وهو اذا طال العهد على قعته يختمر فيصير مسكرا. ولهذا اختلف الفقهاء في حل شربه. وأما الخمير التي تسمى في عرف هذا العصر نبيذا فهي المحرمة بالاجماع. وقد اشبع المنار الكلام في ذلك من عهد قريب

العصب البصري يؤدي الى ضعف في النظر وضمور في هذا العصب ، وكثيرا ما يعجز الشخص المكثّر منه عن تمييز الاحمر من الاخضر

ولا فائدة فيه الا أنه منبه للمخ مريح للعقل عند كثير من الناس

هذا وقد زعم بعض المؤلفين أن الدخان لا يؤثر في النظر الا اذا كان الشخص من المدمنين للخمر أيضا . والحق أن كلا منهما كاف بمفرده لاحداث هذا التأثير في النظر فتجد أن المدمن للتدخين أو لشرب الخمر (وخصوصا من يواظب على شرب مقادير صغيرة يوميا ومتكررة بحيث لا يسكر منها) اذا بلغ عمره ٣٥ — ٥٠ سنة لا يقدر على القراءة أو الكتابة ونحوهما ، ويضعف نظره للأشياء كلها خصوصا في النور الشديد ، ويعجز عن تمييز الألوان — كما سبق — وهذه الاعراض تبتدى عنده بسرعة الا أن حصولها كلها لا يتم الا تدريجيا بعد مضي عدة أسابيع أو أشهر من مبدئها ، وهي كثيرة الحصول للأشخاص الذين يجمعون بين ادمان الخمر والدخان وان كان كلا منهما وحده كاف لاحداثها — كما قلنا — أما الذين يسكرون أحيانا وفي القترات لا يدخنون ولا يشربون خمرا فهم أقل تعرضا لتلك الاعراض

واذا لم يستفعل الداء ولم يزمن ، ففجرد الامتناع عن الخمر والدخان كاف لتحسين الحال أو الشفاء ، ومما يساعد على ذلك استعمال يودورالبوتاسيوم ، وحقن الاستركتين في الصدغ أو تعاطيه من الباطن ، والحجامة الجافة والرطبة ، والحمام الساخن للأقدام ، ومراعاة القوانين الصحية كافة خصوصا ما به اصلاح المعدة ، والاستغراق في النوم . ولا بد من المواظبة على ذلك زمنا طويلا مع عدم العودة الى شرب الدخان أو الخمر مطلقا وفي مبدأ هذا المرض ربما لا يشاهد تغير ما في قاع العين — اذا امتحن —

ثم توجد فيه أشياء يراها الاخصائيون بمنظار العين (Ophthalmoscope)

والتغير الذي يحصل في هذا المرض هو كالذي يحصل في الكبد والمخ مثلا لمدمن الخمر فتضمر الالياف العصبية بسبب الضغط عليها بالمواد الالتهابية وبما زاد في المنسوخ الضام الذي بينها ثم ينقبض عليها ويفسدها

طبخ الطعام

الطبخ نافع لأسباب عديدة (منها) أنه يقتل الميكروبات والديدان ونحوها فيقي الجسم من أمراضها (ومنها) أنه في الماء ككل النباتية يشقق طبقات السلولوز التي تحيط بنشائها ، وبذلك يسهل هضمها (ومنها) أنه في اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية يذيب بعض المواد المخصوصة المسرة للهضم جدا ، على أنه يجمد المواد الزلالية التي فيها أيضا إلا أن هذا أخف وطأة من المضار الأخرى التي تنشأ من أكل اللحم نيئا ، (ومنها) أنه يفرق الألياف العضلية للحم لتكون قفايع من البخار بينها ، وبذلك يسهل هضمها ، ويتجمد المواد الزلالية يسهل هضمها . وسخونة الطعام نافعة للهضم ، منشطة للجسم

وإذا أريد الحصول على مرق من اللحم مفد قطع اللحم إلى قطع صغيرة ووضع في الماء البارد ثم سخن بالتدريج شيئا فشيئا إلى أن يغلي ، أما إذا أريد الاحتفاظ بالمواد الغذائية وبقاؤها في اللحم دون المرق فيغلي الماء غليا شديدا ثم يوضع فيه اللحم أثناء الغليان ، فإن ذلك يجمد المواد الزلالية في الحال ويكون طبقة تحيط باللحم تمنع نزول المواد الغذائية في الماء ، ولذلك كلن المرق المصنوع بهذه الطريقة قليل النفع

اوقات الطعام وقوانينه

سبق أن الطعام يمكث في المعدة أربع ساعات في الغالب . ويختلف هذا الوقت باختلاف قدر الطعام ونوعه ، والصحة والمرض ، والراحة والتعب ، ونوع الهواء المستنشق وغير ذلك . ولذا تعود الناس أن يأكلوا مرة كل ٤ أو ٦ ساعات ، وهي طريقة حسنة لا اعتراض عليها ، ولكن يجب أن يراعى الإنسان - فوق ذلك - في مسألة الأكل عدة أمور (١) أن لا يأكل إلا إذا جاع ، وبعبارة أخرى أن لا يدخل طعاما على طعام فإن ذلك يفسد الهضم (٢) أن لا يأكل الإنسان عقب تعب شديد (٣) أن لا يجهد نفسه بعد الطعام في عمل جنائي أو عقلي فإن ذلك يصرف الدم عن المعدة إلى الأعضاء العاملة فيتمطل الهضم . وعليه فمن الخطأ المذاكرة أو الجري أو الجماع عقب الأكل مباشرة ، وأضرها الجماع فإن الصدمة العصبية التي تحدث

٢٩٠ قوانين الطعام والاعتدال فيه . الدهن والسكر [النار : ج ٤ م ١٨]

للجسم منه قد تقتل الشخص بالسكتة القلبية لاسيما اذا كان القلب مريضاً والتعب الذي يعقبه مفسد للهضم . ويلحق بذلك أيضاً الاستحمام عقب الاكل فانه ضار أيضاً بسبب توجه الدم الى الجلد اذا كان الماء ساخناً ، أما اذا كان بارداً فان حركة المعدة والقلب تضطرب بسبب البرودة ، ثم يذهب الدم عن المعدة حينما تتمدد أوعية الجلد بسبب رد الفعل المعتاد عقب الاستحمام بالماء البارد فتعب هي والقلب . وكذلك لا تحسن المذاكرة عقب الطعام الا بعد ساعة على الأقل (٤) ان لا يتام الانسان عقب الطعام مباشرة فان النوم يضعف حركة جميع أعضاء الجسم ومنها المعدة فيتعطل الهضم ويضيق النفس . نعم ان الراحة عقب الطعام نافعة ولكن الاستغراق في النوم هو الضار ، ومن المستحسن جداً أن يتعود الانسان تناول الفطور في الصباح مع قليل من القهوة أو الشاي ، فان ذلك يقوي الجسم والهضم حتى انه شوهد في البلاد التي فيها حمى الملاريا (النافض) قلة اصابة الاشخاص المتعودين فعل ذلك في الصباح وحسن بنيتهم (٥) أن لا يشرب ماءً شديداً البرودة على طعام شديد السخونة

أما الاكثار من الطعام زيادة عن المعتاد فيحدث ضعفاً في المعدة وتعدداً فيها ، وفساداً في الامعاء ، واحتقاناً في الكبد ، ويتعب الكلى ، ويحدث داء القرس ، واذا كان الطعام الزائد شحاً أو سكرًا أو نشاءً فقد يحدث سناً زائداً وانحلالاً في العضلات أو بولاً سكرياً من كثرة النشاء والسكر

والامتناع عن أكل الدهن والشحم البتة يضعف الصحة

أما الامتناع عن المواد الكربوهيدراتية (النشاء والسكر ونحوهما) فيضطر البنية الى احراق ما فيها من الشحم فيتولد من ذلك حوامض شحمية ومركبات عضوية من قبيل حامض الزبدليك (Butyric) وهذه الحوامض تقلل قلوية الدم . فان كان الشخص مصاباً بالبول السكري (الديابيطس) ^(١) فقد يحدث له الغيوبة التي تكون سبباً في موته لذلك يرى أعلم الاطباء الآن أن الامتناع المطلق عن أكل تلك المواد في هذا المرض — كما كان متبعاً من قبل — خطر جداً ، ولذلك قلنا ان يجلس النحل

(١) كلمة يونانية معربة معناها يقرب من معنى كلمة البول . أي كثرة البول

نافع في هذا المرض لانه يفني عن تلك المواد الكربوهيدراتية ، وهو من أسهلها هضمًا ، والقليل منه يكفي (راجع صفحة ٨٨ من هذا الكتاب)

وإذا أريد تقليل سمن شخص مصاب بالتشمع العام وجب عليه الامتناع عن المواد الدهنية والكربوهيدراتية بقدر الامكان ، والا كثر من تعاطي المواد الزلالية فانها تزيد احتراق أنسجة الجسم . وهذه الطريقة تسمى طريقة بنتنج Banting^(١) أما قلة الطعام فانها تحدث ضعفا في الجسم وتقلل قوة مقاومته للميكروبات ، فان من المعلوم أن الكريات البيضاء تزيد عقب الاكل فتكون قوة الجسم على مقاومة الميكروبات أكبر ، فاذا قلت هذه الكريات بالصوم ضعف الجسم وربما صار عرضة لبعض الامراض . نعم ان الصوم عن الطعام نافع في أمراض المعدة والامعاء والكبد والكلية وحصواتها والتقرس والروماتزم (الرثية) والحميات وأمراض القلب وغير ذلك ، الا أن الغلوفيه له هذا الضرر الذي ذكرناه ، ولذلك نص الشارع صلى الله عليه وسلم على وجوب الاعتدال في كل شيء ونهى عن صوم الدهر وعن الوصال في الصيام واستحب السحور وتأخير الفطر وقد قال (ص) لمن نهاء عن كثرة الصيام والقيام (ان لبدنك عليك حقا)

ومما يخفف ضرر الصوم عند المسلمين أن يباح لهم أن يتعاطوا كل ما أرادوا ليلا فلذلك كان الضرر الناشئ من الضعف في أثناء النهار قليلا أو معدوما وبجانبه نفع يفوق كثيرا هذا الضرر وذلك هو إراحة الجهاز الهضمي والكبد والجهاز البولي واحراق ما في الجسم من الزيادة الضارة وغير ذلك مما ذكرناه ، ولكن يجب الاحتراز من ملء المعدة عقب الافطار مباشرة فان الجسم تكون قواه في ذلك الوقت ضعيفة وكذلك المعدة . فالواجب طيبا أن يأكل الانسان أو يشرب شيئا قليلا ثم يعود الى إتمام الاكل بعد صلاة المغرب كما كان يفعل رسول الله (ص)

ولما كان الصوم نافعا من الوجهة الدينية والاخلاقية اغتفر الشارع ذلك الضرر القليل أو المشكوك فيه في جانب نفعه العظيم

(١) كان نجارا من اهالي لندن ، أوصى الجمهور بهذه الطريقة سنة ١٨٦٣ وعاش

وبما يعمو ذلك الضرر الابتعاد عن ملاقة المرضى وكل ملامسهم اثناء النهار،
وصرف الوقت في النوم بقدر الامكان، ولذلك يستحب عندنا في الشريعة الاسلامية
النوم للصائم فانه فضلاء عن قائدته الطيبة بإراحته الجسم وتوفير قواه يقي الانسان من
اللفو والرفث ولذلك ورد في بعض الآثار (نوم الصائم عبادة)

الجهاز البولي ووظيفته

لا يختلف هذا الجهاز في الذكور والاناث الا في الاحليل (مخرج البول)
وهو في كل منهما مركب مما يأتي : —

(١) الكلتيان وهما عضوان مخصوصان لافراز البول موضعهما في القسم القطني
من البطن خلف البريتون على جانبي العمود الفقري ويعتمدان من الفقرة الاخيرة الظهرية
الى الثالثة القطنية، والبنى منهما منخفضة قليلا عن اليسرى بسبب وجود الكبد في
هذه الجهة ، وطول كل منهما نحو أربع بوصات، وعرضهما نحو بوصتين ونصف
والكلية عبارة عن منسوج مخصوص مركب من أنابيب كثيرة العدد لا إفراز
البول من الدم ، والدم يأتي اليها بشريان عظيم متصل بالاورطى (الابهر) مباشرة ،
ويتفرع هذا الشريان في الكلية الى عدة فروع يخرج منها فروع دقيقة جدا
تتبعي بعمل أشكال كروية تسمى كريات ماليني (Malpighi)^(١) يحيط بها
مبدأ أنابيب الكلئ، وكل أنبوبة بعد تعرجها عدة تعرجات. تصب في أنابيب
أخرى مستقيمة ، وهذه الانابيب تنفتح في قم حلقات صغيرة (عددها من ٨
الى ١٨) توجد في بطن الكلية حول تجويف مخصوص يسمى « الحويض الكلوي »
وهو مبدأ للحالب

(٢) أما الحالب فهو عبارة عن أنبوبة تمتد من الكلية الى المثانة وتحمل البول
اليها، وينفتح في قاع المثانة بانحراف، أغنى أنه يسير قليلا في جدارها بين غشائها
المخاطي والطبقة العضلية، وذلك لمنع رجوع البول فيه بانطباقه على نفسه بسبب ضغط
البول عليه حينما تمتلأ المثانة به. وكل من الحالبين مركب من منسوج ليفي ومنسوج

(١) مشرح إيطالي عاش في بولونيا (Bologna) بين سنة ١٦٢٨ و ١٦٩٤

عضلي وغشاء مخاطي، والغرض من المنسوج العضلي أن يدفع البول نحو المثانة (٣) أما المثانة فهي كيس يسم نحو نصف لتر من البول في امتلائه العادي، وموضعه في الحوض خلف العظم العاني وفي أسفل الجدار الأمامي للبطن، والمثانة مركبة من عدة طبقات أهمها الطبقة العضلية والطبقة المخاطية، وفائدة الطبقة العضلية هي قذف البول الى الخارج، وهذه الطبقة العضلية مركبة من ثلاث طبقات: خارجية، وداخلية (والياهما تمتد من الامام الى الخلف غالبا) ووسطى، والياهما حلقة تحيط بالمثانة، وعند فتحة المثانة في الاحليل تتجمع من هذه الطبقة الوسطى الياف كثيرة تسمى « العضلة العاصرة للمثانة » وهي التي تمنع البول من السلس

(٤) أما الاحليل فهو اسم لمجرى البول في كل من الذكر والانثى، وهو - طبعا - أطول في الذكر منه في الانثى. أما فتحة في الانثى فهي فوق فتحة المهبل الذي هو عبارة عن مكان الجماع ومخرج دم الحيض والجنين

أما كمية البول فهي في اليوم نحو ١٥٠٠ سنتمرا مكعبا. وهذه الكمية تختلف أيضا باختلاف مقدار الشرب وحرارة الجو وقوة القلب وبعض المواد المأكولة، فإذا اشتدت حرارة الجو مثلا كثر افراز العرق وبذلك يقل البول، وإذا شرب الانسان مقدارا عظيما من الماء أو تعاطى بعض المواد المدرة للبول فإن هذه الكمية تزداد والبول حمضي التأثير في ورق عباد الشمس، هذا في الحيوانين. أما في النباتين فإنه قلوي التأثير. وإذا ترك البول في اناء مدة من الزمن تحولت (البولينا) التي فيه بفعل الميكروبات الى كربونات انوشادر وصار البول قلوي التأثير، وهذا هو سبب رائحة النوشادر فيه

والثقل النوعي للبول يختلف من ١٠١٥ الى ١٠٢٥ وفي البول السكري يزداد هذا الثقل النوعي كثيرا

والبول مشتمل على مواد كثيرة أهمها الماء والاملاح وبعض المركبات العضوية الاخرى كالبولينا

أما جل الماء والاملاح فتفرز بواسطة كريات ماليني، وأما باقي المواد الاخرى فتفرزها أنابيب الكلى المتفرجة أثناء سير الدم في الاوعية الشعرية التي حولها

والبول الطبيعي خال من السكر ومن الزلال تقريبا فلا يوجد فيه شيء منها يذكر^(١) إلا في أحوال مرضية ، والسكر الذي يوجد حينئذ فيه هو سكر العنب ولا يوجد فيه سكر اللبن إلا في المراضع . وأهم سبب لوجود الزلال فيه هو التهاب الكلى المسمى داء بریت (Bright)^(٢) الذي يفسد خلاياها خصوصا خلايا كريات مالبيني . وأهم ما يحدث هذا الداء التعرض للبرد الشديد . خصوصا عقب الإفراط في السكر أو الجماع ، أو الإصابة بالحميات العفنة كالقرمزية . وهذا الداء من أضر ما يحدث للجسم ، وهو سبب في موت كثير من الناس . وهناك مرض آخر منتشر في الجهاز البولي في مصر يسمى « داء بلهارس » سنتكلم عليه عند الكلام على الديدان وإذا أراد الإنسان التبول صدر من النخاع الشوكي تيار عصبي إلى المثانة فاقبضت ، وإلى عضلات البطن فاقبضت أيضا ، وفي أثناء انقباضها ترتجى العضلة العاصرة لعنق المثانة فيخرج البول إلا إذا عاقه عائق كحصاة تكونت في المثانة

وقد تكون الحصيات في أنابيب الكلى نفسها وتكون حينئذ صغيرة جدا كحبات الرمل ، أما الحصيات الكلوية التامة فتكون غالبا في أعلى الحالب أي في الحويض الكلوي وهي السبب في حصول الآلام القطنية عند المصابين بها ، فإذا نزل جزء منها في الحالب اشتد المصعب بالمصاب إلى درجة مفرقة ، ولا يزول غالبا إلا إذا عادت الحصاة إلى الحويض أو نزلت في المثانة ، أما إذا وقعت في الحالب ومدته تراكم البول خلفها وضغط على منسوج الكلية فأثقله وإذا طالت مدته استحالته الكلية إلى كيس عظيم . وأهم هذه الحصيات هي حصيات حامض البولييك الذي يكثر بتعاطي المواد الزلالية مع قلة الحركة الجنائية — كما قلنا — ولا علاج للحصاة بعد تكونها إلا بالعمليات الجراحية ما لم تكن صغيرة وتخرج بنفسها مع البول . وأحسن المخترعات الحديثة لمعرفة مكانها وشكلها وحجمها هو أشعة

(١) في البول الطبيعي ١ في ١٠٠٠٠ من السكر ، وأثر من الزلال ، وكلاهما يعتذر ادراكه بالطرق الكيماوية المعتادة

(٢) هو ريتشارد بریت (Richard Bright) الانكليزي عاش بين سنة

١٧٨٩ و ١٨٥٨ ميلادية

رونتجن (Röntgen) فأنها تظهر ما في الجسم من الاجسام الصلبة كالخصيات والعظام والاشياء الغريبة كارضاص - وسيأتي الكلام عليها -
والخلاصة ان وظيفة الكلية هي إفراز المواد المتخلفة من الاحتراق الداخلي للجسم لان بقاء هذه الفضلات فيه ضار به جداء ، واذا بطلت هذه الوظيفة بسبب فساد الكلتين نشأ عن ذلك الموت لتسم الجسم بالمواد البولية، ولذلك يسمى هذا التسم بالتسم البولي (Uraemia) وبعبارة أصح « تسم الدم بالبول »

الجهاز التناسلي ووظيفته

هذا الجهاز - وان اختلف في الظاهر في الذكر والانثى - هو واحد في منشئه وتركيبه، ولذلك قال ابن سينا^(١) في قانونه ان آلة التوليد في الاناث « كأنها مقلوب آلة الذكران » وهو تعبير يقرب المسئلة الى الفهم وان لم يكن حقيقيا على اطلاقه
اعضاء الذكر

القضيب والصفن المشتمل على الخصيتين والقناة الناقلة والحويصلات المنوية والبروستاتا وغيرها مما سيأتي

أما القضيب فهو مركب من ثلاثة اجسام اسطوانية الشكل : اثنان منها في أعلاها، والثالث في أسفلها . ومنسوج هذه الاجسام الثلاثة يشتمل على تجاويف عديدة اذا احتبس فيها الدم بسبب ضغط العضلات على الاوردة حصل الانتصاب، والجسم الاسطوانى الاسفل هو الذي فيه الاحليل (أي مجرى البول) ومركز الانتصاب في (الانتفاخ القطني للنتخاع الشوكي) الذي يقابل الفقرتين أو الثلاثة الاخيرة من الفقار الظهرية

والحشفة متصلة بالقسم الاسفل من تلك الاجسام الاسطوانية ، ويغطي الحشفة

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الفيلسوف العربي الشهير ، ولد بقرب بخارى سنة ٩٨٠ ميلادية وتوفي سنة ١٠٣٧ م (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) وله مؤلفات عديدة جاوزت المئة، وكان كتابه في الطب المسمى (القانون) معولا عليه حتى في أوروبا عدة قرون ، وترجم الى عدة لغات ، وطبع بالعربية في رومة سنة ١٥٩٣ م (١٠٠١) هـ

جلدة تسمى القلفة ، وهي التي تقطع في الختان وفائدة الختان منع تراكم الافرازات تحت القلفة وكذلك تسهيل معالجة ما ينشأ في الحفشة من الادواء ، ومن فوائدها أيضا تعريض الحفشة نفسها لشدة الاحساس فتقوى الشهوة ويكون الالتذاذ بالجماع اكمل . وفي بعض الاشخاص قد تكون فتحة القلفة ضيقة فيتعسر خروج البول ويتسبب من ذلك كثرة الزحير فيصاب الشخص بمثل سقوط المستقيم أو الفتق الشري أو الأرتي وغير ذلك وضيق الفتحة هذا هو من أكبر الأسباب لهذه الامراض خصوصا في الاطفال ولا دواء له الا الختان ، وتراكم الافرازات قد يؤدي الى جلد عميرة والتهاب الحفشة والصاقها بالقلفة ، ويهيئها لقبول الامراض الزهرية بل والسرطانية في الشيوخ . ولذلك كان الختان عند فقهاء المسلمين سنة مؤكدة وعند بعضهم واجبا ، ولكنه عند اليهود فرض لا هوادة فيه

الصفن : وهو الجلدة المعروفة التي تشبه الكيس وفيها الخصيتان . أما الخصيتان فهما غدتان كبيرتان كحجم البيضة مختصتان بإفراز الحيوانات المنوية . أما تركيبها فهو كما يأتي : يحيط بالخصية غشاء سميك يخرج منه عدة جدران تقسم الخصية الى عدة أقسام ، وفي هذه الاقسام توجد أنابيب طويلة ورفيعة جدا يبلغ عددها نحو ٨٤٠ (وقيل ٣٠٠) وطول كل منها نحو من قدمين وربع وقطرها صغير جدا وهي ملتفة على نفسها ومبطنة من داخلها بخلايا مخصوصة تتحول بالتدريج الى الحيوانات المنوية أما هذه الحيوانات المنوية فكل منها عبارة عن خلية واحدة ، لها رأس وجسم وذنب ، ورأسها هو نواة الخلية ، ولها حركة سريعة جدا ، وإذا رآها الانسان بالميكروسكوب ظنها ديدانا دقيقة أو علقا ، وتعيش مدة بعد خروجها من الانسان ، وشكلها يختلف باختلاف الحيوانات المتنوعة وأقرب الاشكال شيها بحيوين الانسان حيوين مني القرد . وإذا انفصلت هذه الحيوانات من خلايا الانابيب سارت فيها ، وهذه الانابيب تتجمع شيئا فشيئا الى ان تكون منها قناة واحدة تسمى « بالقناة الناقلة » والدم الموارد الى الخصيتين يأتيهما بشريانين رقيقين طويلين يخرجان من الابهر الممتد من القلب خلف الترائب الى نهاية الصلب تقريبا (والصلب هو السلسلة الفقرية

[المنار: ج ٤ م ١٨] خروج المني من بين الصلب والترائب. الودي والمذي ٢٩٧

كما سبق) وهذا الدم يغذي الخصية فتقسم خلاياها بعد ان تتغذى به وينشأ من اتقسامها هذه الحيوانات المنوية . وعلى ذلك فأصل المني أو دمه يخرج كما قال تعالى (من بين الصلب والترائب)^(١)

أما هذه القناة الناقلة التي يحس بها الانسان في الصفن كجبل صلب فهي تحمل المني الى جدران البطن ثم تدخل البطن ولكنها تبقى خارج البريتون وتستمر في سيرها الى أسفل المثانة وتكون بينها وبين المستقيم^(٢) وهناك تتحد بقناة الحويصلة المنوية التي في الجهة الوحشية منها، ويتكون من اتحاد القناتين قناة واحدة تصب في مجرى البول بعد خروجه من المثانة بقليل وتسمى (بالقناة القاذفة)

أما الحويصلة المنوية فهي كبس صغير كأنبوبة ملتفة على نفسها ولها في جوانبها عدة فروع ، وهي تفرز سائلا لبنيا رقيقا يضاف الى المني لتسهيل حركة الحيوانات فيه ، وفي هاتين الحويصلتين يتجمع المني الى حين قذفه عند الجماع ونحوه ، فهما مستودعان له

البروستاتا (وهي كلمة يونانية معناها الإِمام) يحيط بمبدأ مجرى البول بعد عنق المثانة خلف العظم العاني وتحتة ، وهو يفرز مادة تضاف الى المني تسمى بالودي^(٣) وتنبعث منه بعدة أنابيب تصب في مجرى البول أثناء مروره في البروستاتا ، وهذا العضو كثيرا ما يصاب بالضخامة في الشيوخ فيحدث عندهم عسر البول واحتباسه

وهناك غدتان صغيرتان في العجارت على جانبي مجرى البول لها افراز مخصوص يسمى بالمذي وهو السائل الذي ينزل عند المداعبة ، وفائدته تليين

(١) الترائب هي عظام الصدر تطلق على الذكر والاثني وان كان يغلب استعمالها في الاثني ومنه قول امرئ القيس (تراثبها مصقولة كالسجنجل)
(٢) لذلك يكثر الاحتلام عند امساك البطن أو عند امتلاء المثانة بالبول، فلذا يجب اطلاق البطن والتبول قبل النوم لمنع ذلك

(٣) هو ما ينزل أحيانا بعد البول ومن أشهر اسبابه واكثرها شدة الميل الى النساء مع عدم الوصول اليهن ، والتحرق عليهن

قناة البول لتسهيل سير المني فيها ، وتيسير إيلاج القضيب في الفرج عند الجماع . وهاتان الغدتان تسميان غدتي (كوبر) « Cowper » والقذف يحصل بانقباض الالياف العضلية التي في المجاري المنوية وحولها ، فان في كل هذه الاجزاء المذكورة كثيرا من المنسوج العضلي

ويتبدى تكون الحيوانات المنوية عند البلوغ ، وهو يحصل عادة في بلادنا بين السنة ١٢ و ١٦ وقد يبلغ بعض الغلمان في التاسعة من عمرهم ، وآخرون في السنة ١٨ واذا بلغ الشخص خشن صوته ونبت الشعر في وجهه وعاتقه ووجد فيه الميل الطبيعي للانثى . ويستمر افراز المني الى أواخر العمر ، فقد عرف ان بعض الشيوخ رزقوا بالولد في سن الثمانين بل بعد المئة ، ولكن الميل الشهواني يضعف عادة في الانسان كلما كبر ، وقد يزول في الصغر لضعف أو مرض أو غيرهما ، ويكون حينئذ قاصرا على الميل النفسي وان كانت القوة الجثمانية نفسها ضعيفة أو مفقودة بسبب ضعف الانتصاب أو عدمه

اعضاء الانثى

تبتدى هذه الاعضاء من الخارج الى الداخل بالفرج ، وأجزاؤه هي (١) جبل الزهرة (١) وهو القبة التي في أعلاه وعليها ينبت الشعر (٢) الشفران الكبيران ، وهما الممتدان من جبل الزهرة الى ما يسمى بالشوكة وهي الغشاء الذي يجمع بينهما عند أسفلهما . وهذه الاجزاء مركبة من جلد وشحم مع جزء من المنسوج المسمى بالخلاوي ، وفيها غير ذلك أعصاب وأوعية وغدد وألياف عضلية . والشفران في الانثى يقابلان الصفن في الرجل (٣) الشفران الصغيران ، وهما قطعتان صغيرتان من الجلد بين الشفرين الكبيرين وبعرفان عند عامة النساء في مصر بالورقتين ، يمتدان في أعلاهما الى البظر (٤) البظر وهو جسم صغير يقابل في الذكر القضيب ، وهو مثله في تركيبه ونشوئه ، غير أنه مركب من جسمين اسطوانيين فقط ، وله رأس كرأس الذكر ، ولكنه

(١) الزهرة هي ما يسميها الرومان Venus (فينس) وهو الكوكب المعروف ببهاثة وجماله ، وكانوا يزعمون انه (إله الحب) والى هذه القطعة من الفرج تنسب الامراض الزهرية الناشئة من الزنا غالبا

غير مثقوب ، ولا يوجد فيه الجسم الثالث الذي للرجل ، والبظر عضو حساس خصوصا رأسه ويتحرك بالشهوة وينتصب كالذكر تماما . ولذلك اعتاد الشرقيون من قديم الزمان أن يقطعوه وحده أو مع الشفرين الصغيرين ، وتسمى هذه العملية بعملية الخفض ، وهي مستحسنة في الشريعة الاسلامية لانها مما يقلل ثوران الشهوة عند النساء وخصوصا في البلاد الحارة

(٥) غدد (بارثولين) وهما غدتان صغيرتان على جانبي فتحة الفرج تفرز كل منهما مادة لزجة صافية تشبه المذي ، وهي تسيل مثله عند تحرك الشهوة في النساء (٦) العذرة (غشاء البكارة) وهو غشاء يسد فتحة الفرج كلها أو بعضها ، ولكنه له في الغالب فتحة أو أكثر لنزول دم الحيض ، وله أشكال عديدة أكثرها الهلالي والحلقي ، وقد يكون معدوما بالمرة من أصل الحلقة . وإذا كان هذا الغشاء مسدودا بالمرة امتنع دم الحيض من النزول فيتراكم في الرحم وينشأ منه أعراض مخصوصة يعرفها الأطباء ، وتسمى المرأة المصابة بهذه العاهة بالرقاء . وعند تمزق هذا الغشاء في العذارى يخرج منه مقدار من الدم كما هو معروف ، ويسمى هذا التمزيق بالافتضاخ . وفي تمزيقه بالاصبع خطر فقد يتمزق معه المهبل وربما يفني ذلك الى الوفاة

هذه هي أعضاء المرأة الظاهرة

أما أعضاؤها الباطنة فتبتدى بالمهبل ، وهو أنبوبة عضلية موصلة بين الفرج والرحم ، ولها فتحة مسدودة بالغشاء المذكور وفي أعلى هذه الفتحة يوجد الصماخ البولي ، أي فتحة البول الواصلة الى المثانة . والمثانة في النساء فوق المهبل

وظيفة المهبل هي أن يكون محلا للجماع ومخرجا للجنين ودم الحيض أما الرحم فهو جسم كثري الشكل ، عضلي سميك أجوف ، له فتحة في المهبل وفيه فتحتان أخريان لأنبوبتين تسميان بوقي فالوبيوس^(١) لحمل البويضات الى الرحم

(١) هو جبريل فالوبيوس (Gabriel Fallopius) المشرح الشهير ، كان من أهالي بادوا (Padua) بقرب مدينة البندقية ولد سنة ١٥٢٣ ومات سنة ١٥٦٢ وهو أول من وصف هذين البوقين وصفا دقيقا

أما (البوقان) فبطنان من الداخل بغشاء مخاطي له أهداب، وطول كل منهما نحو أربع بوصات وطرف كل منهما مشرشر، وخلف البوقين (المبيضان) وهما جسمان يشبهان الخصيتين وليسا أجوفين وفي داخلهما بويضات صغيرة جدا ميكروسكوبية في داخل حويصلات تسمى حويصلات (جراف) وهذه الحويصلات تقرب من سطح المبيض شيئا فشيئا حتى تنفجر فتخرج البويضة^(١) وتصل الى البوق . والبوق متصل بالمبيض بقناة صغيرة هي جزء من الطرف المشرشر، وهو ينطبق على المبيض حين انفجار الحويصلة

البويضة والبلوغ والياس

أما البويضة فأصلها من الغشاء المحيط بالمبيض الذي هو عبارة عن البريتون . وتتكون هذه البويضات في البنات منذ ابتداء خلقتهن بحيث تولد البنت وفيها عدد مخصوص من البويضات تبلغ الالوف . ويقال ان هذه البويضات تسقط من البنات في زمن طفوليتهن قبل البلوغ . ويتفق في البنات البالغات والنساء زمن انفجار الحويصلات وخروج البويضات منها مع زمن الحيض . والرأي الراجح الآن عند بعض العلماء أن كل مبيض تنفجر منه حويصلة مرة في كل شهرين بمعنى أن الحيض اذا اتفق مع انفجار الحويصلة التي في المبيض الايمن مثلا في هذا الشهر انفجرت حويصلة من المبيض الايسر في الشهر التالي وهكذا ، أي ان كل انفجار من مبيض يكون في شهر وحده

وأما زمن البلوغ في البنات عندنا فيكون من ١٢ الى ١٤ سنة ، وفي البلاد التي أشد حرا من مصر كبلاد الهند والعرب كثيرا ما تنحيز البنت في السنة التاسعة وزمن الحيض يتفق مع زمن النسل عادة الا أنه ثبت ان بعض البنات حملت قبل أن تنحيز ، كما ثبت أن بعض المعجائز حملت بعد اليأس . وسن اليأس في النساء هو في الغالب من ٤٥ الى ٥٠ ومنهن من يستمر حيضها الى ما بعد ذلك بكثير كالسنة التاسعة والستين

(١) تشمل الحويصلة عادة بويضة واحدة وأحيانا بويضتين ونادرا ثلاثا وقد تشمل البويضة نواتين بدلا من واحدة، وذلك من اسباب الحمل التوأمي كما سيأتي

الحيض - عبارة عن نزف يحصل من الغشاء المخاطي المبطن للرحم ويصاحبه تمزق في هذا الغشاء وسقوط بعض الأجزاء منه ، ولا يحدث الحيض إلا للنساء ولبعض أنثيات القروء ، ومدته تختلف من يوم الى ثمانية أيام ، وفي الغالب ستة أيام فقط وسبب الحيض وقائده مجهولة الى الآن . وهو ليس ضروريا لحدوث الحمل ، فقد شوهد أن بعض النساء لا يحيض مطلقا ومع ذلك تحمل كالعادة

الخنثى - انسان يتعسر أو يتعذر تمييز نوعه ان كان ذكرا أو أنثى وهي أنواع :-

(١) من يكون في الحقيقة ذكرا ولكن أعضائه تشبه الانثى ، فيكون له صفن مشقوق كشفري المرأة وقضيبي صغيرا جدا ولا فتحة فيه وتكون فتحة البول بين الشفرين ، وقد يكون له ثديان^(١) ولكنه لا يحيض وينتذف منه المني من خصيتين تكونان غالبا في شفرية وقد تبقيان في بطنه ، وفي هذه الحال لا يمكن الحكم عليه الا بفحص دقيق جدا كأن يمتحن السائل المقدوف منه فان وجدت فيه حيوانات منوية نحققنا ذكورته وإلا فلا ، وفي مثل هذا الشخص تكون فتحة البول أضيق من المهبل وتتصل بالمثانة ولا يحس بوجود رحم له

(٢) من تكون أنثى وأعضاؤها تشبه الذكرا كأن تكون ثدياها ضامرتين وبظرها كبيرا جدا ، ومنهن من يكون رحمها أيضا ساقطا بين فخذيها فيشبه الصفن ، ومثل هذه المرأة قد تشتهي النساء وتميل الى السحاق ، وتعرف هذه بمحصول الحيض لها وعدم وجود أي حيز منوي في افرازها ، وقد يدرك الباحث فيها وجود المبيضين ووجود الرحم

(٣) من يولد له مبيض في جهة وخصية في الجهة الاخرى ، ووجدت أحوال نادرة جدا كان الشخص يأتيه الحيض شهريا ومع ذلك يقذف حيوانات منوية ، كشخص عرف في أوربة يسمى « كثرين هوهمان » (Catherine Hohmann) لم يعرف له نظير

(١) قد رأيت اثنين من هذا النوع لاحدهما ثديان كثندي البنت البكر البالغة وقد طلب مني قطعهما ففعلت

ومن هذا النوع الاخير من تكون أعضاؤها الظاهرة كاعضاء الذكور والباطنة كأعضاء الانثى ، وبالعكس ، ولا يوجد دليل على ان مثل هذا الشخص لا تلقح بويضاته بمبي نفسه ، غاية الامر أن وجود مثل هذا الشخص أندر من الكبريت الاحمر، وأكثر منه ندرة أن تلقح حيواناته المنوية بويضاته

ولا يوجد عندنا مانع عقلي أو قلبي يمنعنا من تجويز ان تكون مريم عليها السلام من هذا النوع الاخير فسألناها أندر من النادر، فلا غرابة اذا لم نعرف أنها حدثت لغير مريم، إذ يندر ان يتفق حصول ذلك في العالم إلا مرة أو مرتين فيتعذر على الناس معرفة ذلك باليقين، على أن الوثنيين قد زعموا حصول مثل تلك الولادة لبعض آلهتهم، وربما كان بعض مازعموا صحيحا (راجع كتاب «النصرانية والاساطير» تأليف روبرتسن صفحة ١٦٨-١٧١) ولا ينافي ذلك ان تكون مريم وابنها آية للعالمين، فان في كل ما خلق الله آية خصوصا مثل تلك الشواذ العجيبة النادرة جدا، ولذلك قال تعالى (وفي خلقكم وما يثبت من دابة آيات لقوم يوقنون) أما ارسال الملك اليها فقد كن لبشيرها بحصول هذا الحمل النادر العجيب كما يشرزكريا بالولد مع شيخوخته وعقم امرأته ، وقوله في سورة مريم (لأهب لك) قد يراد به أنه متكلم عن الله كما قالت الملائكة المرسله للوط (الا امرأته قدرنا) أي قدر الله ولذلك ورد في قراءة سبعية قول جبريل (ليهب لك) أي ليهب لك الله، وإنما هو مبشر لها بذلك فقط، ويؤيد ذلك أيضا قوله تعالى في سورة آل عمران (ان الله يشرك بكلمة منه) الآية. وأما قول أمها (إني وضعتها أنثى) اذا دل على انها عرفت حقيقتها فقوله تعالى بعده مباشرة (والله أعلم بما وضعت) أدل على انها لم تعرف الحقيقة وإنما حكمت بالظاهر والله أعلم منها بالواقع ونفس الامر . وقوله (واصطفاك على نساء العالمين) — أي فضلك عليهن — لا يدل على أنها منهن ولذلك لم يقل (اصطفاك منهن)^(١)

(١) المنار: ان هذا التعبير لا يؤدي معنى الاول . وقد فات الكاتب الجواب عن قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » فهو جزم بأنها انثى ، ولعله يدخله في حيز التزقي الآتي في جوابه . وما ذكره احتمال اكبر فائدته زلزال جمود الماديين =

على أننا لم نقل إنها لم تكن امرأة بل نقول « يحتمل أنها كانت لها أعضاء الذكر والانثى وتغلب عليها الانوثة بدليل حملها لعيسى وولادتها له وإرضاعها إياه . وإذا صدقنا كتب العهد الجديد قلنا إنها أيضا تزوجت بعد ولادة عيسى ورزقت بأولاد (مت ١ : ٢٥ و ١٣ : ٥٥) فكانت أعضاء الانوثة فيها أجلى وأكل من أعضاء الذكورة »

هذا ويوجد في الحيوانات الدنيئة ما تتوالد اناثها بلا تلقيح عدة أجيال فيجوز ان ما يحصل في هذه الحيوانات على سبيل القاعدة يحصل مثله في الانسان على سبيل الشذوذ، مثال ذلك أن المعتاد في بعض الحيوانات أن تلد عدة صغار في بطن واحد كالارانب وغيرها وذلك هو القاعدة فيها ، ومن النساء من ولدت ٦ أطفال في بطن واحد ومنهن من كان لها أكثر من ثدين. والخلاصة أن عجائب مخلوقات الله تعالى كثيرة، وله في كل شيء آية

التلقيح

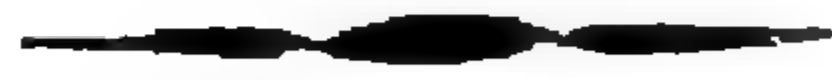
التلقيح هو اجتماع عنصر الذكر (الحيوان المنوي) بعنصر الانثى (البويضة) وإذا كان التلقيح بين الاقارب الاقربين كان النسل رديئا لسببين (١) أنه يكون أضعف ممن يولد من زوجين بعيدين ^(١) وهذه القاعدة مضطردة حتى في النباتات فان ثمر الشجرة التي تلقحت أزهارها بأزهار أشجار أخوي يكون أقوى وأحسن، حتى ان ثمرة الزهرة الواحدة اذا تلقحت بزهرة مجاورة لها من نفس شجرتها كانت ثمرتها خيرا مما اذا تلقحت بنفس أبورها (هو مسحوق التذكير في الزهرة كما سبق) (٢) انه اذا كان الزوجان قريبين انحصرت في نسلهما الاشياء

= الذين ينكرون ولادة عيسى عليه السلام من أم بلا أب. والافالظاهر المتبادر ان خلقه آية من الخوارق المنتظمة في سلك السنن الروحية، لا من فلتات السنن المادية (١) المنار : ورد في الآثار « اغتربوا لا تضيؤوا » أي تزوجوا القرائب لسلا تصيروا ضوأة أي ضعافا نحفاء بكثرة تزوجكم من ذوي القربى ، ولم يثبت هذا في الحديث عن النبي « ص » خلافا لما في صحاح الجوهرى وغيره. وقال عمر بن الخطاب لآل السائب : قد أضويتم فانكحوا في الزناح . اي الغريبات

الرديئة الموروثة عنهما، أما اذا اختلطت البيوت بعضها ببعض تحسن نسل الردي منها وبقي، ولولا ذلك لانقرض أو لبقيت بعض الامراض العقلية والجثمانية متوارثة في نسله الى ما شاء الله، فلهذه الاسباب حرم القرآن الشريف زواج الاقارب الاقربين

وبالجماع ينصب المني في مهبل المرأة فتسير حيواناته المنوية الى الرحم ويساعدها في سيرها حركة امتصاص تحصل في الرحم نفسه، فاذا وصلت الى الرحم ذهبت الى البوقين، وهناك تتجمع في البوقين وتعيش بعضة اسابيع فاذا صادفتها بويضة لقحتها، واذا لم تلقح البويضة تموت بعد خروجها من الحويصلة بيضة أيام والتلقيح عبارة عن دخول رأس الحيوان المنوي وجسمه في البويضة مع ستر زده فيتحد هذا الجزء من الحيوان المنوي بنواة البويضة بعد أن ينفصل عنها جزء كبير منها، والتلقيح يحصل عادة في بوق (فالوبيوس) والذي يراه جمهور العلماء أن حيوانا واحدا يلقح بويضة الانسان، ومنهم من يرى أن الذي يلقحها (أو يمتزج بها) حيوانات عديدة — وهو الأرجح —

وليس الجماع ولا التذاذ النساء ضروريا لحصول التلقيح بل قد يكفي قذف المني على باب الفرج ولو كانت الفتاة عذراء أو نائمة أو مخدرة بالكلورفورم فان ما للحيوانات المنوية من الحركة كاف لتوصيلها الى البوقين، ولذلك ورد عن النبي (ص) ان العزل لا يمنع الحمل كما هو مشهور في الاحاديث، ومن ذلك قوله (ص) «اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد»



نموذج من كتاب كنز الحقائق

في فقه خير الخلائق

(فصول متفرقة والعناوين فوقها من وضع المنار)

البدعة الشرعية

(فصل) البدعة الشرعية الامر الحادث في الدين بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة ، وكل بدعة ضلالة ، وهي كثيرة سيما في عصرنا هذا . فانهم قد أحدثوا في الدين أشياء ما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه — كمقد مجلس الميلاد، والقيام عند ذكر الولادة وإنشاء عيد الميلاد ^(١) وقراءة الفاتحة على الحلواء والطعام، والاجتماع لقراءة القرآن في اليوم الثالث ^(٢) وإيصال الثواب الى الميت بتعيين يوم أو وقت وتسريح السرج على القبور ^(٣) وبناء التواييت ^(٤) ونصب الاعلام ، وذكر الخلفاء بعد كل ترويقة ، وتسمية الصحابة والسلاطين في الخطب، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل الاذان والاقامة ^(٥) والتشويب والترجيم وأمثالها .

علامة أهل الحديث

(فصل) من علامات أهل الحديث الجمع بين الصلاتين حالة الاقامة والصيغة لحاجة دينوية أو دينية، والمسح على الخفين والجوربين، ولو غير مخيذين، والمسح على العمامة، ورفع اليدين في ثلاثة مواطن — عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع وعند القيام من التشهد الاول، ووضع اليدين على الصدر، والجهر بآمين ، وقراءة التسمية أول كل سورة، وقراءة الفاتحة خلف الامام في كل صلاة، والاعتدال في

(١) أي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، ومثله سائر الاحتفالات التي جعلوها كالشعائر الدينية . وقد افق الفقيه ابن حجر المكي بكون القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) بدعة كما تراه في كتابه الفتاوى الحديثية ولكن لم يبال بفتواه أحد (٢) أي بعد موت الميت الذي يقرأ لأجله (٣) لعله يريد طلب إيصال الثواب (٤) يريد إيقاد السرج (٥) أي للقبور (٥) لعل هذا معتاد في بلاد المؤلف (الهند) وفي بعض بلادنا يزيدون في آخر الاذان ما يزيدون من ذلك وكله بدع

٣٠٦ العمل بالسنة. بيعة الصوفية. أهل البدع ، الأنجاس [المنار: ج ٤ م ١٨]

الركوع والسجود والقومة، وأداء الصلاة وقراءة السور على وفق السنة .
المتفقه والعامي والتقليد

(فصل) اذا كان الرجل يعرف الحديث والقرآن فيعمل عليهما ولا يقلد أحدا من المجتهدين ، والعامي الذي لا يعرف الحديث والقرآن يسأل العلماء ويعمل على قولهم ^(١) والمجتهد يخطئ ويصيب ، ومع خطائه له أجر ، ويجوز ان يكون الرجل مجتهدا في بعض المسائل ومقلدا في بعضها ، ويجوز له ان يعمل بالرخص ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بقدر القدرة ، ولا يجوز العنف والتشدد في المسائل الاختلافية .

بيعة الصوفية وإلباس الخرقة

(فصل) البيعة الشائعة بين الفقهاء لها أصل من الشرع وهي بيعة التوبة ، أما إلباس الخرقة والقلنسوة وأمثالها من مراسم الفقر فلا تثبت بالنقل الصحيح ، ويجب علينا ان نحب أولياء الله كلهم ونعظمهم من غير ان نفضل بعضهم على بعض ، ويجب ترك قولهم اذا خالف الحديث .

علامة أهل البدع

(فصل) لاهل البدع علامات وهي الوقعة في أهل الاثر وتسميتهم بالوهابية والنجدية والعرشية والصفائية والجسمة والمشبهة. وهم برآء من ذلك لا يصدق عليهم الا الاسم الواحد «وهو أصحاب الحديث» كثرهم الله وأبقاهم الى يوم القيامة

﴿ باب الأنجاس ﴾

يظهر البدن والثوب بالماء ولو مستعملا حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم . ولو ^(٢) عسر زوال الاثر فلا يضر ، ولا يجوز بغير الماء . والخف والنعل بالذلك ^(٣) ولو كانت النجاسة رطبة أو يابسة أو غير ذات جرم . والمني طاهر وغسله وفركه اليابس منه اذكي وأولى ، وكذلك الدم - غير دم الحيض - ورطوبة الفرج ^(٤) والخر وبول .

(١) اي يسألهم عما يجب عليه في كتاب الله وسنة رسوله (ص) لا عن آرائهم ومذاهبهم (٢) لعل الاصل (واذا) (٣) أي ويظهر الخف أو النعل بدلكهما بالارض كيفما كانت نجاستهما (٤) معطوف على قوله : والمني طاهر

الحيوانات غير الخنزير. ولا نجس عندنا الا غائط الانسان وبوله ودم الحيض وبول الخنزير وخراشه والروث ولحم الخنزير وشحمه والحمار الانسي والميتة. فيجب تطهير كل نجس قليه وكثيره حتى الرشاش ، وتطهر الارض بالييس أو صب الماء عليها ، ويطهر البساط الذي لا يمكن غسله بصب الماء عليه. والحديد والمرآة والزجاج بالمسح ، والاستحالة مطهرة

(فصل) أما إهاب دبغ فقد طهر وشعر الانسان والميتة والخنزير طاهر وكذا عظمها وحافرها وقرنها ومنقارها .

(فصل) لا تنزح البثر بوقوع نجس أو موت حيوان فيها اذا لم يتغير أحد أوصاف الماء ، فان تغير فيجب نزح الماء كله أو الى ان لا يبقى التغير

(فصل) بول مايؤكل لحمه طاهر وكذا سوره وجميع الأسار غير سؤر الكلب والخنزير ففيه قولان وكذا في ريق الكلب ، والعرق كالسؤر

﴿ أهم أخبار الحرب الاوربية والآراء فيها ﴾

إن الاخبار الصحيحة والآراء المفيدة لاتكاد تستبطن من الجرائد الا نكدا ، وإن للمجلات من الاناة والروية في الاختيار ما ليس للجرائد اليومية ولا غير اليومية أيضاً ، وانا نمحس ماوقفنا عليه من الاخبار والآراء السكثيرة بالجل الآتية في هذه الحرب

(١) الدول المتحاربة فريقان — دول التحالف الانكليزي ودول التحالف الألماني (يُنسب كل حلف الى أقدر دوله التي هي محل رجاء الرجحان له) فالاول هو الراجح في الحرب البحرية حتى ان رجحانه حال دون منازلة الآخر له ، الا ماتفرقه الغواصات من سفنه . والثاني هو الراجح في الحرب البرية الى هذا اليوم

(٢) اتفق رجال السياسة والحرب من الفريق الاول على ان السبب الاول لرجحان الفريق الثاني في الحرب البرية هو كثرة الذخائر والاسلحة عندهم ، فتوجهت همه دوله كلها الى الاستكثار من ذلك ، حتى ان انكلترة انشأت وزارة خاصة سمتها وزارة الذخائر جعلت المئات من المعامل الحرة تحت مراقبتها ، فصارت انكلترة

وفرنسة - وهما دولتا العلم والصناعة في هذا التحالف - تعملان من الذخائر والأسلحة أضعاف ما كانتا تعملان من قبل ، ويقدران ان استعدادهما واستعداد حلفائهما لا يتم الا في ربيع السنة القابلة، على انهم يشترون الذخيرة والسلاح من الولايات المتحدة واليابان بمئات ألوف الألوف من الجنيهات

(٣) كانت الروسية قد رجعت على النمسة رجحانا ظاهرا فانتزعت منها غاليسية ووصلت الى أعالي جبال الكربات المشرقة على سهول المجر وسباسيهم ؛ ولكن ألمانية انجبتها في ربيع هذا العام بزهاء مليون ونصف مليون من جيشها، فأجلت الروسية عما كانت استوت عليه من بلادها، وانتزعتا منها ما انتزعتا من مملكة بولندية وغيرها، ولا يزال لهما الرجحان في مطاردتها ، والفضل الاول في ذلك لدافعهما الضخمة التي تدك أعظم الحصون والمعاقل، ولكثرة ما عندهما من الذخيرة، وقد اتسع ميدان هذه الحرب فامتد من بحر البطليق في الشمال الى آخر حدود بولندية في الجنوب . ويقال ان الالمان يطعمون في الوصول الى بترغراد (بترسبرج) عاصمة الروس، والنمسيون مع الالمان يمدون أعناقهم الى أودسه أعظم ثغور الروس في البحر الاسود

(٤) الحرب في الميدان الغربي (فرنسة وبلجيكة) سجال ولكنها حرب مطاولة لا مناجزة ، والالمان هم الذين يهاجمون الفرنسيين والانكليز والبلجيكيين في الغالب ، والفريقان معتصمان في الخنادق، ولما يربح أحد من خطوط خصمه شيئا الا ويسترده منه الآخر

(٥) الحرب بين ايطالية والنمسة سجال أيضا ، ولكنها لا تزال بطيئة الحركة ضعيفة التأثير لا يكاد العالم يشعر بوجودها

(٦) الحرب في جوار الدردنيل سجال أيضا ، وهي مناجزة لا مطاولة ، والحلفاء هم المهاجمون في الغالب ، على أنها حرب خنادق كحرب الميدان الغربي

(٧) أخبار الحرب في العراق قليلة جدا ومما لا ريب فيه ان الانكليز قد استولوا على جزء عظيم من ولاية البصرة

(٨) أخبار الحرب في القوقاس وما يسمونه أرمينية أقل من أخبار الحرب في العراق، وأبعد عن الثقة من جميع الاخبار، فانه لا يعرف منها شيء الا ما يذيعه الروس

في كل شهر أو أشهر من أخبار معركة كان لهم الرجحان فيها ، ومن أخبارها أن ضلع الأرمن في البلاد العثمانية معهم حتى أنهم يقاتلون معهم ، وهذا خبر معقول ومتنظر ، وكان العثمانيون يقاتلون الروس في بلاد القوقاس الروسية ، ومن أخبار الروس الأخيرة أنهم هم استولوا على مدينة (وان) العثمانية بمساعدة الأرمن فيها ونصبوا عليها واليا من زعماء الأرمن . ويقال أن الترك قد كوا بالأرمن فتسكا ذريعا

(٩) أن كل فريق من الأحلاف اجتهد منذ اشتعلت نار الحرب في جذب الدول التي على الحياد إليه ولو بالمعطف والمودة ، فغاز التحالف الانكليزي بانتزاع ايطالية من التحالف الألماني وحملها على خوض غمرات الحرب معه ، وهو يندل جهده منذ سنة لجذب دول البلقان الى قتال العثمانية والنمسة ، ولا يزال البلقانيون بين الإقدام والإحجام ، لما بينهم من أسباب النزاع والخصام ، ولطمعهم في تراث الترك والنمساويين من جهة ، وكرهتهم أخذ الروسية للآستانة وزقاني البوسفور والدردنيل من جهة أخرى ، دع مالنمسة وألمانية من النفوذ في البغار ، ولألمانية خاصة من النفوذ في الرومان واليونان ، فإن ملكي البغار والرومان من أسرة عاهل ألمانية ، وملكة اليونان أخته ، فوشيجة الرحم لها تأثير عظيم ، ولكن أكثر الشعوب البلقانية أميل الى التحالف الانكليزي ، ولا سيما الشعب اليوناني ، فإنه شديد البغض للترك والطمع في كثير من بلادهم ، وشديد الميل الى محاربتهم لذاتهم ومحاربتهم لهم

(١٠) قد اختلف الباحثون في عاقبة هذه الحرب . ونتيجتها ، والمعقول أنه اذا نصر أحد الفريقين نصراً مؤزراً وظفر ظفراً تاماً ، فإن رأس دوله تكون لها السيادة العليا في أوربة والشرق كله ، ولكن دول الفريق الآخر - أو ما بقي منها - تدل وتخزي زمناً طويلاً تبذل فيه كل ما يستطيع بذله المستضعف المستذل في مقاومة خصمه من الكيد والحيلة ، الى أن يستدير الزمان ، وتديل له من عدوه الاقدار ، وأما اذا طال أمد الحرب حتى ضعف الفريقان ونفدت قواهما ، ولم يرجح أحدهما على الآخر بشيء ، أو رجح بالدرهم أو القيراط ، فلم يكن باستطاعته السيطرة على خصمه ، والاستمرار على قهره ، فيوشك أن تكون شروط الصلح متعادلة . وتبقى الموازنة بين

الدول متقاربة، ويستمر ذلك عشرات من السنين يظهر فيها نبوغ الشعب الذي يفوق غيره في الهمة والاستعداد . وهاك أشهر ما قيل في طمع كل فريق من الآخر إذا انتصر انتصارا تاما أو قريبا من التام

(١١) مقصد دول التحالف الانكليزي من الحرب الذي لا يكفون عنها باختيارهم ما لم يصلوا اليه، هو ازهاق الروح العسكري البروسي الذي نفخ في جميع الشعوب الالمانية حب الحرب ، واعتقاد كونها فضيلة وكلاما للبشر — ثم حل عقدة الوحدة الالمانية وارجاع ممالكها الصغيرة الى ما كانت عليه قبل الوحدة التي أنشأها البرنس بسمرك سنة ١٨٧٠ ومنعها من الاستعداد لحرب ثانية ، والاستيلاء على الاسطول الالماني . ثم حل امبراطورية النمسة والمجر واعطاء كل دولة من دول التحالف أبناء جنسه منها . وبهذا يستميلون دول البلقان اليهم الآن ، لان في النمسة ملايين عديدة من الرومان والسلاف والاطليان وغيرهم — ثم تمزيق المملكة العثمانية وتقسيمها

ومن البديهي الذي لا يحتاج الى النص ارجاع بلجيكة كما كانت أما الآستانة والزقاقان العظيمان اللذان على جانبيها فالارجح أن روسية لا ترضى بها بديلا ان ظفروا ظفرا نهائيا، بعد ما أصابها من الخسارة التي هي أضعاف خسائر سائر حلفائها . ويقال ان حلفاءها أنفسهم يشترطون تدمير حصون البوسفور والدردنيل ونزع السلاح منها وعدم تسليحها في المستقبل . وقيل ان الآستانة تكون منطقة حرة . ولكنها ان صارت الى الروس فلا بد ان يعتنوا أول فرصة لتحسين الزقاقين بعد أن يستعدوا لذلك سرا

(١٢) اذا ظفر التحالف الالماني ظفرا تاما فالاشهور أن ألمانة تريد أن تضم مملكة بلجيكة الى ممالك الاتحاد الجرمانى ، ولا يدري أيراد جعل بولونية مستقلة أم تابعة لها أم للنمسة، ولا بد حينئذ من جعل النفوذ الاعلى في البلقان للنمسة، ويقال

إن ألمانيا لا تطمع في أخذ شيء مما استولت عليه من مملكة فرنسة، الا سواحل بحر المانش، ولكنها تطمع في جميع مستعمراتها الافريقية الشمالية، وتعطي الدولة العثمانية القوقاس الروسية أيضا. وقد اشتهر انها تمنحها بانشاء امبراطورية اسلامية كبيرة. ثم انها تفرض على خصومها غرامة حرية ثقيلة، وأما استعادة ما أخذ من مستعمراتها، فهي من البديهة التي لا حاجة الى ذكر طلبها لها. هذا أقل ما يقال عنها، وقيل بل هي تطمع في جعل أوروبا كلها تحت سيطرتها، لما وجد في مؤلفات غير واحد من رجال العلم والسياسة والحرب فيها، من الحث على السعي لجعل العالم كله خاضعا للنفوذ الألماني ومستمدا من الحضارة الألمانية

ومن الناس من يقول ان هذه مزاعم اقترحها أعداء ألمانيا لينفروا عنها الشعوب التي على الحياد ويحملوها على مناوأتها، ولكن وجد من النقل عن الألمان ما يدل على ذلك، وهو غير بعيد عن العقل وشواهد التاريخ، فان بطرس الأكبر على كونه هو البادئ بتقوية روسية كان يرمى الى هذا الغرض، ونايليون الأول كان يمني نفسه به، ومن أصول تربية الأمم أن يثبت فيها عقيدة تفضيل نفسها على غيرها، وكونها أجدرها بالسيادة والسعادة، وكل أمة لا تعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن أن تسود وتعتز، ولكن الأمة اذا لم تبين جميع أعمالها الاجتماعية على أساس هذه العقيدة يقتلها داء الغرور، ولا سيما اذا احتقرت غيرها من الأمم ولم تقدر مزاياها حق قدرها، ومن المحتمل ان يكون بعض علماء الألمان بثوا في أمتهم هذه العقيدة لاجل ان ينهضوا بها في ميادين المسابقة والمباراة للأمم التي سبقتها الى الاستعمار وغيره، ثم اغتروا وصولا اليه من العلم والثروة والاستعداد الحربي فحرب ذلك الى عقول كثير من حكامهم وقوادهم انه يمكن لدولتهم القضاء على قوى الدول الاستعمارية الثلاث (انكلترة وفرنسة وروسية) وجعلن تحت سيطرة ألمانيا، وحينئذ تمنعن من تجديد الاستعداد للحرب، فتنفرد بسياسة العالم في الشرق والغرب، ولا يعد ان تزين لكثير منهم فلسفة حب السيادة ان هذا يكون خيرا للبشر، لانه يمنع أسباب الحروب بمنع تنافس التحاسد الذي من شأنه ان يكون بين الاقربان من الدول كما يكون بين الاقربان من الافراد، وأن يتخيل هؤلاء الفلاسفة أن العالم لما صار باتصال بعضه ببعض كالامة الواحدة وجب

أن تكون له دولة واحدة ترجع اليها السلطة العليا كما ترجع سلطة الولايات من المملكة الواحدة الى السلطة العليا في عاصمة المملكة، لان الفرق مدعاة العداوة والشقاق المفضي الى القتال والتفاني

وقد يرد عليهم فلاسفة سائر الامم بأن ما يزعمونه خيال تولد من اقتران حب السلطة، بالفرور بالقوة، وأن حب السلطة غريزي في البشر فلن ترضى أمة بسيادة غيرها عليها مختارة، ولا سيما الامم التي تمكن في قلوب أهلها عز الحرية والسيادة، فلا يزال المسود يكيد للسائد، ويتربص به الدوائر، وقد اقترض في الالزام واللورين جيل وتجدد جيل، فكان الجيل الجديد كسلفه يكره الالمان ويحب الفرنسيين، فالفلسفة الحق ان انتظام البشر لا يتم في هذا الزمان الا بينائه على قاعدة استقلال الشعوب والاجناس، وأما القوة التي فوض اليها الحكم اليوم بين المتنازعين على السيادة في الارض فلا يمكن ان تظل محتكرة للغالب، فاذا كانت هذه الحرب لا تنتهي بابطال قاعدة (الحق للقوة) وبالرجوع عن فكرة سيادة الاقوياء على الضعفاء، واكمالهم على الخضوع لما يسوسونهم به ويلزمونهم اياه، وبوضع قواعد مضمونة للمساواة العامة بين جميع الشعوب والاجناس يكون بها الادنى مختارا في اقتباس العلم والحضارة من الاعلى، — اذا لم تنته هذه الحرب بهذا وتضمنه جميع الدول بقانون تعاقد على تنفيذه بالقوة والاتفاق على قتال المخالف له، فلا شك في كونها تكون اشأم حرب على البشر، لانها لا يمكن ان تفضي الى رضا المغلوب بسيادة الغالب، بل تفضي الى استمالة المغلوبين لغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرها، والمكرهة على الخضوع لغيرها، والاستعداد لحرب مثل هذه أو شر منها، وان ظن الغالبون انهم قادرون على ان يحولوا دونها.

ونحن نرى ان هذه الفلسفة الاخيرة هي الصحيحة، المؤيدة بروح الحق والفضيلة، فعسى ان يكون لنا ولسائر الامم الشرقية نصيب منها، اذا أراد الله برحمته ان يكون المنتهى اليها.

مدرسة دار الدعوة والارشاد

قد اضطررنا في السنة المدرسية الماضية (سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية) ان نجعل الاجازة الصيفية قبل موعدها بشهر ، بقرار من مجلس ادارة الجماعة ، وسبب ذلك قطع وزارة الاوقاف المصرية ما كانت قررته من الاعانة للمدرسة ، وعدم الرجاء في شيء يذكرك من التبرعات بسبب العسرة الحاضرة ، حتى ان الشيخ قاسم ابراهيم قطع اشترائه السنوي في جماعة الدعوة والارشاد قبل الحرب . وقد كنا نتفق على الطلبة بالتقدير في تلك السنة

أما مقدار إعانة الاوقاف فقد كان خمسمائة وخمسين جنيها ، وقد كنا موعودين من قبل الديوان بمضاعفته أضعافا ، حتى ان محمد محب باشا الذي عين أول ناظر للاوقاف - بعد تحويله الى نظارة - قال لي أمام بعض الفضلاء في داره قبيل سفره الى الاستانة في رمضان العام الماضي : إنه يمكن ابلاغ الاعانة في هذا العام الى ألف وسبعمائة جنيه . وإنما يمكن الزيادة على ذلك فيما بعدها من السنين . قال ذلك بعد أن دقق النظر في نظام المدرسة وميزانيتها وبعد زيارته لها واختباره لحالها بنفسه ولو طلبت المبلغ الذي كان مقررا في أول العام الماضي عقب تصديق الجمعية التشريعية على ميزانية الاوقاف لقبضته ولكنني فضلت حفظه في خزانة النظارة على حفظه في صندوق المدرسة ليؤخذ بالتدريج عند الحاجة الى لانفاق . ولما طلبت بعضه عند الحاجة الى الصرف - لقرب دخول السنة الدراسية - امتنع وكيل الاوقاف محمد شوقي باشا من الصرف ، معللا منعه بوجوب الاقتصاد وقلة الدخل بسبب الحرب . فراجعت رئيس النظارة (حسين رشدي باشا) مرارا فوعد بالمساعدة وأحاطني على عدلي باشا الذي كان نائبا ن محمد محب باشا في نظارة الاوقاف ووعد بتوصيته . وبعد عدة مراجعات أمر عدلي باشا بصرف ٣٠٠ جنيه أقساطا ، وقال لي اذا كثرت الواردات بعد ذلك ندفع لك الباقي . وقبضت حينئذ ستين جنيها من الاعانة ثم تحولت الاحوال وتغير شكل الحكومة فأعطى اسماعيل صدقي باشا الذي (المنار: ج ٤) (٤٠) (المجلد الثامن عشر)

تولى (وزارة الاوقاف) قليلا وأ كدى (أي منع الباقي) فكان مجموع ما قبضته من الاعانة يدي ١٣٥ جنيها . وكنت أحلت ادارة أوقاف محمد شريف باشا الكبير على النظارة بأجرة مكان المدرسة بكتاب مني قبلته النظارة وصارت تدفع ما يستحق من الاجرة أقساطا شهرية . ولكن وزارة اسماعيل صدقي باشا منعت فيما منعه اعطاء بقية الاجرة . كانت الاجرة كلها ١٣٠ جنيها دفعت وزارة الاوقاف منها ٩٧ جنيها ونصفا . ورجعت علي ادارة وقف شريف باشا بمبلغ ٣٢ جنيها ونصف جنيه فوفيتها حسابها

فعلم من هذا ان مجموع ما صرف من اعانة الاوقاف للمدرسة في العام الماضي ٢٣٢ جنيها ونصف جنيه وهو دون المبلغ الذي كان أمر بصرفه عدلي باشا موقتا ولما علمنا ان الوزارة الجديدة قطعت الاعانة كلها البتة ، غلبنا حسن الظن ورددنا على من اساءه ، وقرعنا جميع الابواب التي هي مظنة الرجاء لاعادته ، بحجة ان هذه المدرسة الدينية الخيرية ليس لها دخل ثابت سواء ، وانها أحوج الى الاعانة من كل المعاهد العلمية والخيرية التي تساعدنا وزارة الاوقاف حتى من الجامعة المصرية ومدارس العروة الوثقى والجمعية الخيرية — فالفينا جميع تلك الابواب موصدة في وجهنا ، ولكن باب الله تعالى لا يوصد ، فاتكالا عليه عز وجل سنفتح المدرسة في السنة المدرسية القابلة كما فتحناها في السنة الماضية ، ولكننا لانفق على الطلبة شيئا . ولا نقبل في القسم الداخلي طالبا جديدا الا أن يأتي الله بالفتح لبعض أبواب رزقه ، أو أمر من عنده

أما موعد فتح المدرسة في السنة الدراسية القابلة فسيكون ان شاء الله تعالى في أول الخريف الثاني (منزلة العقرب) الموافق منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٣٣ فحسبى ان تكون السنة القابلة سنة خير ويسر ، وان جاءت بعد شدة وعسر (ان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)

تصبح بيت من الشعر

في (ص ١٢٠ ج ٢) استفتاء في بيت من الشعر وقع غلط في أول كلمة منه وهي « جدير » وصوابها « مليء » وقد فاتنا ان نصححه في الجزء الثالث

تقريظ المطبوعات الجديدة^{*}

كنز الحقائق من فقه خير الخلائق

كتاب في فقه الحديث تأليف العلامة وحيد الزمان الملقب بالنواب وقار نوازجنتك بهادر. طبع في العام الماضي طبعا حمجريا في مطبعة شوكة الاسلام ببلدة بنكلور بالهند على ورق جيد. وصفحاته ٢٤٢ بقطع النار وياع في مكتبة النار ونمته عشرة قروش الكتاب مختصر من كتاب مطول للمؤلف اسمه [نزل الابرار من فقه النبي المختار] وحسبنا من تقريظه ما يراه القراء في النموذج الذي اقتبس منه ونشر في هذا الجزء من يسر مذهب اهل الحديث، على أن فيه مسائل اجتهادية واغلاطا معظمها من الناسخ منها ما يدرك بالبداهة

البيان والتبيين

كتب أبي عثمان الجاحظ كلها مختارة في الفصاحة والبلاغة عند أهل الادب وهذا الكتاب منها أشهر من نار على علم، فهو مستغن عن تقريظ أهل هذا العصر. وحسبهم ما قاله فيه حكيم العرب، وأمام أهل العلم والادب، عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على علم الادب من مقدمته، وهذا نصه:

« سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين، وهي (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و (كتاب الكامل) للمبرد، و (كتاب البيان والتبيين) للجاحظ، و كتاب (النوادر) لأبي علي القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفرع عنها »

وحسبنا من معرفة مكانة الجاحظ في البيان والبلاغة تنويه امامها الزمخشري به في خطبة الكشف وخطبة أساس البلاغة — وما كانت الخطب بموضع التنويه بالدهماء، ولكن قد يذكر فيها أئمة العلماء والحكماء

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

طبع كتاب البيان والتبيين بمصر منذ عشرين سنة طبعة رديئة كثيرة الاغلاط ، فاضطر الادباء وطلاب الانشاء الى اقتنائها ، والاستفادة منها على علائها ، حتى نفذت نسخها ، وغلا ثمنها ، فسخر الله تعالى في العام الماضي محب الدين افندي الخطيب المحرر بجريدة المؤيد وعارف افندي المحايري لإعادة طبعه . فطبعاه طبعا حسنا على ورق حسن ، وغني الاول منها بتصحيحه وضبط اشعاره بالشكل ، وقد تعب في مراجعتها في مخطاها من الدواوين المخطوطة والمطبوعة وفي كتب اللغة والادب ، تعب لا يعرف كنهه الا من غني بمثل ذلك ، وقد جعل ثمنه عشرة قروش من الورق النبائي و١٥ قرشا من الورق الابيض وبطلب من مكتبة المنار بمصر

الحنين الى الأوطان

نشر في جزء الشهر الماضي من المنار نموذج من هذا الكتاب مصدر عبارة وجيزة في وصفه والفائدة من مطالعته ، كطالعة سائر مصنفات مؤلفه ، (الجاحظ) مقرونة بالوعد بتقريره ، وقال صاحب المنار : ان هذا الكتاب بشرح غريزة حب الوطن ، التي هي من أقوى غرائز البشر ، بأفصح العبارات ، الماثورة عن أبلغ الاعراب ، والشعراء والكتاب ، فهو من هذه الجهة كتاب فلسفة ، كما انه من حيث عبارته كتاب أدب ولغة ، ومن شواهد حب الوطن عن أهل هذا المصر ما اختبرناه من حال مهاجرة السوريين في مصر وأمريكة وغيرها من الاقطار ، فاننا نراهم على عراقهم في المهاجرة والاعتراب واثرائهم في بلاد أرقى من بلادهم عمرانا وحرية ، لا يفتشون يحنون الى أوطانهم على كثرة شكواهم من سوء حالها وذمهم لحكومتها . (قال) وقد سمعت اصحاب المتنظرات والمقطم يقولون منذ بضع سنين : إننا لم نشتر شيئا من الأثاث لبيوتنا الا وكان يخطر في بالنا عند شرائه :— اذا أتيح لنا العود الى بلادنا فهل يكون هذا مما ننقله او مما نبيعه ؟

طبع الكتاب بمطبعة المنار طبعا متقنا مضبوطا على نفقة عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار ، وقد تولى تصحيح أصله وضبطه ووضع الحواشي والتفسير لغريبه الاستاذ الشيخ طاهر الجزائري الشهير . وثمانه قروش ونصف قرش

كتاب المسح على الجوربين

وكتاب الاستئناس ، لتصحيح أنكحة الناس

(من تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى . طبعا معا في مطبعة الترقى بدمشق الشام سنة ١٣٣٢ وصفحتهما ٨٤ صفحة . ويطلبان من مكتبة المنار بمصر .)

هذان الكتبيان المفيدان من آخر ما كتبه عالم الشام وفقيد الاسلام رحمه الله تعالى . أتمهما في العام الماضي الذي توفي فيه . وموضوع الاول إثبات المسح على الجوربين وكل ما يستر الرجلين كالنعال السابعة والاقائف والتساخين . وفيه فوائد كثيرة في الحديث والاصول . وقد أثبت المسألة بالدليل ونقل فيها ما يؤثر عن أئمة الفقه ، قال منشي المنار : وقد سبق لنا الافتاء بهذا في المنار منذ بضع سنين فكان له أحسن تأثير في تيسير الصلاة على كثير من أهل الترف والنعيم ، كما أخبرني بذلك بعض خواص المصريين المصلين . ثم أعدت إثبات ذلك بإيضاح في تفسير آية الوضوء . وأما هذا الكتاب . فقد استقصى كل ما يتعلق بالمسألة وزاد ما زاد من المسائل الاستطردية كما هو شأن من يفرد مسألة صغيرة بالتصنيف .

وأما الكتاب الآخر فالغرض منه مقاومة ما عليه متأخرو المسلمين من التساهل الذي يشبه الفوضى في أمر الطلاق ورد ما جرى عليه كثير من الفقهاء من الافتاء بالطلاق في وقائع كثيرة لا تقوم الحجة على وقوع الطلاق فيها ، ومن مباحثه المفيدة التي عمت البلوى بها مبحث طلاق الغضبان والسكران والهازل والمكره والخالف بالطلاق أو المعلق له يريد الترغيب أو التهيب دون الطلاق ، والطلاق مرة واحدة بلفظ الثلاث . ومبحث وجوب الاشهاد على الطلاق واشترائه بصحته ، ومن قال بذلك من أئمة آل البيت وغيرهم من الصحابة والتابعين

والقاعدة التي بني عليها هذا الكتاب اللطيف هي ان النكاح متى وقع وثبت كان أمرا يقينيا فلا يزول بحكم اجتهادي لانه ظن لا يزول به اليقين ، ولا بنحو آحادي ولا سيما اذا كان مطعون فيه كحديث « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والرجعة »

﴿ نقابات التعاون الزراعية ﴾

نظامها وتاريخها وثمراتها في مصر وأوربة

(طبع على ورق جيد بمطبعة النهضة الادبية بمصر سنة ١٣٣٢ صفحاته ٢٤٥ بحجم المنار)
هذا كتاب جديد من أفضل ثمرات النابتة الجديدة بمصر ، ألفه عبد الرحمن بك الرافعي المحامي ، فخدم به هذه البلاد خدمة جليلة هي في أشد الحاجة اليها ،
إن ثناءنا على هذا الكتاب تأييد لرأي صاحب المنار الذي بينه مراراً في مجلته وفي الجرائد ، وهو ان أحوج ما يحتاج اليه أهل مصر في هذا العصر أمران (أحدهما) حفظ ثروتهم حتى تكون غلة أرضهم وثمرات كسبهم خالصة لهم ،
(وثانيهما) تعميم التربية الصحيحة مع التعليم على الوجه الذي تتكون به الامة .
وانه لا يقوم بهذه التربية مع التعليم الا الجمعيات الخيرية .

فهذان الامران هما الركنان اللذان لا يرجى لمصر صلاح ولا فلاح الا بهما ،
وهذا الكتاب مما يرفع بناء الاول منهما ، ويحسن منا في هذا المقام ان نعطر تقريظ
الكتاب بكلمة ثناء على عمر بك لطفي الذي أحسن الله خاتمة عمره بالعناية بأمر
النقابات الزراعية علماً وعملاً فكان قدوة صالحة لهذا المؤلف الذي يعد من تلاميذه ،
للكتاب فتحة في موضوعه للمؤلف ومقدمة لاحمد بك لطفي المحامي . وفيه
ثلاثة أبواب ، عنوان اولها « اتعاون في أوربة » وفيه ١٤ فصلاً — وعنوان الثاني
« اتعاون في مصر » وفيه ستة فصول — الاول في نظام الحياة الاقتصادية عند
الزراع وعيوبه . - الثاني في الدعوة الى التعاون وفيه بيان « الدور الاول » من
جهاد عمر بك لطفي . والثالث في « الدور الثاني من جهاد عمر بك لطفي ومنشآت
التعاون التي أسسها والنظام الذي اختاره لها » والثالث في أعمال نقابات الزراعة
بمصر ، والخامس في قانون الخمسة الافدنة ، والسادس في التشريع الجديد للتعاون .
وعنوان الباب الثالث « نماذج تعاونه » وهذه النماذج تعلم قراء الكتاب كيف
يؤلفون النقابات الزراعية حسب القانون ، وكيف يكتبون لها ، وكيف يكون الشراء
والسلف منها — الى غير ذلك من المعاملات

وقد قال المؤلف في فاتحة الكتاب مانصه :

« على أننا بأخذنا بأسباب التعاون نحيي سنة قديمة، فإن نظام التعاون وإن كان بشكله الحديث نظاماً غريباً جديداً، إلا أن الفكرة التعاونية في ذاتها أي فكرة تعاون الأيدي العاملة على القيام بالعمل المشترك وإقسام أرباحه وثمراته فكرة قديمة عرفها أجدادنا العرب، فقد أثبت الأستاذ لروبوليو في كتابه المطول في الاقتصاد السياسي أن القوافل التي كانت تجوب البلاد العربية ما بين الحجاز والشام بقصد التجارة ما هي إلا جماعات تعاونية وقبيلة يتعاون أفرادها على السكب والتجارة

الحساب

كتاب وضعه صديقنا محمد عبد الخالق أفندي إسماعيل الطالب في انكلترا تمهيداً لكتاب سيضعه في علم الجبر وقد صدره بمقدمة حث فيها على نشر العلم باللغة العربية [أوسع اللغات] وقد طبعه سنة ١٣٣٢ في مصر بمطبعة البسفور طبعاً نظيفاً على ورق متوسط فجاءت صفحاته ١٦٨ ويطلب من مكتبة المنار بمصر ومنه ٢٥ ملماً الكتاب جزيل الفائدة وفيه من الجداول والرسوم والأشكال ما يوضح مسائله، وعبارته جزلة فصيحة فنحث على اقتنائه

(كتاب الفوز بالمراد من تاريخ بغداد)

تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير (الأب أنستاس الكرملي) صاحب مجلة لغة العرب. طبعه بمطبعة الشاهيندر في بغداد سنة ١٣٢٩ وصفحاته ٧٦ وعن النسخة منه خمسة قروش صحيحة، ويطلب من مكتبة المنار بمصر

والكتاب مستمد من كتب التاريخ العربية والافرنجية ومن اختبار مؤلفه الشخصي وقد بدأه بتاريخ بغداد من عهد سقوطها على يد هولاكو سنة ٦٥٥ هـ إلى سنة ٣٢٩ أي سنة (تأليفه وطبعه) وفيه من العبر والعظة بتصرفات الأيام شيء كثير

(التقرير السنوي للجمعية الخيرية الإسلامية عن سنة ١٩١٤)

هذا التقرير كالتقارير السابقة يشمل مشروع أعمال الجمعية وميزانيتها ومحضر جاستها العمومية، وفيه زيادة على ذلك أن نشرت في أوله صورة الكتاب

العالي السلطاني الصادر لهيئة الجمعية المؤرخ في ١٣ ربيع الاول ١٣٣٣ و ٢٩ يناير سنة ١٩١٥ عدد ١١ وهذه جملة منه قال بعد التحيات لهيئة الجمعية ما نصه :

« هذا وقد اقتضت ارادتي ان يكون لقسم الاعانة بالجمعية نصيب من مساعدة خزيتي الخاصة بفضل الله كما انها ستتكفل سنويا بالنفقات التي يحتاجها أنبغ طالب من طلبة مدارس الجمعية لانعام دروسه بأوربة وان تخصص ثلاث جوائز للثاني والثالث والرابع من التلامذة مكافأة لهم وتشجيعا لآخوانهم ... » الخ

ويؤخذ من هذا التقرير ان الجمعية قد اشترت اطيانا مساحتها ١٦ فدانا وكسورا و٤ آلاف و٧ مئة و٤٨ مترا و ٢٧ سنتيا وقد دفعت ثمنها للجميع ٩ آلاف و ٥ مئة و ٢٤٤ جنيا و ٢٤٤ مليا ، وان النجاح في امتحان القسم الابتدائي من مدارسها زاد على ٦٧ في المئة. وبسر كل مسلم وكل محب لاخير استمرار نجاح الجمعية وخدمتها للفقراء بالتعليم والاعانات

(ذكرى الماضي — أو — سياحة في الجبل)

مقالات وجدانية خيالية نشرها كاتبها محمد افندي صبري الطالب بجامعة باريس وناشر كتاب (شعراء العصر) وقد اهتمت بجمعها وطبعها كتابا مستقلا صالح افندي شكري احد عمال جريدة المؤيد وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة

(رواية الفلاح)

قصة تمثيلية ادبية وضعها عبد العزيز بك فريد ناظر مدرسة خليل آغا بمصر ، وحرر عبارتها الاستاذ الشيخ محمد الجمل احد مدرسي المدرسة ، ووضع أزجالها الشيخ احمد القوصي ، وقد مثلها تلاميذ المدرسة في احتفالها السنوي . وهي مفيدة جدا بما تحذر من البذخ والسرف ، وتنقب عن العيوب الفاشية في هذا البلد ، ومثلها في ذلك ما وضعه عبد العزيز بك قبلها. وقد طبعت طبعا نظيفا على ورق جيد بمطبعة الخاصة الخديوية (السلطانية) في سنة ١٩١٤

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوي و « متراء كمنار الطريق »

مصر ٣٠ رجب ١٣٣٣ — ٢١ الجوزاء (٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٣ يونيو ١٩١٥

فَلَا تُسَبِّحُ
حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْمَشْرِقَ

دروس سنن الكائنات
محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٧

العلوق وسبب الذكورة والانوثة ومدة الحمل

إذا تلقحت البويضة سقطت في الرحم بسبب ما في البوقين من الاهداب
وبسبب انقباضهما ويجوز أن يكون للبويضة أيضا حركة ذاتية كالأميأ، وأرجح
الآوقات لحصول الحمل أن يكون الجماع عقب الطهر في الأسبوع الأول من الحيض،
ويقال إن هذا الجماع محرم عند اليهود وهو من غرائب التشريع
وبويضات المبيض الأيمن يرجح عند بعض العلماء الآن أنها هي التي يتولد
منها الذكر، وبويضات المبيض الأيسر يتولد منها الأنثى، ولذلك إذا نامت المرأة
على جانبها الأيمن بعد الجماع رجح اتباعها بالذكور، وقد عرف هذه الفائدة ابن سينا
كما في قانونه

فإذا كان الجماع بعد حيض متفق مع انفجار بويضة المبيض الأيمن كان التسلسل
ذكرا، وبالعكس

وإذا سقطت البويضة في الرحم علقفت بغشائه المخاطي وأبتدأ تكون الجنين
في داخلها بانقسامها إلى عدة أقسام. ويكون الجنين في بطن أمه محاطا بالرحم ثم
بغشائين آخرين تابعين لنفس البويضة. وتكبر البويضة كبرا عظيما وتمتلئ بسائل
يحيط بالجنين من جميع جهاته يسمى السائل (الأمنيوسي^(١)) ويكون الجنين معلقا في

(١) كلمة يونانية معناها الشاة لأنه يقال إنه اكتشف فيها أولا أو لان ملمسه
ناعم كصوف الشاة

هذا السائل بحبله الشري المتصق بالمشيمة بجدار الرحم، ويكون رأس الجنين الى الأسفل غالبا وظهره الى الامام . ولا يفهم مما تقدم أن عروق الجنين متصلة بعروق الرحم بل هما متجاورين فقط بحيث لا تختلط دورتهما الدموية ، ولكن المواد المغذية تصل من الأم اليه بطريق (الاسموز) وكذلك المواد الفاسدة التي تخرج من الجنين تصل الى دورة الام بهذه الوساطة ايضا بلا اختلاط بينهما . ولا يتنفس الجنين في بطن أمه وإنما دمه يتنقى بالطريقة المذكورة ، وأول تنفسه يكون عند استهلاله أي صراخه عند خروجه من الرحم

ومدة الحمل أقلها خمسة أشهر أو أربعة ونصف، وأكثرها أحد عشر شهرا . وقد يحصل في أحد البوقين حمل أو في البطن خارج الرحم وفي هذه الحال قد تحمل الام جنينها ميتا عدة سنين ولكن لا تضعه الا بعملية جراحية

شبه الجنين

يقال إن شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحة للبويضة فإذا دخلت بكثرة في البويضة أشبه أباه سواء أكان ذكرا أم أنثى، وإذا كانت قليلة أشبه أمه كذلك ، فإذا كان الجماع بشدة ومقدار المنى كثيرا وأنزل الرجل قبل المرأة كثير دخول الحيوانات المنوية في البويضة فأشبه الولد أباه ، أما إذا كان مقدار المنى قليلا وأنزلت المرأة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها ، فنظرا لذلك ولقلة مقدار المنى يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية الى البويضة فيكون الولد شبيها بأمه سواء أكان ذكرا أم أنثى، ولذلك روى البخاري أن رسول الله (ص) قال « إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » أي لانه في هذه الحالة تبطل حركة الرحم في جذب المنى اليه فتكون الحيوانات الداخلة فيه اقل مما اذا حصل القذف اثناء حركة الرحم اي قبل انزال المرأة . والولد كل مولود ذكرا كان أو أنثى

النطفة والعلقه وأطوار الجنين وغير ذلك

مما تقدم يفهم ان الانسان مخلوق من البويضة الملقحة بحيوانات الرجل ، وهذه هي النطفة الامشاج التي ذكرها القرآن الشريف (٢:٧٦) فلن النطفة هي كل ماء

قلّ أو كثر، ففي الرجل نطفة وبويضات المرأة مع السائل السابحة فيه المنفرز من حويصلات (جراف) ومن البوق يسمى أيضا نطفة، والامشاج الاخلاط، فاختلاط المني بهذا السائل الذي فيه البويضة هو الضروري للحمل ولا يتوهمن احد ان نزول البويضة من المبيض مما تشعر به المرأة أو تلتذ له بل هو شيء لا تشعر به مطلقا

ولا يمكن رؤية البويضة بالعين المجردة وان كانت من الخلايا الحيوانية الكبيرة، فان قطرها ٠.٠٢ من المليمتر. اما قطر كريات الدم البيضاء فهو ٠.٠١ و قطر الحمراء ٠.٠٧٥ من المليمتر

واعلم أن الخصيتين تتكونان في الجنين في بطنه خلف البريتون ونحت الكليتين بقليل ثم تنزلان شيئا فشيئا حتى تكونا في الصفن في الشهر التاسع من الحمل فاذا ولد الجنين قبل ذلك في الشهر السادس مثلا كان الصفن خاليا منها وفي أثناء التكوين تنقسم بويضة المرأة كلها داخل غشائها الذي يمدد تدريجيا كلما كبرت وكذلك بويضة الحيوانات الثديية، أما بويضة الطيور فينقسم جزء منها فقط - كما تقدم -

أما العلة المذكورة في القرآن الشريف فهي أول أطوار الجنين وتكون مركبة من عدة خلايا صغيرة ككريات الدم لم يتميز شيء من أجزائها، وهذه الخلايا تنشأ من انقسام البويضة بعد التلقيح الى عدة خلايا فلذا تشبه علة الدم ^(١) (Clot) خصوصا التي تتركب من الكريات البيضاء التي تسمى بالانكليزية (Buffy coat) (راجع ص ٤٨ من هذا الكتاب وص ٤١٠ من كتاب فسيولوجيا هاليبرتون Halliburton)

فاذا نمت هذه العلة أخذت تنوع خلاياها وتتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر، ويكون حجمها في آخر الشهر الاول كحجم بيضة الحمامة وهي (المضغة) لأنها تكون قدر ما يبيض في الفم، وبعضها مخاقي والبعض الآخر غير مخلوق كما قال تعالى

(١) يجوز ان يراد بالعلق في قوله تعالى (خلق الانسان من علق) الحيوانات المنوية التي تلقح البويضة

في سورة الحج (٢٢ : ٥) ومما يظهر في ذلك الوقت الاطراف العليا والاطراف السفلى ، ويتميز القسم الايمن من القلب عن القسم الايسر ، ثم تظهر آثار العظام الاخرى

وفي الاسبوع السابع يتبدى ظهور المصلات بعد ظهور العظام المذكورة ، وذلك بتنوع الخلايا التي كانت تحيط بالعظام ، والمراد بالعظام هنا الغضاريف التي تصبح عظاما كما أن المراد بالحرق في قوله تعالى (أراني أعصر خرا) العنب الذي يصير عصيره خمرًا فاذا تم نمو الجنين وولد خرج وهو لا يدري شيئًا ثم يتعلم كل شيء بالتدريج حتى يصير كأنه خلق آخر فبعد أن كان لا يعي شيئًا يصبح يخترق الحجب بعقله ويصل الى الملكوت الاعلى بفكره (فتبارك الله أحسن الخالقين) ومما تقدم نجد أن الاطوار المذكورة في القرآن هي عين الحقيقة وهاك بيانها كما وردت في سورتي الحج والمؤمنين : —

(١) طور النطفة وهي الماء فتطلق على مني الرجل وعلى السائل الذي تسبح فيه البويضة ، وأصله من حويصلة جراف ومن البوق — كما سبق — وفي هذا الطور تلقح الحيوانات المنوية البويضة فتكون النطفة — بعبارة القرآن — أمشاجا

(٢) طور العلقة وهو طور انقسام البويضة بعد تلقيحها الى عدة خلايا متماثلة لا تمتاز واحدة منها عن الاخرى ، وتكون كقطعة الدم الجامدة

(٣) طور المضغة وهي البويضة اذا كبرت حتى صارت قدر ما يعضغ ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلوق . وهو طور التخليق والتكوين الابتدائي

(٤) طور الانعام وذلك يتبدى بظهور الاجزاء الرخوة كالمصلات التي تكسو العظام ، وينتهي هذا الطور بنام الخلق

(٥) طور الترية والتعليم بعد الولادة وهو المبرعنه في القرآن بالخلق الآخر لان الانسان الذي كان أحط من الدابة يصبح أرقى الاحياء قاطبة . لذلك قال سبحانه جل شأنه (وقد خلقكم أطوارا)

هذا وقد يحصل التلقيح فاذا وصلت البويضة الى الرحم وعلقت به وماتت

بسبب ما كالتهاب غشائه طردها الرحم. أو امتصها، وهذا الامتصاص هو المعبر عنه في القرآن الشريف ١٣: ٨ بقوله « وما تغيض الأرحام » وقد يمتص الرحم الجنين أو أحد التوأمين في أحوال أخرى

أما قوله تعالى (يخلقكم في بطن أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) فالظلمات إما أن يراد بها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الأغشية الجنينية المحيطة بالسائل الأمنيوسي

وأما أن تكون الظلمات هي: ظلمة البيض الذي تكون فيه البويضة في داخل حويصلة جراف ، ثم ظلمة البوق حينما تتلفح البويضة بالحيوانات المنوية ، ثم ظلمة الرحم الذي يتخلق فيه الجنين

وفي أثناء الولادة تنقب أغشية الجنين وينسكب ماؤها فيخرج الجنين ثم تتبعه هذه الأغشية مع المشيمة (وهي أغلظ جزء في الأغشية وفيها يندغم الحبل السري ومنها يتغذى الجنين واليها تخرج فضلات جسمه) وأيضاً تسقط أغشية الرحم ، ثم تتجدد بعد الولادة . والجنين في بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب وإنما يأخذ من دم أمه كل ما يحتاج إليه ، وكذلك لا يبرز بل تتجمع في أمعائه إفرازات الكبد والأمعاء وتخرج بعد الولادة وتسمى بالبرقي

وقد يبول الجنين في بطن أمه في أشهره الأخيرة فإن السائل الأمنيوسي وجد فيه مقدار قليل من البولينا بسبب بول الجنين فيه

ومقدار السائل الأمنيوسي نحو أنهر أو اثنين عادة ، ووظيفته حماية الجنين من الضغط عليه ، وحفظه من التصاقه بالأغشية، وتعديد عنق الرحم عند الولادة وغسل المهبل حينئذ

والجنين يتحرك في بطن أمه بنفسه وبحركاتها، وهذه الحركات تشعر بها الأم، وتبتدى في الشهر الخامس غالباً

وقد يحصل حمل فوق حمل بمعنى أنه إذا حصل جماع بعد الحمل الأول ببعض أسابيع يجوز أن يحصل حمل آخر، وهذا غير الحمل التوأمي المشهور، فإن صبيه أن تتلفح فيه بويضتان أو أكثر في وقت واحد أو وقت قريب، أو يكون

للبيضة الواحدة أكثر من نواة، وإذا كانت البويضات من مبيض واحد كانت التوائم من نوع واحد ذكرا أو أنثى بحسب المبيض اليمين أو اليسار . وتكون التوائم أيضا من نوع واحد إذا كانت ناشئة من بويضة واحدة ذات نويات متعددة

أسباب العقم

هذه الاسباب عديدة ، منها : أن يكون السبب فساد زرع الرجل لمرض في خصيتيه ، ومنها مرض المبيضين أو البوقين أو الرحم نفسه، أو وجود افرازات في المهبل شديدة الحوضة بحيث تقتل الحيوانات المنوية. وأشهر الامراض التي تحدث العقم في الرجل والمرأة داء السيلان . ومن الاسباب أيضا الجماع المختلط كما في الزنا بأن يتوارد عدة رجال على امرأة واحدة ولذلك قيل في المثل الانجليزي « لا ينمو العشب حيث يكثر دوس الاقدام »

ومن الاسباب أيضا ما لم تعرف الى الان حقيقته كأن تكون المرأة والرجل سليمين من كل آفة ومع ذلك لا يأتیان بنسل فاذا تزوج هذا الرجل امرأة أخرى وتزوجت هي رجلا آخر أنتج كل منهما

وإذا أريد منع الحمل فلا طريقة أحسن لذلك سوى قتل الحيوانات المنوية أثناء الجماع، وذلك . ناع سوائل أو غيرها في المهبل تكون قتالة لها كحلول السليمان بنسبة ١ — ٢٠٠٠ ومحلول حمضي من سلفات السكين، فتغمس قطعة من القطن بهذه السوائل أو غيرها وتحشى في المهبل بحيث تسد فوهة الرحم، فهذه الطريقة في الغالب قد تبطل الحمل ما دامت مستعملة فاذا تركت عاد الحمل

مراعاة الصحة في الجماع

الاكثر من الجماع ضار جدا مؤد الى الضعف الجسماني والعصبي ويعرض الانسان الى أمراض كثيرة كالالتهابات الكلوية والشلل العام للمجانين ويحدث الاصفرار وخفقان القلب وضعفه فلذا يجب اجتناب الافراط فيه ، والمحمود منه طبا هو ما نصوا عليه في كتب الشرع وهو انه ينبغي اذا اشتبه النفس اشتاء حقيقيا بدون أن يهيج الانسان شهوته بهيج مآ . وتختلف الرغبة في الجماع والقدرة عليه باختلاف الاشخاص ، ولذلك لا يمكننا تحديد القدر الصحي منه بالضبط ، والغالب

انه لا يضر الانسان اذا أتاه مرة أو مرتين في الاسبوع بشرط أن يكون سليم البنية قوي الجسم

ولا يجوز اتيان الحائض شرعا وطبا — كما سبق بيانه — وكذلك لا يجوز الجماع عقب الاكل مباشرة ولا عقب التعب الجثائي او العقلي الشديد. واحسن وقت له ان يكون بعد مضي الثلثين من وقت النوم او النصف فان النوم بعده نافع للجسم مانع من اصابته ببعض الامراض كالزكام والسعال وغيرها مما قد ينشأ عن الضعف الذي يحدثه. اما ضرره في اول الليل فهو لان الجسم في ذلك الوقت يكون تعبانا والمعدة في الغالب تكون ممتلئة فلذا يحسن النوم قبله وبعده

ومن اهم ما يقوي الجسم وينشطه على هذا العمل ويزيل الآلام ويمنع بعض الامراض التي قد تنشأ عنه — الغسل خصوصا بالماء الحار، ولذلك كان الغسل واجبا شرعا

أما الاستمناء باليد فهو من أضر الاشياء للصحة والعقل وهو أضر بكثير من الافراط في الجماع ، فانه يضعف قوى الجسم والمخ والاعصاب ، وكثيرا ما يصاب صاحبه بالصرع أو الجنون. وهذا الضرب من الاستمناء يسمى أيضا (جلد عميرة) وينسبه الافرنج الى رجل من بني اسرائيل من أبناء يهوذا يسمى (أونان) ولكن الوارد في التوراة أن هذا الشخص كان يأتي العزل لا الاستمناء باليد وغضب الله عليه لانه لم يرد ان يقيم نسلا لاجله (راجع سفر التكوين ٦: ٣٨ — ١٠)

ومن البنات من تفعل هذا الفعل التبيح أيضا خصوصا اذا كان يظهرها كثيرا ولم يقطع

أما العزل من الوجهة الطبية فهو أيضا مضيع للذة مضر بالصحة ، والظاهر انه مكروه في الشريعة الاسلامية، ولذلك بين رسول الله (ص) في الحديث السابق انه من العبث الذي يتنزه الماقل عنه، خصوصا لانه مضيع للذة بلا فائدة محققة وقال فيه أيضا (ذلك هو الواد الخفي) وذلك لانه وإن لم يكن مانعا محققا للنسل فهو لاشك مقلل له كثيرا فكان اتيانه لذلك مذموما لانه ينافي كثرة التماسل التي حث عليها رسول الله (ص)

مضار الزنا

للزنا مضار كثيرة، منها الاصابة (١) بانداء الافرنجي (٢) أو السيلان (٣) أو القرحة
الا كالة (٤) أو القرحة الرخوة (٥) أو القمل المعاني وغيره . ويوجد بعض أمراض
أخرى جلدية وباطنية قد تعدى بسببه مثل الجرب والارضفة (Tinea) والسل
الرئوي . ولا تنس مع هذا مضاره الادبية والدينية والاجتماعية والمالية وكل هذه
الاشياء الاخيرة ليس من غرضنا التكلم عليها هنا . واليك بعض تفصيل ما ينشأ عنه
من الامراض : —

(١) الافرنجي : ويسميه الافرنج (Syphilis) وهي كلمة غير محقق أصلها
ويمكننا أن نسميه بالعربية (التهویش) وبلسان العامة (التشويش) وأما كلمة
الزهري فهي في الحقيقة نسبة لجبل الزهرة — كما سبق — وتطلق عند الافرنج على
أهم الامراض التي تنشأ عن الجماع فهي عندهم ليست خاصة بهذا الداء : وأصله من
أمريكا ودخل مصر بدخول الافرنج فيها ولذلك سمي « بالداء الافرنجي »
ولهذا الداء ثلاثة أطوار :

(١) الطور الاول ظهور القرحة وهي شيء كالدمل يظهر في العضو مكان
التلقيح بالميكروب، فمثلا اذا جامع الرجل امرأة مصابة بهذا الداء وكانت قروح
في فرجها فقد ينتقل اليه الداء وتظهر عنده هذه القرحة الاولى في فرجه أو
ما قاربه كالعانة، وكذلك اذا قبلها في فمها مثلا وكان فيه شيء من قروح و بثوره
ظهرت في فمه أولا . وقد ينتقل بواسطة أدوات الاكل والشرب وغيرها
وهذه القرحة تظهر عادة بعد خمسة أسابيع من الجماع أو التقبيل وغيرها،
وذلك لان ميكروب الزهري (وهو حلزوني الشكل) (١) اذا انتقل الى الانسان
يتكاثر في جسمه حتي يمتلئ الدم به وعندئذ تظهر القرحة الاولى . ويسمى هذا
الزمن الذي بين التلقيح بالميكروب وبين ظهور القرحة بطور الحضانة أو التفريخ

(١) اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥ وهو أدق وألطف من كثير من
الميكروبات الحلزونية ، يسمى (Spirochaeta Pallida) والكلمة الاولى
يونانية بمعنى الحلزون، والثانية لاتينية معناها الاكبد (الباهت) لتعسر رؤيته بالمجهر

ومما يساعد على دخول الميكروب وجود أي جرح أو تسحج في بشرة الجلد الذي يلامس المرأة المصابة ولكنه غير ضروري، والقروح الافرنجية الاولى منها ما يكون صلبا ومنها ما يكون رخوا تسيل منه مدّة وصديد. وهذه القروح كثيرة في فروج الزناة والزانيات

(٢) الطور الثاني ظهور طفح مخصوص في الجسم كله، له أشكال متعددة، مع قروح في الاغشية المخاطية أيضا، وله أعراض أخرى غير ذلك كضخامة الغدد اللمفاوية في الجسم كله خصوصا في الاربية والفقا . وكانوا يقولون ان الطور الاول والثاني هما المديان دون الثالث . ولكن ثبت الآن حصول العدوى في جميع الاطوار الثلاثة، إلا أنها في الاخير منها قليلة جدا أو نادرة . وإذا تزوج شخص مصاب أصيب نسله بالافرنجي أيضا . ويتبدى ظهور الطور الثاني بعد مضي ٦ أسابيع الى ٣ أشهر من ظهور القرحة الاولى

(٣) الطور الثالث هو عبارة عن ظهور اورام متعددة تصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وهذه الاورام عبارة عن مادة تشبه الازرار اللحمية التي تلحم بها الجروح، وتسمى هذه الاورام بالاورام الصغية . وإذا أصابت أي جزء من الجسم أفسدته وشوهته، وكثيرا ما تبطل عمله أو تعطله على الاقل وهذا الطور يتبدأ بعد سنة أو سنتين من مبدأ التلقيح وربما استمر الى نهاية العمر بأشكال متعددة تختلف باختلاف العضو المصاب

ومن المشاهدات الغريبة في أمر هذا الداء ان الطفل المولود من أب مصاب به لا يعدي أمه وانما يعدي المراضع الغريات ويسمى ذلك بقانون كوللس [Colles] ويعلمون ذلك بأن الام تلقت بالمرض تلقحا خفيفا لم تظهر أعراضه

والافرنجي من الادواء العضالة التي يمكننا أن نقول انها من أهم الاسباب لامراض جميع أعضاء الجسم، ويؤثر في الاعصاب تأثيرا سيئا جدا فيحدث فيها أنواع كثيرة من الشلل والالام، وقد يؤدي الى المرض المذكور سابقا المسمى بالشلل العام للمجانين. ويكفي في ذمه أن نقول ان ضرره ليس قاصرا على الشخص

نفسه بل قد يقتل جنينه في بطن أمه واذا ولد كان النسل ضعيفا مشوها مصابا بالقروح المتنوعة وغيرها

وأحسن الادوية له في الطور الاول والثاني الزئبق ومركباته، وفي الطور الثالث يودور البوتاسيوم ، وكذا حقنة ٦٠٦^(١) أو ٩١٤ في الاوردة أو في العضلات — وكل منهما مركب زرنيخي — استعمل أخيرا في معالجته، وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في الجزء الثاني . وللوقاية منه يجب غسل ما لامس المريض غسلا جيدا بالماء والصابون ثم بالادوية المطهرة كالسلياني وغيره بنسب مخصوصة بعد اللمس مباشرة

(٢) السيلان

السيلان داء يصيب بعض الاغشية المخاطية وغيرها فيحدث فيها التهابا يسيل منه صديد، وله ميكروب مخصوص معروف . واكثر الاعضاء اصابة به الفرج والدبر والانف والعين — ويسمى فيها بالرمد الصديدي — ومن مضاعفاته التهاب الخصيتين والخراجات الاربية والتهاب المثانة والتهاب الرحم والبوقين والمبيضين وغير ذلك ، وقد ينشأ عنه مرض في المفاصل مؤلم جدا ويكون معضلا (عسر الشفاء) وهو من أعظم الاسباب المودية للعقم في الرجل والمرأة — كما سبق —

(٣) القرحة الاكالة

هي قرحة مخصوصة تضاعف القروح الافرنجية وغيرها ، ولكن حصولها في القروح الافرنجية أكثر منه في غيرها ، فاذا اصاب القضيبي مثلاً أو الفرج أكلته كله أو بعضه وربما اقدت الانسان خاصية التماسل طول حياته فيضيع نسله

(٤) القرحة الرخوة البسيطة

هي قرحة أخرى لها ميكروب مستطيل الشكل أكثر ما تصيب الفرج في الذكور والانثى فتذهب منه جزءا صغيرا ، وكثيرا ما تسبب خراجا في الاربية أيضا وهي من أهون الامراض الزهرية (أي التي تنشأ من الجماع)

(١) اخترعت سنة ١٩٠٩ ميلادية وسميت بذلك لان مخترعها وفق اليها بعد

عمل ٦٠٦ من التجارب

(٥) القمل

يشاهد في كثير من الاشخاص قمل في رؤوسهم واجسامهم وعانتهم . وهو ثلاثة أنواع ، وينتقل من شخص الى آخر باللامسة أو المجاورة ، وقمل الجسم هو السبب الوحيد لنقل الحمى التيفوسية والحمى الراجعة قطعاً ، فلذا يجب العناية بتنظيف الجسم منه . زد على ذلك كونه يحدث حكة في الجسم ويقلق راحة الانسان ، وقد تنشأ عنه حمى غير الحيات المذكورة آنفاً لسم فيه أو لاضطراب عصبي يحدث من قرصه . ومن الطرق لازالته غلي الملابس وحلق الشعر والادهان بزيت الصخر (البترول) ومرهم الراسب الابيض - اذا كان الجزء المصاب محدوداً - والا اكتفي بما ذكر قبله خوفاً من امتصاص الزيتق الذي في هذا المرهم فيسم الجسم ، وتجب اطالة مدة غلي الملابس فانه شوهد أن بعضه يعيش في طيات الثياب وان وضعت في الماء الغالي مدة خمس دقائق أو أكثر . ويض قمل الجسم (الصئبان) يشتمل أيضاً على ميكروب الحمى التيفوسية والحمى الراجعة فاذا فقس وخرج منه قمل جديد كان ناقلاً أيضاً لهذين النوعين من الحمى

(٦) الجرب

الجرب داء يصيب الجلد خصوصاً ما بين الاصابع والفخذين وأعضاء التناسل . وينشأ من حيويين أصغر بكثير من القمل العاني يسمى باليونانية أكاروس [Acarus] (ومعناها لا يتجزأ) وله ذكر وأنثى ، أما الأنثى فبعد ان يلقحها الذكر تتخذ من الجلد جحوراً تبيض فيها نحو خمسين بويضة ويبقى الذكر فوق سطح الجلد ، فاذا أفرخت البويضات خرجت حيوانات جديدة ، وانما تفرخ البويضات حينما تظهر على سطح الجلد بزوال البشرة وتأكلها بالتدريج ، وتحمل الاناث من جديد وتثقب الجلد أيضاً كامهاتها وهلم جرا ، وما تحدثه هذه الحيوانات في الجلد من التهيج يكون سبب تحصل به حكة شديدة تنشأ عنها قروح وبثور تؤذي الانسان كثيراً

ومن أحسن طرق علاجه الاستحمام بالماء والصابون مع الدلك الشديد جداً حتى يزول جزء من البشرة وتفتح الجحور بقدر الامكان ثم يدهن الجسم بمرهم

الكبريت ، ويجب غلي جميع الملابس وكل ما لامس جسم المصاب منعا لتكرار العدوى له أو انتقالها الى غيره ، ويتكرر الاستحمام والادهان بالمرهم بضعة أيام حتى يزول الداء

(٧) الارضة

الارضة داء — يسمى باللاتينية تينيا Tinea^(١) — يصيب الجلد أو الرأس أو الاطفار فيحدث بهما التهابا وحكة ، وهو ينشأ من نمو فطر (أحياء نباتية مجهرية) في هذه الاجزاء . وأحسن علاج له النظافة التامة والادوية المطهرة كالمراهم الزئبقية والكبريتية وصبغة اليود ونحو ذلك ، ولكن يجب قبل ذلك تنف شعر المكان المصاب أو حلقه — والتنف أولى — وكذلك تغلي الملابس لمنع تكرار العدوى

(٨) السل :

سنفصل القول في السل تفصيلا في باب الامراض المعدية ان شاء الله ، ويكفي ان نقول هنا كلمة مختصرة في عدواه بطريق التنفس :

ينشأ هذا الداء من ميكروب مستطيل الشكل كالعصية ولذلك يسمى باللاتينية باسيلس (Bacillus) أي العصا الصغيرة^(٢) اكتشفه البكتيريولوجي الالماني الشهير المسمى كوخ (Koch) سنة ١٨٨٢ م وهو يوجد كثيرا في بصاق المصابين بالسل ويخرج أثناء السعال في ذرات البلغم وينتشر حول المصاب الى بعد متر ونصف تقريبا فيكون الجو حوله ملوثا به، فاذا دخل مع التنفس في رئة شخص مستعد لهذا الداء أصيب به، وذلك بتكون درنات صغيرة بيضاء اللون في الرئة أو غيرها، وهذه الدرنات تكبر وتتكاثر وينضم بعضها الى بعض وتحدث التهابا فيما حولها من الرئة ، ثم تستحيل الى قيح فتتأكل الرئة بسببها وتحدث فيها تجاويف تسمى بالكهوف . ويحصل سعال شديد مصحوب بدم أو صديد وترتفع حرارة المريض وتضعف قواه وينحف جسمه ويصاب بالارق من كثرة السعال وغيره وبالعرق الكثير بالليل، وقد يحصل له اسهال متعاص أو بحة في الصوت من التهاب الحنجرة وتقرحها وغير ذلك حتى تنهك قواه فيموت

(١) معناها الحرفي «الدودة القارضة» (٢) وبعضهم يقول «باشلس»

مضار الزنا الاجتماعية

هذا وانما نختم هذا البحث بذكرى ونصيحة اذا لم تكن من وظيفة الطبيب من حيث هو طبيب فهي مما يحسن منه من حيث هو انسان ، وهي التحذير من مضار الزنا الاجتماعية . وليس من غرضنا التكلم عليها هنا تفصيلا — كما قلنا — الا اننا نذكر الناس اجمالا بحقيقة لا تعرب عن عقل المفكر : تلك أن الزنا يفقد المحبة الابوية لنسل الزانيات فلا يهتم المرء بحياة الاطفال ولا بصحتهم ولا بتربيتهم ولا بمستقبلهم اهتمام من يعلم أن المولود هو ابنه حتى يؤثره على نفسه في كل شيء غالبا فيكثر بسبب الاهمال موت الاطفال أو قتلهم ، وتسوء صحتهم وتفسد أخلاقهم ، ويصبحون عالة على المجتمع أو متشردين مفسدين . ولا تحسن الام وحدها القيام بتلك الشؤون على مالدتها من الشواغل والصوارف عنها ، كتحسين منظرها وملاقة الرجال المتنوعين والملق لكل منهم والتعجب اليهم ، فهذه الشؤون لا تدع لها وقتا ولا قلبا توجهه الى شيء آخر ، ولذلك ترغب الزانيات عن النسل ويقتلنه اذا وجد ، أو يلقين به في الطرقات ، وفي ذلك من الاضرار بالامة مافيه . زد على ذلك أن الزنا يحدث البغض والحقد والحسد بين الافراد والبيوت ، ويقطع كل رابطة للمودة والرحمة بين المرء وزوجه ، ويحمل الناس على خيانة بعضهم بعضا ، وعلى الكذب ، ويضيع الحقوق في الموارث المالية وغيرها ، تفسد الاخلاق ، وتكثر الشحنا والمحاصيات التي تسفك فيها الدماء ، وتستباح الاموال والاعراض ، فتتنافر الامة ويتناقص عددها ، وتزول روابط المحبة من بين افرادها ، وفي ذلك هدم وازالة لعرها وسلطانها ، وتقويض لدعائم بنائها ، فتهدى في مهاوي الفساد حتى تستقر في الدرك الاسفل من الفقر والضعف والانحطاط والتأخر . لذلك وصف الله تعالى الزنا بقوله (انه كان فاحشة وساء سبيلا) لما يوجد بين الناس من البغض والحقد والكره فيهدم أركان الاسرة أولا والامة ثانيا والمجتمع الانساني ثالثا

اللوواط

الامراض التي تنشأ عنه هي عين الامراض السابقة تماما ، وتزيد عنها غالبا في احداث جروح في الذكور وفي الشرج ، واذا تضاعفت هذه الجروح ببعض

الامراض نشأ عنها مالا تحمد عقباه ، وترثني عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول البراز وغيره . بغير ارادة الانسان ، وهو مفسد للاخلاق ومبيد للشهامة والرجولية ، وقاض على الآداب كافة ، وما انغمست فيها أمة الا انحطت وتدهورت لتعنت رجالها وذهاب نجاتهم ومروءتهم وهمتهم ، فلا تصلح بعد ذلك لمقاومة اعدائها فيتغلبون عليها وتبید شيئا فشيئا ، زد على هذا ان الرجال المنغمسين في تلك الشهوة الدنيئة يقل ميلهم إلى النساء كثيرا فيقل عدد الامة فتضعف أيضا من هذه الوجهة ، نعم ان اللواط أخف ضررا من الزنا من وجهة واحدة اجتماعية وهي انه لا تضعف بسببه الانساب ولا توجد به اللقطاء ، فهو أقل بذلك اضعاء لحقوق العباد والاولاد . أما تحريمه فيكفي في بيانه ما ورد في القرآن الشريف في قصة لوط ، وأما حده فقد ورد فيه قوله تعالى على أصح التفاسير (والذان يأتيانها منك فاذوهما) الآية فلولي الامر أن يؤذي أهل اللواط بما تتفق عليه الامة من العقاب الرادع لاهل هذه الطائفة المحقرة الدنيئة

وقد أجمعت الامم على استباح هذه الشهوة البهيمية حتى سماها الانجليز « الرذيلة المغيرة للطبيعة » [Unna turai Vice]

سن الزواج بالفتيات

كتبت مقالة بهذا العنوان حينما أراد أحد المحامين المصريين (زكريا بك نامق) أن يطلب من الحكومة سن قانون تحد فيه سن الزواج للبنات بالسنة السادسة عشرة ، ولاشتمال هذه المقالة على عدة فوائد تناسب الفصول السابقة في الكلام على الجهاز التناسلي أردت اثباتها هنا لافادة قراء محاضراتي هذه . وقد أنصف هذا المحامي الفاضل فكف عن اقتراحه هذا بعد ظهور مقالتي هذه في الجرائد ومقالات غيري من أفاضل الاطباء والفقهاء و [سحبه] بعد أن قدمه للجمعية التشريعية

وهالك نص مقالتي كما نشرت في عدد ١٠٩٥٦ من جريدة الاهرام الصادر يوم الخميس ١٢ مارس سنة ١٩١٤ - ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٢ :-

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بالشريعة الاسلامية الغراء وبالمسائل

العلمية والاجتماعية والقانونية أردت أن أمحصه بمحيصا ، وأحرر مسأله تحريرا ، ليصل حكما فيه الى نتيجة نافعة للامة مبنية على أساس متين من البحث والنقد حتى لا يكون مبنيا على التسرع وحب التقليد فأقول :

من المعلوم أن سن البلوغ يختلف باختلاف حرارة الجو والبيئة والوراثة . ففي الهند مثلا كثيرا ما تبلغ الفتاة في السنة التاسعة من عمرها ، ولكن في البلاد الباردة كإنجلترا نجد أن سن البلوغ هو من ١٤ - ١٦ سنة ، وفي البلاد التي هي أشد بردا منها يحصل البلوغ في السنة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . أما في مصر فالغالب أن يكون في السنة الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وذلك في مثل مديرية الجزيرة لافي مثل مديرية اصوان . والبيئة أيضا تأثير في زمن الحيض ، فانك ترى ان الفتيات اللاتي يكثرن من الاختلاط بالشبان يسرع مجيء الحيض اليهن ، وكذلك اللاتي يكثرن من قراءة الروايات الغرامية ونحوها ومشاهدة تمثيلها ، أما الوراثة فهي تؤثر أيضا في قرب زمن البلوغ فاذا بلغت الام وهي صغيرة جدا كانت ابتها مثلها في ذلك

وفي سن البلوغ يكبر الحوض ويظهر شعر العانة وتكبر أعضاء التناسل والتديان وتستعد المرأة للقيام بوظيفتها التناسلية التي خلقت لاجلها . وقد اتفقت كلمة علماء التشريح على أن نمو عظام الحوض الذي من شأنه أن يؤثر في سعة أقطاره يتم في زمن البلوغ أو بعده بقليل ، وذلك لا ينافي أن اتحام عظام الحوض لا يتم الا في نحو الخامسة والعشرين غالبا ، واذا حملت المرأة لانت مفاصل حوضها وتمددت ، لا فرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة ، وانما اذا تأخرت المرأة في الزواج ييسر عضلات العجان والرحم ، وربما نشأ عن ذلك اجهاض أو عسر في الولادة بسبب عسر تمدد هذه الأجزاء التي تفقد مرونتها الطبيعية كلما كبرت البنت ، ويغلب العقم أيضا فيمن يتأخرون عن الزواج

وقد وجد بعض الباحثين مثل (بروس ودنلوب) في بلاد الحبشة والبنغال أمهات لا يزيد عمر احدها عن احدى عشرة سنة ، وكذلك وجد في أوربة (وان كان ذلك قليلا) أمهات ولدن أولاداً أصحاء في السنة الثالثة عشرة من

عمرهن حتى وجدوا بنتا حاملا في سويسرة في السنة التاسعة ، وظهور الحيض في هذه السنة ليس نادرا في أوربة كما تقول كتبهم

لذلك كله ولغيره اعتبرت الشريعة الانكليزية مثلا ان السن القانونية للزواج « عندم » هو ١٤ لذكور و ١٢ للإناث، أما زواج الاطفال القاصرين فتعتبره صحيحا بشرط أن لا يبدو من الطرفين اذا وصلا الى سن البلوغ طعن في العقد السابق (راجع صفحة ٥٦ من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الانكليزيين) فمن أعجب العجائب بعد ذلك ان يقوم بعضنا في هذه الايام ويطلب تضيق شريعتنا الاسلامية الغراء بما لم يفعله الانكليزي في بلادهم الباردة وهم أرقى منا بكثير في سائر شؤونهم العلمية والمدنية والاجتماعية !!

أما زعم هؤلاء المضيقين أن الفتاة اذا تزوجت قبل تمام نموها وقف هذا النمو فهو غير صحيح، بل تكذبه المشاهدة العامة، فان الحمل لاشك يسرع في تمام نمو الجسم كله، ولذلك نجد الفتاة بعد الولادة يكبر جسمها بأسرع من الفتاة التي لم تزوج. أما دعوى أن الفتاة اذا حملت وهي صغيرة ضعف جسمها عما اذا حملت وهي كبيرة فهي غير مسلمة ولا يمكن اثباتها اثباتا قطعيا وإنما هي دعوى يرددها بعض الاطباء تقليدا لبعض بلا بحث ولا تمحيص، فان الفتاة الكبيرة تكون ليس أعضائها أكثر عرضة للعقم وللأجهاض أو عسر الولادة من الفتاة الصغيرة - كما سبق - ولا يخفى ما ينشأ عن الأجهاض وعسر الولادة من المضاعفات المرضية كفقير الدم الشديد بسبب النزف الرحمي والتمزقات المعجانية وما يتبعها كالتواء سير وسقوط المهبل أو الرحم وغير ذلك، بل ربما قضت المرأة نجبا في الأجهاض أو الولادة العسرة. نعم ان الطفل المولود من الفتاة الصغيرة يكون في أول الامر أصغر جرما من الذي ولد من الفتاة الكبيرة، ولكنه لا يكون أقل صحة منه، وصغر حجمه هذا لا يلبث طويلا بل يزول شيئا فشيئا مدة التربية. أما علم الوالدة بتربية الطفل فذلك يتوقف على مقدار ما اكتسبته في هذا الموضوع ودرجة صلاحيته وسهولة تلقينه لما أثناء دراستها المدرسية أو البيتية، فان كانت تلت شيئا نافعا في هذا الامر ولو كان مختصرا أفادها أكثر من التي قضت سنين عديدة من حياتها الأولى في دراسة الجغرافيا

مثلا والمهندسة والجبر

وإذا كانت الطبيعة لم تبخل على الفتاة الصغيرة باعطائها الحمل والولد فكيف نهظر عليها الزواج ولسنا أعلم باستعدادها ولا أشفق عليها من الطبيعة؟^(١) وأي شيء جرى عليه الناس طبق سنن الكون ونواميس الوجود وكان ضرره غالبا على نفعه ومحققا كما يدعون في هذه المسألة ؟ أليس التضيق الذي يطلبونه مصادما للشرائع الإلهية والقوانين الوضعية ، بل والسنن الكونية ؟ فأي دليل قطعي عديم عليه يعتمدون ؟ أما مضار تأخير زواج الفتاة بعد بلوغها في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كما هو الغالب عندنا في مصر فمنها زيادة الشهوة عندها التي قد تفسد أخلاقها أو تمجرها إلى الفسق أو اللطاف (استثناء المرأة يدها) أو السحاق وكلها أشياء يشتد الميل إليها في أول البلوغ ولذلك يكثر وجودها في البلاد التي تتأخر فيها البنات عن الزواج . ولا حاجة بي هنا للتكلم على ما ينشأ عنها من المضار والمفاسد فإنها معروفة شهيرة ، والامساك عن الجماع مع فرط الشهوة مضعف للجسم والاعصاب ، مؤد إلى سوء الخلق وضعف العقل ، مورث للهستيريا أو الجنون والشقيقة وعسر الطمث ، وغير ذلك وهناك بعض أسباب كثيرة ما تحمل الناس على التمعيل بالزواج كال فقر أو فقد من يقوم بشؤون البنت وتربيتها وكفالتها وحفظها من الوقوع في مهاوي الدنس والعار ، ولذلك ترى أن الشريعة الإسلامية وغيرها كالانكليزية اباحت في جميع الأعمار حتى للأطفال ، إلا إذا كانت البنت غير مطيعة للجماع ، فيحرم في شريعتنا تسليمها للزوج حتى تطيق . وإذا عقد أولياء الأمر على طفل وطفلة أباح لها الإسلام فسخ العقد إذا بلغا ما لم يكن الذي تولى الأمر الأب أو الجد فانهما أدري الأولياء وأعلمهم بمصاحبة البنت وأشد هم محافظتها عليها وأكثرهم رغبة في نفعها الصحيح وإبعاد كل ضرر عنها . فأي عيب في هذه الشريعة حتى أردنا الخروج عنها والاشتمزاز منها ، مع أنها تشبه شريعة الانكليز في ذلك وهم من أرقى أمم الأرض الآن !!

(١) المنار : كان ينبغي لصديقنا الدكتور أن يقول هنا : وإذا كان الخالق العليم الحكيم قد أعد الفتاة في سن كذا للحمل الخ

(المجلد الثامن عشر)

(٤٧)

(المنار : ج ٥)

واذا علمت أن سن البلوغ تختلف باختلاف البلاد وأحوال أهلها تبين لك السبب في عدم تحديد الشريعة الإسلامية لهذه السن اشترطت بل اشترطت الاطاقة، ولم تمنع العقد على الاطفال، لما في ذلك من المتفعة للناس، كأن يريد شخص أن يضمن لنفسه الاتفاع بمال بنت أو جاهها أو الانتساب الى بيتها أو نحو ذلك، أو يكون له غرض آخر كالرغبة في النفقة عليها واحسان تربيتها لجمالها، أولفقدتها لاهل والمعين من أقاربها

وبسبب سرعة البلوغ في البلاد الحارة كالهند وبلاد العرب فشت في الشرق عادة تزويج البنات الصغار كما هو معلوم، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت خطبت قبل رسول الله (ص) وعمرها سبع سنوات لجبير بن مطعم بن عدي، وهو يدل على أنها كانت قد قاربت البلوغ في تلك السن ولذلك عقد عليها الرسول (ص) وقتئذ ودخل عليها في التاسعة من عمرها، فالظاهر أنها كانت قد بلغت حينئذ كما هو الغالب في بنات العرب وأهل الهند وغيرهم من أهل الشرق كما سبق بيانه

أما المضار التي يذكرها المضادون لذلك الزواج فهي في الحقيقة ناشئة عن أحد أمرين أو عنهما معاً (الاول منهما) الدخول بالبنت قبل الاطاقة أو قبل البلوغ (الثاني) طريقة المصريين الوحشية في اقتضاض البكارة، حتى اني شاهدت مرة بنتاً كادت تموت بنزيف شديد من تمزق في مهبلها نشأ من أصبع زوجها الوحش القاسي، ولكن العيب في ذلك ليس على الشريعة نفسها، بل العيب انما نشأ من الجهل والقسوة وعدم التزام حدود هذه الشريعة الغراء التي فيها الكفاية لتقويم المعوج

وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم اتزوج الفتيات الصغيرات البالغات (منها) أنهن يحرصن الشهوة في ضعف الرجال حتى انهن يكن سبباً في تقوية أجسامهم وعودة الحياة اليهم، فتزيد قوة الباه عندهم ويتحسن نسلهم. وقد عرف ذلك الاقدمون حتى انه ذكر في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أن داود (عليه السلام) شاخ وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفاً اشدته ضعفه فأشار عليه عبيده باحضار فتاة جميلة لتحضنه ليدفاً ففعل ذلك وعاش بضعة شهور مع انه كان في غاية الضعف

والبرودة والاضمحلال (راجع الاصحاح الاول والثاني من سفر الملوك الاول) . وكذلك فعل الامبراطور (طيار يوس) ليستعيد جسمه الضعيف حرارته الاولى . وقد أشار (بورهاف) الشهير على عمدة بلدة (ساردام) الذي كان مبتلياً بالنقرس بأن يبيت مع بنات فتيات، ولما عمل بمشورته تجسنت حاله وزال مرضه (راجع صفحة ٤٦٢ من كتاب تاريخ الانسان الطبيعي) وقد جربوا ذلك العلاج أيضا في الرومانزم المزمّن للشيخ فافاد كثيرا بعد ان يئسوا من الطب والدواء . وقال الكتاب المذكور ما محصله :

« ان مساكنة البنات الفتيات ذوات الدم الوافر والصحة الجيدة يتطير منها نشأة منعشة تحترق جسم الشيخ الجاف وتسخن دمه الضعيف الفاتر وتحرك فيه الاعضاء الذابلة »

وذكر بعض العلماء أن من الشيخ من اسود شعره ونبتت أسنانه مرة ثالثة بعد سقوطها بسبب معاشرة الفتيات الصغيرات ، وعادت اليه قوة الجماع . ولا شك ان صحة البنات في وقت البلوغ تكون أحسن منها في جميع الاوقات الاخرى فيؤثرن في الرجل تأثيرا قويا مصلحا ، فينتفع هو وينتفعن هن بجماله أو جاهله . خصوصا اذا كان من أصحاب الملايين أو الملوك . واذا تزوج رجل مسن بعجوز مثله ساء نسلهما جدا بخلاف ما اذا كانت هي صبية

هذا وليعلم القارئ أي لا أذكر هذه الامثلة هنا لكوفي ممن يريد أن ينفذ الشيخ عيش الفتيات بالتزويج بهن كلا ؟ بل الغرض من ذكرها تميم البحث وبيان فوائد زواج البنات البالغات الصغيرات واستقصاء تلك الفوائد كلها

والخلاصة أنني أرى أنه ليس من الصواب تحديد سن الزواج بالسنة السادسة عشرة من العمر بل الا صوب عندي أن توضع طريقة تحمّل الناس على شدة مراعاة حدود الشريعة الاسلامية، وأن يتركوا عاداتنا المصرية القاسية المعروفة في الزواج ، وان كان لا مندوحة عن التحديد فليكن ذلك بعد بلوغ البنت بسنة، أوليجروا في ذلك حسب القانون المصري الحالي في مسألة عقوبة الفسق بأن يجعلوا سن الزواج (١٤) سنة فافوق . هذا هو رأيي أبدي به باخلاص والله ولي التوفيق، الهادي لا قوم طريق

مقام المشاهدة وعين الجمع^{*}

﴿ الدرجة العليا في المشاهدة والفرق فيها بين التوحيد وتخيلات وحدة الوجود ﴾

قال (١) ﴿ الدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع ، مالكة لصحة الورود ، رابكة بحر الوجود ﴾ صاحب هذه الدرجة أثبت عند الشيخ في مقام المشاهدة ، وأمكن في مقام الجمع الذي هو حضرة الوجود ، وأملك لجل ما يرد عليه في مقامه من أنواع الكشوفات والمعارف ، ولذلك كانت مشاهدته مالكة لصحة الورود ، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها الى حضرة الجمع ، وتشهد كلها لها بالصدق ، ويشهد المشهود أيضا لها بذلك ، فلا يبقى عندها احتمال شك ولا ريب وهذا أيضا مورد للملحد والموحد ، فالملحد يقول : مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد الجامع لجميع المعاني والصور والقوى والافعال والاسماء . وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود ، ومشاهدة الجمع تجذب الى عينه — قال — وصفة هذا الجذب أن يحل الحق تعالى عقد خليقته بيد حقيقته ، فيرجع النور الفائض على صورة خليقته الى أصله ، ويرجع العبد الى عديته ، فيبقى الوجود للحق ، والقناء للخلق ، ويقيم الحق تعالى وصفا من أوصافه نائبا عنه في استجلاء ذاته ، فيكون الحق هو المشاهد ذاته بذاته ، في طور من أطوار ظهوره وهي مرتبة عبده ، فإذا ثبت الحق تعالى عبده بعد نفيه ومحوه ، وابقاه بعد فنائه ، فعاد كما يعود السكران الى صحوه — وجد في ذات أسرار ربه ، وطور صفاته ، وحقائق ذاته ، ومعالم وجوده ، ومطارح أشعة نوره ، ووجد خليقته أسماء مسمى ذاته وعوده اليه ، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود المنزه الاصل الموهم الفرع ، فيودي استصجاب النظر الى أصله ، أن الفرع لم يفارقه هو الا بشكله ، والشكل على اختلاف ضروبه ، فمعنى عديمي تعيين امكانه في وجوبه

(*) مقتبس من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين (١) يعني صاحب كتاب منازل السائرين

فانظر ما في هذا الكلام من الاتحاد والكفر الصراح، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق ، وان الرب سبحانه أقام نفس أوصافه نائبة عنه في استجلاء ذاته ، وأنه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق ، وان الانسان اذا صاح من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرب ، ووجد خليقته أسما مسمى ذاته ، فيرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود « المنزه الاصل » يعني عن الانقسام والتكثير « الموم الفرع » يعني الذي يوه فروع وتكثر مظاهره واختلاف اشكاله انه متعدد ، وانما هو وجود واحد ، والاشكال على اختلاف ضروبها أمور عدمية ، لانها ممكنة وامكانها يقنى في وجوبها ، فلم يبق الا وجوب واجب الوجود ، وهو واحد وان اختلفت الاشكال التي ظهر فيها ، والاسماء التي اشارت اليه ، فالانحادي يشاهد وجودا واحدا جامعا لجميع الصور والانواع والاجناس فاض عليها كلها فظهر فيها بحسب قوابلها واستعداداتها ، وذلك الشهود يجذبه الى انحلال عزمه عن التقيد بمعبود معين أو عبادة معينة ، بل يبقى معبوده الوجود المطلق الساري في الموجودات بأي معنى ظهر وفي أي ماهية تحقق ، فلا فرق عنده بين السجود للصنم والشمس والقمر والنجوم وغيرها كما قال شاعر القوم^(١)

وان خر للاحجار في البيد عا كف
وان عبد النار المحجوس وما انطفت
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم
وما عقد الزنار حكما سوى يدي
وكما قل عارفهم^(٢) : واعلم ان الحق في كل معبود وجها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله ، فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر — قال — (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه) — قال — وما قضى الله شيئا الا وقع^(٣) وما عبد غير الله في كل معبود . فهذا مشهد الملحد

(١) كتب في هامش ب « هو ابن الفارض » ٢ وفي هامشها أيضا « لعله ابن عربي صاحب القصوص ، المشتمل على مخالفة النصوص »
(٢) حمل القضاء على التكوين وانما هو بمعنى التشريعي ، فحجته داحضة

والموحد يشاهد بإيمانه وبقينه ذاتا جامعة للأسماء الحسنى والصفات العلى ، لها صفة كل كمال^(١) وكل اسم حسن ، وذلك يجذبه الى نفس اجتماع همه على الله وعلى القيام بفرائضه ، والطريق بمجموعها لا يخرج عن هذين السبيلين ، وان طولوا العبارات ودققوا الاشارات ، فالامر كله دائر على جمع الهمة^(٢) على الله ، واستفراغ الوسع بغاية النصيحة في التقرب اليه بالنوافل ، بعد تكيل الفرائض ، فلا تطول ولا يطول عليك

وشيخ الاسلام مراده بالجمع الجاذب الى عين الجمع امر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم ، لا هو هذا ولا هذا ، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الجمع الذي يدندن حوله ، وعين الجمع عنده هو فرد الرب سبحانه بالازلية وبالديموم^(٣) وبالحلق والفعل ، فكان ولا شيء ، ويكون بعد كل شيء ، وهو المكون لكل شيء ، فلا وجود في الحقيقة لغيره ، ولا فعل لغيره ، بل وجود غيره كالخيال والظلال ، وفعل غيره في الحقيقة كحركات الاشجار والنبات ، وهذا تحقيق الفناء في شهود الربوبية والازلية والابدية ، وطى بساط شهود الاكوان ، فاذا ظهر هذا الحكم اتضح وجود المبدى في وجود الحق ، وتديره في تدير الحق ، فصار سبحانه هو المشهود بوجود من المبدى متلاش مضمحل كالخيال والظلال ، ولا يستعد لهذا عندهم الا من اجتمعت ارادته على المراد وحده حالا لا تكلفا ، وطبعا لا تطبعا ، فقد تنبعت الهمة الى أمر وتعلق به ، وصاحبها معرض عن غير مطلبه متعل به ، ولكن ارادة السوى كامنة فيه قد توارى حكمها واستتر ، ولما يزل ، فان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغالا تاما توارى عنه ارادته لغيره والتفاتة الى ما سواه ، مع كونه كامن في نفسه ، مادته حاضرة عنده ، فاذا وجد فجوة وأدنى فخل من شاغله ظهر حكم تلك الارادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها

فاذا الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب (اعلاها) جمع الهمة على الله ارادة ومحبة واتابة ، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ، دون رسوم الناس وعوائدهم ، فهذا جمع خواص المقرين

(١) في ب « كل صفة كمال (٢) وفيها « الهمة » (٣) وفيها « الديموم »

وساداتهم (والثاني) الاستغراق في الفناء في شهود الربوبية ، وتفرد الرب سبحانه بالازلية والديموم ، وان الوجود الحقيقي له وحده ، وهذا الجمع دون الجمع الاول بمراتب كثيرة (الثالث) جمع الملاحظة الاتحادية وعين جمعهم ، وهو جمع الشهود في وحدة الوجود ، فعليك بتمييز المراتب ، لتسلم من المعاطب ، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتمييز بين صحيحها وفاسدها في آخر باب التوحيد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والله المستعان

قوله « مالكة لصحة الوجود » أي ضامنة لصحة ورودها ، شهادة بذلك مشهوداتها به ، لا تفوق مشاهدة المعرفة وفوق مشاهدة المعاينة

قوله « راكبة بحر الوجود » يعني تلك المشاهدة راكبة بحر الوجود فهي في لجة بحره لا في انواره ولا في بوارقه ، وقد تقدم الكلام على مراده بالوجود ، وأنه وجود علم ووجود عين ووجود مقام ، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب ان شاء الله تعالى

منزلت المعاينة أو مقامها

✽ من مدارج السالكين أيضا ✽

قل شيخ الاسلام^(١) (باب المعاينة) قال الله تعالى (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) قلت المعاينة مفاعلة من العيان ، وأصلها من الرؤية بالعين يقال : عاينه اذا وقعت عينه عليه ، كما يقال : شافه . اذا كلمه شفاها ، وواجهه ، اذا قابله بوجهه ، وهذا مستحيل في هذه الدار أن يظفر به بشر ، واما قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » فالروية واقعة على نفس مد الظل^(٢) لا على الذي مد سبحانه ، كما قال تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) فها هنا أوقع الرؤية على نفس الفعل ، وفي قوله « ألم تر الى ربك كيف مد الظل » أوقعها في اللفظ عليه سبحانه والبراد فعله من مد الظل ، هذا كلام عربي بين معناه غير محتمل ولا مجمل ، كما قيل في العزى : [كفراؤك اليوم ولا سبحانك] أي رأيت الله قد اهانك [وهو كثير في

(١) أي ابو اسماعيل الهروي صاحب المنازل (٢) في ب « نفس هذا الظل

كلامهم ، يقولون : رأيت الله قد فعل كذا وكذا . والمراد رأيت فعله ، فالعيان والرؤية واقع على المفعول لاعلى ذات الفاعل وصفته ، ولا فعله القائم به

فصل

قال صاحب المنازل في المعاينة^(١) ثلاث (احداها) معاينة الابصار (الثانية) معاينة عين القلب وهي معرفة عين الشيء^(٢) على نعتة علميا يقطع الريبة ، ولا تشوبه حيرة^(٣) (الثالثة) معاينة عين الروح وهي التي تعين الحق عياناً محضاً ، والارواح انما طهرت وأكرمت بالبقاء لتعائن^(٤) سناء الحضرة وتشاهد بها العزة ، وتجذب القلوب الى فناء الحضرة) جعل الشيخ المعاينة للعين والقلب والروح ، وجعل لكل معاينة منها حكماً ، فمعاينة العين هي رؤية الشيء عياناً امّا بانطباع صورة المرئي في القوة الباصرة عند اصحاب الانطباع ، واما باتصال الشعاع المنبسط من العين المتصل بالمرئي عند اصحاب الشعاع ، واما بالنسبة والاضافة الخاصة بين العين وبين المرئي عند كثير من المتكلمين ، والاقوال الثلاثة لا تخلو عن خطأ وصواب ، والحق شيء غيرها ، وان الله سبحانه جعل في العين قوة باصرة كما جعل في الاذن قوة سامعة وفي الانف قوة شامة وفي اللسان قوة ناطقة ، فهذه قوى اودعها الله في سبحانه هذه الاعضاء وجعل بينها وبينها رابطة ، وجعل لها اسباباً من خارج ، وموانع تمنع حكمها ، وكل ما ذكره من انطباع ومقابلة وشعاع ونسبة واضافة فهو سبب وشرط والمقتضي هو القوة القائمة بالحل ، وليس الغرض ذكر هذه المسئلة فالتقصود امر آخر

وأما معاينة القلب فهي انكشاف صورة المعلوم له بحيث تكون نسبتته الى القلب كنسبة المرئي الى العين ، وقد جعل الله سبحانه القلب يبصر ويعى كما تبصر العين وكما تعى ، قال تعالى (فاتها لا تعى الابصار ولكن تعى القلوب التي في الصدور) فالقلب يرى ويسمع ويعى ويصم ، وعماه وصممه أبغ من عى البصر وصممه

(١) في المتن وب « المعاينات » « ٢ » في المتن « معرفة الشيء » « ٣ » زاد فيه هنا « وهذه معاينة بشواهد العلم » « ٤ » في ب « لتناغي »

وأما ما يثبت متأخرو القوم من هذا القسم الثالث [وهو رؤية الروح وسميها وارادتها وأحكامها التي هي أخص من أحكام القلب] فهو لاء اعتقادهم أن الروح غير النفس والقلب^(١) ولا ريب أن هاهنا أموراً معلومة وهي البدن وروحه القائم به والقلب المشاهد فيه وفي سائر الحيوان ، والغريزة وهي القوة العاقلة التي محلها القلب ، ونسبتها الى القلب كنسبة القوة الباصرة الى العين ، والقوة السامعة الى الاذن ، ولهذا تسمى تلك القوة قلباً كما تسمى القوة الباصرة بصرأ . قل تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يرد شكل القلب فانه لكل أحد ، وإنما أريد القوة والغريزة المودعة فيه ، والروح هي الحاملة للبدن وهذه القوى كلها ، فلا قوام للبدن ولا لقواه الا بها ، ولها باعتبار اضافتها الى كل محل حكم واسم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل البصر سميت بصرأ وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل السمع سميت سمعاً وكان لها حكم يخصها هناك ، واذا أضيفت الى محل العقل — وهو القلب — سميت قلباً ولها حكم يخصها ، وهي في ذلك كله روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة و سامعة وعاقلة وناطقة ، فهي في الحقيقة^(٢) هذا العاقل الفهم المدرك المحب العارف المحرك للبدن الذي هو محل الخطاب والامر والنهي — هو شيء واحد له^(٣) صفات متعددة بحسب متعلقاته ، فانه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة ، ولكن هي نفس واحدة لها صفات متعددة ، وهم يشيرون بالنفس الى الاخلاق والصفات المذمومة فيقولون : فلان له نفسٌ وفلان ليس له نفس . ومعلوم أنه لو فارق نفسه لمات ، ولكن يريدون تجرده عن صفات النفس المذمومة . والمحققون منهم يقولون : ان النفس اذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً . ومعلوم انها لم تدم ويخلق له مكانها روح لم تكن ، ولكن عدمت منها الصفات المذمومة وصار مكانها الصفات الحمودة فسميت روحاً

(١) سقط من ب كلمة والقلب (٢) في ب « فقي الحقيقة » ولعله الصواب

(٣) وفيها « وله »

وهذا اصطلاح مجرد والا فالله سبحانه سهاها نفساً في القرآن في جميع أحوالها - أماره ولوامة ومطمئنة. وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) ويدخل في هذا جميع أنفس العباد حتى الانبياء ، وسهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً على الاطلاق . وثمة كانت أو كافرة ، برة أو فاجرة ، كقوله اد ان الروح اذا قبض تبعه البصر ، وقوله « ان الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء » وقوله في حديث قبض الروح وصفته : ان كان (١) مؤمناً كان كذا وكذا وان كان كافراً كان كذا وكذا . فسمى المقبوض روحاً كما سهاه الله في كتابه نفساً ، وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان ، واذا قبض تبعته القوى كلها - العاقل ومادونه ، لانه كان حامل الجميع ومركبه

اذا عرف هذا فالمعاينة نوعان : معاينة بصر ، ومعاينة بصيرة ، فمعاينة البصر وقوعه على نفس المرئي ، أو مثاله الخارجي كروية مثال الصورة في المرآة والماء ، ومعاينة البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له بمنزلة ادراك العين للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدركا بحيث يستغرق فيه ، فيغلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة فيستولي على السمع والبصر بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن ، لكن لغلبة الشهود وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالاذن ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً

وحقيقة الامر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد ، فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح انما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ، فان شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السموات والارض ، فانه لو ظهر لها لدركدت وأصابها ما أصاب الجبل ، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب انما هو نور التعظيم والاجلال ، لا نور نفس المعظم ذي الجلال والاكرام ، وليس مع القوم الا الشواهد والامثلة العلمية

والدقائق ^(١) التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وانسه به واستغراقه في محبته ،
 وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ،
 منزله مقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو أنوار ذاته ، أو صفاته أو أنوار صفاته ،
 وانما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار
 وما أعد الله لأهلها ، وهذا الذي وجدته عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال :
 « ما لي بالجنة ! اني أبجد ريمها دون أحد . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
 » اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا — قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : — خلق
 الذكر « ومن قوله » ما بين يني ومنبري روضة من رياض الجنة « فهو روضة
 لاهل العلم والايمان لا يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين ، واذا
 قدم المنافق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ، ومن هذا
 قوله « الجنة تحت ظلال السيوف » فالعمل انما هو على الشواهد ، وعلى حسب شاهد
 العبد يكون عمله . اهـ المراد منه

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام ابو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
 وعناوين المسائل من زيادة المنار

مآخذ الاسلام ودلائله

﴿ مسألة ﴾ دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من
 القرآن ، أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما برواية جميع
 علماء الامة عنه عليه السلام — وهو الاجماع — وإما بنقل جماعة عنه عليه
 السلام — وهو نقل الكافة — وإما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى

يبلغ اليه عليه السلام، ولا مزيد

قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحيٌ يُوحى) وقال تعالى (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) وقال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فان تعارض — فيما يرى المرء — آيتان ، أو حديثان صحيحان ، أو حديث صحيح وآية ، فالواجب استعمالهما جميعا ، لأن طاعتها سواء في الوجوب ، فلا يحل ترك أحدهما للآخر مادامنا نقدر على ذلك . وليس هذا إلا بأن يستثنى الأقل معاني من الاكثر ، فإن لم يقدر على ذلك وجب الاخذ بالزائد حكما لانه متيقن وجوبه ، ولا يحل ترك اليقين بالظنون ، ولا إشكال في الدين ، قد بين الله دينه . قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وقال تعالى (تَبَيَّنَا السَّكَلُ شَيْءٌ)

الحديث المرسل والموقوف والضعيف

﴿ مسألة ﴾ والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة ، وكذلك ما لم يروه الا من لم يوثق بدينه وبحفظه . ولا يحل ترك ما جاء في القرآن أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره ، سواء كان هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن .

والمرسل هو ما كان بين أحد روايته وبين غيره أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وسلم من لا يعرف . والموقوف هو ما لم يبلغ به الى النبي صلى الله عليه وسلم .

برهان بطلان الموقوف قول الله عز وجل (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يحل لاحد ان يضيف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأنه ظن، وقد قال تعالى (إن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تَقْفُ ما ليس لك به علمٌ)

وأما المرسل^(١) ومن في روايته من لا يوثق بدينه وحفظه — فلقول الله تعالى (فلو لا تَقَرَّ من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) فأوجب الله تعالى قبول نذارة النافر للتفقه في الدين، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تُصيدوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وليس في العالم الا عدل أو فاسق، فحرم الله تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق الا العدل، فصح أنه هو المأمور بقبول نذراته

واما المجهول فلسنا على ثقة من انه على الصفة التي امر الله تعالى معها بقبول نذارته وهو التفقه في الدين . فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهاء في الدين، وحفظه لما ضبط من ذلك، وبرأئه من الفسق، وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف احد من الامة في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الملوك رسولاً رسولاً واحداً الى كل مملكة يدعوهم الاسلام، وواحداً واحداً الى كل مدينة والى كل قبيلة — كصنعاء والجند^(٢)

(١) اي واما بطلان الاستدلال بالحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف
(٢) الجند بالتحريك مدينة باليمن كانت عاصمة أعظم ولاياتها الثلاث في صدر الاسلام . قال في معجم البلدان عند الكلام عليها : وأعمال اليمن في الاسلام مقصورة على ثلاثة ولاء — فوال على الجند ومخاليفها، وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليفها وهو أدناها . والجند مسماة بجند بن شهران — بطن من المعافر . قال عمارة : وبالجند مسجد بناه معاذ ابن جبل الخ

وحضر موت وتيماء ونجران والبحرين وعمان وغيرها ، يعلمها أحكام الدين كلها ، وافترض على أهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم ، فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبالغا الى رسول الله (ص) .

ومن ترك القرآن أو ما صح عن رسول الله (ص) لقول صاحب أو غيره سواء كان راوي ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه ، لقول لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه . وهذا خلاف لأمر الله تعالى

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله ، لانه تعالى لم يأمر بذلك ، لكنه موجب تمظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي أوجب الله تعالى

النسخ

﴿ مسألة ﴾ القرآن ينسخ القرآن والسنة ، والسنة تنسخ السنة والقرآن . قال الله عز وجل (ما تنسخ من آية أو تنسخها نأت بخير منها أو مثلها) وقال تعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى انه هو الا وحى يوحى) وأمره تعالى ان يقول (إن أتبع الا ما يوحى اليّ) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لا خذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين) فصح أن كل ما قاله رسول الله (ص) فمن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان . وكل ذلك من عند الله تعالى

منع دعوى النسخ والتخصيص والتأويل

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لاحد ان يقول في آية أو في خبر عن رسول

الله (ص) ثابت : هذا منسوخ أو هذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ، ولا أن لهذا النص تأويلاً غير مقتضي ظاهر لفظه ، ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده إلا بنص آخر وارد بأن هذا النص كما ذكر ، أو بإجماع متيقن بأنه كما ذكر ، أو بضرورة حسن موجبة أنه كما ذكر ، وإلا فهو كاذب . برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) موجب طاعة رسول الله (ص) في كل ما أمر به ، وقوله (اطيعوا الله) موجب طاعة القرآن . ومن ادعى في آية أو خبر نسخاً فقد أسقط وجوب طاعتها ، فهو يخالف لأمر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والأخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية . فمن ادعى في شيء من ذلك أن المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه ، وقال عليه عز وجل الباطل وخالف قوله عز وجل . ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص ، واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة ، وهذا قول على الله تعالى بالباطل . وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه من سائر ما يقتضيه . وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفونه عن أمره) موجب

الوعيد على من قال لا يجب علي موافقة أمره ، وموجب أن جميع النصوص على الوجوب . ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب الطاعة لله تعالى ، ووجوب ما أوجب الله عز وجل من طاعة رسوله (ص) في تلك المدة . وهذا خلاف لأمر الله عز وجل ، فإذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن وسنة ثابتة إما بإجماع وأما بنقل صحيح فقد صح قوله ووجب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحسن لأنها فعل الله تعالى في النفوس ، والأفهي أقوال مؤدية إلى إبطال الإسلام ، وإبطال جميع العلوم ، وإبطال جميع اللغات كلها . وكفى بهذا فسادا ، وبالله تعالى التوفيق

إنما الإجماع إجماع الصحابة

﴿ مسألة ﴾ والإجماع هو ما يتقن أن جميع أصحاب رسول الله (ص) عرفوه وقالوا به ولم يختلف منهم أحد ، كتيقننا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها ، أو علموا أنه صلاها مع الناس كذلك ، وأنهم كلهم صاموا معه أو علموا أنه صام مع الناس رمضان في الحضر ، وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين ، والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين . وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع ، وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الأرض غيرهم ، ومن ادعى أن غير هذا هو إجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له إليه .

﴿ مسألة ﴾ وما صح فيه خلاف من واحد منهم رضي الله عنهم ولم يتيقن أن كل واحد منهم رضي الله عنهم عرفه ودان به فليس إجماعا ، لأن

من ادعى الاجماع ما هنا فقد كذب ، وقفا ما لا علم له به ، والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)

الاجماع بعد الصحابة متعذر

﴿ مسألة ﴾ ولو جاز ان يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه باجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة . وليس كان يكون اجماعا . أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله (ص) « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا أنه لا يجوز البتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفه عين على خطأ ، ولا بد من قائل بالحق فيهم . واما انه ليس اجماعا فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين . والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا اجماع بعضهم .

ولو جاز ان يسمى اجماعا ما خرج عن الجملة واحد لا يعرف أو وافق سائرهم أو يخالفهم — لجاز ان يسمى اجماعا ما خرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبداً حتى يرجع الامر ان يسمى اجماعا ما قاله واحد ، وهذا باطل . ولكن لا سبيل الى تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضي الله عنهم ، لكثرة اعداد الناس بعدهم ، ولأنهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ، ولم تكن الصحابة رضي الله عنهم كذلك ، بل كانوا عدداً يمكننا حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسألة . وبالله تعالى التوفيق .

وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضاء أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي بأقوال هؤلاء . (قال علي) وهذا (المنار: ج ٥) (٤٩) (المجلد الثامن عشر)

خطأ، لأنه لا سبيل الى ان تكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء
الا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله
رد المتنازع فيه الى الكتاب والسنة

﴿مسألة﴾ والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما
أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله (ص) لا الى شيء غيرهما، ولا
يجوز الرجوع الى عمل أهل المدينة ولا غيرهم، برهان ذلك قول الله عز
وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر) فصيح أنه لا يحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى
وسنة رسوله (ص) وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول
الله (ص) لان من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر
الله تعالى بالرد اليه والى رسوله، لاسيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول
بعض المؤمنين دون جميعهم، وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر
وعثمان بالمدينة وعملهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمل عمر وعثمان بالبصرة
والكوفة ومصر والشام، ومن الباطل المتيقن الممتنع الذي لا يمكن — ان
يكونوا رضي الله عنهم طوعا وعلما الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار
واقصروا به على أهل المدينة. فهذه وصفة سوء تداعاؤهم الله تعالى منها،
وقد عمل ملوك بني أمية باسقاط بعض التكبير من الصلاة وتقديم الخطبة
على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصيح أنه لا حجة في عمل
أحد دون رسول الله (ص) (المنار) بقية المسائل لإبطال التماس وتقدم في التفسير.

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية

٢

الآثر المصري

الذي ذكر فيه اسم بني اسرائيل

المحفوظ الآن بمتحف القاهرة — عدد ٣٤٠٢٥

(و بعض ما فيه من الاتفاق بين لغة قدماء المصريين واللغة العربية) (*)

أني تلقيت عن والدي في مدارس الحكومة الدروس الهيروغليفية التي ألقاها في نيف وثلاث سنين ، وثابت بعد ذلك على الاهتمام بها ولا سيما في أيام العطلة الدراسية . ثم صرفت أيام هذه الاجازة الاخيرة في ترجمة وجه واحد من الحجر الكبير المنقوش عليه اسم بني اسرائيل وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه على ما يقابلها في اللغة العربية ليعلم وجه الشبه بين اللغتين ، وجعلت كل كلمة مصرية موافقة للعربية بين علامتين هكذا [] فجاء بحمد الله با كورة عمل أزفها لأبناء وطني راجيا منهم ان يصفحوا عما يرونه فيه من زلة القلم ، وفقنا الله واياهم لنشر العلوم والمعارف آمين

وصف الآثر بالاجمال :

صنع هذا الآثر الملك (امنوفيس الرابع) من الاسرة الثامنة عشرة ونقش على وجه منه وصف بعض أعمال دينية قام بأدائها — ثم جاء من بعده (منفتاح) الذي هو فرعون سيدنا موسى عليه السلام على القول الأرجح ، وكتب على الوجه الآخر

(*) بقلم حسن افندي كمال الطالب بمدرسة الملك في لندرة نجل الأثري أحمد كمال بك أمين دار الآثار المصرية وقد جعلناه مكان النبذة الثانية مما وعد به والده ، وأوضحنا تفسير بعض الكلمات

٣٨٨ الاثر المصري الذي ذكر فيه اسم بني اسرائيل (المنار: ج ٥ م ١٨)

كيفية حربه مع اللويين ، واستطرد الى بيان أحوال مصر وقتئذ ، مع الالماع الى ذكر ولايات أخرى أخضعها لحكمه . وهذا النقش الأخير هو الذي عنيت بترجمته . فظهر لي ان الكاتب المصري تحرى فيه أساليب الانشاء التي كانت شائعة في عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وكان السبب في نقشه وتسطيره انتصار عظيم أحرزه فرعون (منفتاح) على اللويين ، فأمر بتدوين هذا النصر لتخليد ذكره بين الخلف ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه . لكن عبارات نصه لم تزدنا شيئا جديدا عما كتبه عن نتيجة هذه الحرب في نقوش الكرنك ، غير انه تكلم بصراحة هنا عما حصل في أيامه من الفرح والسرور والحرية للبلاد المصرية . ولولا النص المنقوش في معبد الكرنك المشروح فيه حوادث هذه الحرب بالتفصيل لما تيسر لنا الوقوف من هذا الأثر على مكانة الفوز المبين الذي ناله منفتاح ، ولا على الحالة الحرجة التي وقعت فيها البلاد المصرية عند نشوب هذه الحرب الطاحنة

ومن تأمل معاني العبارات الواردة في نص هذا الأثر النفيس علم بعض أحوال البلاد المصرية وقت السلم وعلى الاخص العبارة التي ذكر فيها اسم بني اسرائيل المدرجة في آخره لانها استوجبت توجيه النظر من الاثريين لكونها أول عبارة أخبرتنا بهذا الاسم المشهور في الكتب الدينية

وذلك انه ورد في الاثر اشارة اجمالية الى ذكر خضوع بعض الامم الاجنبية ومن جملتهم بنو اسرائيل . لكن العبارة التي ذكر فيها هذا الاسم جاءت في نهاية الایجاز ، حتى تعذر علينا استنتاج فائدة كبيرة منها . على انها صيغت في أسلوب متداول الاستعمال في اللغة المصرية القديمة طالما عبر به عن أمم أخرى في نصوص غير هذا

ومعنى هذه العبارة ان بني اسرائيل « لم تبق لهم بزة » أي ذرية في الارض . فاجتهد بعض الاثريين في تأويلها فقالوا انها تفيد محو نسل بني اسرائيل بذبح آبائهم واستحياء نسائهم . لكن نرى من جهة أخرى ان هذه العبارة نفسها ذكرت كثيرا في الآثار المصرية عن أمم أخرى أجنبية كما ترى في الامثلة الآتية

(الاول) ماجاء في حرب رمسيس الثالث من حكمه لسكان البحر الابيض

في السنة الثامنة من حكمه اذ قال ماترجته: «والذين وصلوا حدود بلدي تبدد شملهم ولم تبق لهم بزرّة»

(الثاني) ماجاء في كتاب (ديمخن)^(١) من أن اللويين والسبيدين مزقوا ولم تبق لهم بزرّة

(الثالث) ماجاء أيضا في الكتاب المذكور^(٢) من قولهم «وصارت بلادهم رماداً قفراً بلقما فلم تبق لهم بزرّة»

(الرابع) ماجاء في حرب رمسيس الثالث وذلك في السنة الخامسة من حكمه من أن — رئيس عمورة المدعو (جورو) لم تبق له بزرّة

فيعلم مما تقدم ان التعبير بلفظ لم تبق له بزرّة هو تعبير عندهم لا يراد به في الاثر الذي نحن بصدده محق ذرية بني اسرائيل من هذه الدنيا بذبح الابناء واستحياء النساء — ومن الواضح الجلي ان موطن بني اسرائيل كان في فلسطين حسب نص الاثر وان مفتاح قهرهم فيها وسلب أموالهم كما فعل بغيرهم من الامم المجاورة لهم بالكيفية المبينة بعد

ترجمة الاثر^(٣)

[النهار] الثالث من [أيوب] للسنة الخامسة من حكم [الحر — أي الباشق — القوي المرقى للعدل] الملك مفتاح العظيم [البأس المرقى بقوة] [الإله حوريس [القوي] ضارب [البدو] ذو الاسم السرمدي الذي تحدث [الناس بنسجدياته] في جميع البحار، لانه جعلهم يرون الدنيا كلها [منضمة] له، ولانه استعمل قواته

(١) هذا الكتاب حاو لنقوش مصرية تاريخية فراجع هذه العبارة في السطر ٣٦ من الباب ٣٤ من الجزء الاول

(٢) راجع في الجزء الاول من الكتاب المذكور السطر الثاني من الباب المتعم للعشرين (٣) إنا أتينا في الترجمة بالألفاظ المصرية القديمة (الهيروغليفية) الموافقة للألفاظ العربية، ومن هذه الألفاظ ما هو مستعمل الآن ومنها ما هو غريب غير مستعمل أو قليل الاستعمال فاضطررنا الى تفسيره في اثناء الكلام او في الهوامش فلهذا لا غرابة فيما يوجد في الترجمة من ضعف وركاكة، لأن هذه أول مرة حوفظ فيها على الألفاظ المتفقة في اللغتين بنصها فيهما

فما فيه النفع فهو [الصيدين] القب - مفتاح - الناب^(١) القوي [ذو
[البأس] المهلك [لشائبة] ذو الحسن في شدة [القوة] الذي [ينهض]
نهوض الشمس [ليكف] عن مصر ما يحل بها من العواصف ، وليجعلها ناظرة
لقرص الشمس عند [سطوعه] وليدفع جبل النحاس عن اعناق الاهالي^(٢) فيمنح
الحرية للناس الواقفين في الضيق ، وليعاف سكان منف من فعل أعدائهم وليجعل
« أسوريس » [إشرا] (أي فرحا) في [صُبَّيه]^(٣) الفاتح الذي يفتح
الحصون ويوصل لمعابده أرزاقها ، فهو الملك مفتاح الوحيد الذي يطن [ألباب]
الجم الفقير فيدخل عند رؤيته نفس الحياة في أنوفهم . فهو [السائد] على أرض
التمحو^(٤) ملقي [الهول] السرمدي في [ألباب] المشواش ، المذل للوبيين
المتوغلين في مصر حتى جعل [روع] القطر المصري العظيم في [لبهم] وجعل
مقدمة جيشهم ومؤخره لم يبرح الأرض في سيرهم على أرجلهم ، بل ظلوا على أقدامهم
واقفين حتى وقعت رماتهم وأقواسهم ، وصارت قلوب المسرعين منهم أذلة من
المشي ، فكوا قرب الماء وألقوها على الأرض ، وأخذت جلودها ورميت

أما الوالي [الخسيس] حاكم لوبيا [فخارت] قواه وهرب تحت [جنح] (الليل)
بلاريشة على رأسه ، وكانت رجلاه تسير سيرا ثقيلا ، وأخذت أمامه [حامته] - أي
نساؤه - ، ونهبت حبوب محصولاته ، فلا [ماء] في القرب [للمعيشة] فكانت
وجوه [أصنائه تهصص]^(٥) بعيونهم . ويقتل الواحد من [هداته]^(٦) ثانيه [

١ الصيدين - الملك - والقب - رئيس القوم وسيدهم وقيل الملك وقيل الخليفة
والناب السيد الوجيه ، وهو مجاز أصله المسن من الابل

٢ المقصود من جبل النحاس الامور الشاقة الثقيلة العبء كانها من حيث
الثقل جبل من نحاس فهي استعارة مستعملة عندنا في قول البعض ثقل كالجبل

٣ جمع صاب وهم الذين يميلون الى الفتى ويحبرن التقدم فيها والبراز

٤ هي القيروان وما يليها

٥ الاصناء كالصنوان جمع صنو بالكسر ، ومعناه في المصرية والعربية
الاخوة . وأصله فسائل النخل التي تخرج من أصل واحد . وتهصص معناه في
الغتين تبرق

٦ هداته قواده . والمراد بثانيه الذي يليه

في حرب نشبت بينهم، وحرقت [أحياءه] وجميع [أشياءه] من طعام الجنود، ولما وصل بلده تحدث في حقه الكثيرون في جميع [الأرض] فلحقته الحية [وخسفته النانة] ^(١) وسلبه سوء الحظ [الريشة] — أي من رأسه — فتحدث فيه الكل من سكان مدينته قائلين: إنه تحت [بأوزان منف] (أي سيطرة معبوداتها) لقد [ساوروا] مريري ^(٢) لانه كان [بذيتا] لمنف من ابن الى ابن (تج) في أسرته الى [الازل] — لذلك مثل مفتاح بأولاده [وشياه] ^(٣) فصار يضرب به المثل في لوبيا، وأصبحت الذرية تقول بعضها لبعض: لم يفعل لنا مثل ذلك منذ المعبود (رع) ^(٤) وكان كل كبير يقول لابنه: [انذب لوبيا] — فامتنعوا عن [المشي] والسير الطيب (أي التنزه) داخل الحقول فوقف [مشيهم] في يوم واحد، وحرقت التحنو في سنة واحدة، فأعطى المعبود (سوتخ) ظهره لرئيسهم، وتمزقت [أحياءه] حسب [مشيئه] (هذا المعبود) فلم تبق حاجة — لحل — [القناة] في هذه الايام وأصبحت السلامة في [الاختفاء] والتعود بالبيقرة ^(٥) — وصار [يلوذ] بسيد مصر الكبير مفتاح [الازر] ^(٦) والانتصار، لانه يحارب وهو عارف [شطنه] ^(٧) والذي يعاديه (بعد)

١ الخسف النقص والنانة الضعف والعجز في كل من اللغتين. ومن المعاني المناسبة لذلك في العربية قولهم: خسف فلانا أي أذله وحمله ما يكرهه وخسف الدابة حبسها بلا علف. ونا نأ فلان قصر وعجزه. وناناه: كفه ومنعه عن الأمر والنااء العاجز الجبان والزون الصنم (راجع عدد ٥ في هامش الصفحة التالية)

٢ ساورد كلموه بكلام يصدع رأسه. ومريري اسم رئيس اللوبيين

٣ شياه بالتشديد — قبحه

٤ يراد بهذه العبارة المتداولة عندهم أنه لم يحصل مثل ذلك من ابتداء الدنيا

٥ المراد بالاختفاء العزلة. وبالبيقرة سكنى الدور. ويقال في العربية يقرر

إذا نزل الخضر وأقام تاركا البادية

٦ الازر بالفتح القوة

٧ الشطن بالفتح مصدر شطن (كنصر) يقال: شطن في الأرض أي دخلها

لما راسخا وإما واغلا. وهذا هو المعنى بالمصرية

خائنا لا [لب] له — ومن تعدى حدود مصر لا يقيم الى الصباح لانها [السليمة الوحيدة] للمعبود « رع » منذ وجود الآلهة ، ولأن [سليه] — أيضا — هو مفتاح الجالس على [سدة] المعبود « شو » فلا [حجا يقدي ليهوي] بين [ناس مصر] ^(١) لان [عين] كل معبود متجهة في [سه من يعنوها] ^(٢) ولانها [تعني كاتفها] ^(٣) ولانها تعطي الخير لاولي [البأو] العالمين العارفين لغتهم كلها [الرانون] لاهوائهم — ونالت مصر [باؤا] فخرا كبيرا لان يدها [حبت] — دنت — من رئيس لوبيا فأسرته حيا . هكذا ظفر الملك المقدس [العادل] أمام المعبود « رع » [بكاتفه] ^(٤) مريري — فاعل [السوء] الذي [سخط] عليه [الزون رب منف ^(٥) فوفاه] — حسابه — في مدينة عين شمس ، وبذلك حكم عليه التسليم المقدس (وهو المؤلف من تسعة آلهة) بسبب [عثوه البذيء] فقال السيد الكلي (أي رئيس الآلهة) سأعطي [الخشب] ^(٦) لابني مفتاح [القوي اللب الآين] ^(٧) الرءوف المدافع عن منف [المجاوب] عن مدينة عين

١ الحجا في اللفتين العقل والمراد هنا ذو الحجا على حذف المضاف .
ويقدي يحى مقحما من البادية . وقوله يهوي بين ناس مصر أي يهبط مصر وينزل بين أهلها . فهذه الجملة كلها عربية ومحصل معناها أنه لا يوجد عقل يقرر بصاحبه فيحمله على اقتحام البادية لهبوط مصر أي على سبيل الفتح والاستعمار ، والتعليل الآتي معظم ألفاظه عربية مصرية أيضا

٢ المراد بالسه الخلف والوراء . وهذا المعنى مجازي بالعربية . ويعنوها يضعفها .
٣ أي تأسر مبغضها وكرهها أي أعدائها .
٤ أي كارهه ومبغضه

٥ رب منف تفسير للزون . والزون بالضم يطلق في العربية على الصنم وكل ما يتخذ للعبادة وعلى الموضع الذي تجمع فيه الاصنام وتنصب وتزين

٦ هو بوزن أمير السيف . ويطلق في العربية على السيف الصقيل والسيف الذي عرض له الطبع أي الصدا — ضد ، والمراد هنا الأول بقزينة المدح

٧ الآئن اسم فاعل آن على نفسه أونا رفق بها في السير ويستعمل بمعنى الرافه والوداع وهو الموافق للغة المصرية

شمس الفتح للمدن [المعني] ^(١) الذي [يفتك] أسارى الكثير من المقيدين في كل بلد ، ويعطي [الاطابات] ^(٢) للبرابي (أي المعابد) ويدخل [الكندر] ^(٣) امام [الزون] ويجعل [السراة تفتمي اشياءها] ^(٤) ويدخل الفقراء بلادهم ، فقالت الآلهة على مشهد من أر باب مدينة عين شمس بخصوص ابنهم منفتح ليعط الحياة مثل «رع» [ويجاب] عن كل من [ردى] — أي اختلس — لانه [وصي] على مصر لحسابها جزاء تابعاله الى الازل — أي الابد — [ولينجد] أهلها [ويلمأ بالطول] متقاعدتها في [لوقته] ^(٥) فتكون أنفاس الحياة [بقوة] ذراعها [وتخيط الاشياء] للمستحق بلا [جور] ولا [قماً] ^(٦) والذين [يون] ^(٧) لبهم [الصغير] ويلقون بزور العسف [يحبون] ^(٨) اليك بالاشياء بلا أطفال لهم ، هكذا يقال فيهم — وقد [تأيا] مريري الملعون [الخسيس الخار] ^(٩) رئيس لوييا [ليهوي] في أسوار ملك مصر وميدها وهو [القلب] الذي أطلقه المعبود «رع» على [سليله]

- ١ هو الذي ياخذ عنوة يقال : اعناه بمعنى أخضعه ويعني أبواه اسيرا
- ٢ ورد بمعنى احسن الاشياء فالظاهر أنه محرف عن الأطايب جمع أطيب
- ٣ الكندر بضم الكاف والdal اللبان الذي كان يستعمل بخورا في المعابد في عهد المصريين ولا يزال يستعمله النصارى
- ٤ السراة جمع سري كغني وقيل اسم جمع له وهم أشراف القوم في اللغتين . وتفتمي ورد في الأثر بمعنى تجمع ويظهر أن أصله في العربية تفتم من اقم الشيء ، فان الميم الثانية قلب ألفا . وورد بمعنى الكنس وأكل جميع ما على المائدة ففيه معنى الجمع
- ٥ يلما يلمح بنظره ، والطول بالفتح الفضل والعطاء والسعة . واللوق الساعة يقال : ذهب فلان في لوقه ، — أي ساعة
- ٦ تخيط من : خاط اليه الشيء اذا مر عليه سريعا لا يلوي على غيره . والقما الذل والصغار
- ٧ يون ورد بمعنى يضعف . ويقال في العربية بمعنى ضعف وفتر ، ووني بالتشديد أيضا
- ٨ أي يدنون من الحيو وهو أحد معانيه
- ٩ ناياه قصد شخصه وتعنده . والخار اسم فاعل من خرا أي وقع وسقط

هذا وهو [الصيدن والقب^١] مفتاح [المتربع] على [سدته] ويقول يتاح (أي الفتح) عن لوييا: ان [خار] لوييا - أي العائر بعد استقامته - [ستحصي] جميع بذاته [وتطوف - فوق - نطابه] - أي رأسه - وليجعل في [يد] مفتاح [وليبق مايقم^٢] مثلاً - - يفعل - التمساح، لان [الشوشاةة:عزو الشوشاء] في شبكته ولو كان [نابا]^٣ لان أمون [يلخ بحسه فيطفه]^٤ من [يده] ويجعله تحت [قوة] مفتاح في أرمنت

وقع [أشر]^٥ كبير في مصر [وبرز النهم]^٦ في [مدن] مصر ، وتحدث الناس بنجدات مفتاح التي حازها على التحنؤ - ماأطيه من [حاكم نجد]^٧ ما أعظمه من [صيدن بين الازوان] وما أسعده حظا [الناب الناهي] اجلس أيها الملك متعما وتسكلم [وامش شطنا] على [المتن]^٨ فلا [زأد] في [لب التات]^٩ فالقلاع تركت ونفسها [والقلائب]^{١٠} فتحت ، وأخذ [يطوف الوافدون] الاستحكامات ذات الاسوار [متفيحين] من الشمس حتى تصحى حراسها

١ اللقبان يطلقان بمعنى الملك . والقب رئيس القوم وسيدهم
٢ أي يقذف من فيه كل ما ياكله . يقال بق ما في فيه اذا قذفه بعنف . وهو مستعمل الآن في بلاد الشام . وقم ما على المائدة أكله كله
٣ أي العجلة تدفع المستعجل في شرك أعماله ولو كان نابا - أي سيدا وجيها ، والشوشاء أو الشوشاة في العربية الناقة السريعة ، والناب المسن من الابل ويطلق مجازا على السيد

٤ يلخ : يعرف . وبالعربية تلخ الخبر تخبره تخبرا واستقصاه ، وبحسه : جرأته ، ويطفه : يربطه . تقول العرب : طف الناقة اذا شد قوائمها .

٥ أي فرح وهو في العربية البطر من الفرح
٦ النهم الصوت وهو بالعربية صوت الاسد ونحوه .
٧ النجد كضخم وككتف ذو النجدة ورجل نجد : شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره سريع الاجابة الى ما يدعى اليه وهي النجدة

٨ تقدم تفسير الشطن وهو هنا التوغل . والمتن الطريق

٩ الزأد الفرع ، واللب القلب ، والتات الناس على الابدال في اللغتين

١٠ الآبار . والقلب في العربية البئر مطلقا أو القديمة ، جمعها قلب بضم القاف

وسكون اللام وضمها . وأقلبة . وقلائب جمع الجمع وهو غير مستعمل بالعربية

[والماصعون يتكروّن وينامون] ^(١) وقوم «نوو» و «تكتينوا» يكونون في الخقل [كأبابهم] ^(٢) وحيوانات الخقل تترك بلا راع [فتدئ] ^(٣) مياه الغدير ولا [صاخب] يصيح في [جنح] - أي من الليل - [هيا إمق الآتي بلغة] [الاجني] ^(٤) [أت] [واذهب] [مخلوطا] فلا [نباحة] من [نات مهمومة] [قد] [عنت] [المدن] ثانيا [وسيقم] [الفلاح محصوله]، والتنت «رع» الى مصر فولد مفتاح ملك مصر وشيء له بأن يكون [مناضلا] عنها - وان تكون [الولة منبطحة] - له - وتقول [سلاما] وان [لا يرفع أحد من البدو نطابه] ^(٥) [فانفكت التحنو وتحفظت] [رخيتا] ^(٦) [واقحت كنعان لو بنتها] ^(٧) وعنت عسقلان [وقبض على جزال، وصارت ينعمام عدما في الوجود] وانفك الاسرائليون فلا بزر لهم، وأصبحت فلسطين خلية ^(٨) لمصر، [والاراضي] كلها [مضومة] [في] [حفظ] وكل [أشم وعفه] ^(٩) الصیدن القب مفتاح سليل [الشمس معطي المعيشة كل نهار مثل الغورة (أي الشمس) اه

١ - الماصعون المقاتلون بالسيوف تقول العرب مصع فلانا اذا ضربه بالسيف أو بالسوط و يتكرون يتكفون الكرى وهو النوم، يفسره قوله: و ينامون

٢ أبابهم رغبتههم وقصدهم

٣ - أي تمر مرا بطيئا أو سريعا

٤ - معناه: هيا فانظر كل اجني أنى متكلم بلغته (كذا فسر المترجم)

٥ رأسه. وفي معاجم العربية: النطاب ككتاب الرأس وحبل العنق أو العاتق

٦ التحنو هم سكان القير وان وما بعدها والخيتا هم الحيثيون المذكورون

في التوراة

٧ قحا المال واقتحاه أخذه كله. الوبنة الأذى. يقول نهبت أموال كنعان

لأذاها وضرها. وأسرت عسقلان

٨ الخلية التي لا زوج لها

٩ وعفه أضعفه. هكذا ورد بالمصرية، والوعف بالمهملة والمعجمة في العربية

ضعف البصر. يقال وعفه واوعفه وأوغفه. وبقية الالفاظ فسرت قبل

باب المناظرة والمراسلة

جواب على استفتاء المنار (جزء ٢ مجلد ١٨) في قول الشاعر

جدير (كذا) بيهر والتفات وسعة ومسحة عشون وقتل الاصابع
وانما قال الشاعر (مليء بيهر) فقوله جدير سهو منه في اللفظ لافي المعنى لأن
مليء معناها عنده جدير او حري او او... وتفسيره مليء بهذا المعنى هو الذي حمله
على استغراب التقدير في البيت . مع انه لم يرد في كتاب من كتب اللغة مليء بمعنى
جدير او حري او ما يصح به معنى البيت بالعطف على بيهر ، ولم يسمع هذا المعنى
حقيقة ولا مجازاً الا اذا استعمله بعضهم وحمله على المجاز من عنده تجوزاً ولا
ينبغي ان اللغة سماعية توقيفية لا يحتاج بالاصطلاح والاستعمال فيها . وحاصل ماورد
في كتب اللغة ان مليء (؟) من مليء كسمع فعيل بمعنى مفعول ومعناه مملوء ومنه مليء
للغني لامتلاء خزائنه بالمال والحسني القضاء لامتلائهم علماً وحكمة فيقال فلان مملوء
بالبهر والعي ولا يقال مملوء بالتفات ومسح الاحية وقتل الاصابع . فاذا سخط المعنى
وجب التقدير وان استقام النظم . ويبحث خطأ المعاني وصوابها والحذف والتقدير
لذلك مذكور في محله من كتب البلاغة . واليك خلاصة ماورد في معنى مليء بالهمز
قال في القاموس : مَلَأَهُ كَمَع مَلَأً وَمَلَأَةً بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَمَلَأَهُ تَمْلِئَةً فَاَمْتَلَأَ
وَتَمَلَأَ وَمَلِئٌ كَسَمِعَ اَقُولُ (وَمَلِئٌ مِنْ مَلِئٍ) هذه . وقال في تاج العروس :
ورجل مليء جليل بملأ العين . وفلان املاً لعيني وهو رجل مالى للعين . ومنه
حديث عمران انه ليخيل اليها اشد ملأة . الى ان قال في آخر المادة وهو ملآن
من الكرم ومليء

فلا وجه لاستغراب التقدير في البيت حينئذ الا اذا جوزنا قول من يقول فلان
مملوء بمسح العشون وقتل الاصابع ولم نستسخفه . أو وجدنا معنى للمليء يصح به العطف
على بهر وكان هذا المعنى وارداً في اللغة حقيقة أو مجازاً واستعمله من يعتد ويحتاج به
(متأدب)

(المنار) صححنا البيت في الجزء الماضي فلم يبق محل لما ذكر في هذا الجواب في شأن استبدال كلمة جدير بكلمة ملي، والواجب حصر الكلام في ضبط البيت وبيان معناه بالألفاظ التي ورد فيها

ادعى (التأدب) المجيب ان حاصل ما ورد في كتب اللغة ان مليء معناه مملوء، وأنه من مليء كسمع وأنه يصح ان يقال: فلان مملوء بالبهر، ولا يصح ان يقال مملوء بالالتفات ومسح اللحية وقتل الاصابير — فهذا وجب التقدير عنده. وهو الذي قال ان التقدير: وله التفات وسعة الخ ولا وجه لاستغراب التقدير عنده الا في الحالتين اللتين ذكرهما في الجواب وهما عنده في حيز النفي هذا حاصل جوابه. ما ذكره وبنى عليه جوابه من ان حاصل ما في كتب اللغة ان «مليء» معناه مملوء، وأنه من مليء كسمع — غير صحيح، فما كل مملوء يسمى مليئاً، ولا كل ما أطلق عليه لفظ مليء يصح أن يطلق عليه لفظ مملوء، وان كان لا يخلو الاستعمال من المناسبة لاصل معنى المادة — ولا مليء من مليء كسمع. قال في لسان العرب: والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقد مأؤ فهو مليء، ومليء فلان واملاؤه الله: أزكمه فهو مملوء، على غير قياس — ثم قال — وقد مأؤ الرجل يملؤ ملاءة فهو مليء: صار مليئاً اي ثقة، فهو غني مليء بين الملاء والملاءة — ممدودان — وفي حديث الدين «اذا اتبع احدكم على مليء فليتبع» المليء بالهمز الثقة الغني. وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء. وفي حديث علي كرم الله وجهه «لامليء» والله باصدار ما ورد عليه اه وفي القاموس المحيط: والملاء الاغنياء المتمولون أو الحسنو القضاء منهم، الواحد مليء اه وقد غفل (التأدب) المجيب عن قوله «منهم» فظن ان المليء يطلق على الحاكم الحسن القضاء لامتلأته علماً وحكمة. على ان له ان يقول هذا من تلقاء نفسه تجوزاً وان كان في جوابه ما يدل على عدم الجواز. فالقول الثاني من قولي القاموس ان المليء يطلق على الغني الحسن القضاء أي الوفاء لا على كل غني. ويشل هذا لا يجوز ان يقال فيه مملوء. وفسر الجوهري المليء بكثير المال أو الثقة الغني — والفيومي بالغني المقتدر. حكاهما شارح القاموس

وفي مجاز الاساس ما نصه: وما كان هذا الامر عن ملأ منا أي بملااة

ومشاورة. ومنه: «ومليء بكذا: مضطلع به. وقدموا به ملاءة وهم ما يثون به وملاءاه»
 هذا حاصل ما ورد في كتب اللغة في الكلمة لا ما قاله المجيب . ومنه يعلم
 أن اظهر هذه الاقوال في تفسير البيت ان «مليء» فيه بمعنى مضطلع ، وحاصل
 المعنى ان هذا الخطيب الذي يذمه الشاعر لا قوة له على الخطابة ولا اضطلاع له بها
 وانما هو مليء مضطلع بصفات العي والحصر كلها ، وهي البير الذي هو اقطاع النفس
 وتردده من الاعياء ، والالتفات ، ومسح اللحية ، وقتل الاصابع . فالمضطلع بالامر
 هو القوي عليه القادر على احتماله. ويصح أيضا ان يقال انه غني وثقة بهذه الصفات،
 اي لانه فقير من الفصاحة والبلاغة ، وما به تكون الخطابة ، أولا ثقة به في ذلك
 ومن البديهي أن كلمة مملوء لا تحمل محل كلمة مضطلع ولا كلمة ثقة ولا كلمة
 حسن القضاء أي لما عليه من الحق ، بل ولا محل كلمة غني ومزكوم ، ولكن معنى
 الامتلاء يناسب هذا المعين في الجملة دون معنى المضطلع والثقة . ولم يرد عنهم: إناء
 أو دلو أو ذق مليء ، كما يقال مملوء. فالفرق بين مليء ومملوء مثل الصبح ظاهر
 ثم انا نقول اذا جرى (التأدب) في فهم كل استعمال اللغة على الطريقة التي
 جرى عليها في فهم هذه الكلمة (مليء) فاته الفهم الصحيح في أكثرها . وأضي
 بهذه الطريقة أن يعمد الى كلمة من أصل المادة ويحمل عليها كل معنى حقيقي ومجازي
 لها . مثال ذلك قولهم : اضطلع بالامر . اصل معناه الاشتقاق : احتملته اضلاعه ،
 ولكنه يقال في الامور المعنوية . ومنه قول علي كرم الله وجهه في صفة النبي (ص)
 فاضطلع بامرك لطاعتك . فسروه في كتب اللغة والحديث بقولهم : قوي عليه
 ينهض به . وليس أمر الوحي والدين مما تحمله الاضلاع ، وانما يحمله العقل والروح
 ويؤديه اللسان .

هذا ماظهر لنا . فما يقول في البيت أدباء مصر كالشيخ المرصفي والشيخ محمد
 المهدي واسماعيل باشا صبري وحقتي بك ناصف واحد بك تيمور وحافظ بك
 ابراهيم ومحمد بك المويلحي وسائر الكتاب والشعراء ؟

تقريظ المطبوعات الجديدة *

﴿ الواجب ﴾

(مؤلفه الفيلسوف الفرنسي جول سيمون . وقد ترجم الجزء الاول منه بالعربية محمد افندي رمضان والشيخ طه حسين . وطبع بمطبعة الجريدة . وصفحاته ٧٤ والمترجمين مقدمة وترجمة للمؤلف في بضع صفحات الكتاب من أشهر كتب الفلسفة التي تفحصها عقل ذلك الفيلسوف الفرنسي . الشهير وموضوع الجزء الاول المترجم منه : بحث الاختيار ، ومذهبه فيه كذهب أهل السنة وسط بين مذهبي التجبرية والقدرية . وقد عقد فيه فصلا طويلا للكلام في العادة ومكان الاختيار منها وتأثيرها في أعمال الانسان)

﴿ شرح ابن عقيل على الالفية ﴾

هذا الكتاب من أشهر كتب النحو وأكثرها تداولاً ، وقد طبع مرارا كثيرة طبعات لا نستحق الذكر حتى طبعه منذ عامين صاحب المكتبة الازهرية الشيخ محمد سعيد الرافعي بمطبعة السعادة طبعة جميلة على ورق جيد بقطع أصغر من قطع المنار وأكبر من قطع رسالة التوحيد . ووضع له في أدنى الصفحات حواشي في اعراب ما يشكل من آيات الالفية وآيات الشواهد ، وتفسير الكلمات الغريبة في آيات الشواهد مع عزو الآيات الى قائلها . ومن الالفية في هذا الشرح مضبوط بالشكل الكامل ، فترجو لهذه الطبعة ما تستحق من الانتشار ، وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار بمصر

(ديوان الحماسة)

اعاد الرافعي أيضا طبع ديوان الحماسة في مطبعة السعادة مع شرح غريبة له المختصر من شرح التبريزي ، طبعه على ورق جيد وضبط الآيات ضبطا تاما تادر الغلط .

(* عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا)

وقد امتازت هذه الطبعة على طبعته الاولى له بتراجم معظم شعراء الحماسة وبذلك سبب الشعر. وصفحاته ٤٣٢ بقطع شرح ابن عقيل ويطلب من طابعه ومكتبة المنار بمصر ولعمرك الله ان هذا الديوان بهذا الشرح لمن أنفع الكتب لطالب العربية حتى انه كاد ليغني عن شرح التبريزي نفسه وقد غني الرافي بتصحيفه عناية عظيمة

المزهر

في علوم العربية وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي (جزآن)
وبهذه المناسبة نقول ان الرافي أعاد طبع كتاب المزهر النفيس الشهير منذ
بضع سنين على ورق جيد بمطبعة السعادة بمصر

(دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)

من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هذا الكتاب من جمع ورواية الامام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة
القضاعي القتيبي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٤ وهو منقول بالرواية سماعا من ناسخه عن
القاضي سناء الدين أبي عبد الله محمد العامري بمصر سنة نسخه له — من الشريف
القاضي الخطيب فخر الدولة أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن اسماعيل الحسيني
الزيدي عن أبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيد الغوي عن المؤلف
طبع الرافي هذا الكتاب لأول مرة عن نسخة نفيسة وجدت عند البعثة جميل
بك العظم مكتوبة بخط حسن على ورق جيد مضبوطة بالشكل التام، كتبها محمد بن منصور
ابن خليفة بن منهل برسم ولده منهل، وفرغ منها في ٨ ذي القعدة سنة ٦١١ عن
نسخة عليها خط الشريف الخطيب أحد رواة الكتاب وصورة سماع رواتها والاجازات
بها . طبعه بمطبعة السعادة وص ٢٠٨ بقطع ما ذكر آنفا من مطبوعاته ويطلب
من طابعه ومن مكتبة المنار

وحسبنا ان نقول: ان هذا الكتاب من نخب كلام أمير المؤمنين الذي انزل
الله الحكمة على قلبه ونطق بها لسانه، ولا يجهل أحد ان كلام الامام يعد بعد كلام
الله ورسوله في أعلى ذروة البلاغة والفصاحة والحكمة البالغة، والآداب الجامعة .

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

المكتبة
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوي و « مناراء كنار الطريق »

مصر ٣٠ شعبان ١٣٣٣ — ٢٠ السرطان (ص ١) ١٢٩٣ هـ ش ١٣ يوليو ١٩١٥

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
وعناوين المسائل من زيادة المنار

٢

أفعال النبي (ص)

(مسألة) وأفعال النبي (ص) ليست فرضا إلا ما كان منها بيانا
لامر فهو حينئذ أمر، لكن الاكتفاء به عليه السلام فيها حسن . برهان
ذلك هذا الخبر الذي ذكرنا آنفا من أنه لا يلزمنا شيء الا ما أمرنا به
أو نهانا عنه ، وأن ما سكت عنه فهو ساقط عنا . قال الله عز وجل (لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)
شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا عليه السلام .
 قال الله عز وجل (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) حدثنا أحمد بن
 محمد بن الجسور ، نا وهب بن مرة ، نا محمد بن وضاح ، نا أبو بكر بن
 أبي شيبة ، نا هشيم ، نا بشار ، نا يزيد الفقير : أخبرني جابر بن عبد الله
 أن رسول الله (ص) قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرتُ
 بالرَّعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل
 من أمتي ادركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،
 وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس
 عامة » — فإذا صح أن الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم إلا
 إلى قومه خاصة ، فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط ،
 وإذا لم يبعثوا إلينا ، فلم يخاطبونا قط بشيء ، ولا أمرونا ولا نهونا ، ولو
 أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا عليه السلام فضيلة عليهم في هذا
 الباب . ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي
 خصنا الله تعالى بها

— فإن صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء فقد صح يقينا أن
 شرائعهم لا تلزمنا أصلاً ، وبالله تعالى التوفيق
تحريم التقليد

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لأحد أن يقلد أحداً لا حياً ولا ميتاً ، وعلى
 كل أحد من الناس الاجتهاد حسب طاقته . فمن سأل عن دينه فأنما يريد

معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين . ففرض عليه ان كان أجهل البرية أن يسأل عن أعلم أهل بلده بالدين الذي جاء به رسول الله (ص) فإذا دُلَّ عليه سألته ، فإذا افتاه قال له : هكذا قال الله ورسوله ؟ فإن قال له نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبداً ، وإن قال له هذا رأيي أو هذا قياس ، أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً ، أو سكت أو انتهره ، أو قال له لا أدري ، فلا يحل له ان يأخذ بقوله . ولكن يسأل غيره . وبرهان ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)^(١) فلم يأمر عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر ، فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله تعالى ولا رسوله (ص) ولا أولي الامر ، وإذا لم يرد إلى ما ذكرنا فقد خالف أمر الله عز وجل ، ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر دون بعض

فان قيل فان الله تعالى قال (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) قلنا نعم ولم يأمر الله عز وجل ان نقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ، ولا ان يطاع أهل الذكر في رأيهم ، ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل ، وانما أمر تعالى أن نسأل أهل الذكر عما لا نعلم من الذكر الوارد من عند الله تعالى فقط ، لا عما قاله^(٢) من لا سمع له ولا طاعة ، وانما أمر تعالى بقبول

(١) في الاصل : واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم (٢) في الاصل عن من قاله

نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسوله
(ص) لا في دين لم يشرعه الله عز وجل

ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل ، وقال
قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ، ولا إجماع ولا قياس ، وما كان
هكذا فهو باطل لانه قول بلا دليل ، بل البرهان قد جاء بإبطاله ، قال الله
تعالى ذاماً لقوم (انا أطمعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله تعالى الذي أوجبه على
عباده ، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان المسلم لا يكون مسلماً
الا حتى يقر بأن الله تعالى إلهه لا إله له غيره ، وان محمداً رسول الله (ص)
فهذا الدين اليه والى غيره ، فاذا لاشك في هذا ففرض عليه ان يسأل اذا
سمع فتياً: أهذا هو حكم الله تعالى وحكم رسوله؟ وهذا لا يجوز عنه من
يدري بالاسلام ولو أنه كما جلب من (قوقو) وبالله تعالى التوفيق

استفتاء أهل الحديث لا الرأي

❦ مسألة ❦ وان قيل له اذا سأل عن أعلم بلده في الدين : هذا
صاحب حديث عن رسول الله (ص) وهذا صاحب رأي وقياس ، فليسأل
صاحب الحديث ، ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً . وبرهان
ذلك قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين
للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك ، والرأي والقياس
ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور ، نا احمد بن سعيد ، نا ابن وضاح ،
نا يحيى بن يحيى ، نا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ان

رسول الله (ص) قال «إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث»
 حدثنا يونس بن عبد الله ، نا يحيى بن مالك بن عاثد ، نا أبو عبد الله
 ابن أبي حنيفة ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا يوسف
 ابن يزيد القراطيسي ، نا سعيد بن منصور ، نا جرير بن عبد الحميد عن
 المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال « السنة لم توضع بالمقاييس » حدثنا محمد
 ابن سعيد بن ثبات (١) نا إسماعيل بن اسحق البصري ، نا أحمد بن سعيد بن
 حزم ، نا محمد بن إبراهيم بن حمون الحجازي ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل
 قال: سمعت أبي يقول « الحديث الضعيف أحب الينا من الرأي »^(١) حدثنا
 همام بن أحمد ، نا عباس ابن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن اعين ، نا عبد الله
 ابن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبي عن الرجل يكون يلد لا يجد فيه الا
 صاحب حديث لا يعرف صحيفته من سقيمه وأصحاب رأي فتنزل به
 النازلة : من يسأل ؟ فقال أبي : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل أصحاب
 الرأي . ضعيف الحديث أقوى من رأي أبي حنيفة

رفع الخطأ والنسيان

﴿ مسألة ﴾ ولا حكم للخطأ ولا للنسيان الا حيث جاء في القرآن
 أو السنة لهما حكم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
 ما أعمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا)

إنما التكليف بالاستطاعة

﴿ مسألة ﴾ وكل فرض كلفه الله تعالى الانسان فان قدر عليه لزمه ،
 وان عجز عن جميعه سقط عنه ، وان قوي على بعضه وعجز عن بعضه

(١) الحديث الضعيف عند أحمد هو الحسن عند الجمهور

سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء كان أقله أو أكثره .
برهان ذلك قول الله تعالى (لا يكاف الله نفسا الا وسعها) وقول رسول
الله (ص) « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل
باسناده وبالله تعالى التوفيق

لا يقدم الموقت على وقته

﴿ مسألة ﴾ ولا يجوز أن يعمل أحد شيئا من الدين موقتا بوقت
قبل وقته ، فإن كان موقتا الأول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل
لا قبل وقته ولا بعد وقته ، لقول الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) والاقوات حدود
فن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له ، فقد تعدى حدود الله (١)
-- حدثنا عبد الله بن يوسف ، نا أحمد بن فتح ، نا عبد الوهاب بن عيسى

(١) الحدود المكانية أولى بهذا الحكم من الحدود الزمانية كواقيت الحج ،
وقد عبر عنها في الأحاديث بمادة الحد كما في حديث ابن عمر في البخاري « ان رسول
الله (ص) حد لأهل نجد قرنا » وقد مضى عمل النبي (ص) وأصحابه على ذلك
فيصدق على مخالفة الحديث الآتي « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد
أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، وأنكر مالك على من أراد الاحرام من
مسجد الرسول بالمدينة وقال له : أخشى عليك الفتنة . وحديث أم سلمة في
الاهلال من المسجد الأقصى لا يصح . وما روي في تفسيرات تمام الحج والعمرة « أن
تحرم من ديرة أهلك » فعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس
وغيره من قوله « أن تحرم من ديرة أهلك لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من
الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت
لو حججت أو اعتمرت ! وذلك مجزئ ولكن التمام أن تخرج له لا لغيره »
وبهذا تنفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية .

نا أحمد بن محمد ، نا أحمد بن علي ، نا مسلم بن الحجاج ، نا اسحق ابن ابراهيم - هو ابن راهويه - عن ابي عامر العقدي ، نا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : أخبرني عائشة أن رسول الله (ص) قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »

(قال علي) ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملاً في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت ، فقد عمل عملاً ليس عليه أمر الله تعالى وأمر رسوله (ص) فهو مردود باطل غير مقبول ، وهو غير العمل الذي أمر به

فإن جاء نص بأنه يجزئ في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ ، وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق

المجتهد النحطى خير من المقلد المصيب

﴿ مسألة ﴾ والمجتهد النحطى افضل عند الله من المقلد المصيب . هذا في اهل الاسلام خاصة . واما غير اهل الاسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد . وكلاهما هالك . برهان هذا ما ذكرناه آنفاً بإسناده من قول رسول الله (ص) « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذنم الله تعالى التقليد جملة ، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور

وليس من اتبع رسول الله (ص) مقلداً لأنه فعل ما أمره الله تعالى به ، وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله (ص) لأنه فعل ما لم يأمره الله تعالى به . وأما غير أهل الاسلام فإن الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فإن يتقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

الحق واحد لا يتعدد

﴿سألة﴾ والحق من الاقوال في واحد منها وسائرها خطأ وبالله تعالى التوفيق. قال الله تعالى (فإذا بعد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذم تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا) وقال تعالى (تبيان لكل شيء) فصيح أن الحق في الاقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وإن الخطأ ما لم يكن من عند الله تعالى، ومن ادعى أن الاقوال كلها حق، وأن كل مجتهد مصيب، فقد قال قولا لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول

وما كان هكذا فهو باطل ويطله أيضا قول رسول الله (ص) «إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر» فنص عليه السلام أن المجتهد قد يخطئ ومن قال أن الناس لم يكفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ، بل ما كلفوا إلا إصابة ما أمر الله تعالى به، قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إلينا وأن لا تتبع غيره، وألا تعدى حدوده

وانما أجر المجتهد المخطئ اجرا واحدا على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأنم إذ حُرِمَ الإصابة. فلو أصاب الحق اجرا اجرا آخر، كما قال عليه السلام أنه إذا أصاب اجرا ثانيا. حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد، نا ابراهيم بن احمد، نا الضريري، نا البخاري، نا عبد الله بن يزيد المقرئ، نا حيون بن شريح، نا يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن بشر بن سعيد عن ابي قيس مولى عمرو

ابن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله (ص) يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر » ولا يحل الحكم بالظن اصلاً لقول الله عز وجل (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) ولقول رسول الله (ص) « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق اهـ

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية*

٣

نص وترجمة الوصفة الطبية المدرجة في القرطاس الطبي المحفوظ بمتحف برلين . وهي التاسعة والنسعون بعد المائة . وكانت كتابة هذا القرطاس في زمن العائلة التاسعة عشرة واسم الوصفة الطبية بلسانهم « بخر »^(١)
لماة^(٢) تمشؤ الست لآتمشؤ^(٣)

(*) لأحمد كمال بك أمين المتحف المصري
(١) البخر مقلوب الخبر بالضم أي الاختبار بالتجربة ونحوها .
(٢) اللماة اللمحة . فالهمزة مقلوبة عن الحاء وهذا القلب معهود في اللغتين العربية والمصرية . وقد ورد في العربية لماة ولحة بمعنى واحد ، بل هو فعل واحد
(٣) هو من المشاء بالفتح وهو بالعربية النماء ومنه الماشية . قال في لسان العرب : وأصل المشاء النماء والكثرة والتناسل . ولكن فعله بالعربية يأتي يقال مشت إبل بني فلان تمشي مشاء إذا كثرت . والمصريون همزوا الفعل
وقد اختلف علماء اللغة العربية في إطلاق لفظ الست على المرأة فقيل إنه مأخوذ من الجهات الست كما قال البهاء زهير : =

بُرْتُ (٤) وعُضُّ (٥) تفوحهما (٦) الست بمائها رفاء (٧) مثل البرني (٨) والعيش (٩) في غلافين (١٠) فان ذرا (١١) لوفرتهما (١٢) فانها تمشؤ وان ذرا البر فهو ذكر وان ذرا العض فهو ست وان عدم الذرة لا تمشؤ والمعنى: إن أريد أن يعرف هل تلد المرأة أم لا تلد، وماذا تلد ان وادت، فليوضع في غلاف أي إناء شيء من البر وفي إناء آخر شيء من الشعير كما يفعل في تقع التمر والعيش، وتبول المرأة عليهما كل يوم، فان نباتا معا فانها تلد وان نبت القمح وحده تلد ذكرا وان نبت الشعير وحده تلد انثى. وان لم ينبتا لا تلد

= ولسكن عادة ملكت جهاتي فلا عجب اذا ماقلت ستي وقيل لحن أو عامي. وقال الفيروزبادي الصواب ان أصله سيدتي. وظاهر كلامه انه مخصوص بالنداء وحالقه غيره في هذا. واستعمال هذه الكلمة بمصر أكثر من استعمالها في سائر البلاد العربية. ولا يبعد ان تكون مما أخذ العرب عن قدماء المصريين لا العكس

(٤) البر والقمح والحنطة واحد في اللغتين كما تقدم في النبذة الأولى
(٥) العض بضم العين المهملة من أسماء الشعير بالعربية والمصرية وهو المراد هنا
(٦) المراد بالتفويج بالماء هنا إراقة البول. ومادته فوج تدل في العربية على الإراقة لكنه استعمل في الدم يقال أفاح الدم اذا أراقه وسفكه، وفاح الجرح. على انتشار الرائحة وهو المشهور، وعلى السعة. وقالوا بحر فواح
(٧) قال أحمد كمال بك رفاء معناه كل يوم ولا نعرف له أصلا في العربية بهذا المعنى ويقرب منه الرفاء (بالسكر) وهو الاتصال والاتحام

(٨) البرني أجود التمر وذكر في النبذة الأولى
(٩) العيش اطلق على الخبز في اللغتين لأنه المادة التي يعيش بها أكثر الناس
(١٠) الغلاف بوزن كتاب الصوان والغشاء الذي يصفان به الشيء يقال غلاف الكتاب وغلاف السيف واستعمل بالمصرية بهذا المعنى
(١١) يقال بالعربية ذرا الأرض بمعنى بذرها، ويقال بذرت الأرض اذا أخرجت نباتها متفرقا
(١٢) معناه بالمصرية كلاهما. والوفرة بالعربية الكثرة.

فَلَا تَنْسَوْنَ دُرَارَةَ الدِّعْوَةِ وَالْإِنْشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٨

الاعضاء التي لا قناة لها

علم مما سبق أن في جسم الانسان نوعين من الاعضاء : —
(النوع الاول) : هو الذي له قناة تحمل افرازه سواء أ كان هذا الافراز صالحا للجسم أم ضارابه، فمثال الصالح افراز البنكرياس ومثال الضار افراز الكلية. وتسمى هذه الاعضاء « بالغدد التي لها قناة » وافرازها يسمى « بالافراز الخارجي » لانه يرى خارجا منها ويجري في قنواتها ، وأ كثر هذه الاعضاء له افراز آخر يسمى « بالافراز الداخلي » وهو الذي يجري في الأوردة الدموية أو في الاوعية اللمفاوية. وله فوائد سند كرها ان شاء الله تعالى . مثال ذلك الخصية فان لها افرازا خارجيا وهو المنى يجري في قنواتها المعروفة ، وافرازا داخليا لا يرى وله تأثير في بنية الشخص وهيئته وصوته وشعر وجهه ونحو ذلك من مميزات الذكور التي تفقد بالخصاء
(النوع الثاني) : الاعضاء التي لا قناة لها كالطحال وغيره . وهذه لها افراز واحد يسمى « بالافراز الداخلي » له منافع عظيمة في الجسم ، وقال آخرون إن المراد من هذه الاعضاء الاخيرة ليس افراز مواد نافعة للجسم بل إخراج بعض فضلاته لضرر بقاءها فيه ، والظاهر أن كلتا النظريتين صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن الأولى أكثر قبولا عند الجمهور الآن من الثانية . وهالك بيان وظيفة تلك الاعضاء التي لا قناة لها : —

(١) الطحال عضو شهير ، وهو أكبر الغدد التي لا قناة لها ، وموضعه في الجهة اليسرى من البطن بين المعدة والحجاب الحاجز . أما وظائفه فخمس :

(أولها) تكوين كريات بيضاء للدم (ثانيها) توليد بعض الكريات الحمراء في بعض الحيوانات (ثالثها) اتلاف الكريات الحمراء القديمة التي قاربت الفساد (رابعها) تكوين بعض مواد نيتروجينية كحامض البوليكت لإخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه (خامسها) يقوم الطحال بوظيفة مستودع للدم يجتمع فيه إذا انتهى الهضم فيمتلئ به ويكبر حجمه ، وإذا ابتداء الهضم يندفع الدم منه إلى المعدة

(٢) الغدة الصعترية غدة مؤقتة تكبر عقب ولادة الطفل إلى نهاية السنة الثانية إذ يتم نموها ، ثم تأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلا أثرها في زمن البلوغ . موضعها في الجزء الأمامي من الصدر وراء القص وتمتد إلى أسفل العنق ولونها يميل إلى الحمرة أو يقرب من السنجابي

ووظيفتها تكوين كريات بيضاء كباقي الغدد اللعناوية . وفي الحيوانات التي تسبت (Hibern ate)^(١) تبقى فيها هذه الغدة الصعترية مدة الحياة كلها ، وفي أثناء يقظتها يتراكم فيها جزء عظيم من الشحم ، وهذا يستعمل في أثناء سباتها فيأخذ في الاحتراق شيئاً فشيئاً

فيظهر من ذلك أنها تجتمع فيها بعض المواد التي تلزم للحياة في أثناء هذا النوم الطويل في تلك الحيوانات

ويقول بعض العلماء أنها تولد أيضاً بعض الكريات الحمراء في الأطفال وإذا أزيلت هذه الغدة من بعض الحيوانات كالضفادع مثلاً . حصل لها ضعف عضلي شديد مع شلل ينتهي بالموت

(٣) الغدة الدرقية تشاهد في أسفل العنق من الأمام على القصبة الهوائية ، وشكلها يشبه الدرقة ولذلك سميت بهذا الاسم . وهي في النساء أكبر منها في الرجال ، وفي زمن الحيض تنتفخ قليلاً . وقد تصاب بمرض فتحصل فيها ضخامة

(١) كلمة لاتينية معناها حرفياً (تشقى) والمراد بها السبات الذي يصيبه بعض الحيوانات مدة الشتاء كالخفاش (الوطواط)

عظيمة تسمى بلسان الاطباء (جواتر) Gositre ^(١) وهو مرض عسير الشفاء ولا يزول غالبا الا بعملية جراحية فيستأصل من العنق ، ويجب الاحتراس من ظن أن هذه الغدة هي القطعة الناتئة في العنق المسماة « بتفاحة آدم » ^(٢) فان هذه الغدة التي تتكلم عليها هي تحت التفاحة بقليل

أما مادتها فمركبة من منسوج مخصوص مشتمل على حويصلات صغيرة جدا مملوءة بمادة غروية مركبة من الزلال وعنصر اليود

وظيفة هذه الغدة ان تفرز افرازا داخليا له تأثير عظيم في بنية الشخص وقواه العقلية ، فاذا مرضت أو استئصلت في الاطفال وقف جسمهم عن النمو وأصيبوا بالبله واذا أصابها المرض في الكبر حدث للانسان ما يسمى « بالتورم المخاطي » [Myxoedema] في جسمه فتضخم جميع الانسجة التي تحت الجلد حتى يتورم جسمه ويصاب بالضعف العام في جميع قواه الجمانية والعقلية ، ولذلك يجب الاحتراس في أثناء العمليات الجراحية من استئصال هذه الغدة كلها بل يتحتم ترك جزء منها ليقوم بهذه الوظيفة المهمة

وانما سمي هذا المرض الاخير بالتورم المخاطي لظنهم أن هذا الورم ناشئ عن زيادة المواد المخاطية تحت الجلد . والحقيقة أن المنسوج الضام الذي تحت الجلد بجميع أجزائه هو الذي يضخم لا المادة المخاطية التي فيه وحدها

ولعلاج هذه الاحوال يجب استمرار حقن خلاصة من الغدة الدرقية تحت جلد المصاب أو تستعار له هذه الغدة من أحد الحيوانات وتلصق بجسمه جراحيا (وهي طريقة قليلة النجاح) وأحسن من ذلك كله ان يأكل المريض من هذه الغدة مادام حيا

ويوجد للغدة الدرقية أخوات صغيرة بجوارها أو فيها والراجح عند بعض العلماء أن التأثير الاعظم في المجموع العصبي وغيره هو لهذه الغدد الصغيرة (٤) الغدة التي فوق السكية هي جسم شكله كالتناسوة المضغوطة من الجانبين

(١) كلمة فرنسية معناها الحرفي البلعوم

(٢) سميت بذلك لظهورها في الرجل أكثر منها في الانثى

٤٣٦ الجسم النخامي والغدة الصنوبرية والجسم العصبي [المنار: ج ٦ م ١٨]

يرى على قمة كل من السكيتين ؛ أما وظيفتها فأول من اهتمدى اليها طبيب انكليزي يسمى (أديسون) Addison في سنة ١٨٥٥ م ولذلك سمي المرض الناشئ من اصابة هذه الغدة باسمه الى اليوم. وأعراضه ضعف في المجموع العضلي كله وفي المجموع الدوري للدم وفي الاعصاب، واصابة الجلد بلون السمرة بحيث تشبه النحاس

واذا استخلص من هذه الغدة خلاصة وحقنت تحت الجلد أحدثت انقباضا في الاوعية الدموية الصغيرة ، فهي لذلك تنفع في منع النزيف، وكذلك اذا وضعت هذه الخلاصة على الاغشية المخاطية صيرت لونها أكمد لا تقباض الاوعية الدموية فيها ومنعت النزيف ، ولذلك يستعملها أطباء العيون في العمليات الجراحية للعين بنسبة واحد في الألف لمنع النزيف . وأشهر الامراض التي تصيبها هو التدرن

(٥) الجسم النخامي أو المخاطي هو جسم في الدماغ أحمر سنجابي يشاهد على السرج التركي للعظم الوتدي من عظام الجمجمة أسفل المنخ ، ومرض هذا الجسم يحدث ضخامة فظيعة في عظام الاطراف العليا والسفلى وكذلك في عظام الوجه

(٦) الغدة الصنوبرية هي أيضا داخل الجمجمة تحت مؤخر الجسم المندمل الموصل بين فصي المنخ ، في وسطها تجويف صغير، ولم تعلم لهذا الجسم وظيفة الى الآن، وغاية ما يعرف عنه أنه أثر ضامر لعين ثالثة

وتوجد هذه العين في حال أحسن منها في الانسان في الاورال (العطاء) [Lizards] خصوصا في النوع المسمى بالافرنجية «هتيريا» (Hatteria) وهي فيها مغطاة بالجلد ، وفي الحرباء وبعض الزواحف تتصل الغدة الصنوبرية بعين ثالثة في وسط سطح الرأس ولكنها في الحالة الاثرية أيضا

وهذا العضو هو من أعظم وأشهر الاعضاء الاثرية التي بنى عليها مذهب دارون (٧) الجسم العصبي يوجد عند نهاية العصعص وفيه منسوج ضام مشتمل على كثير من أوعية دموية صغيرة . وهذا الجسم لا تعرف له وظيفة أيضا

(٨) الجسم السباتي هو جسم عند انقسام الشريان السباتي^(١) الذي في جانبي (١) سمي بذلك لان الضغط على هذا الشريان ضغطا يقلل الدم عن الدماغ يحدث نوما عميقا (أي سباتا) أو غيبوبة

العنق الايمن والايسر

وهذا الجسم يشبه في تركيبه الجسم العصبي وهو مثله أيضا في جهلنا وظيفته

جهلا تاما

الجلد : تركيبه ووظيفته

يتركب الجلد من طبقتين : العليا تسمى البشرة ، والسفلى تسمى الادمة ، وفيها الشعر والاذفار والغدد الدهنية وغدد العرق ، أما البشرة فهي مركبة من طبقات عديدة ، كل منها مركب من خلايا بعضها بجانب بعض كالبلات

وأما الطبقات السطحية فهي كالقشور الميتة وتنفصل منها نوياتها ، وتنفصل عن الجلد شيئا فشيئا ، ويحصل نمو البشرة من طبقاتها السفلى . وفي هذه الطبقات ترى المواد الملونة لبعض أنواع البشر . وفيها أيضا تحفظ المواد التي يستعملها الناس للوشم . وطبقات البشرة تتغذى بالمادة الليفية ، ولها مجار دقيقة جدا بين خلياتها ، ولا يوجد في البشرة عروق للدم ، ولكن يوجد في الطبقات السفلى منها أعصاب دقيقة جدا

وأما الادمة فهي مركبة من منسوج ليفي كثيف ، وهذه الكثافة تتناقص شيئا فشيئا حتى تصل الى المنسوج الخلوي الذي تحت الجلد وبه الشحم . وفي الادمة حلمات صغيرة توجد بكثرة في راحة الكفين وفي أخمص القدمين ، وهي أكبر الحلمات الجلدية ، ويكون بعضها بجوار بعض صفا صفا ، وهي السبب فيما نشاهده في جلد الراحة مثلا من القنوات الصغيرة . وهذه القنوات لها أشكال متنوعة في يد كل شخص ، بحيث يتعذر وجود شخصين متماثلين فيها من جميع الوجوه ، ولذلك يختبر بها تحقيق الشخصية

وفي الحلمات الجلدية لفائف من الأوعية الشعرية الدموية ، وفي بعض الأجزاء كالأخمصين والراحتين وغيرها أجسام بيضاوية لها علاقة مخصوصة بحاسة اللمس وفي الطبقات السفلى من أدمة الصفن والقضيب وحلمة الثديين ألياف عضلية غير اختيارية ، وهي التي تحدث الانكماش في جلد تلك الأعضاء بانقباضها

٤٣٨ الاظفار والشعر وغدد الدهن والعرق. وظائف الجلد [المنار : ج ٦ م ١٨]

وأما الاظفار فهي عبارة عن بعض طبقات من طبقات البشرة تنوعت تنوعاً خاصاً

وأما الشعر فهو أيضاً طبقات من البشرة تنوعت تنوعاً مخصوصاً، وكل شعرة تنبت من بصيلة في حفرة مخصوصة تسمى الحويصلة الشعرية . والشعر يوجد في جميع أجزاء الجسم بدرجات مختلفة ما عدا الراحتين والاحصين والقضيب، أما لونه فهو ناشئ عن وجود مادة ملونة في خلاياه. وسبب الشيب فقد هذه المادة، وقد يتولد في الشعر فقاقيع هوائية وهي التي تظهر أن لونه أبيض عند حصول فزع للانسان مثلاً وكل حويصلة من حويصلات الشعر لها ليفة عضلية صغيرة تجذبها في بعض الاحوال فينتصب الشعر كما يحصل عند البرد أو الفزع

وأما الغدد الدهنية فهي غدد كيسية موضعها في الأدمة وتفتح قنواتها في أعلى حويصلات الشعر، وهي تفرز مادة دهنية فائدتها تليين الشعر والجلد، وبانسداد هذه الغدد والتهابها يحصل « حب الشباب » بسبب كثرة افراز المادة الدهنية في هذا الطور من العمر، وبعد سن الثلاثين يندر وجود هذا المرض وأما غدد العرق فتوجد في جميع سطح الجلد وتكثر جداً في الاماكن التي لا شعر فيها كالراحتين، وكل منها عبارة عن أنبوبة ملتفة على نفسها، موضعها في الأدمة أو فيما تحتها - وهو الغالب - وتفتح قنواتها في سطح البشرة وأما المادة التي تفرز في داخل الاذن فلها غدد تشبه غدد العرق

وظائف الجلد

- (١) أن يكون وقاية للجسم ومركزاً للحس باللمس
- (٢) عليه مدار تنظيم حرارة الجسم - كما سبق -
- (٣) يتنفس الجسم منه، فانه يخرج منه غاز ثاني أكسيد الفحم، ويمتص الجسم أكسجين من الهواء. وهذه الوظيفة في الحيوانات ذوات الجلد السميك ضعيفة جداً ولكن لها في ذوات الجلد الرقيق أهمية عظيمة، حتى اذا نزع عنها الرثان عاش الحيوان مدة بالتنفس الجلدي فقط كما في الضفادع

(٤) الامتصاص ، وهذه الوظيفة لها أهمية في العلاج فان كثيرا من المواد اذا وضعت على الجلد دخلت البنية كالزئبق مثلا وكذلك الزيوت وغيرها كثير ، فامتصاص الزئبق من هذا الطريق يمكن معالجة الداء الافرنجي . وكذلك يعالج الاطفال النحفاء بذلك أجسامهم بالزيوت خصوصا زيت السمك ، وهي طريقة لطيفة لتوقي طعمها المبعوض . ومن هنا فهم سبب سمن اكثر المشتغلين بمس الزيوت والشحوم كالجزارين مثلا فان أجسامهم تمتص شيئا منها ، والامتصاص بالجلد هو بالضرورة أضعف من الامتصاص بالاغشية المخاطية

(٥) الافراز ، ومعناه خروج بعض المواد الضارة بطريق الجلد من جسم الانسان في العرق وغيره

العرق

توجد غدد العرق بكثرة في الانسان في راحتيه واخصيه — كما سبق — ولذلك يكثر العرق فيهما ، ولكن يوجد اختلاف بين الحيوانات في كمية العرق التي تفرزه وفي الاماكن التي يفرز منها بكثرة — فالثور يعرق أقل من الخصان والغنم ، والفيران والارانب والمعز لا تعرق ، والخنزير انما يعرق أنفه بكثرة ، واما الكلاب والقطط فتعرق براحة أرجلها

واذا خرج العرق من الجسم تبخر في الهواء وفي تبخره يجذب جزءا من حرارة الجسم فتعرض له البرودة وإذا كان الهواء جافا وحارا ومتحركا كان التبخر عظيما ، والعكس بالعكس

ومقدار العرق في اليوم نحو ٧٢٠ جراما

تركيب العرق : اذا خرج العرق من الجسم يخرج معه شيء كثير من الفضلات الضارة ، وهو يمتزج بالمادة الدهنية التي تفرزها الغدد المذكورة سابقا ، ويختلط كذلك ببعض خلايا البشرة التي انفصلت عنها وهذه الخلايا فيها كثير من مادة الكبريت ، وهذه هي احدى الطرق لاجراج هذا العنصر من الجسم أما العرق فيشتمل على ماء كثير وأملاح متعددة أشهرها ملح الطعام ، وحوامض دهنية ومادة البولينا وهي التي تخرج بكثرة في البول وهي من أشهر

فضلات الجسم المتخلفة عن احتراق المواد الزلالية فيه - كما سبق -
ومما سبق تعرف العلاقة بين افراز الكلى وافراز الجلد ، فاذا كثر العرق قل
البول وبالعكس . وهذا هو السبب في قلة افراز البول اذا اشتد الحر في زمن الصيف .
لذلك كان من أحسن طرق علاج المصاب بمرض في الكلى أن تكثر عرقه بالتدفئة
أو بالحمامات الساخنة أو ببعض الادوية التي يعرفها الاطباء ، وبهذه الوسيلة تخرج
بعض الفضلات الضارة من الجسم بطريق الجلد فتستريح الكلى حتى يتم شفاؤها
وتوجد مواد كثيرة اذا تعاطاها الانسان خرجت بكثرة في العرق مثل الجاوي ،
وبعض الادوية حين خروجها من الجسم تهيج الجلد وتحدث فيه طفحا مخصوصا
كالزرنخ مثلا . ومثل ذلك سموم بعض الامراض فانها تحدث طفحا في الجلد .
وسياأتي الكلام عليها في الجزء الثاني ان شاء الله

وتم مواد أخرى غير ما ذكر تخرج مع العرق في بعض الاحوال ، فقد شوهد
أن بعض الناس يتلون عرقهم بلون مغاير للون الطبيعي بسبب خروج دم فيه أو
بمخرج المادة الحمراء الملونة للدم . وقد يخرج في العرق مادة زلالية وذلك في مرض
الرثية (الروماتزم) الذي يكون فيه العرق أشد حموضة من المعتاد ، وقد يخرج
فيه أيضا حامض البنيك وذلك في الحمى النفاسية أو في داء الكساح أو الخنازير
الاستحمام : علم مما سبق أن الاغتسال ضروري للانسان لان تركه يسبب
تراكم تلك المواد المذكورة آنفا على سطح الجلد فتسد قنوات الغدد وتعوق افرازها ،
واذا قل افراز الجلد كثر مجهود الرئتين والكليتين فتصاب بالعطب . زد على ذلك
كون القذارة نخط من قدر المرء وتنفر الناس منه وتحدث بعض أمراض في الجلد
نفسه كالحمكة

ومن فوائد الاستحمام غير ما ذكر أنه ينشط الجسم وينبه المجموع العصبي
والدوري ، ولذلك أوجبه الشارع الحكيم بعد الجنابة لازالة ما يحدث للجسم من
الفتور بعد الجماع . والاستحمام يقوي المرضى والضعفاء ، ومن ذلك تظهر حكمة
اغتسال الحائض والنفساء لان هاتين الحالتين هما - من غير شك - مرضيتان
واحسن طريقة لازالة أوساخ الجسم هي استعمال الماء الفاتر أو الساخن مع

الصابون والدلك بالليف أو نحوه، ولا يخفى أن الدلك من أحسن الوسائل المستعملة في الطب الحديث لتقوية الأعصاب والعضلات وإزالة بعض الآلام، ولذلك يمدح بعض أطباء الأفرنج الإمام مالكا رضي الله عنه لجملة الدلك من فرائض الغسل فإنه أكثر تقوية للجسم من الغسل وحده

أما الصابون فإنه يتولد من تأثير البوتاسيوم والصوديوم في المواد الدهنية أو الزيتية

أنواع الحمامات هي :-

(١) البارد وحرارته تكون أقل من حرارة الجسم بكثير

(٢) الفاتر وحرارته أقل بقليل

(٣) الساخن وحرارته مثل حرارة الجسم

(٤) الحار وهي مثل حرارة الجسم إذا أصابته الحمى الشديدة

والمياه الساخنة منبهة للجسم مزيله لآلام الروماتزم وغيرها، ويصح لكل انسان أن يستعملها

أما المياه الباردة فالأولى أن لا يستعملها الانسان الا في زمن الصيف بشرط أن يكون صحيح البنية سليم الكليتين والرئتين . وإذا أحس الانسان بعدها بحرارة في جسمه كان ذلك دليلا على أن بنيته تتحملها بشرط السلامة من المرض وينبغي أن يستعمل الانسان بعد الحمام البارد الدلك الشديد والتدفئة بالملابس الكافية والرياضة البدنية نحو نصف ساعة

وكذلك يجب في جميع الحمامات تنشيف الجسم من الماء تنشيفا جيدا فان في ذلك وقايته من البرد، ويجب في الحمام الساخن أن لا يخرج الانسان منه دفعة واحدة الى الهواء البارد، وأحسن وقت للاستحمام أن يكون في الصباح قبل الفطور أو بعد تناول لقيمات قليلة جدا مع فنجان من القهوة أو الشاي، ومن الضرر البالغ أن يغسل الانسان بعد الجوع الشديد أو التعب الكبير أو بعد امتلاء المعدة بالطعام، ولا يصح دخول الحمام عقب الأكل الا بعد مضي ساعة أو ساعتين على الأقل

ولا يجوز استعمال الماء البارد للشيوخ والعجائز ولا للمصابين بضعف القلب
والماء البارد نافع جدا في الحميات وكذلك الفاتر، وهذا مصدق للحديث القائل
«الحمي من فيح جهنم فأبردوها بالماء» — كما سبق — والمعالجة بالماء Hydrotherapy
نجحت نجاحا عظيما في شفاء كثير من الامراض الضعفية والامراض التي تهدك القوى
العقلية ولازالة مضار الحياة الجلوسية

أما السبب في احساس الانسان بالحرارة عقب استحمامه بالماء البارد فهو تمدد أوعية
الجلد وامتلاؤها بالدم بعد انقباضها عند استعمال الماء البارد وهو ما يسمى «برد الفعل»
والواجب أن يكون زمن الحمام البارد قصيرا جدا (أي بضع دقائق) فان
الفرض منه ليس تنظيف الجسم بل تقويته ، ويجب أن لا يكون الحمام الساخن في
مكان فاسد الهواء كأن توضع فيه النار مثلا

وينبغي الاستحمام في الصيف مرتين في الاسبوع على الاقل، وفي الشتاء مرة
واحدة ، وينبغي تغيير الملابس بعد الاستحمام، ومن هنا نفهم حكمة الشارع في سن
غسل الجمعة ولبس أحسن الثياب يومه ، وفي فرض الغسل بعد كل جنابة ولو
بالاحتلام ، وفرض طهارة الثوب

الملابس

الغرض من الملابس حفظ الجسم من البرد والحر والرياح والمطر والقاذورات
وهي تدفئه وتحفظه من بعض العوارض وكذلك تزينه
وتتخذ الملابس إما من الحيوان أو من النبات
(١) ما يتخذ من الحيوان

فهو الصوف والوبر والشعر : وهي تؤخذ من الانعام كما هو معروف. وهذه الاشياء
جما تغزل ثم تنسج ما عدا اللباد فانه يصنع بلا غزل ولا نسج وتتميز هذه الاشياء
عن المواد النباتية يوضع جزء منها في محلول القلويات ^(١) الكاوية فاذا ذاب علم
(١) كمحلول الصودا الكاوية أو البوتاسا الكاوية وهما عبارة عن
هيدرات البوتاسيوم أو الصوديوم

أنه من أصل حيواني

والكشمير يتخذ من شعر معز بلاد التبت

وهذه الاصناف جميعا موصلة رديئة للحرارة وتمتص الرطوبة بسهولة وسرعة ولكنها تبخر منها ببطء ، فلذلك كانت نافعة جدا في التدفئة . ومن معايها أنها تيسر وتنكش بالغسل

الحرير : يفرز من غدتين بأسفل جسم دودة القز ، ولهما قناتان تنفتح في الشفة السفلى لفم الدودة . والخيط الواحد عبارة عن خيطين دقيقين جدا ملتصق أحدهما بالآخر وطوله نحو ٤٠٠٠ ياردة

وتفرز الدودة هذا الخيط لتبني به بيتا حولها يحيط بها ويخفيها عن الاعين ويحفظها من كل مايؤثر فيها مدة تحولها الى فراش ، ويسمى هذا البيت بالشرقة ، فاذا تحولت الى فراش ثقب هذا البيت وخرج منه ، فتزواج ذكوره باناثه وتضع الاناث بيضا صغيرا جدا كحجم رأس الدبوس الصغير يشبه بزور الخشخاش (أبي النوم) وهذه البويضات تفقس فتخرج منها ديدان دقيقة وهي ديدان القز ، ولا تفرز الحرير الا بعد كبرها وتتمام نموها ، وتتغذى هذه الديدان بورق التوت ، وفي بلاد المغول نوع آخر منها يتغذى بورق البلوط . وهاك تفصيل حياة هذه الدودة كما علمته بالمشاهدة أثناء تربيتي له : —

يبدأ بيض القز يمتس في أواخر شهر فبراير أو أوائل مارس وقت ظهور ورق التوت ، ويكون الدود صغيرا جدا كالنمل ثم يكبر حتى يصير طول الواحدة نحو ٦ — ٨ ستي متر . ويخرج الحرير في أوائل شهر ابريل ، ويقال إنه يمكن تربيته أيضا على ورق الخس ولكن حريره يكون أقل . وتتكون الشرانق فاذا تمت خرج الفراش منها بعد نحو ١٨ أو ١٩ يوما ، وتبدأ الاناث بوضع بيضها بعد نحو ٢٤ ساعة من خروجها . وعدد بيض كل نحو ٢٠٠ على الأقل . ويموت الذكر والانثى من الفراش بعد خروجه بنحو عشرة أيام . والانثى أكبر قليلا وأصفى يابضا

أما لون البيض الجديد فهو مصفر فاذا قدم صار رماديا . وهو مفرطح ومنبعج في وسطه . ولا يأكل الدود داخل الشرقة شيئا ولا يشرب ، وكذلك الفراش

ولون الشرقة أبيض أو مصفر قليلا أو كثيرا، وشكله يضاوي منحصر، وطول الشرقة من اثنين ونصف الى ثلاثة ونصف ستي مترا وعرضها واحد ونصف تقريبا . وقد يفتس البيض مرة أخرى في مايو

أما خيط الحرير فله قلب محاط بمادة شمعية زلالية. ولتيميز هذه الخيوط الحريرية عن الخيوط النباتية يوضع عليها حامض البكريك Picric^(١) ولونه أصفر فاذا تلونت به كانت حريرا صحيحا والا فلا

ولتيميز الحرير عن الصوف مثلا يوضع القماش في محلول قلوي من أكسيد الرصاص فاذا تلون باللون الاسود دل ذلك على أنه صوف لوجود مادة الكبريت فيه فتحد مع الرصاص وتحدث هذا اللون الاسود، أما الحرير فليس فيه هذه المادة الكبريتية

والحرير يمتص الرطوبة بكثرة وهو موصل ردي للكهرباء ويقال انه يحفظ الروائح وجراثيم الامراض

ولا يحتاج الجسم الى لبس الحرير الا اذا كان مصابا بداء الحكمة، ولا شك أن الشارع يبيحه في مثل هذا المرض فقد لبسه بعض الصحابة بأمر رسول الله (ص) في ذلك المرض، لان الضرورات تبيح المحظورات

ويؤخذ من الحيوانات أيضا الفرو والريش والجلود . أما الفرو فيستعمل في البلاد القطبية، والريش يستعمل للزينة غالبا، والجلود تستعمل في الاحذية وغيرها (٢) ما يتخذ من النبات

القطن : وهو خيوط تحيط بزرور شجرة معروفة تنبت في البلاد الحارة والمعتدلة كمصر، وهذه الشجرة هي حقيقة شجرة مباركة، فتعطنها ضروري للملابس والاثاث وغير ذلك، وبزورها يستخرج منها زيت جيد نافع في التغذية يسمى في مصر بالزيت الحلو . وهذه البزور تستخرج منها خلاصة تدربن المراضع، وكذلك اذا أعطيت للانعام كتر لبنها، وهذه الخلاصة تباع باسم (Lactagol) تصنع في المعامل الافرنجية . وتستعمل سيقان هذه الشجرة في الوقود وقشر جذورها مجفئ للحبالي

(١) كلمة يونانية معناها « مر »

والقطن كالصوف يغزل أولاً ثم ينسج لصناعة الأقمشة منه ، وهو عبارة عن مادة السلولوز المتقدم ذكرها

وإذا وضع القطن في محلول الصودا الكاوية تحول إلى مادة تشبه الحرير ، وهي التي تصنع منها أكثر الأقمشة المسماة كذبا حريرا

وخيوط القطن تتحمل الغسل والغلي ، وهي تمتص الرطوبة امتصاصا رديئا وتوصل الحرارة جيدا ولذلك كانت للملابس القطنية مبردة

الكتان : يؤخذ من سيقان شجرة مخصوصة بأن تخمر هذه السيقان في مكان رطب ثم تدق إلى أن تتفرق خيوطها ثم تمشط ، ومن بزور هذه الشجرة يستخرج الزيت المسعى بالزيت الحار . وهو فضلا على كونه مغذيا مدر للبول ومنفث للباغم ، وتستعمل هذه البزور أيضا في عمل الضمادات (اللبخ) . والمنسوجات الكتانية موصلة جيدا للحرارة وامتصاصها للرطوبة رديء كالقطن ولكنها أغلى ثمنًا منه لنعومتها وبريقها

التنب : يؤخذ من سيقان شجرة أخرى كما يؤخذ الكتان ولكنه خشن جدا وقل ان يستعمل الا في الجبال والقلاع والا كياس الخيشية ، ومن هذا النبات يؤخذ الخشيش ، وهوتلك المادة المغيبة الملعونة . وبزر التنب يستعمل اغذاء الطيور

ألوان الملابس وسعتها

أما ألوان الملابس فتأثيرها في الحرارة كما يأتي : الأبيض يمتص الحرارة امتصاصا رديئا جدا فهو أبرد ها ، يليه الأصفر فالأحمر فالأخضر فالأزرق فالأسود ، ولذلك اذا وضعت قطعة من ثلج في قماش أسود وقطعة أخرى في قماش أبيض ذابت الأولى أسرع من الثانية لان الأبيض يطرد الحرارة والأسود يمتصها وتنفذ منه إلى الثلج ، وكذلك يرتفع زئبق الترمومتر درجات أكثر اذا وضع على قماش أسود ومن الخطأ لبس الملابس الملونة فوق الجلد مباشرة فان أكثر الألوان تشمل على مادة سامة قهيج الجلد ، واذا امتصت منه افسدت الصحة

ويجب أن تكون الملابس غير ضيقة والاعاقت الدورة والتنفس وشوّهت شكل الاعضاء كمشدات الأفرنج وأحذية أهل الصين . ولبس الأحذية الضيقة ضار جدا

بالأقدام فقد يغوص بعض الاظفار في اللحم ويحدث قروحا والتهابات تؤذي الشخص أذىً بليغاً، زعلى هذا ما تحذره الاحذية الضيقة في بشرة القدم من الحلمات الصلبة المثولة

نظافة الملابس

أما نظافة الملابس فهي واجبة طباً وشرعاً لقوله تعالى (وثيابك فطهر) فهي فرض على المسلم وإن لم يشترطها بعضهم في صحة الصلاة
واما المضار الناشئة من قذارة الثوب فهي عديدة واليك بيان بعضها :

(١) اذا تراكم العرق والافراز الدهني في الملابس منها امتصاص العرق وعاق الجلد عن تأدية وظيفته وأحدث حكة فثوراً أو دمايل . وهذا هو أهون المضار
(٢) اذا اتسخت الملابس كثر فيها القمل والبراغيث وهما من أشد الحيوانات فتكاً بالانسان ، فان القمل ينقل الى الانسان الحمى التيفوسية والحمى الراجعة ، والبراغيث تنقل اليه الطاعون فللوقاية من هذه الامراض الفتاكـة يجب تطهير الملابس من سائر الحشرات

(٣) الملابس القذرة كثيراً ما تكون سبباً في نقل العدوى من شخص الى آخر اذا تناقلها أو لمسها ، فمثلاً الجرب والارضة الجلدية (تينيا) كثيراً ما تنقل بهذا الطريق . واذا تنجس الثوب بالبول أو البراز أو الصديد أو الدم كان سبباً في نقل الحمى التيفودية والدوسنتارية والديدان الخيطية والرممـة الصديدي والزهري وغير ذلك . واذا كان الشخص من حاملي الامراض — وسيأتي بيان ذلك — كانت بعض مفرزاته معدية ولو كانت صحته جيدة

وحيث ان طهارة الثوب فرض وهذه الطهارة لا تكون تامة الا اذا خلا الثوب من البول والبراز وغيرهما وخلوه منها لا يكون الا بالاستنجاء فينتج من ذلك أن الاستنجاء فرض على المسلم

وأحسن طريقة لتطهير الثوب أن يغلى غلياً جيداً نحو من نصف ساعة ثم بعد ذلك يغسل بالماء والصابون ثم ينشر في الشمس كالعتاد . ولا عيب في هذه الطريقة الا انها تجمد المواد الزلالية كالدم والصديد فيتعسر ازالتهما تماماً من الثوب ، أما غسله

بالماء البارد قبل الغلي فيذهب تلك المواد بسهولة ولكنه يلوث الأيدي والماء فاذا اتبعت هذه الطريقة الأخيرة وجب غسل الأيدي غسلا جيدا وتطهيرها بوضعها في مادة مطهرة كالغول (الكحول) وغيره، والواجب ان يغلى الماء الذي غسلت فيه قبل أن يلقى منعا لانتشار الامراض بين الناس

فصل

في تنظيف الجسم كله تفصيلا

﴿ مع بيان فوائد ذلك وتطبيقها على الدين الحنيف ﴾

نظافة الرأس تكون بحلقه أو قصه ثم يغسل بالماء الساخن والصابون مع الدلك بشيء خشن كالليف . ولم ينه الشارع عن الحلق الا في الاحرام ولكنه أباحه لمن به مرض أو أذى من رأسه. والحلق واجب طبيا لإزالة الحشرات ولتمكين الأدوية من برء أمراض الشواة (جلدة الرأس) ولعلاج جروحها أو كسور عظامها ولوضع الضمادات الباردة فوقها في الصداع أوضربة الشمس أوالتزف المخي أوغير ذلك . وإذا أبت امرأة حلق رأسها لوجود قمل أو صئبان فيه أمكن اذهاب ذلك بصب زيت البترول فوق شعرها فان ذلك قاتل للقمل ، وحمض الخليك بنسبة ١ - ٤ يسهل استخراج الصئبان من الشعر - كما سبق -

وإذا تركت نظافة الرأس أضر الانسان القمل وحدث برأسه قروح وبثور وأمراض أخرى كالقراخ فيتسمم دمه بما في رأسه من القروح وقد تصيبه الحمرة أو تلهب العقد اللمفاوية في العنق أو يصيبه داء الخنازير

غسل الوجه واجب كذلك وخصوصا لتنظيف العينين فان ذلك يقيهما من أرماد كثيرة، والاحسن ان تغسل العينان في كل يوم مرة أو مرتين بمحلول حامض البوريك المشبع (أي بنسبة ٤ في المائة) بعد الغسل بالماء والصابون

أما نظافة الاذن فيكفي أن تغسل كما تغسل في الوضوء ولا يجوز اللعب في داخلها بشيء فان ذلك قد يحدث التهابا فيها أو يثقب طبقتها. وحركة الفكين في

المضغ وغيره كفيلة باخراج أفها (وسخ الآذان) وعندئذ يسهل غسله، وإذا أهملت الآذان من الغسل يعرض لها صمم من تراكم الاوساخ فيها وطنين مع دوار، وقد يحدث ألم فيها، وسعال مستمر

غسل الأنف يكون بالاستنشاق والاستنثار، أما تنف شعره فمذموم وقد ورد في بعض الآثار ما يفيد مدح نبات شعر الأنف. وحكمته ان هذا الشعر ينقي هواء التنفس من التراب والميكروبات وغيرها

نظافة الفم هي من أكبر المهمات وتكون بالمضمضة والسواك ولذلك كاد الشارع ان يفرضه، ويرى بعض أطباء الاقربج الآن ان السواك خير من مسفرتهم (فرشتهم) لان السواك يمكن تجديد طرفه المستعمل مرارا كثيرة اخص ثمنه، أما الفرشة فلا يمكن تجديد شعرها فتراكم فيها أنواع الميكروبات الضارة بالاسنان ولذلك قال بعض اطباء الاسنان ان السبب في انتشار أمراضها بينهم هو استعمال هذه الفرشة ونصحهم باستعمال السواك وتجديده كثيرا أو بغلي الفرشة بعد كل استيائك

أما مرض الاسنان فانه مؤلم جدا ومفسد للهضم ويحدث منه تسمم في الدم فيصفر لون الشخص وتضعف قواه، وقد يصيبه داء الخنازير أيضا، وإذا مرض ضعفت مقاومة جسمه عن احتمال الامراض فلذا كان الواجب العناية بنظافة الاسنان نظافة تامة أما الشارب فالأفضل قصه فانه تراكم فيه الاوساخ والميكروبات فتصل الى طعام الانسان وشرابه. ولا بأس بترك اللحية لانها بعيدة عن ذلك وهي مظهر من مظاهر الرجولية

الابطان يجب تنفها أو حلقها منعا لتراكم القمل أو الميكروبات فيها، وقد تتولد عفونات فيها تحدث روائح كريهة، ومن الميكروبات التي تنمو في الابط ما يحدث العرق الاحمر

وكذلك يجب تقليم الاظفار وتخليل ما في الايدي من الثنيات فان وجود الميكروبات فيها ونحت الاظفار ضار جدا لسهولة وصولها الى طعام الانسان وشرابه ومن أشهر الامراض التي تصل بهذا الطريق هي الحمى التيفودية ولذلك يجب

[المنار : ج ٦ م ١٨] نظافة العانة. الاستنجاء. نظافة القدمين والجسم كله ٤٤٩

غسل اليدين غسلا جيدا قبل كل طعام. ومن الامراض التي كثيرا ما تصيب الايدي داء الجرب، فان حيويته اذا وصل الى الايدي ولم يطرد عنها بالتنظيف المتوالي ثقب الجلد وأحدث هذا الداء. وأحسن الوسائل المتبعة لوقاية الطعام من كثير من الميكروبات الاكل بالشوكات والملاعق واستعمال السكاكين

ويجب حلق العانة وكذلك الختان منعا لتراكم القمل والصئبان في شعر العانة وتجميع القاذورات تحت القلفة؛ وقمل العانة هذا هو قمل الابط واللعية وغيرها فلذا يمكن انتشاره من العانة الى مواضع أخرى من الجسم حتى الحواجب واهداب العين، ولا ينبغي ما في ذلك من الضرر العظيم. وفي حلق العانة شيء من تحريك داعية الوقاع لتهييج هذا المكان عند نبات الشعر

ومن مستلزمات نظافة السيلين الاستنجاء، وذلك للمحافظة على طهارة الثوب المفروضة ومنع الروائح الكريهة وانتشار الامراض، وقد بقي الانسان أيضا من السيلان والافرنجي. ويكون الاستنجاء باليد اليسرى، ولا ينبغي الاكل بها. ويتحتم غسل الايدي بعد كل استنجاء غسلا جيدا، وكذلك يجب بلها بالماء قبله لمنع تشرب اليد للمواد الكريهة وللميكروبات بقدر الامكان

ومن الواجب أيضا نظافة القدمين وتكون بالفسل الجيد المتكرر والتخليل، فان ذلك مانع لتسلخاتهما ولروائحهما الكريهة. فانه اذا تراكت الاوساخ فيهما فقد يعرض للاخصبين ولما بين الاصابع تسلخات ربما ادت الى التهاب في العقد الأربية ونشأ عنه حمى وخراج في ذلك الموضع، وتلك التسلخات مؤلمة وتعوق الانسان عن المشي وتعطله عن أعماله

وبعد ذكر هذه النظافة التفصيلية يجب علينا تكرار الحض على تنظيف سائر الجسم وذلكه جيدا بالماء والصابون، فان نعم ذلك معلوم مما سبق. ويجب علينا تكرار ذكر ما للقمل من المضار - خصوصا قمل الجسم أو الملابس - فانه فضلا عن نقله للحميات المذكرة قد يكون هو وحده سببا في احداث حمى شديدة - كما قلنا - وذلك اما بسبب تهيج اعصاب الجسم بلدغه أو بمقتن مسموم (المنار : ج ٦) (٥٧) (المجلد الثامن عشر)

في الجسم من افرازه، فقد شوهد ان بعض الناس قد أصابته حمى في منتهى الشدة حتى زادت حرارته عن أربعين، وعند البحث في جسمه لم يوجد به مرض ولم يكن هناك سبب لتلك الحمى سوى وجود قمل كثير، وبعد النظافة التامة زالت عنه الحمى في الحال

زد على ذلك ما للقل من المضار الأخرى كإفلاق راحة الإنسان ومنع النوم عنه واحداث بثور في الجسم من الحك

القاذورات والنجاسات

القاذورات التي نعتبرها ضارة طبا هي عين النجاسات المعروفة شرعا، وأشهرها البول والبراز والدم والقيح أو الصديد والقيء والمثني. ولم يعتبر اللعاب والمخاط من الشخص السليم ضارا في الشرع لانه حقيقة لا يوجد فيه ميكروب يضر الإنسان ضررا بليغا اللهم الا ميكروب التهاب الرئوي والميكروب العناني (الذي ذكر في صفحة ٢٩ من هذا الكتاب) ولكن هذين الميكروبين وغيرهما يسكنان عادة في فم كل شخص، ولا يضرانه الا اذا ضعفت بنيته عن مقاومتها، ولذلك كان الاحتراس من لعاب الشخص السليم ومخاطه لا فائدة كبيرة فيه أما البلغم فهو شيء غير المخاط العادي إذ انه يشتل على شيء من الصديد وغيره كبلغم المسولين وهو خطر جدا، فيجب اعتباره نجسا لاشتماله على الصديد او الدم كما ثبت ذلك بالبحث المجري. وقد نص الفقهاء على أن كل ما يخرج من الصدر من نخامة وغيرها نجس

وقال فقهاء الحنفية ان ما زاد من هذه النجاسات عن قدر الدرهم وجب تطهير الثوب وغيره منه، ولا يخفى أن المصاب بالسل وغيره من الامراض الصدرية يخرج من فمه كثيرا من الصديد الذي قد يزيد عن قدر الدرهم

فلذا كان الواجب عندهم أن يتطهر الإنسان من البلغم اذا أصاب ثوبه بهفا المقدار كما يتطهر من البول والبراز فانه لا فرق بينهما وكلاهما ضار ضررا بليغا. على أن الامام الشافعي يرى أن القليل والكثير من النجاسات سواء، فيجب التطهر

حتى من قليل البلغم الذي يخرج من الصدر

نظافة البيوت وشروطها الصحية

من مقتضى الطهارة في الاسلام ان يكون مكان الشخص نظيفا طاهرا لئلا يتجسس ثوبه فطهارة البيوت — فضلا عن كونها واجبة طبا — هي واجبة شرعا ومن أكثر الاسباب نشرا للأمراض أن يدوس الانسان في الطريق على ما يلقي فيه من القاذورات وميكروبات الأمراض ثم يأتي الى بيته ولا يخلع نعليه فان ذلك مما ينشر في البيوت أكثر الأمراض كالدفتيريا والسيل وكثيراً من الجذامات العفنة فالواجب أن تكون أرض البيت وفرشه وحيطانه وسقفه وكل ما حوى في غاية النظافة بحيث لا تتلوث بشيء من النجاسات المذكورة آنفاً . وكذلك يجب أن تنظف من القمل والبق والبعوض (الناموس) ، الذباب والفيروس والبراغيث وغير ذلك بأن تسد جميع شقوقها ويتكرر تنظيفها خصوصاً بالجير أو نحوه وتغسل أرضها ويصب في مراحضها شيء من البنرول ^(١) لقتل العلق (صفار الناموس) ويبيضه وينبغي ان تكون المساكن طليقة الهواء ذات منافذ كثيرة معرضة لاشعة الشمس بعيدة عن الاماكن الرطبة . والافضل أن تكون مراحضها في الجهة الجنوبية بمصر — أو ما يقابل الجهة التي يكثر الهواء منها في كل بلد — وتكون حيطان هذه المراحض مصقولة صقلا جيدا بحيث لا تنفذ المياه منها الى أرض المنزل فتسبب الرطوبة والروائح الكريهة وتفسد هوائه ، ويجب ان يكون لمثل هذه المراحض منافذ كالداخن تعلو فوق سطح المنزل من الجهة الجنوبية لتصرف الروائح الكريهة . فاذا اتبعت جميع هذه الشروط وكانت الشوارع متسعة كانت المساكن صحية .

ومن الناس من يجمع المواد البرازية وغيرها في أواني مخصوصة ثم تحمل الى خارج المدن ، وذلك خير من تلويث أرضها بها . والافضل من ذلك كله أن يعمل لها مجار صقيلة (كقنوات مواسير) الحديد لتحمل هذه المواد الى مستودع بعيد عن المدينة ^(١) وذلك بنسبة أوقية من هذا الزيت لكل ١٥ قدما مربعة من سطح ماء المرحاض أو غيره كالمستنقعات

كلها بعد شامعا. وينبغي الانتباه الى هذه المواضع جيدا بحيث لا ينفذ منها شيء الى ما يجاورها عادة من قنوات الماء

والسكنى في الاماكن الرطبة العفنة مضغفة للصحة بافسادها الهواء واحداها البرودة واكثر الميكروبات فيصاب الشخص بالتزلات الشعبية والرئوية ونزلات الأنف والخلق والتهاب اللوزتين بل الدفتيريا أيضا والروماتزم وغير ذلك

والواجب أن تكون أفواه المراحض حيث يتبرز الانسان مسدودة بمثل المنجنيق أو السيفون^(١) Siphon المستعملين الآن

وماء السيفون يذيب الغازات ويمنع أكثرها من الدخول في البيت ، وكذلك يعوق خروج البعوض والخنفس والصراصير والفيران. ويجب تجديد ماء السيفون مرارا حتى في اليوم الواحد

وأعظم ضرر للنوع المسمى (Anopheles) من البعوض - الناموس - هو احداث حمى النافض (الملاريا أو الحمى الاجمية) ومن الناموس ما ينقل أيضا الحمى المالطية والجذام - كما سيأتي -

وأما أهم ضرر للجردان (الفيران الضخمة) فهو أنها تصاب بالطاعون الذي ينتقل منها الى الانسان بواسطة بعض أنواع البراغيث وأما البق فقد ينقل الطاعون أو الجذام وغيرها

وأما الخنافس والصراصير والنمل فضررها الاكبر أنها تنقل القاذورات والميكروبات من المراحض وغيرها الى طعام الانسان وشرابه وملبسه وفرشه وكفى بذلك ضررا عظيما

المطهرات

علم مما سبق أن أصل جل الامراض - ان لم تقل كلها - هو القاذورات بما فيها من الميكروبات^(٢) وسمومها ، فلذا يجب معرفة بعض الاشياء القاتلة لهذه الاحياء

١ كلمة يونانية معناها الاجوف أو الفارغ (٢) لفظ يوناني معناه حرفيا الاحياء الصغيرة يطلق في الاصطلاح على الاحياء الاولى التي تتركب في الغالب من خلية واحدة. وعبر عنها النار بالجنة والجن - بالسكس فيهما - لدلالة مادتها على العوالم الخفية

الدينئة ، وهي المسماة بالمطهرات

وأشهر هذه المطهرات وأكثرها استعمالا ما يأتي : -

(١) الشمس فان أشعتها تقتل الميكروبات

(٢) النار وهي أقوى المطهرات وأسهلها وتستعمل كثيرا في غلي الأشياء الملوثة .

ولما كان بعض بزور الميكروبات (حيباتها) قد يقاوم درجة الغليان (أي درجة ١٠٠) لمدة ٥ أو ١٠ دقائق فلذا يجب اطالة مدة الغلي فوق ذلك . فاذا أصيب شخص بمرض معد فالوقاية منه يجب غلي ملابسه وفرشه وجميع ما استعمله في مرضه كالأواني وغيرها . أما الأشياء التي لا يمكن غليها كقطن الفراش ونحوه فهذه تطهر بوضعها في أفران مخصوصة يسلط عليها البخار في درجة الغليان مدة ساعة حتى ينفذ الى باطن ما فيها من الأشياء

(٣) الحوامض كحامض الهيدروكلوريك والنيتريك (ماء النار) وهي كلها

مطهرة تطهيراً شديداً ، ولذلك جعل الله تعالى في عصير المعدة حامض الهيدروكلوريك - بنسبة ٢ في الألف - فان من أعظم فوائده تطهير الطعام والشراب

(٤) الجير ويستعمل لطلاء الحيطان والسقف وغير ذلك . واذا وضع في

سطول (جرادل) المواد البرازية نفع نفعا عظيماً ، ويستعمل لهذا الغرض بنسبة واحد أو اثنين منه الى عشرة من الماء

أما ماء الجير - وهو الذي يتحصل عليه بإذابة الجير في الماء المقطر حتى يتشبع به ثم يصفى - فانه مطهر ، مانع للقيء والاسهال ، مصلح لهضم اللبن في معدة الأطفال مقولعظامهم ، ويمكن مزجه باللبن بنسبة واحد الى واحد أو واحد الى اثنين من اللبن ، ويمكن أيضاً شربه بدون مزج باللبن بمقدار أربع أوقي . واذا مزج ماء الجير بزيت الزيتون أو بزيت بزر الكتان بنسبة واحد الى واحد من كل منهما كان دهاناً نافعا في الحروق - كما سيأتي -

(٥) الغول النقي (الكحول الخالص) مطهر عظيم يسهل الحصول عليه لغسل

الأيدي كلما مست مريضاً

(٦) البوريا بنسبة ٤ في ١٠٠ مطهر لطيف للآعين - كما سبق - واذا وضع في

اللبن بنسبة واحد الى ألف مثلا حفظه من الفساد مدة، ولذلك يستعملونه في حفظ كثير من الاطعمة، ولكن استعماله لمدة طويلة قد يضر بالجسم وينقص وزنه (٧) الفنيك يستعمل بنسبة واحد الى عشرين لغسل الايدي وغيرها (٨) اليزول — ولونه وقوامه كالعسل الاسود — يستعمل بنسبة واحد الى المئة عادة

(٩) اليزال — ولونه كالطحينة المضاف إليها شيء من الماء — يستعمل بنسبة واحد الى ميتين أو واحد الى أربع مئة. ويستعمل في الاسهال باضافة ١٥ نقطة منه على كل رطل مصري من اللبن، فانه نافع فيه وكذلك في الدوسنطاريا وهذه المواد الثلاثة الاخيرة تستخرج من قطران الفحم الحجري ومن المطهرات أيضا السليمانى (وهو مركب زيتي يستعمل عادة بنسبة ١ الى ٢٠٠٠) واملاح النحاس (كالتوتيا الزرقاء) واليود والغلوسرين. وغير ذلك كثير، وكما مطهرات عظيمة النفع

النظافة والعلاج

كما أن النظافة عليها مدار حفظ الصحة هي أيضا الاصل الاصيل لعلاج جميع الامراض والجروح وسائر العوارض الجراحية فان علاج ذلك كله مبني على النظافة والتطهير، إذ يكفي لعلاج أي جرح وعمل أي عملية جراحية أن يكون كل ما تستعمله مطهرا طهارة تامة حتى اذا بقرت البطن بألة طاهرة أمكن درء الموت عن المصاب بكل سهولة بالتزام النظافة، ويكفي في علاج جميع الاصابات والحروق ونحوها أن تنظف نظافة تامة ويتكرر ذلك يوميا حتى يبرأ الجرح. ويكفي في الغالب أيضا لعلاج أي جرح أو سحج أن يغسل بالماء المغلي وأن يضمد بالقطن والاربطة المطهرة — إما بالغلي أو بالبخار الساخن — بدون احتياج الى أي دواء آخر وقائدة تضييد الجروح هي منع كل ما يوصل الميكروبات الى الجرح كالاتربة والذباب والهواء والايدي والماء غير المغلي، وبالضئاد أيضا يقف النزف بسبب الضغط على الجرح، وبه أيضا تحصل راحة المكان المجروح من الحركة. وهذه

الاشياء كلها هي اهم ما يطلبه الجرح من العلاج ، وأساها كلها النظافة التامة
وخلاصة ما تقدم كله أن العاقل يجب عليه أن يكون نظيفا في جسمه ولبسه
وفرشه ومسكنه وما كاه ومشربه وفيما يعالج به أمراضه وإصاباته

تذييل للفصول السابقة في الذباب ومضاره

لا يخفى ان من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل
منها الى طعام الانسان أو يسقط في شرابه أو يقف حول عينيه وبذلك تنتقل جراثيم
الامراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع، ومن أمثلة ذلك وقوفه على
أعين المصابين بالرمم الصيدي ثم انتقاله الى العين السليمة فتصاب بهذا الرمد،
ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائي وقوف الذباب على البراز
مثلا- اذا لم يدفن في الارض دفنا جيدا- فيتلوث الذباب بميكروب التيفود وبعد
ذلك يقف على الخبز مثلا . ومثل التيفود المهيضة (الكوليرا) والدوسنتاريا

ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالحمى الخبيثة ثم يأتي الى
الانسان فيلقعه بهاء ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لآخر. ويقال
ان البلهار تنتقل أيضا بلدغ بعض أنواعه - كما سبق - ومن المحقق ان حمى ثلاثة
الايام وسبعة الايام والحمى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلدغه، وحمى
ثلاثة الايام تسمى أيضا باباتسي وسيت بذلك من اسم الذباب الذي يحدتها
[Phlebotomus pappatasi] وميكروب هذه الحميات وراء المجهر على ما يظهر
ومن مضار الذباب أيضا انه قد يضع بيضه في الجروح أو في الآذان أو في
تجاويف الاذن فيقتس هذا البيض ويخرج منه النغف (وهو ما يسمى الآن
بالبرقات ويشبه الدود) وهذه الديدان تأكل من جسم الانسان وتحدث
فيه التهابا شديدا، واذا أصابت جروحه آلمته ايلاما شديدا ويحصل بنسبها أيضا
التهاب الجرح وحمى، وتعوق برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لا يشفى
الا اذا خلع منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثث الموتى

وقد قرر أطباء الانكليز ان من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين

الجنود في حرب الترنسفال (من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢) كان الذباب وساعده في ذلك الريح بتقل الاتربة الملوثة بالبراز الى طعام الجنود

فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الانسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو إبادةها بأية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله اليها، وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفتيك أو الفورمالين عليها

واذا وقف الذباب على الاعين وجب طرده في الحال، واذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالأسلم تطهيرهما بالنار. وكلما كثر الذباب وجب السعي في إبادة بقدر الامكان. واعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو ٩٠ بيضة، وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أما ما رواه البخاري عن أبي هريرة من أن النبي (ص) قال « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء » فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلها الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثلا، وغيره مما ذكره المحققون، وكما فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبيهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على أن النبي (ص) قاله بلفظه مع . إفاته للعلم وعدم امكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال (إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي وإن كان ذائبا فأريقوه أولا تقربوه) فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشيء إذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفيضان عظيم . على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بن الصحابة أنفسهم خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته. ^(١) وغاية ما تقتضيه صحة السند

(١) اليك شيئا من تاريخ حياته : -

أسلم رضي الله عنه سنة (٧) هجرية ، فصحب النبي ثلاث سنين ولم يكتب شيئا من الحديث ، وقال عن نفسه إنه كان كثير النسيان فدعى له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان قصيرا أكل لا يطعم كل يوم من بيت النبي أو من بيت أحد أصحابه ، فكان يحب أن يتودد الى الناس ويسليهم بكثرة التحديث والاعراب في القول ليشدد ميلهم إليه . وربما كان مصابا بالصرع - كما استفاد =

في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (ص) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤد المعنى المراد والله أعلم وهب أن الرسول قال ذلك حقيقة فمن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يمحصها ويعرضها على العلم والتجربة فان اتضح له صحتها أخذ بها والا علم أنها مما قاله الأنبياء عليهم السلام بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك = من بعض الروايات الواردة في ترجمته - وانصرع مرض مشهور عند الأطباء يورث ضعف العقل أو الجنون

روى بعد وفاة رسول الله (٥٣٨٤) حديثاً حتى ضجج منه كبار الصحابة رضي الله عنهم وملوا كثيرة حديثه ، وقالت له عائشة (إنك لتحدث بشيء ما سمعته) ولما سمع الزبير بعض حديثه قال (صدق كذب لأنه سمع هذا من رسول الله ولكن منه ما وضعه في غير موضعه) - راجع تاريخه في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر -

وروى ابن عساكر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة (لتتركن الحديث عن رسول الله أولاً فحقك بأرض دوس) وما روي عنه أنه قال (لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة) يعني السوط . وروى الطبراني في الكبير عنه أنه قال قال رسول الله (إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس) وقال أيضاً إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من حدث عني حديثاً هو لله عز وجل رضا فانا قلته وان لم أكن قلته) كما رواه ابن عساكر في تاريخه عنه مع أن المروي بالتواتر عن رسول الله أنه قال (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار) رواه مثنان من الصحابة وهو ينافي ما قاله أبو هريرة ، وهذا الحديث اضطر عمر لتذكيره به حينما بلغته كثرة حديثه كما في « الاصابة » أيضاً مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٧ هجرية

هذا وإنما قلنا ما قلناه هنا من تاريخ أبي هريرة ليكون تذكرة وهداية لأهل العقول الراجحة الحرة والنقد الصحيح ، لكيلا يغتر أحد بمثل تلك الأحاديث المنافية للعلوم العصرية المبنية على الحس والمشاهدة والبحث الدقيق . ومن شاء زيادة الايضاح فليقرأ ما كتبه في مجلة الحياة في الجزء الخامس من المجلد الرابع الصادر سنة ١٣٢٥ هجرية

وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء . ومما رواه فيه عن النبي (ص) قوله « إنما أنا بشر فإحدثكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنا أنا بشر أخطئ وأصيب » (*)

(*) المنار : إذا كان حديث الذباب مرويا بلفظه فيحتمل ان يكون مبنيا على رأي كان منقولا فذكر على ظاهره ، ويحتمل أن يظهر بعد ما يزيل ما فيه من الاشكال . وهو على كل حال ليس من عقائد الدين ولا من أحكامه ، بل هو من قبيل مسألة تلقيح النخل فقد رآهم (ص) يلقحون فقال « ما أظن ذلك يعني شيئا » فتركوه ، فأخبر بذلك فقال « ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله » وفي حديث رافع بن خديج انه (ص) انكر ذلك لما قدم المدينة مهاجرا ، أي ولم يكن يعلم من أمر النخل شيئا ، وأنه قال لهم « لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا » فتركوه فنقضت أو فنقصت فذكروا له ذلك فقال « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنا أنا بشر » وفي حديث عائشة و أنس أنه قال « لو لم تفعلوا الصلح ، فخرج شيصا (أي خرج التمر رديئا) فربهم فقال « ما لنخلكم ؟ » قالوا له قلت كذا وكذا . قال « اقم أعلم بأمر دنياكم » روى ذلك كله مسلم في صحيحه

وأما كلام الكاتب في أبي هريرة (رض) فهو كلام من يسيء الظن فيجمع من الاقوال ما يؤيد ظنه . وفي قوله نظر . فاما الصرع أو الاغماء فقد صح أنه كان من الجوع لا من المرض ، وأما ما روي عن الطبراني وابن عساكر من أسناده حديثين يدلان على استحلاله ان يقول علي النبي (ص) ما لم يقله فمنع أن يكون قد صح عنه ، وقد روي عنه أنه كان يبدأ بتحديثه بحديث « من كذب علي متعمدا » الخ وأما استغراب بعض الصحابة لكثرة حديثه فقد بين هو لهم سببه . وهو ملازمته للنبي (ص) أي مع جودة حفظه وأما عمر فقد أنكر على غيره كما أنكر عليه كثرة التحديث لحكمة ليس هذا محل بيانها

وقد ثبت أنه كان من أجود الناس حفظا . ولا يسهل الحكم فيما روي عنه من المشكلات التي انهد بها الا اذا جمعت واحصيت أسانيدھا . وكان يروي عن كعب الاحبار مصدر الغرائب الاسرائيلية الكثيرة . وقد كان من أسباب الغلط في الحديث حسبان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه من قبيل المرفوع ، وقد يغلط بعضهم فيسندوه الى النبي (ص) وهو من الاسرائيليات لا من الرأي ، فينظر في ذلك وغيره عند تمحيص تلك المشكلات .

الحرق

الحرق يحصل عادة إما بالنار أو بالسوائل المغلية وهو خطر جدا على الحياة، وخطره يختلف بحسب اتساعه وعمقه ومكانه وعمر المصاب ؛ فاذا أصاب الشخص حرق بسيط وعم جسمه كان خطرا على الحياة خصوصا في زمن الصغر ، وحروق الرأس والصدر والبطن هي أشد الحروق خطرا . والغالب أن الحروق النارية أشد أذى بالجسم من حروق المياه المغلية لان المياه تبرد بسرعة وتسيل من على الجسم . أما السوائل التي كالزيت أو المعادن المصهورة ، فلا تصاقها بالجسم فتك به فتكا ذريعا . ويتميز الحرق الناري عن الحرق المائي بأن الاول يحترق فيه الشعر والملابس بخلاف الثاني

وللحرق أعراض موضعية وأعراض عمومية

أما الاعراض الموضعية فتقسم الى ست درجات : —

- (١) احمرار الجلد بدون اتلافه ، والاحمرار يحصل بسبب كثرة ورود الدم اليه
- (٢) تكون الفقاقيع بالجلد، وذلك بانسكاب بعض السوائل من أوعية الدم تحت الطبقات العليا للبشرة . وعند شفاء مثل هذه الدرجة تتولد طبقات جديدة للبشرة من الطبقات التي تحتها وقد يتلون الجلد بلون يخالف المعتاد
- (٣) احتراق البشرة كلها وبعض الأدمة ، وهو أشد الحروق ألما
- (٤) احتراق الأدمة مع البشرة كليهما . وعند شفاء مثل هذا الحرق يحصل انكماش شديد في الجلد مكان الحرق

(٥) احتراق الجلد كله مع بعض الانسجة التي تحته حتى العضلات

(٦) احتراق العضو كله وصيرورته فخما

وقد شوهد أن بعض النساء السمينات المدمنات شرب الخمر يحترقن بسرعة عجيبة بحيث يتعذر اطفأؤهن ولو بالماء الى أن يحترق الجسم كله تقريبا ، ويحصل هذا الاحتراق عند وجود أقل سبب له كالاقتراب من فتيلة مشتعلة حتى ظن بعض الاطباء أنه يحصل بلا نار مطلقا ، ويسمونه (الاحتراق الذاتي)

وأما اعراض الحرق العامة فهي ثلاث درجات : —

(١) الصدمة العصبية -- فيصاب الشخص ببرودة شديدة وذهول حتى إنه قد لا يشعر بشيء من الألم وتضعف ضربات قلبه ونبضه وقد يقع في الغيبوبة ويموت (٢) رد الفعل والالتهاب — وذلك يحصل بعد مضي يوم أو يومين، فترتفع حرارة الشخص وتصيبه الحمى ويقوى نبضه ويسرع، وقد يحصل له التهاب في الاحشاء كالتهاب الرئتين أو البريتون أو سحايا المخ، وفي هذه الدرجة قد يصاب أيضا بقرحة ثاقبة للاثني عشري

(٣) تكون الصديد — وهو اذا طال وكان المكان منسما أدى الى الاضمحلال فالموت

(المعالجة)

يطفأ المحروق أولا بأن يلف جسمه في الحال بشيء سميك لينع وصول الهواء اليه فتطفأ النار، والاحسن أن يبل هذا الشيء الذي يلف به. ويشترط أن لا يلف الوجه بشيء خوفا من الاختناق. وإن لم يرجد شيء يتأفف به يمرغ الشخص على الارض، وإن وجدت قطعة لا تكفي الجزء من الجسم فينبغي التلفف بهامع التمرغ وبعد اطفاء النار يجب الاحتراس التام من أن يمس جسم المحروق أي شيء غير مطهر ثم تُبَطِّق الفقاعات إن وجدت ويصفى السائل منها، ولكن الاحسن ترك البشرة بدون إزالتها فانها تكون كالوقاية للجسم ثم يدهن الجسم كله بزيت بعد غليه وتبريده، أو يستعمل مروح الجير الذي تقدم ذكره

وهناك عدة طرق لتضميد الحروق تذكر في فن الجراحة، ومن أحسنها استعمال حامض الپكریک (وهو مادة متبلورة صفراء اللون مركبة من الفنيك مع حامض النيتريك) يذاب في الماء بنسبة ٥ الى ١٠٠٠ أي يكون الماء مشبعا به ثم يدفأ ويغمس فيه الموصلي (الشاش) أو قماش آخر يسمى لنت Lint ويلف به المحروق، ويوضع فوق ذلك ورق زيتي أو حبة زيتية فقطن، ويترك هذا الضماد نحو ٣ أو ٤ أيام ثم يحدد ويترك لمدة أسبوع. وفائدة حامض الپكریک هذا هي أنه مطهر

مجفف للحرق مسكن للآلم وذلك هو كل مانبغي

ولعلاج حالة المصاب العمومية في الطور الاول (طور الهبوط والرجة العصبية)
يجب استعمال المنعشات ، فيلف الشخص بالملابس والاعطية السمكة حتى يدفأ ،
وتوضع زجاجات الماء الساخن حول رجليه وجنبه ، ويعطى له مثل القهوة أو الشاي
الساخنين أو بعض الخمر — اذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — ويمنع عن الاغذية
ماعدا اللبن وغيره من السوائل كالمرق ولا بأس من اعطائه جزأ من الافيون — قدر
قحة أو قحتين — ان كان الآلم شديدا . ويجب بعد ذلك أن يتولى باقي علاجه
الطبيب حتى يشفى أو يموت

وأسباب الوفاة في الحرق عند حدوثه مباشرة متنوعة منها الاختناق بالدخان
والغازات ، أو الفزع الشديد ، أو الرجة العصبية بسبب ألم الحرق



أصناف الأقلام العربية في الاسلام

(نموذج من كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي) (*)

بقي الخط العربي على حالته القديمة غير بالغ مبلغه من الاحكام والاتقان في
زمن الرسول والخلفاء الراشدين لاشتغال المسلمين بالحروب حتى زمن بني أمية
فابتدأ الخط يسمو ويرتقي وكثر عدد المشتغلين به ، وفي أواخر أيامهم تفرع الخط
الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين الى أربعة أقلام اشتقها
بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة المحرر كان اكتب أهل زمانه ، ثم اشتهر بعده
في أوائل الدولة العباسية رجلا من أهل الشام انتهت اليها الرئاسة في جودة الخط
وهما : الضحاك بن عجلان كان في خلافة السفاح فزاد على قطبة ، واسحاق بن
حماد وكان في خلافة المنصور والمهدي فزاد بعد الضحاك وزاد غيره حتى بلغ عدد

(*) المنار : تجد تفریط هذا الكتاب في مكان آخر

الأقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً كان لكل قلم عمل خاص وهي:

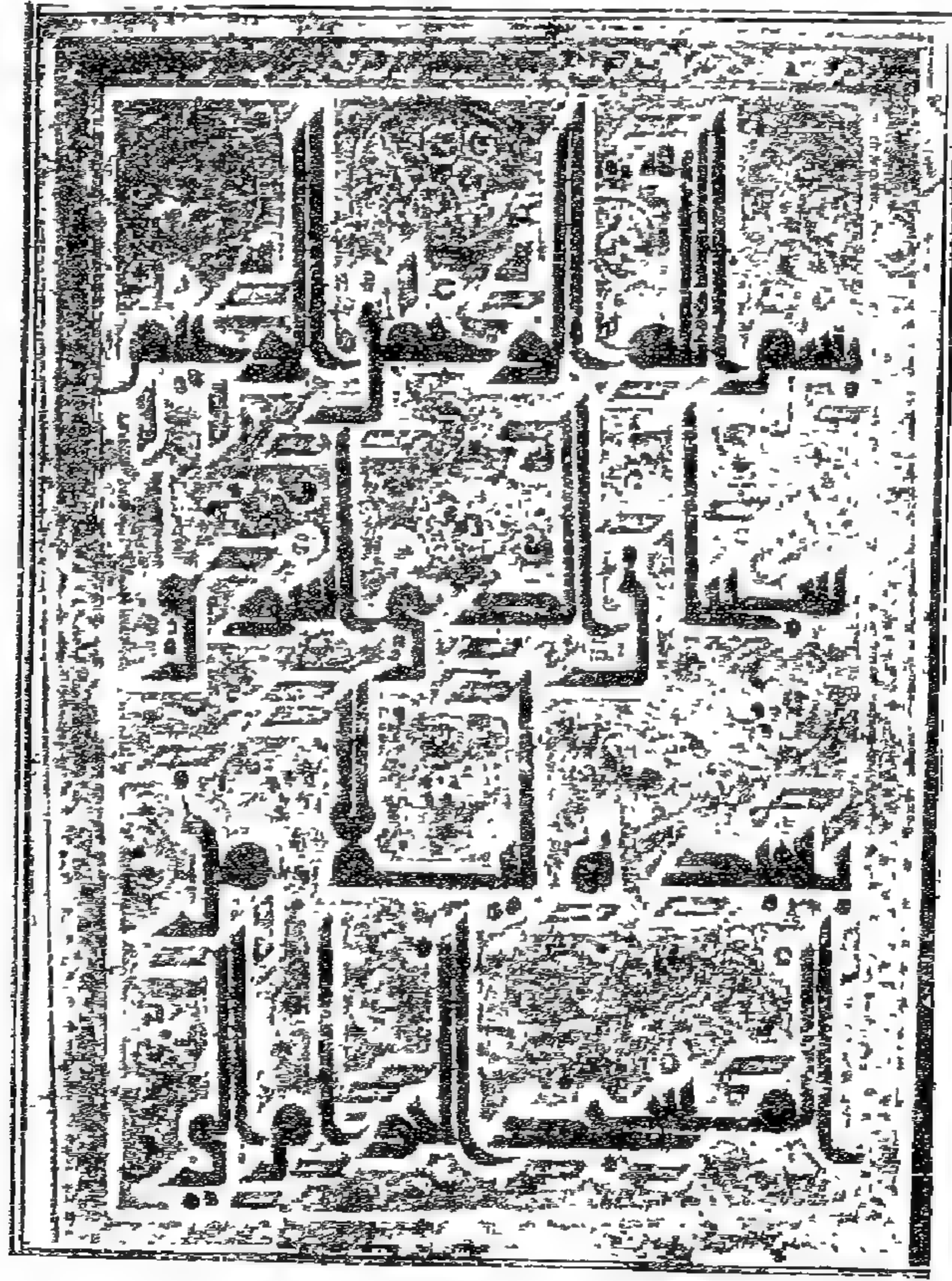
(١) قلم الجليل كان يكتب به في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها وهو ما يسميه العامة الآن بالخط الجلي (٢) قلم السجلات (٣) قلم الدياج (٤) قلم اسطومار الكبير (٥) قلم الثلثين (٦) قلم الزنبور (٧) قلم المفتاح (٨) قلم الحرم كان يكتب به الى الاميرات من بيت الملك (٩) قلم المؤامرات، كان لاستشارة الامراء ومناقشتهم (١٠) قلم العهد كان لكتابة العهد والبيعات (١١) قلم القصص (١٢) قلم الخرفاج . ولما ازدان عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان وخصوصا في أيام المأمون اخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتتقدم كسائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم اليها فتنافس الكتاب في أيامه في تجويد الخط فحدث القلم المربع وقلم النساخ وقلم الرياسي ^(١) نسبة الى مخترعه ذي الرئاستين الوزير الفضل بن سهل . وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة ^(٢) وكان يكتب به بطائق حمام الرسائل، وهكذا كان كل قلم معداً لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات بالرتب بقلم خاص، والاوراق الديوانية بقلم خاص، وألواح الحجر بخط آخر وكتب التعليم بآخر

فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلاً وكأها تعد من الخط الكوفي فهو اذ ذاك كان خط الدين والدولة. وقد كان يكتب به القرآن منذ أيام الراشدين كما أسلفنا حتى أواسط العصور الاسلامية (ش ٤) . واما الخط النسخي فقد كان مستعملاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسيناً كبيراً بعد ان كان في غاية

(١) يصح ان يقال ريس في رئيس قال الكميت بمدح محمد بن سليمان الهاشمي
تلقى الأمان عن حياض محمد ثولاء مخرفة وذئب أطلس
لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعية ما استقام الرئيس
والثولاء النعجة والمخرفة لها خروف يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وانصافه
حتى انه ليشرّب الذئب والشاة من ماء واحد — استشهد به الجوهري والزيدي
(في تاج العروس) وغيره على ما قلناه ان الرئيس يقال فيه ريس

(٢) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين . وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثيرة من الخطاطين هذبوا طريقته وكسوها حلاوة وطلاوة، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ ١٠٣١ م وقد اخترع عدة أقلام . وياقوت ابن عبدالله الرومي المستعصي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وغيرهما كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الاعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الاقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين : الكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي : الثالث والنسخ والتعليق والريحاني



ش : الخط الكوفي الجليل

آية من مصحف كتبه أبو بكر الفزنوي سنة ٥٦٦ هـ . وتوضيحها : « بسم الله الرحمن الرحيم . سبعان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى . . »

والمحقق والرقاع ، برز في هذه الاقلام جملة من العلماء . وما زال الخط يتفرع الى الآن . فقد ظهر بعد هذه الستة الاقلام القلم الديواني والقلم الدشتي والقلم الفارسي

وغيره ، وبقي الامر تابعا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها (انظر شكل هـ) فانه لما تضمضت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها والى ما جاورها ، وما زال الخط في جميع هذه الاماكن آخذا في الجودة الى هذا العهد وصار للحروف قوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بين الخطاطين ، وقد حفظ لنا القلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة) فذكر في الجزء الثالث ^(١) من كتابه صبح الاعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين وعلق عليها معتمدا على نماذج منها نشرت في هذا الكتاب وهي ستة أنواع :

(١) الطومار الكامل ويشتمل على جملة أنواع وكان يكتب به السلاطون علامات على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

(٢) مختصر الطومار وهو على نوعين : الثلث والمحقق وكان يكتب به في عهد الملوك عن الخلفاء والمكاتبة الى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق .

(٣) الثلث وهو نوعان الثقيل والخفيف .

(٤) التوقيع وهو على ثلاثة أنواع ، وكانت توقع به الخلفاء والوزراء على ظهور

القصص .

(٥) الرقاع وهو على ثلاثة أنواع أيضا وكان يكتب به في الرقاع جمع رُقعه وهي الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها .

(٦) الغبار وهو نوع واحد وكان يكتب به بطائق الحمام والملطافات وما في معناها . ونرى من الكتابات المنقوشة على الاحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهاؤه وهو وان كانت حروفه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين

ولما آلت الخلافة الى الاتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر ورثوا بقايا التمدن الاسلامي فكان لهم اعتناء خاص بالخط وقد أخذوا في اتقانه على أيدي الاساتذة

الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون . وقد حفظ الاتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودوائرهم الملكية والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى فكان يعرف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٠ نوعا تقريبا الا انه أهل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولم يبق مستعملا منها في الوقت الحاضر الا ما سئذ كره في الفصل الآتي ، والاتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة والخط الهمايوني واليهام انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه الى عهدنا هذا ، وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالاسلامبولي . ولن يزال الخط يتفرع الى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء

الأعلام المستعملة الآن

(١) الخط النسخي — أما الآن فقد أهل الخط الكوفي وصار الخط النسخي هو الاكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية أينما وجدت وكذلك في كتابة اللغة التركية والتركية والافغانية والهندية وغيرها من لغات العالم الاسلامي ، فانه يستعمل فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وغيرها وعلى الخصوص في المواضيع الدينية والشرعية كما سيأتي .

(٢) القلم الفارسي — وهو مشتق من الخط القيرواني المتولد من الخط الكوفي في صدر الاسلام وتكتب به الآن اللغة الفارسية ويستعمل غالبا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية (الأوردية) . وسيأتي تفصيل تاريخه وفروعه عند الكلام على اللغة الفارسية

(٣) القلم المغربي — المستعمل في مرا كش والجزائر وتونس وطرابلس لكتابة العربية والبربرية معا وسيأتي ذكره بالتفصيل عند الكلام على لغات المغرب .

(٤ و ٥) القلم الرقعة والقلم الثلث — الرقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها ويغلب استعماله أيضا في المراسلات الاعتيادية وقد أسلفنا انه والقلم الهمايوني من مستحدثات الاتراك وهما يستعملان عندهم الى الآن . وقد انتشر الرقعة بسلطة الاتراك في جزء من البلدان العربية ، ومع انه مكروه من بعض العرب المخلص لانه

خط تركي^(١) فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثلث المستعمل عند الجميع ، إلا أن الثلث يستعمل في الزخرفة والتزييق أكثر من استعماله في الكتابة العادية .

(٦) قلم التعليق — أو الكتابة الفارسية المحرفة وهو يستعمل في تركيا لكتابة الاوراق والاعمال القضائية الشرعية وكذلك في الكتب وخصوصا في كتب الاشعار والدواوين (ش ٦) كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي .



ش ٦ : قلم التعليق
بيت من أشعار الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور ويقرأ هكذا :
« همين چشم دارم ز خواندگان که نامم به نیکویرند بر زبان »

(٧) القلم الديواني — الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم وهو على



ش ٧ : القلم الديواني الجلي (القسم الاعلى) والقلم الديواني (القسم الاسفل) ويقرأ القسم الاعلى هكذا :
« نشان شریف عالیشان سامی مکان و طفرای غرای جهان ستان خاقانی تقد بالعون الربانی والصون الصمدانی حکمی اولدرکه »

نوعين : أحدهما كبير قليلا وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة

المراسم والدبلومات Les diplômes (الفرمانات والبرآت) على جميع أنواعها .
والآخر أصغر منه وهو وإن يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل
كثيراً في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضاً خط التعليق . أما الهيايوني
المقدم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير ويسمى عندهم « جلي ديواني » أي
القلم الديواني الجلي (ش ٨ و ٧) وهو يستعمل لكتابة فرمانات السلطنة
المتعلقة بالوسامات

وتمتد الحروف النهائية في الخط الديواني وخصوصاً الجيم والحاء والخاء والعين
والغين إذا جاءت في أواخر الكلام وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد
كما ترى في شكل ٩

(٨) القلم النستعليق — أو الخط الفارسي المنسوخ وهو يستعمل عند الفرس
وسمائي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه

(٩) قلم الاجازات — وهو يتألف من الخط النسخي والخط الثلث بتصرف مع
بعض زيادات لا توجد في غيره وهو يستعمل عند الأتراك أحياناً .

والخط في تركيا لم يزل مشرفاً وأعمال الخطاطين الكبار أمثال حمد الله المتوفى
سنة (٩٣٦ = ١٥٣٠) وحافظ عثمان المتوفى سنة (١١١٠ = ١٦٩٨ — ١٦٦٩)
لم تنزل معتبرة كنماذج تقلد ، أما في البلدان العربية وخصوصاً في مصر فإن الاعتناء
بالخط أخذ في الضعف والاهمال بسبب سرعة انتشار المطابع .

حروف الهجاء العربية

وترتيبها

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة
على أبجد هوز الخ وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية . وأما
العربية فتبتدئ هكذا : ا ب ت ث خ ، مع أن التاء في اللغات الأخرى هي آخر
حروفها . وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضمه نصر ابن عاصم ويحيى ابن
يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان وهو مبني على مشابهة الحروف في

الشكل فابتدأ بالالف والباء لانهما أول الحروف في ترتيب ابجد وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف ابجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة ثم ذكر الدال وعقبا بالذال ، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الحاء أخراها معها لا آخر الحروف ، وقبل ان يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصغير ولذلك ذكر السين بعد الزاي وعقبا بالشين للمشابهة ، ثم ذكر الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من ابجد وعقبا بالظاء وأخرا أحرف « كمن » حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة ، وذكرا العين وعقبا بالغين ثم ذكر الفاء وعقبا بالقاف ، ثم ذكر أحرف كمن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب ابجد يختلف عند المقاربة ^(١) عن ترتيبها عند المشاركة كان ترتيب الحروف عند المقاربة بعد ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

الأحرف الخاصة بالعربية

واللغات الأخرى

وفي الخط العربي فضلا عن الحروف الشرقية الأخرى ستة أحرف هي : الثاء والحاء والذال والضاد والظاء والغين « نخذ ضظغ » وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية . وهذه الأحرف لا يخرج لها في اللغات الأخرى الا بتركيب مع حرف آخر . والضاد منها خاصة باللغة العربية دون سواها وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين بالعربية بلقب « الناطقون بالضاد » وتمييزهم بها ، وفي الحديث « انا افصح من نطق بالضاد » اشارة الى ذلك .

وهنا ملاحظة ينبغي الاشارة اليها وهي ان هذه الأحرف الستة لا تستعمل غالبا في اللغات الإسلامية الآتية (التي تكتب بالخط العربي) الا لكتابة الكلمات

(١) ترتيب المقاربة في ابجد يختلف قليلا عن ترتيبها عند المشاركة فيقولون : « ابجد هوز حطي كمن صغفض قرست نخذ طغش » وسبب هذا الاختلاف ان المقاربة يرون الترتيب عن الامم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشاركة

العربية الدخيلة في لغاتهم ولذلك فيسم لا ينطقون بها تمامًا إذا قرأوها في نصوص عربية بل بشر كونها مع حرف آخر، فمثلاً إذا أرادوا النطق (بالطاء) أو (بالضاد) تكانذهما ، فأنطاء نخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان، والضاد نخرج كازاي المفخمة في نحو رمضان وهكذا : ولما كانت هذه الأحرف معدومة عندهم فهم يستعملون حروفاً^(١) أخرى معدومة في العربية تقتضيا طبيعة لغاتهم ولهذا كان من الضروري لنا أن نذكر هذه الأحرف عند ذكر لغاتها لأنها تكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم .

النقط والحركات

في الخط العربي

الحركات

لما اقتبس العرب الخط من الانباط والسيريان كان خالياً من الحركات والإعجام، فالحركات فيه حادثة في الاسلام، والمشهور أن أول من وضعها أبو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ لما كثرت اللحن في الكلام ، لاختلاط العرب بالاعاجم في صدر الاسلام ، فكانت الحركات إذ ذاك تقطأ يميزون بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلاً على الفتح وإلى جانبه دليلاً على الضم ونحته دليلاً على الكسر . ولم تشتهر طريقة أبي الاسود هذه إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن ، أما الكتب العادية فكانوا يفضلون ترك الحركات والنقط فيها لأن المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم قال بعضهم :

« شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه »

أما استبدال النقط بالحركات الحديثة فالغالب أنه حدث تنويعاً للحركات عن

(١) هذه الأحرف عربية شكلاً لا نطقاً وهم يميزونها بالكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحته كما سترى بعد .

النقط التي يميزون بها الباء عن التاء خوفا من الالتباس ، فالحركات الحديثة وضعت بعد ذلك لتقوم مقام حروف العلة لمشاكلة الحركات لها فجعلوا للضممة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف وهي الفتحة علامة تشبه الالف لكنها مستقيمة ومثلها للكسرة من تحت وهكذا^(١)

الإعجام

وضبط الحروف العربية

أما الإعجام أو النقط فيظن أنها كانت موجودة في بعض الحروف قبل الاسلام وتنوسيت ، ولكن المشهور ان اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وذلك لما كثر التصحيف خصوصا في العراق والتبست القراءة على الناس لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة ففرع الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المتشابهة علامات ودعا نصرأ ابن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني (تليذي أبي الاسود) لهذا الامر فوضعا النقط أو الاعجام أزواجاً وأفراداً بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها . وسمي الإعجام إعجاماً لأن الاعجام في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة الاعاجم كما ان الاعراب هو التكلم على طريقة العرب . وكان الجمهور يكره كما قلنا الإعجام والحركات في الكتابة وينفر منها ولكن الناس رجعوا بعد ذلك على هذا الرأي حتى كانوا يعدون أهمال الإعجام خطأ في الكتابة ، واستمر الامر على اتباع هذا الإعجام الى الآن .

الكتابة

واتجاه السطور فيها

لم يتقرر لاتجاه السطور في الكتابة نظام الا بعد ترقيها ولذلك كانت الكتابة يدونها الاولون أنى اتفق لايراعون لها نظاما في اتجاه سطورها كما كان عند قدماء

(١) راجع محاضرات الاستاذ حفي بك ناصف « تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية » ص ٩٦

اليونان فانهم كانوا يكتبون تارة من اليسار الى اليمين وطورا من اليمين الى اليسار وأحيانا يجمعون بينهما .

فلما ترقى الكتابة وتقرر نظامها عند الامم اتخذت كل أمة منها طريقا مخصوصا في كيفية سيرها : فأهل الصين واتباعهم صاروا يكتبون من الأعلى الى الأسفل ومن اليمين الى اليسار على الخط الرأسي ولذلك سميت كتابتهم « بالمشجر » ولهم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لا بد وان يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلى الى أسفل .

وأهل أوربا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين لكون الدورة الدموية تبدى من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين .

أما العرب والسرّيان وغيرهم من الامم السامية فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمل الا بيده اليمنى كما وانه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار^(١)

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم وتكتب أينما وجدت من اليمين الى الشمال على السطر الاقوي وقد روى الدكتور بشاره زلزل في كتابه تنوير الاذهان انه « لم تزل بعض الامم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى الى أسفل (اي على السطر الرأسي) وتقرأه من اليمين الى اليسار »^(٢) وهذا غريب يحتاج الالابات .

(١) الكتابة والكتاب للشهيدى وانظر صبح الاعشى (ج ٣ ص ٢١)

(٢) تنوير الاذهان في علم حياة الحيوان والانسان ص ٢٣٨

الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبهتان بالجمع بين الكفر والايمان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمكن من سوق الجيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة إمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا الغازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لهذه السكة بين الحرمين الشريفين . كنا ولا تزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنيات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلها تزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاسنانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا، فشر وث الف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشمالي الى أقصى مشرقها الجنوبي، يكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أعز مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة والعمران في المملكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تعد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالكها الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكتنا

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ، فكيف تكون مع ذلك الشرط ؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلاكهم لقليل من الارض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعد السياسيين رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلك بعض الالمانيين أرضا في فرنسا وبلجيكة فظهر بعد الحرب أنها أعدت في وقت السلم لحرب أهل البلاد التي هي فيها، فكان منها خنادق ومراذيب ومواقع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكة للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب انه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها، وانه وضع على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه كنا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن الاولى لا ترضى بعقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطىها خمس الغرامة الحربية التي ترضى أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح والذخيرة والمال لأجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه العطايا الغيبة لو اشترطت عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر عن جانبها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصة لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى اليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض ما كخالصة أستطيع أن أعمرها كما يجب ، أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوق للأجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، ويخشى أن يؤول أمرها كلها اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت لسكانت غنية بها عن سواها

فمن نحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفتها القوية ان تعطىها هذه السكة أوتناغي من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجعل هذا دليلا على اخلاصها في مخالفتها ، ورغبتها في بقائها مستقلة قوية بعد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها .

تقريظ المطبوعات الجديدة^(*)

(المطبوعات التي باسم دار الكتب الخديوية ^(١))

١ - صبح الاعشى في كتابة الانشا

هو تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي المصري. والمراد بكتابة الانشاء الكتابة الرسمية للملوك والسلاطين ، وما يحتاج اليه القائم بها من العلوم والفنون ، فهذا الكتاب تاريخ للسياسة والادارة العامة وجميع العلوم والفنون والآداب ، ولا يمكن بيان كليات فوائده والتعريف بمجماع مزاياه الا في مقال طويل لعل المنار يقوم به بعد إتمام طبع الكتاب. وهو يطبع في المطبعة الاميرية بحروفها الجديدة الجميلة على أجود ورق يوجد بمصر . وقد تم من طبعه أربعة أجزاء من القطع الكامل . صفحات (الاول) ٤٨١ والثاني ٤٧٧ والثالث ٥٣٢ والرابع ٤٨٧ وهو يباع في دار الكتب نفسها ، وفي مكتبة المنار وغيرها ، وتضمن كل جزء منه ١٥ قرشا

وهو لا يكاد يزيد عن نفقة الطبع الا قليلا ، فنحث كل محب للعلم والأدب والتاريخ الى المبادرة لاقتنائه ومطالعة ، أو الإحاطة بما في كل باب وكل فصل من المباحث النفيسة لاجل الرجوع اليها عند الحاجة لمن لا يتيسر له مطالعة الكتاب كله - أو مطالعة ما يرى نفسه أحوج الى معرفته .

ولما كان هذا الكتاب من قبيل الموسوعات التي يطلقون عليها اسم (دائرة المعارف) نترح على دار الكتب أن تجعل له فهرسا عاما مرتبا على حروف المعجم

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) أسست دار الكتب العامة في عهد الخديو اسماعيل باشا بعناية محمود سامي باشا البارودي وسميت الكتبخانة الخديوية ثم سميت المكتبة المصرية ثم دار الكتب الخديوية - ثم دار الكتب السلطانية

قطرية علوم البيان ، وجمع بين دفيه دلائل اعجاز القرآن ، والمراد بعلوم البيان علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبدیع ، رتب مؤلفه رحمه الله أحسن ترتيب وجاء على مسائله بالشواهد والأمثلة ، حتى سهل ما تناول من مسائل الفن من أقرب السبل ، ولذلك قال أنه يرجو أن يكون متميزاً عن سائر الكتب بأمرين : أحدهما ترتيبه العجيب وتنسيقه الذي يطالع قارئه من أول وهلة على مقاصد هذا الفن ، وثانيهما ما فيه من التسهيل والتيسير والايضاح للمباحث الدقيقة . فهو يجري في الايضاح والبسط على نسق امام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اعترف المصنف رحمه الله تعالى بأن عبد القاهر هو الواضع لهذا الفن وأنه لم يطالع على كتابه فيه ، ولعله لو اطالع عليهما لكان أحسن بيانا وأغزر فوائد . قال : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده . وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد . وهدى من سور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح أزهاره من أكمها ، وفق أزواره بعد استغلاقتها واستبهاها ، فجزاه الله عن الإسلام ، أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقبه « بدلائل الاعجاز » والآخر لقبه « بأسرار البلاغة » ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بحبهما ، وشدة إعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منها » . اهـ

ثم بين موضوع الكتاب وطريقته فيه فقال :

« ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لأمره . ومقاصد تكون خلاصة لسره ، وتكملات تكون نهاية لحاله . لا جرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة ، ولعلها تكون وافية بالمطالب محصلة للبهية بعون الله

فالفن الأول منها مرسوم المقدمات السابقة نذكر فيها تفسير علم البيان ، ونشير فيها إلى بيان ماهيته وموضوعه ومنزله من العلوم الأدبية ، والطريق إلى الوصول إليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك ، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والفرقة

بينهما . ونشير الى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما ، الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة لما نريده من المقاصد

الفن الثاني منها مرسوم المقاصد الثلاثة . نذكر منه ونشير فيه الى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها . ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها . ونشرح فيه ما يتعلق به من المباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائصه وأقسامه وأحكامه الثلاثة به بمعونة الله تعالى ولطفه

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التسمية والتكملة لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها ، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البلاغة والفصاحة ، فإنه لا يدانيه ولا يماثله . ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحدٌ بمثله . ونذكر وجه اعجازه ، ونذكر أقاويل العلماء في ذلك ، ونظهر الوجه المختار فيه ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة ، والنسكت الغزيرة ، التي نلحقها على جهة الردف والتكملة لما سبقها من المقاصد

فالفن الثالث للثاني على جهة الإكمال والتسميم . والفن الاول للثاني على جهة التمهيد والتوطئة والسر واللباب . والمقصد لذوي الالباب . ما يكون مودعا في الفن الثاني وهو فن المقاصد . وأنا أسأل الله تعالى بمجوده الذي هو غاية مطلب الطلاب . وكرمه الواسع الذي لا يحول دونه سر ولا حجاب . أن يجعله من العلوم النافعة في إصلاح الدين . ورجحانا في ميزاني عند خفة الموازين . إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

٤ - الخصائص

تأليف أبي الفتح عثمان بن جني طبع الجزء الاول منه بمطبعة الهلال سنة ١٣٣٢ هـ صفحاته ٥٦٩ ثمنه ١٥ قروش

ابن جني من أساطين أئمة اللغة وخطوها وقد قال فيه البخارزي في دمية القصر : ليس لاحد من أئمة الادب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما لأبي الفتح ، ولا سيما في علم الاعراب . ومن قول المتنبي فيه أيضا : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وقال الاستاذ الامام من كتاب يعرض فيه بصاحب له وقع

فيه عندما أخذ بتهمة المسألة العراية : وأما فلان فقد أكننته كني ، وأدنته مني ، وجعلته في مكان النجوم من ابن جني ، ثم هو يصرح بسبي ولا يكتفي .

وكتابه هذا [الخصائص] علم وأدب وفقه لغة وفلسفة، لأنه يعطي المطالع علماً باللغة العربية وأساليبها وآدابها ويلهمه بلاغة بأسلوبه الذي هو في أعلا ذروة منها ومن رأيه في (باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح) ما نصه :

« وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدويّ الريح . وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشجيج الحجار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفهرس ، ونزيب ^(١) الظبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب مقبل »

« واعلم فيما بعد ، انني على تقادم الوقت ، دائم التنقيب والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري ، وذلك انني اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإيهاف والارقة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حذوته على أمثلتهم ، فعرفت بقتابه واتقياده ، وبعد مرايه وآماده ، صحة ما وقفوا لتقدمه منه ، واطف ما أسعدوا به ، وفرق لهم عنه ، وانضاف الى ذلك وارد الاخبار الماثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، فقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحي »

ثم أقول في ضد هذا كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة . كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وان بعد مداه عنا ، من كان أطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجراً جناناً ، فأقف بين تين الخلتين حسيراً ، وأكأثرهما فأنكفى مكثوراً ، وان خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتها ، قلنا به ، وبالله التوفيق » اهـ

(١) النزيب « صوت تيس الظباء عند السفاد »

أما المذهب الذي تقبله أولاهو الذي يرجعه الباحثون في فلسفة الخلق ولغاتهم، وأما ما تعارض رأيه فيه بعد ذلك فهو موضوع آخر، وهو أن ارتقاء اللغة العربية في أبنية كلمها، وقوانين جملها وأصاليها، هل كان بمواضعة واصطلاح من أناس من الأولين بذوا من بعدهم في العلم والفلسفة والذوق ؟ أم كان بوحى إلهامي من الله تعالى ؟ ولكل رأي وجه، والمعقول أن الله تعالى ألهم تلك النفوس ذات الذكاء والذوق أن تجري في كلامها على سنن ترتقي فيها بالتدريج الى أن وصلت الى تلك الدرجات العلى التي بين المصنف خصائصها في كتابه

٥ - الاعتصام

كتاب الاعتصام للامام أبي اسحق ابراهيم اللخمي الشاطبي ثم الغرناطي
الاندلسي المتوفى سنة ٧٩٠

طبع طبعا حسنا على ورق جيد في مطبعة المنار في ثلاثة أجزاء صفحات الاول منها ٣٨٨ ماعدا الفهرس ومقالة التعريف بالمكتاب وترجمة مؤلفه . وصفحات الثاني ٣٤٦ ماعدا الفهرس ، وصفحات الثالث ٢٨٠ ماعدا الفهرس وخاتمة الطبع . وثمن كل جزء منها ١٠ و يطلب من دار الكتب ومن مكتبة المنار

قد سبق تقرير هذا الكتاب وبيان مزاياه في منار العام الماضي . ونقول الآن اننا لانعلم ان أحدا ألف مثله في بيان حقيقة البدع وأقسامها وأحكامها . فهو ركن من أركان الإصلاح الاسلامي لعله لا يقرؤه مسلم الا ويكره البدع وينفر منها ، ويجب السنة ويرغب في الاعتصام بها ، على علم وبصيرة تنتقي بهما الشبهات التي راجت والتبست على كثير من المشتغلين بالفقه لا على العوام وحدهم ، فهذا الكتاب أهم مطبوعات دار الكتب نفعا لا يستغني عنه عالم ولا عامي من المسلمين

طبعت هذه الكتب للمرة الاولى فهي كنوز علم وأدب قد فتحت للطالبيين ورياض فضل أدنيت الناس اجمعين ليبحثوا يافع ثمراتها فجزى الله الساعين بطبعها خير الجزاء ونفع بها آمين

(انتشار الخط العربي) .

تأليف عبد الفتاح افندي عباده صاحب كتاب (سفن الاسطول الاسلامي)
مزيناً بالرسوم والخرط طبع سنة ١٣٤٣ في مطبعة هندية ص ١٦٨ ويطلب من
مكتبة المنار بمصر ومنه ١٢

لهـد الفتاح افندي عباده عناية بالمباحث التاريخية والفنية المبكرة التي لم
تفرد في التأليف في لغتنا من قبل . وقد أتحف أبناء العربية بكتابه (سفن الاسطول
الاسلامي) ثم أبرز لهم اليوم هذا المؤلف النفيس الذي أبان فيه منشأ الخط العربي
وتطوره بتطور المسلمين وما تفرع منه . وأحصى عدد الذين يكتبون بالخط العربي من
البشر فاذا هم ٢٤٣ مليوناً ، واعلمهم يزيدون فان وثني الهند يكتبون بها كالمسلمين ؛
فكتابه هذا كتاب أدب لا تاريخ .

نعم انه قد اعتمد في معظم مباحثه على ما كتبه علماء أوربة وغيرهم ، وربما
أخطأ بعض هؤلاء العلماء أوربياً أخطأ هو في بعض النقل كتسمية الخط الديواني
الحلبلي [الخط الديواني الجلي] (انظر شكل ٧ و ٨) ولكنه خطأ يقع في مثله كثير
من الناس . وقد نشر في المنار نموذج من مباحث هذا الكتاب

﴿ تصحيح خطأ ﴾

في ص ٢٣٢ سطر ٤ من الجزء الرابع من آية « وارزقهم الثمرات » والصواب
« وارزقهم من الثمرات » وفي الصفحة الاولى من الجزء الخامس غلط في عنوان
التفسير صوابه هكذا (علاوة في بيان أن الزيادة على نصوص الشارع) الخ
وفي الصفحة ٣٨٧ منه عبارة لم تؤد المعنى المراد منها وهي قول حسن افندي
كمال في السطر الرابع من مقالة « وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه
على ما يقابلها » الخ . والمراد انه بين موافقة الكثير من ألفاظ الأثر للغة العربية .
وكلمتي (من حكمه) من ص ٣٨٨ س ٢٥ هما زائدتان أي وربما كان فيه
ألفاظ أخرى موافقة للعربية تعلم بمراجعة معاجم هذه اللغة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

يؤمنون بالحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وه مناراء كنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣٣ - ١٨ الاسد (ص ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٢ أغسطس ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان^{*}

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي قام بتبليغ الدين خير قيام
أما بعد فان الصلاة والزكاة أهم أركان الدين ، وأعظم الشعائر للمسلمين ،
يهما تزكية النفوس ، وصلاح حال الجمهور
جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل
فضيلة سواهما

فمن تركهما فلا حظ له في الاسلام ولا الايمان ، فلم اسمع في ذلك
نصوص القرآن

(*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، وبيننا له رأينا في
تصحيحها واصلاحها ، قولاً وكتابة ، على أن يكون مستقلاً في ذلك ، يأخذ ما يأخذ
ويترك ما يترك عن بينة ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومريدينا ، لأجل هذا نشر في حواشي
الرسالة الى المهم مما بقي من خطأ أضعف فيها

ولا قدم لك تعريف الصلاة والزكاة ، ومقصود الشارع الحكيم
منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأنس به ، وترتاح نفسك
الى تدبره ، فارغني سمعك ، واستعمل عقلك
س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة الماثورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جاءت الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك الى اختيار المؤمنين ؟
ج لئلا يتشعب الخلاف بين الناس فيها ، فيفوت غرض الدين من
اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها
فالناس كلما كثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ،
وانجذابهم بعضهم الى بعض أقرب وأمتن
س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة العنكبوت (وأقم الصلاة ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر)
س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟

ج أنظر الى نفسك حين تواجه القبلة وتتهياً لإقامة الصلاة ،
فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكر ربك
وكبرياءه ، وغشيتك السكينة لوقوفك بين يدي سيدك ، مستصغراً كل
شيء دونه ، وغاضياً الطرف عما سواه

فاذا قرأت الفاتحة ذكرت معانيها بالهك الذي خلقك بقدرته ،
وربك الذي ربك على نعمه - ربك لا يستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، ومحل فضله واحسانه ، وهناك ترى سيداً عظيماً ، ومالكا للجزاء وحيداً ، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه وقهره ، لا إرادة فوق إرادته ، ولا ينفع أحد أحدا عنده ، فينما أنت ترجو رحمته ، اذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد ملجأ الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ، ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقاً لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بعيداً عن طرق المعاندين والخيبرانيين ، المغضوب عليهم والضالين ، أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ، وقيامك طوعاً أمراً وقعودك ، كل هذا يقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيراً ، ويأخذ منك مأخذاً كبيراً ، فلا تلبث أن تتربى في نفسك مائة المراقبة لله ، تثبتك على صراطه ، وتقيدك الوقوع في عصيانه ، فاذا مسك طائف من الشيطان ، أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان ، ناداك صوت من ضميرك : اذكر ربك واتقه ، واحذر أن يراك ، حيث نهاك ! فاذا انت من المبصرين س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ، وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ، ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها ، وعدم استغنائهم عنها ، فانها تشجعهم ، وتجعلهم أكثر تحملاً للمشاق ، واقوى صبراً على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟
 ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، فغفلنا عن التدبر
 والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا
 منها الا صورتها ورسمها

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقلد
 فيها الولد ابيه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم ، اعتمادا
 على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة
 - ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين
 اتخذوا القراءة على القبور ، والصباح في الجنازات بنشيد البردة وغيرها
 صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره ، ثم يطاف عليهم
 بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك
 الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذ مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع
 ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهذا يزعمون أن
 الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عن تحملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي
 الجهل بحكمة الله الى اضاعة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم
 يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدئت نفسه ، وتلوثت روحه ، فلم يعد يستحق
 مقام الكرامة ، و (أن لا تزر وازرة وزر أخرى » وأن ليس للإنسان الا
 ما سعى) فهل للقبوريين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون ، ويحط عنهم
 ما يتحملون ؟ فرحمك اللهم ! فان القوم لا يعلمون ، وعساهم عن ذلك يرجعون

س عرفنا الصلاة! فما معنى الزكاة؟

ج الزكاة جزء من مال الاغنياء، يصرف في مصالح المسلمين، كالفقراء والمساكين، وأبناء السبيل والغارمين، وغير ذلك من مهمات الدين.

س ما دليل وجوبها، وحكمة شرعيتها؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)

س ما معنى التطهير والتزكية بها؟

ج (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فكلمة أكثر جمعه للمال، زاد حبه له، وطمعه فيه، حتى لا يؤثر شيئاً عليه، ولا يكون له هم في سواه، فتقطع العلائق بينه وبين الله، فتخبث نفسه، فيكسب المال من أي وجه حلالاته أو حراماً، فاذا هو جعل نصيباً من ماله لله على حبه إياه، استعجى أن يكسبه من طريق يبتغيه الله، وكان حب الله في نفسه متغلباً على حب المال، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها، ويزكياها بإتناء الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية، وهناك تزكية أدبية اجتماعية — وهي أن الاغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للسلب، وأعراضهم وأنفسهم للإهانة، لأن الفقراء يبنصونهم، ويكيدون لهم، وإذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق إلا بالاعتداء على أموالهم، فليسوا بسواهم، ولا يحسن ما في ذلك من احسان الله من وتزعزع النظام، فيمسي الاغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال، ولا يرتاح لهم ضمير، فيموتون أو يموت الفقراء جوعاً وذللاً، وكل ذلك — كما تعلم —

سبب في ضعف الامة واتقراضها ، فاذا هم بذلوا وأنفقوا حفظوا حياتهم ، وهدءوا روعهم ، وجعلوا الفقراء إخوانهم ، يهتمون لهم ، ويتعاونون معهم ، فيسط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة ، وتنقلب قلوبهم كثرة ، أضف الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة ، ومصالحها المدنية ، وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها ، وتوثيق عُرى المحبة بين أفرادها . وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تهاونوا في إخراج الزكاة انحلت رابطتهم ، وتأخرت مدنيته

س اذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد ، ومن مصالح جماعة الامة ، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران ، فما بالنا نرى الإفرنج وقد استبحر عمرانهم ، وليس عندهم زكاة مثلنا؟

ج لعلك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية ، والملاجئ والمستشفيات المجانية ، وغير ذلك مما يقصده تحسين حال الايتام والفقراء ، وغير ذلك من المنافع والمصالح ، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا؟ وهل تقوم لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل؟ ألا تعجب حينما ترى الإفرنج يعرفون قيمة هذا الركن ، وقومنا عنه غافلون؟ ألا يزيد عجبك عند ما تسمع مقلدة الفقهاء يعلمون الناس إسقاط فرضية الزكاة بما يوحى اليهم الشياطين من الحيل؟ ولعلك شاهدت كثيرا ممن تجب عليهم زكاة المال ، يأتي قبيل الحل الذي تجب بماله الزكاة فينازل لامرأته عن ماله ، ثم بعد أن يفوت الحل يستوهبها إياه ، ويزعم أنه بذلك قد خرج عن دائرة المالكين فلم يكلف ، وأن حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله تقودا في داخل كمية من الحبوب ، ويأتي ببعض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة مالي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يزاعها منه بضعف ثمنها، فيفرح المسكين، ويرجع المكلف بدفع الزكاة زاعما أنه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فياحسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزئوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكتمبوا جريمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ؛ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) يوم يتقاضاهم الفقراء والمساكين ، ويحكم الله بينهم وبين المستحقين ، يوم يحصى على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وقال لهم : (هذا ما كنزتم لا تقوم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءها من المنافع ، وما انطوتنا عليه من الحكم . فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة ؟
ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب — قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة . والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتدا عن الدين ، تارك كاله ؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزكي النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك انما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فإن الأدلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعا من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم) الآية ، وفي قراءة « من الذين فرقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لا يعدل عن إقامة الصلاة الا المشركون ^(١) ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرک

(لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحا

مَدَامُ نَسْتَعِشُّ دَارَ الدَّعْوَةِ وَالْإِسْتِثَانَةِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩

الراحة والتعب

النوم والرياضة الجماعية

النوم - جميع أعضاء الجسم تحتاج للراحة بعد العمل ، ذلك بأن المواد الضرورية لحياتها تقل شيئاً فشيئاً بسبب العمل ، وكذلك تتراكم فيها فضلات الاحتراق ، فبالراحة تجمع من الدم مواد أخرى صالحة لتغذيتها وتخرج إليه تلك الفضلات المؤذية . وأعظم أنواع الراحة واشدها نفعا للجسم النوم ، ففيه يبطل عمل المخ الا فيما ندر (كالأحلام) ويقل ورود الدم اليه وتقل مرات التنفس والنبض فتستريح الرئتان والقلب ، وكذلك يقل افراز جميع الاعضاء الاخرى كالبول مثلاً وترتخي جميع العضلات ، وبذلك تحصل الراحة لها ولجميع الاعصاب والاعضاء فتتجدد قوى الجسم ويتعشش بسببه

قال بعض العلماء ان المخ في أثناء النوم يكون محتقناً بالدم ، ولكن هذا غير صحيح فان الدم انما يكثر وروده الى الاعضاء وقت العمل ، وأما في زمن النوم فيقل الدم من المخ وغيره ويهرب السائل الذي تحت العنكبوتية الى القناة الفقرية واذا أريد جلب النوم لشخص مصاب بالارق فأحسن طريقة له أن يجتهد الانسان في تحويل الدم عن المخ بأن يترك الشخص التفكير ويصب الماء البارد على دماغه ويفسل جسمه بالماء الساخن أو يضع قدميه فيه أو يتعب نفسه بمثل

المشي وغيره فان ذلك يجذب الدم الى العضلات والاطراف، ولمثل هذا السبب يميل الشخص الى النوم عادة بعد الاكل بسبب ذهاب الدم الى المعدة

ومدة النوم تختلف بحسب السن ففي الاطفال المولودين حديثا تستغرق اليوم كله تقريبا ١٢ ساعة، وفي الفتيان تكون نحو ٩ ساعات، وفي الشبان من ٧ الى ٨ ساعات، وفي الشيوخ تكون من ٥ الى ٦ ساعات. وأحسن وقت للنوم هو الليل بين ذهاب الشفق وطلوع الفجر أي بعد صلاة الفشاء وقبل صلاة الفجر، فان هذا الوقت تكون الظلمة فيه أشد والسكون شاملا للبلاد فلا ينبه المخ بمنبه يقلق راحته. ولا يحتاج الانسان للنوم في النهار الا في زمن الصيف وذلك لقصر الليل وطول النهار واشتداد الحر فيه فيتوارد بسبب ذلك الدم الى الجلد، ولذلك يميل الانسان الى النعاس في الحر. ويستحسن أيضا أن يكون هذا النوم بعد الظهر في مكان بعيد عن الضوضاء وأن يوجد الانسان فيه ظلمة بقدر الامكان بارخاء ستائره مثلا. وهذا النوم هو ما يسمى بالقبولة

وفي التبكير في القيام فوائد عظيمة منها فوائد اقتصادية كزراعة الاعمال المختلفة قبل فوات الوقت بسبب قصر النهار في الشتاء أو فواته بسبب اشتداد الحر في الصيف وعدم تمكن الانسان من العمل، ومنها فوائد صحية أهمها الخروج من المكان الذي بات فيه الانسان الى هواء أصبح فينتعش جسمه بشم نسيم السحر. ومن ذلك تجدون أن فرائض الشريعة الاسلامية في الصلاة موافقة لمصالح الناس الاقتصادية والصحية، على فوائدها الروحية التهذيبية

ويجب أن تكون غرفة النوم خالية من الاثاث بقدر الامكان، وأن تكون أرضها خشبية وطلاؤها بالجير فقط، وتكون بعيدة عن الروائح الكريهة وتتخلها الشمس بالنهار وكذلك الهواء ليلا ونهارا. ولا يصح طلاؤها بغير الجير أو نحوه فان المواد الاخرى البيضاء أو ذوات الالوان تشتمل عادة على الرصاص أو الزرنيخ والنحاس، وهذه المواد تنتشر في هواء الغرفة فتسم جسم الانسان وباستمرار استنشاقها تحدث له أعراض قد تكون خطيرة. ويجب أيضا أن تكون الغرفة جافة فان استنشاق هواء الغرف الرطبة يؤدي الى اعتلال الصحة حتى قد تصاب الاطفال

بالدفثيريا اذا سكنت في بيوت حديثة البناء حديثة الطلاء . فيجب اتقاء السكنى في هذه المنازل الا بعد تمام جفافها

هذا ولا يخفى أن الهواء الذي يستعمل في التنفس أو في الاحتراق هو أخف لسخوته من الهواء الذي لم يستعمل فلذا يصعد الى أعلى الحجرات . ولذلك كان من الواجب أن تفتح بعض النوافذ بقرب السقف . والتجربة المشهورة المثبتة لصحة هذه النظرية أن يأتي الانسان بشعلة مشتعلة ويمسكها بيده ويقف على باب الغرفة المسكونة ويضعها عند الباب بقرب الارض فيجد أن الشعلة تندفع الى داخل الغرفة بسبب دخول الهواء من هذا المكان ، فاذا أمسك الشعلة في أعلى الباب وجد أن الشعلة تندفع الى الخارج بسبب خروج الهواء من الغرفة ، واذا أمسك بها في منتصف الباب وجد أن الشعلة تثبت في مكانها

ومن ذلك يعلم أن الهواء يدور في الغرف ويخرج من أعلاها — كما قلنا — وينبغي أن لا ينام الانسان في تيار الهواء امام النافذة التي يدخل منها فان ذلك يحدث برودة عظيمة في الجسم تؤدي الى بعض الامراض . ويستحسن أن تكون النوافذ التي يدخل منها الهواء أعلى من رأس الانسان أي على علو نحو تسع أقدام ، وأن تكون نوافذ التصريف ملاصقة للسقف

وينبغي أن لا يبقى أحد في غرفة النوم نهرا امثلا يفسد هواؤها ، وأن تترك نوافذها مفتحة ليدخل منها الهواء والشمس ، ولا يجوز أن يوضع فيها ليلا أزهار ولا أشجار ، وكذلك لا يجوز أن تكون محاطة بمحاذق غناء ، فان النبات من نجم وشجر — وان كان ينقي الهواء في النهار — يتنفس في الليل تنفس الحيوان فيمتص أكسجين الهواء ويفرز ثاني أكسيد الفحم وبذلك يفسد الهواء . ويجب عدم وضع حيوانات في غرفة النوم فانها أيضا تفسد الهواء بتنفسها وقد تنقل الى الانسان بعض الامراض كالقرع والارضة الجلدية فانهما يصيدان القطط والكلاب ، والدفثيريا تصيب القطط كثيرا ، وفي بعض الكلاب ديدان تخرج أيضا اذا وصل شيء منها الى بطن الانسان أحدث عنده أكياسا عظيمة في الكبد أو غيره ومن أوجب الواجبات أن بطن السراج وقت النوم كما وصى بذلك رسول

الله (ص) فان النار من أشد ما يفسد الهواء بل قد تقتل الشخص بالاختناق ، على أنها قد تحدث الحريق ، وفي ايقادها اسراف وضرر فان مجرد وجود النور في الغرفة مما يقلق راحة المخ

أما النور الكهر بائي الصادر من بعض المصابيح — وهي المغلقة اغلاقا تاما — فانه لا يحدث أي إفساد للهواء وهو أيضا أبعد عن إحداث الحريق من سائر أنواع النور الا أن في الاستضاءة به اسرافا كبيرا وهو يقلق راحة النائم أيضا

ومن القواعد الصحية أن لا ينام الانسان الا على الاسرة، وحكمة ذلك أن يكون أبعد عن الرطوبة والاقذار وعن الدواب المؤذية كالعقارب وكذا عن استنشاق الهواء الفاسد ، فان غاز ثاني أكسيد الفحم الذي يتولد من الاحتراق والتنفس هو أثقل من الهواء ولذلك يكثر بقرب الارض . وينبغي أن يحيط بالاسرة ما يسمى عندنا بالناموسية (الكلاة) وذلك لمنع البعوض فانه يذهب النوم عن الانسان وقد ينقل اليه الملاريا — كما سبق — ولا بد أن يكون الفراش نظيفا جدا خاليا من جميع الحشرات لما سبق يسانه في باب النظافة

وللانسان أن ينام على أي جنب شاء بحسب راحته، ولكن التزام جانب واحد قد يؤدي الى ضرره، فاذا التزم الانسان الجانب الايمن مثلا حصل احتقان في أجزاء الجسم اليمنى فتختل الموازنة التي بين جهتيه وتعب الرئة اليسرى وتكون الجهة اليمنى من الدماغ عرضة للاحتقان وربما أدى ذلك الى الفالج اذا كان الشخص مستعدا له كأن كان كبيرا وشرايينه متصلبة ؛ وكذلك الحال اذا التزم النوم على الجهة اليسرى. فالاحسن ان يتقلب الانسان في الفراش، ولكن يفضل الاكثر من النوم على الجهة اليمنى خصوصا اذا كان في المعدة طعام فان ضغط الكبد والمعدة على الحجاب الحاجز وعلى القلب يعوق حركة التنفس ويضايق الانسان ، ويتعسر أيضا خروج الطعام من المعدة لان البواب في جهتها اليمنى . والنوم على الظهر يسبب الشخير والاحتلام فالأولى تركه الا قليلا ، ولا يجوز النوم على الوجه فان ذلك يسبب ضغطا على الاجشاء يضر الانسان ويضايقه. ولا بد من وضع الرأس على شيء عال كالحدة بحيث تكون في محاذاة الجسم لمنع احتقان الدماغ

وكذلك ينبغي للانسان أن لا ينام على طعام كثير فان النوم يعوق حركة الهضم وافراز العصير المعدي ويتعب المعدة في وقت يجب أن تستريح فيه جميع الاعضاء، هذا فضلا عن كون ضغط المعدة وهي ممتلئة بالطعام على الحجاب الحاجز يحدث ضيقا يتسبب عنه الكابوس والاحلام المزعجة أو الاستيقاظ فجأة كأن الانسان يخاف من الموت العاجل ولا سيما اذا كان مصابا بالربو (ضيق النفس) أو بمرض في القلب أو الرئتين ، والاحسن أن يكون النوم بعد تمام الهضم في المعدة أي بعد نحو أربع ساعات

وينبغي أن يكون الرأس مغلى بغطاء خفيف لمنع توارد الدم بكثرة الى المخ، ويرى بعض الناس ان الاحسن كشفه . ولا يجوز بحال من الاحوال ان يغطى الوجه . أما الجسم والاقدام فيجب ان تدفأ جيدا فان ذلك يمنع تأثير البرد الضار ويجلب النوم أيضا

واذا عرق النائم وجب عليه تغيير ملابسه بغيرها عقب الاستيقاظ مباشرة ولا بأس من وضع إناء في حجرة النوم للتبول فيه (بمبولة) كما كان يفعل ذلك رسول الله (ص) فان القيام الى مكان بعيد لاجل البول قد يحدث أرقا ويعرض الانسان لضرر البرد وغيره ، وذلك الضرر - لا شك - أعظم من استنشاق بعض تلك الرائحة التي تنبعث من البول

ومن المستحسن أن يبيت الانسان في فراش وحده لما تقدم بيانه ، وأيضا فإن المبيت مع الزوجة في فراش واحد يحرك الشهوة فيضطر الانسان الى الاسراف في الجماع وفي ذلك ضرر عظيم

هذا ومن الناس من يقوم ويمشي في أثناء نومه ويأتي بأعمال عديدة لا يقدر أن يأتيا في اليقظة كالشي على حائط مرتفع، وهذه الحالة قلما تحدث الا للمصابين ببعض الامراض العصبية كالمرض المسمى بالمستيريا^(١) ويسمى هذا النوع من النوم (بالجلولان النومي) (Somnambulism)

(١) مرض يصيب النساء كثيرا وكان القدماء يظنون أنه من آثار أمراض جهازهن التناسلي فلذلك سموه بهذا الاسم المشتق من اسم الرحم باليونانية

الاحلام وعلم الغيب

الاحلام معروفة والظاهر من الكتب المقدسة خصوصا القرآن أن ما يراه الانسان في النوم قد يكون مطابقا للواقع أو لما سيقع كما يستفاد من سورة يوسف مثلا، وورد في حديث أن الاحلام ثلاثة (١) هو اجس النفس و (٢) وسوسة الشيطان و (٣) الرؤيا الحق، وقال صلى الله عليه وسلم « رؤيا الرجل الصالح جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة » أي فهي تشبه أن تكون جزءا من الوحي

وسبب الاحلام الفسيولوجي هو بقاء بعض خلايا المخ يقظة في أثناء النوم هذا واعلم أن الغيب حقيقي واضافي — فالحقيقي هو ما ليس له وجود في الكون مطلقا ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء موجود. وهذا الغيب الحقيقي هو الذي استأثر بعلمه الله تعالى فلا يعلمه أحد الا باعلام من الله. وليس كل ما غاب عنك وهو موجود يعتبر غيبا حقيقيا فإن الانسان خصوصا في العصر الاخيرة أمكنه العلم بأشياء غير واقعة تحت حواسه، ومن أمثلة ذلك تلغراف ماركوني^(١) (Marconi) أو التلغراف اللاسلكي، وهو مبني على نظرية شهيرة في العلم الطبيعي وهي أن هذا العالم مملوء بالاثير، ولولا وجود هذا الاثير ما أمكن الجسم أن يؤثر في جسم آخر بعيد عنه، ففي هذا الاثير تحصل تموجات عديدة ينشأ منها النور والكهرباء والجذب وغير ذلك. فلهذا التلغراف آلتان آلة تحدث التموج الكهر بائي والاخرى تتأثر به مهما بعدت عنها. فان هذا التأثير الكهر بائي يسري في الاثير

وكذلك عرفت الآن أشياء تخترق حجب المادة الكثيفة وتصل الى باطنها بواسطة الاثير أيضا مثال ذلك أشعة الراديوم وأشعة رونتجن Röntgen وهو عالم ألماني من مدينة ورزبرج Würzburg اكتشفها في سنة ١٨٩٥ م وهي عبارة عن أشعة لم يعرف عنها تنبعث من القطب السالب اذا مرت الكهرباء في أنبوبة مفرغة وهي لا تضيء فلا ترى ولكنها تخترق كثيرا من الاجسام فترسم صورها على حائل يوضع خلفها، وهذا الحائل مصنوع من لوح زجاجي مغطى بمادة كيمائية هي پلاتينو — سينور — الباريوم Platino-cyanide of Barium أو البوتاسيوم

بدل الباريوم أو غيره، وفوقها غطاء من الورق يوضع عليه الجسم المراد رؤيته. ومن خواص هذه المادة أنها تضيء إذا مرت فيها تلك الأشعة المظلمة، فإذا وضعت اليد مثلاً امام هذه الأنبوبة المفرغة خرجت الأشعة منها واخترقت اللحم والشحم وغيره فيرتسم ظل العظم على الوجه الزجاجي للحائل لأن العظم يقاوم مرور الأشعة فيه أكثر من غيره من الأنسجة الرخوة فيظهر مظلماً. ويمكن طبع الظل وحفظه بطريقة التصوير الفوتوغرافي حتى بدون واسطة الحائل المذكور. ومثل هذه الأشعة في تأثيرها أشعة الراديوم وهو عنصر اكتشف حديثاً تنبعث منه أشعة متنوعة كالهرباء والحرارة والنور وأشعة تحترق المحجب كالخترق أشعة رونتجن. ولجل مكنشف هذه الأشعة الأخيرة بحقيقتها سماها أشعة X أو الأشعة المجهولة كما تقول في اللغة العربية لكمية الحساب المجهولة في بعض المسائل الرياضية الكمية (س)

إذا علم ذلك أمكننا الآن أن نشبه مخ الانسان بألة كهربائية تنبعث منها في أثناء العمل تموجات مخصوصة كتعوجات تلغراف ماركوني وهذه التموجات قد تتلقاها مخاخ بعض الناس بعد أن تنفذ إلى باطن جماجمهم، ومن المعلوم في علم الفسيولوجيا أن جميع أعمال الجسم الكبيرة والصغيرة ليست إلا حركات متنوعة في ذراته وفي جواهره الفردة. ففي أثناء النوم إذا انقطع عن الانسان ما يشغله مما يوجد في هذا العالم واستراح عنه كان حينئذ صالحاً لتلقي بعض تموجات أثرية مما ينشأ من حوادث هذا العالم، فرؤية شخص لشخص يمشي في مكان خطر أو يسقط في البحر مثلاً قد تكون مطابقة للواقع ونفس الامر، هذا في الأشياء الحاصلة في العالم، وقد يستدل من بعضها المخ على البعض الآخر الذي لم يوجد فيخبل له أنه واقع بالفعل فبراه، ولكن كل ذلك لا يدل على أنه علم الغيب بمقتضى التعريف السابق

أما حوادث العلم في المنام بالغيب الحقيقي فلا يمكن تعليلها بهذا التعليل السابق وإنما هي من إلهام الله لبعض النفوس الصافية فإن الغيب الحقيقي لا يعلمه إلا الله كما نص على ذلك القرآن وهو الذي يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء فلا يعلمه أحد من ذاته بل بأعلام الله، ومثل ذلك الوحي والنبوة (اقرأ آخر سورة الجن)

والاحلام منها ما يحدث بسبب وداعية ومنها ما يحدث بغير سبب معروف .
والسبب اما أن يكون كثرة اشتغال العقل بشيء في اليقظة واما أن يكون شيئاً طرأ
على الانسان في نومه، كأن توضع شمعة مشتعلة أمام عين النائم فانه ربما يحلم بحريق
أورعد أو برق أو نحو ذلك

ويؤيد ما قلناه في الاحلام وما تنبى به من الغيب مسألة التنويم المغنطيسي
التنويم المغنطيسي

يحدث هذا التنويم لانواع الحيوانات المختلفة اذا انحصر فكرها في شيء واحد
مخصوص وأطاعت النفس شعورها بالميل لهذا النوع من النوم، فاذا حصر الانسان
أو غيره فكره في جسم مضيئ مثلاً حصل له هذا النوم ، وكذلك يمكن تنويم
مثل الديكة والخيل وغيرها ، وينوم الديك برسم خط طويل امام عينيه ويوضع
منقاره عليه ويمسك برأسه في هذا الوضع مدة فانه ينام نوما مغنطيسياً . ويمكن
أحياناً تنويم الاطفال الرضع بإلقائهم على ظهورهم
والنائم هذا النوم يمكن إيذاؤه بأشياء كثيرة وهو لا يشعر بها حتى قد تعمل له
بعض العمليات الجراحية وهو لا يدري

وهذا النوم له درجات ست (وقسمها بعضهم الى ثلاث فقط) وآخرها من أغرب
ما يكون ، فان النائم يرى فيها البعيد كما يرى القريب ويسمى الافرنج تلك الحالة
[Clairvoyance] ومعناها الحرفي « الرؤيا الواضحة » وفيها يشعر الانسان أيضاً
بالاشياء وإن كانت عيناه مغمضتين بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه فقد حدث
في محام مصر بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ أن نومت فتاة قبطية نوما مغنطيسياً
فكانت تقرأ الساعة بمعدتها أمام القضاة وكانت ترى من خلفها ورأت ما بيد أحد
المحاميين وأعينها معصوبة ويد المحامي مقبوضة

ومن فوائد هذا التنويم أنه قد يستعمل لشفاء بعض الامراض، فمثلاً اذا أصيب
الانسان بمرض جلد عميرة (الاستهزاء باليد) حتى إنه لم يقدر على كبح جماح نفسه
ونوم وأمر أن لا يأتيه فانه يشفى من ذلك شفاء تاماً، وكذلك من تعود التدخين أو
تعاطي الافيون مثلاً

وفي التنويم المغنطيسي يمكن للإنسان أن يخاطب غيره إذا كان نائماً مثله على بعد شاسع ويسمى ذلك بالتلفراف الانساني أو انتقال الافكار، وتسميه الافرنج [Telepathy] ومعناه الحرفي «الشعور على بعد» وهذا التأثير على البعد قد يحصل حتى للايقاظ، فإذا اتفق شخصان على التخاطب على بعد في وقت ومكان معينين أمكن ذلك بالمزاولة والرياضة الطويلة . وقد يؤثر الشخص في شخص آخر بعيد عنه بدون اتفاق بينهما أيضاً ولكن ذلك نادر جداً

وهذه المسألة تفهمنا تأثير العين ^(١) الذي ورد فيه بعض الاحاديث النبوية وتواترت روايات أمم العالمين على حصوله وإن أنكره بعض المتأخرين. على أن إنكار تأثير العين مطلقاً مكابرة، فمن ذا الذي ينكر تأثير نظرة الرضا والحقد أو المحبة والبغض في النفوس وتأثير النظر إلى الجليل والقيبح أو الفرح أو الحزن وإلى النشيط والكسلان المتأثب إلى غير ذلك مما هو معروف . ولذلك قال (ص) «العين حق» وأما ما زاد عن ذلك القدر من الحديث فإما أنه لم يثبت عنه عليه السلام أو أنه يراد به تأكيد ما للعين من التأثير في النفس أو المبالغة فيه

ومثل التأثير على البعد أيضاً بعض أنواع السحر كالنوع المسمى بمصر (بالشيشبة)

ومن النوادر التاريخية التي لا تبعد صحتها ما روي أن عمر رضي الله عنه كان يخاطب بالمدينة فصاح في أثناء خطبته (ياسارية، الجبل، ياسارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) ثم عاد إلى الخطبة حتى قال فيه بعض الصحابة إنه جن، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك أجاب بأنه رأى جيوش المسلمين تكاد تفتك بها الأعاجم على أبواب (نهاوند) فصاح بقائدهم — ولم ينالك نفسه — ليتحصن بالجبل . وبعد ذلك جاءت الاخبار بأن المسلمين كادوا ينهزمون، لولا أن سارية القائد سمع مع بعضهم هاتفايرشدهم إلى الجبل، فدهش الناس لذلك وعلموا

(١) هذا التأثير قاصر على التأثير النفساني أو العصبي فقط، والذي نعتقده أنه لا يحدث مباشرة مرضاً جوهرياً عضوياً فهو كتأثير وسوسة الشياطين

منه مقدار نفس عمر وكبر روحه . وهذه من أعظم مناقبه (رض)
واعلم ان جميع هذه التأثيرات تصل بين النفوس بعضها ببعض بواسطة
الاثـر — كما سبق — والظاهر أن جميع المخلوقات ليس فيها شيء آخر سوى المادة
الكثيفة أو اللطيفة ، وهي التي تأتي بكل ما في هذا العالم من المشاهد المعجبة
أما اعتقاد عامتنا وبعض خاصة الملمين بأن في الانسان أو في هذا العالم شيئاً
آخر مخلوقاً يغير مادة الكون فأرى أنه بعيد عن الصواب بعيد عن القرآن ،
فان هذا الكتاب الشريف لم يثبت وجود شيء ما يغير مادة الكون سوى الله
(٢ : ١١٤) حتى أنه نص على أن بعض ما يسمونه بالارواح كالجن مخلوق من
مارج النار وهو من مادة هذا الكون ^(١)

(١) المنار : مادة الكون مؤلفة من عناصر كثيرة ما أحاط البشر بها علماً ،
ولما اكتشفوا من سنين قليلة الراديووم بدا لهم من العلم الجديد بها ما لم يكونوا يتصورون
ولا يصدقون ، فرجعوا به عن كثير مما كانوا يظنون . ولا يبعد أن يكون في غير
هذه الارض من عوالم الكون ما ليس فيها . ولم أرفائدة لحرص الكاتب على
اثبات ان أرواح البشر والملائكة والجن من مادة الكون التي يعد منها الاثر
الذي عرف بالعقل لا بالحس . ولم يقل أحد من علمائنا ان هذه الاشياء ليست
من مادة الكون ، وكيف يقولون ذلك وهم مجمعون على أن الوجود قسمان : واجب
أزلي وهو خالق الكون ، وممكن مخلوق وهو الكون . وأكثرهم يعرف الملائكة
بانهم أجسام نورانية . فاذا كانوا يعبرون عنهم بالأجسام فهل يمكن ان يقولوا انهم
ليسوا من الكون ؟ أما النسبة بين الملائكة والجن فهي العموم والخصوص
المطلق ، فكل الملائكة من الجن وليس كل الجن من الملائكة . وليس المراد
بكونهم من الجن ان كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة ، بل معناه ان كل
ذلك من العوالم الخفية المجتنة . واما القرآن فانه يثبت ان العالم قسمان : عالم الغيب
وعالم الشهادة ، والملائكة والجنة والجحيم من عالم الغيب الذي لا نعلم من أمره
الا ما عرفنا الوحي ، وانما نعرف بكسبنا شيئاً قليلاً من أحوال عالم الشهادة ،
فعلينا ان نجتهد لنزداد علماً فيما يتقنا منه ، ونكتفي من أمر عالم الغيب بما صح
خبر الوحي به ، ولا تقيس ما تجهل كنهه ، على ما لا نعلم الا بعض الشيء عنه

واذا لاحظنا أنه نص على أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم امتنّى الشيطان أمكنّا الاستدلال بذلك على أن الشيطان كان أحد الملائكة، وقد نص في آية أخرى (٥٠: ١٨) على أنه كان من الجن؛ فيستنتج من ذلك أن لفظ الجن يطلق على جميع ما استمر من هذه العوالم، فإن مادته تطلق على كل ما خفي كالجنين مثلا. ومما يؤيد كون الملائكة من الجن قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) مع أن العرب أشركت بالله الملائكة، فلولا أن لفظ الجن يطلق عليهم أيضا لما صح هذا التعبير في الآيتين السابقتين

ولا ينافي ذلك نسبة الذرية للشيطان مع العلم بأن الملائكة لا توصف بالذكورة ولا بالانوثة (قر ٤٣ : ١٩) فإن الذرية قد تكون بغير اجتماع الذكر والانثى — كما سيأتي بيانه في علم الميكروبات —

نعم ان لفظ الجن اذا أطلق انصرف غالبا الى عالم مخصوص معروف في ذهن غير الملائكة كما في قوله تعالى عن لسان الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) الآية

أما مسألة استحضار الارواح فكثير من العلماء الى الآن يشكون فيها، وهي اذا صحت لاتنافي مذهبنا اليه، فإن هذه الارواح التي تستحضر لم تخرج عن كونها من عالم الاثير باعتراف مستحضرها أنفسهم، حتى زعم بعضهم امكان تصويرها بالآلة الفوتوغرافية، بل حاولوا ذلك فعلا، وقد رأيت بنفسى هذه الصورة في بعض المجلات العلمية

والارواح التي تستحضر منها ماهو للبشر ومنها ماهو من العوالم الاخرى كالشياطين

ومسألة استحضار الارواح — اذا صحت أيضا — كانت دليلا يينا على صحة ما ورد في القرآن الشريف وصحة الاخبار والآثار عن الكهانة، فإن الكاهن العربي أو غيره كان يسعى في إحداث علاقة بينه وبين الشياطين فيخبرونه عن بعض أشياء غيبية أو يعملون له بعض الأعاجيب كأن يحضروا له شيئا بعيدا عنه

ويؤيد ذلك أيضا ماورد في أسفار موسى (ص) كما في سفر التثنية ١٨ : ١١

وكذلك القصة الواردة في سفر صموئيل الاول ٢٨: ١١ و ١٢ فكل هذه الاشياء تضافرت على القول بإمكان الاتصال بذاك العالم الاثيري وليس ثم مانع في العلم الحقيقي منه

واعلم ان الاثير هو مادة العالم الاصلية التي خلقت منها العناصر والا كون وهي لاشك حادثة كما سيأتي اثباته ان شاء الله تعالى في الجزء الثالث

الرياضة البدنية

من قوانين السكون أن العضو المستعمل ينمو ويحسن حاله ، والعضو الذي يهمل يضمحل شيئاً فشيئاً حتى قد يزول من التسلسل بعد حين من الدهر ، لذلك كانت الرياضة البدنية من أوجب الواجبات لبقاء الجسم في الصحة والعافية ، حتى ان الاطفال يجدون أنفسهم مدفوعين بالهام إلهي الى كثرة اللعب ، لما في ذلك من الرياضة لا بدانهم

وتأثير الرياضة أنها تسرع في دورة الدم فيقوى القلب والعروق، وتكثر تغذية جميع الاعضاء ويتم الاحتراق بها وتذهب عنها الفضلات الضارة التي يكثر إفرازها في البول والعرق وفي الهواء الخارج من الرئتين، ولذلك يحتاج الانسان الى الاكثار من الطعام والشراب واستنشاق أكسجين الهواء ، وتقوى جميع عضلات الجسم وتسمن ويزول التشحم الذي قد يتراكم على القلب حتى يضعفه بل قد يكون سبباً في الموت الفجائي بالسكتة القلبية

ونعالم الاحتراق الذي يحصل بالرياضة يمنع تراكم حامض البوليك في الدم ، وهذا الحامض هو الذي يسبب أعراض المرض المسمى بالتقرح وقد يرسب في بعض الاعضاء كالكليتين فيتكون فيها حصيات ضارة جداً وكثيراً ما تؤدي الى الهلاك. وبالجملة فان الرياضة تقوي جميع أعضاء الجسم وتذهب عنها المواد الضارة فتصح ويجب أن تكون الرياضة في الهواء النقي والا لاستنشاق الانسان ما يضره من العفونات

ولا يصح أن تعمل في وقت الحر الشديد ، فان الحر كثيراً ما يقتل الانسان . ولا يجوز أن يتعرض الانسان بعد الرياضة وكثرة العرق للهواء فان ذلك من

أعظم الاسباب لاجداث التهاب الاعضاء والتزلات المتنوعة، كذلك لايجوز شرب الماء البارد عقبها ، فان من الناس من مات بسبب ذلك لحصول سكتة فلبية له .
 واذا أحس الانسان بتعب منها فالواجب أن لا يأكل الا بعد الراحة فان المعدة تشترك مع الجسم في التعب ، فاذا وضع فيها الطعام حينئذ فانها لا تقدر على الهضم ، وكثيرا ما يحصل القيئ بسبب ذلك ، وان لم يتقأ الشخص نزل الطعام الفاسد الى الامعاء فأحدث فيها تهيجا من آثاره المغص والاسهال .
 ومن الخطأ الكبير الجماع أيضا عقب الرياضة مباشرة فان ذلك يزيد في إتهاك قوى الجسم ، فالواجب أن يتبع الرياضة الراحة أو النوم فان ذلك نافع جدا .
 ولا يجوز عمل الرياضة الشاقة عقب الاكل مباشرة كما سبق بيانه .
 والاعتدال في الرياضة ضروري جدا — كما في سائر الاشياء — ومدتها للشبان الاصحاء نحو من ساعة في اليوم نصف في أوائل النهار ونصف في آخره ، هذا اذا كانت بالمشي السريع ، أما اذا كان المشي معتدلا فتكون ساعتين . ومن الامراض مالا توافقه الرياضة كأمراض صمامات القلب .
 وأنواع الرياضة عديدة منها المشي ومنها العدو ومنها السباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، ولا يتوهم أحد أن المشي لا يكفي ، وكيف لا يكفي وبه تتحرك جميع العضلات تقريبا ويسرع القلب والتنفس

النبة الرابعة

في علم الانسجة أو التشريح الدقيق

المستولوجيا Histology

المستولوجيا كلمة يونانية ومعناها [علم الانسجة] وبعبارة أخرى علم التشريح الدقيق للجسم ، وقد سبق ذكر أشياء كثيرة منه في النبة الثالثة .
 وهذا العلم لا يمكن دراسته الا بالمجهر المسمى بالميكروسكوب أي المنظار الدقيق

ليتيسر للانسان الوقوف على جميع دقائق الجسم
 أما المجهر فهو مبني على الحقيقة الطبيعية الآتية وهي أن الجسم اذا وضع على
 بعد مخصوص من العدسة المحدبة تجمعت الاشعة المنبعثة منه ورسم كبيرا في الجهة
 الأخرى، وهذه الصورة الكبيرة تمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد ترى بعدسة أخرى
 قزدا دكرا، لذلك كان الميكروسكوب عبارة عن أنبوبة معدنية في طرفها عدسة محدبة،
 وكذلك في الطرف الآخر، الآن الغالب أن تكون العدسة التي في الطرف الاول
 محدبة من الجانبين وفي الطرف الثاني محدبة من الجهة الداخلية فقط
 وتكون العدستان على أبعاد مخصوصة معروفة في علم الطبيعة، فاذا أريد رؤية
 أي جزء من أجزاء الجسم قطعت منه طبقات رقيقة بآلة كالموسى وتوضع القطعة
 منها على لوح من الزجاج بعد أن تلون بألوان مخصوصة أو بدون تلوين
 ثم يوضع هذا اللوح على حامل في المجهر له ثقب مستدير في وسطه وتحت هذا
 الثقب مرآة لعكس الاشعة لتنفذ خلال القطعة الرقيقة التي فوق اللوح الزجاجي
 فتكبر صورتها العدسة الاولى ثم تكبر هذه الصورة العدسة الثانية فيراها الانسان
 كبيرة جدا

وبهذه الآلة أمكن الوقوف على دقائق عالمي الحيوان والنبات وبها اكتشفت
 الميكروبات، فلها الفضل الاكبر في علم الطب الحديث
 فاذا نظر بالمجهر الى أجزاء الجسم المختلفة وجد أنها تتركب من الانسجة الآتية:—
 (١) ابيثيليوم [Epithelium] وهذه كلمة يونانية معناها الغطاء لان هذا
 المنسوج يغطي جميع أجزاء الجسم من الظاهر والباطن كما في الجلد وفي قناة
 المهضم وغير ذلك

(٢) المنسوج الضام وهو الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض

(٣) المنسوج العضلي وهو الذي تحصل به الحركة — كما سبق —

(٤) المنسوج العصبي وهو المخ والنخاع وسائر الاعصاب

وكما أن جميع المنسوجات كالاقمشة مثلًا تتركب من أجزاء دقيقة جدا وهي الخيوط
 كذلك هذه الانسجة تتركب من خيوط تسمى الالياف، ومن كتل صغيرة جدا

تسمى الخلايا، وبينهما مواد تربط الواحد منهما بالآخر. وأصل جميع ما في الجسم من الألياف وغيرها ناشئ من الخلايا. فالخلايا في الحقيقة هي عنصر الاجسام الحية نباتية كانت أو حيوانية. إذ من الثابت أن الانسان يتكون من بيضة واحدة، وهي في الحقيقة خلية حية

ففي بعض أجزاء الجسم نجد أن هذه الخلايا منصودة صفوفًا بعضها فوق بعض ويتكون منها الايشليوم المذكور، وفي الأجزاء الأخرى تمتط هذه الخلايا فيتكون منها العضلات أو الأعصاب أو المنسوج الضام بتغيرات مختلفة تحصل فيها، وقد يتكون في داخلها مواد دهنية فينشأ من ذلك منسوج الشحم

ومن الناس من يعتقد أن ألياف المنسوج الضام كانت خلايا فامتطت — كما قلنا — ومنهم من يرى أنها إفرازات من الخلايا ترسب فيما بينها كما ترسب بعض الأملاح في السوائل والقول بأنها رواسب هو الراجح الآن عند العلماء

أما الخلية فهي الأصل لجميع الأحياء — كما سبق — وتتركب من البروتوبلازم^(١) Protoplasm وهو مادة يدخل في تركيبها جميع ما ذكرناه سابقًا من العناصر التي في جسم الانسان فهي سكان صغير. ففيها الماء والزال والدهن والمواد الكربوهيدراتية وأملاح عديدة وغير ذلك. ولها جميع خواص الحياة وهي التنفس والتغذي والإفراز والحركة. وجميع هذه الأعمال يمكن لكل جزء من أجزاء جسمها أن يقوم بها على حد سواء، فمثلا التغذية يحصل بجميع جسمها، وفي حركتها ترسل من أي جزء من جسمها أذنابا تتحرك بها كالجاديف. وكلما ارتقت الحيوانات تخصصت بعض هذه الخلايا بعمل مخصوص كما نرى في الانسان؛ فمثلا نرى أن الحركة في الانسان خصت بها أعضاء، وكذلك القول في التغذية إلا أن الخواص المذكورة للحياة تبقى لكل خلية وإن لم تظهر فيها ظهورا بينا، بمعنى أن بعض الوظائف قد يبقى كامنا في الخلايا وتظهر بعض الخواص الأخرى ظهورا بينا، كالأحاساس مثلا فإن جميع الخلايا الحية تحس إلا أن الأحساس في المجموع

(١) كلمة يونانية معناها المكون الأول لاعتقاد العلماء أنها أول مظهر من مظاهر الحياة في هذا العالم

العصبى أظهر بكثير مما هو في المنسوج الضام مثلا
وأول الاحياء كانت قِطْعاً بروتوبلازمية مجردة من كل شيء آخر ، وفي
الاحياء التي أرقى من ذلك يتكون في وسط الخلية بقعة قائمة تسمى «النواة» وهي
تغاير في تركيبها بعض التغاير لمواد البروتوبلازم ويصير لهذه النواة التأثير في تغذية
الخلايا وفي انقسامها فلا يبدأ الانقسام في الخلية الا اذا انقسمت نواتها واذا فصل
جزء منها عن النواة أصابه الفساد ، وفي وسط هذه النواة نواة صغرى تسمى النوية
و يتصلب الجزء الذي على سطح البروتوبلازم حتي يصير كحائط للخلية
والخلايا تتكاثر بالانقسام وهذا الانقسام يبدأ بانقسام النواة ثم ينقسم
البروتوبلازم فتصير الخلية الواحدة خليتين ، والخلايا التي لانواة لها لا يكون جزء
منها مسيطرا على الباقي

ومن الخلايا ما ينقسم داخل الغشاء الكاذب المحيط بالخلية، ومنها ما ينقسم
مع نفس هذا الغشاء فمثال الاول جبين الانسان فان البويضة تنقسم بدون انقسام
الغلاف، ومثال الثاني الحيوان المسمى (الامبيا^(١)) وهو مركب من خلية واحدة
تنقسم كلها فيصير الواحد اثنين ثم أكثر فأكثر وهو يوجد في بعض المياه الآسنة
والفرق بين أبسط النباتات وأبسط الحيوانات هو عسر التحديد الا أنه يمكن
أن يقال فيه ما يأتي (١) ان خلايا النباتات محاطة بطبقة من مادة السلولوز وهي
المادة التي يتركب منها الخشب وتشبه في تركيبها الكيماوي النشاء، ولكن من
الحيوانات ما فيه هذه المادة أيضا (٢) في خلايا النباتات الراقية مادة خضراء تسمى
(الكلوروفيل) وهي كلمة يونانية معناها « خضرة الورق » (٣) ان الخلايا
النباتية تكون - بواسطة الكلوروفيل مع تأثير أشعة الشمس - من بعض العناصر
البسيطة أجساما عجيبة التركيب مثل السكر الذي تولده النباتات من غاز ثاني
أكسيد الفحم الموجود في الهواء ، والنباتات تولد أيضا من الاملاح النيتروجينية
البسيطة - مثل نترات الصوديوم - مواد زلالية معقدة التركيب . أما الحيوانات فلا
يمكنها هذا العمل وهي تعتمد في غذائها بالمواد الزلالية وغيرها كل الاعتماد على

(١) كلمة يونانية معناها المتغير لتغير شكله دائما كما سبق في حاشية ص ٦٨

النباتات التي لولاها هلكت جميع الحيوانات
هذا وقد سبق ان الجسم الانساني كله مولد من البويضة بانقسام نواتها
وبروتوبلازمها كله، ومن الحيوانات كالذجاج مثلاً ما يتولد بانقسام النواة مع جزء
صغير مما يحيط بها من البروتوبلازم وتتغذى بالباقي منه
والإثيليوم مركب — كما قلنا — من خلايا مرصوص بعضها بجانب بعض، وقد
يتكون منها عدة طبقات أو طبقة واحدة كما في إثيليوم البريتون، وفي الجلد طبقات
عديدة منه، وفي غشاء المثانة تكون الطبقات أقل من طبقات الجلد. وفي بعض أعضاء
الجسم يكون خلايا الطبقة العليا منه أهداب تتحرك بنفسها وهي عبارة عن زوائد
ممتدة من نفس البروتوبلازم — كما تقدم —
أما المنسوج الضام فيراد به أشياء كثيرة، منها أربطة المفاصل وأوتار العضلات
والعظام والغضاريف والدهن؛ ومن الناس من يعد الدم من المنسوج الضام أيضاً.
وأعظم ما يتميز به العظم عن غيره رسوب مواد جيرية في المادة التي بين خلاياه
وأما المنسوج العضلي — وهو اللحم — والمنسوج العصبي فقد سبق الكلام
عليها فلا حاجة إلى التكرار. وتبارك الله الذي خلق الخلق في هذه الأطوار

(انتهى الجزء الاول)



الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه هداة الأمة (وبعد) فقد جعلت هذا الجزء الثاني من محاضراتي خاصا بالكلام على الأحياء التسليقية من ميكروبات وديدان وغيرها وما ينشأ عنها من الأمراض المعدية وأعراضها وعلاجها وطرق إبقائها - إلى غير ذلك من المباحث العالية الضرورية لحياة الأفراد والأمم

ولما كانت لغتنا العربية في أشد الحاجة إلى مثل هذه المباحث الراقية التي قلها الأفرنج بحثا وتمحيصا - لم أقصر في هذا الجزء على ما ألقى منها على طلبة مدرستنا (دار الدعوة والارشاد) بل توسعت فيها بما سيكون إن شاء الله نافعا حتى للخاصة ، ونقلت إلى لغتنا الشريفة أهم ما كتبه الأفرنج في هذه المسائل راجيا بذلك خدمة اللغة والأمة بارشادها إلى ما يجب اتباعه لاتقاء شرتك الأمراض المعدية التي تقتي كثيرا من الناس في كل يوم ، وتضعف الأمم التي لم تلتفت إلى سنن الله تعالى فيها وأهملتها إهمالا شنيعا

وقد جريت في هذا الجزء على طريقتي في الجزء الأول من التدقيق في التعريب واختيار أوضح العبارات وأقربها إلى تناول جمهور القراء ليسهل على كل مطلع على الكتاب فهم المراد منها ، مراعيًا في كل ما أكتب نصوص الشريعة الإسلامية الغراء وأساليبها ممحصا لها ، وموفقا بين تلك النصوص وبين الحقائق العلمية ، والله الهادي إلى أقوم طريق

البكتريولوجيا

Bacteriology

علم الاحياء الدقيقة الخفية

البكتريولوجيا لفظ يوناني معناه علم البكتيريا . والبكتيريا معناها العصي (جمع عصا) ويراد بها غالبا الاحياء الدنيئة النباتية التي أكثرها مركب من خلية واحدة ، وإنما سميت بذلك لكون شكل كثير منها مستقيما كالعصا . ولفظ ميكروب معناه الحى الدقيق ^(١) والذي وضع هذا اللفظ شخص يسمى سيدلوت Sédillot في سنة ١٨٧٨ م ويطلق على جميع الاحياء الدنيئة سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم في المنطقة التي بينهما . وجمهور العلماء يطلقون لفظ (البكتريولوجيا) على علم الميكروبات كلها مع اختلاف أنواعها

أما علم البكتريولوجيا الحالي فؤسسه الحقيقي هو العلامة لويس باستور Louis Pasteur الفرنسي عاش بين سنة ١٨٢٢ و ١٨٩٥ م واشتغل كثيرا بالبحث في داء الكلب والهيضة (الكوليرا) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر ، وأما وما كتب فيه من قبل فلم يكن مما يعول عليه كثيرا

ومن نبغ فيه أيضا الاستاذ روبرت كوخ الألماني Robert Koch وكان من أعلم علماء عصره واكتشف ميكروب الدرن وبحث بحثا دقيقا في الهيضة والطاعون ، عاش بين سنة ١٨٤٣ و سنة ١٩١٠

وقد عرف الآن ان الميكروبات هي السبب في أكثر الامراض . والذي هدى الناس الى العلم بهذه الاحياء هو المجهر (الميكروسكوب) ، ولكن اختراعه الذي كان في سنة ١٥٩٠ قد سبق علم البكتريولوجيا بيضعة قرون ، ولم يكن في

(١) المنار: اختار بعض كتاب العصر اسم الجراثيم للميكروبات ، واستحسننا من قبل اطلاق اسم الجن او الجنة عليها لخفاؤها

ذلك الوقت مرتقيا الى حيث يكشف لنا عن أكثر هذه الاحياء الدنيئة . وأقوى أنواعه الآن ما يكبر الشيء ١٠،٠٠٠ ضعف

كيفية دراسة الميكروبات

لدراسة الميكروبات توضع على لوح من الزجاج ، ثم تثبت باحدى الطرق المشهورة في هذا الفن ، ثم تلون بألوان مخصوصة لظهارها جيدا ، وإن كان يمكن رؤيتها حية بدون تلوين . وطريقة ذلك أن يصنع لوح سميك من الزجاج به حفرة صغيرة (تقعر) في وسطه ، ثم يؤتى بلوح آخر رقيق جدا وتوضع نقطة من السائل الذي فيه الميكروب على هذا اللوح ثم تغطي الحفرة بهذا اللوح الرقيق ، بحيث تكون النقطة متجهة الى الاسفل أي تكون في تجويف الحفرة المغطاة باللوح الرقيق . ويسمى علماء هذا الفن هذه الطريقة (بطريقة النقطة المعلقة) وقائدها أن تحفظ السائل من التبخر وتوجد هواء محيطا به لتنفس الميكروب ، وبهذه الطريقة يمكن مراقبة نمو الميكروب وحركاته — ان كان متحركا — وغير ذلك

أما المادة الملونة فهي تكون غالبا مما يسمى بالانيلين [Aniline] وهي كلمة برتغالية معناها النيلة ، وتلك المادة من مستخرجات قطران الفحم الحجري . وسميت بذلك لأنها صنعت في أول الامر من النيلة التي تستخرج من ورق شجرة معروفة وعيدانها . ومادة الانيلين هذه بنأ كسدها يستخرج منها ألوان عديدة كالأخضر والأصفر الخ

تعريف الميكروبات

أكثر ميكروبات الامراض أحياء بين عالمي الحيوان والنبات ولكنها أميل الى النباتية منها الى الحيوانية ، وهي في الغالب مركبة من خلية واحدة لانواة^(١) لها ، ومحاطة بغلاف من السللولوز^(٢) ولكنها خالية من مادة الكلوروفيل مطلقا ، ولذلك اختلفت الميكروبات عن النباتات العالية ، فلا يمكنها تحليل غاز ثاني أكسيد

(١) يرى الآن بعض العلماء أنها ليست مجردة من النواة خلافا لما كان قد ذهب اليه الجمهور (٢) كون هذا الغلاف من السللولوز فيه نظر ، حتى أنكر ذلك الان بعض العلماء

[المنار: ج ٧ م ١٨] الفرق بين النبات والحيوان. أشكال الميكروبات ٥٣٣

الفهم الموجود في الهواء فهي في ذلك تشبه المواد الفطرية المركبة من عدة خلايا نباتية . وأيضاً بعض الميكروبات يمكنها أن تتركب مواد أزوئية عضوية من مثل النوشادر وحامض النيتريك وهي مواد غير عضوية ، فأشبهت بذلك النبات شبيهاً عظيماً وغازت الحيوان بذلك وبغلافها السللولوزي ، ومنها طائفة تأخذ الأزوت الضروري لها من الهواء

والمواد العضوية منسوبة الى أعضاء النبات والحيوان لأنها تتولد بواسطة هذه الاعضاء ، مثال ذلك غرقى* (زلال) البيض والسكر وغيره
وأما المواد غير العضوية فهي التي توجد في الكون بدون واسطة النبات أو الحيوان كملح الطعام

فترى من هذا أن أهم مميزات النبات عن الحيوان أنه يمكنه توليد المواد العضوية من المواد غير العضوية مباشرة ، والحيوان لا يمكنه ذلك البتة. وهو في غذائه مضطر الى أكل النبات . ولتوضيح ذلك نقول : يوجد في الارض أملاح تسمى النيترات أي يوجد فيها النيتروجين (الأزوت) والاكسجين متحدين معا ومع معدن من المعادن كالپوتاسيوم مثلاً ، فإذا صب عليها الماء ذابت فيه فيمتصها النبات ويتغذى بها ويحوّلها الى مواد زلاية، وبذلك يمكنها أن تعيش بالاستقلال عن سائر الاحياء الأخرى ؛ وفي الهواء آثار من مادة النوشادر وهي مركبة من النيتروجين والهيدروجين وسهلة الذوبان في الماء فتذوب في ماء المطر وتسقط الى الارض فيتغذى بها النبات أيضاً ويولد منها مواد زلاية

وأما الحيوان فإذا منعت عنه المواد الزلاية فإنه يهلك بسرعة
وعليه فأصل الوجود الحيواني متوقف على النباتات وهي لاشك خلقت قبله .
ونرجع الى ما كنا فيه :

أشكال الميكروبات

للميكروبات أشكال عديدة أهمها : —

(١) الشكل الباسيلي أي المستطيل ، وكلمة باسيل [Bacillus] لاتينية معناها

العصية (تصغير عصا) وذلك لان ميكروبات هذا النوع تحاكي خطوطا مستطيلة صغيرة جدا ، فاذا قيل باسيل الدرن فعناه عصيات الدرن أي ميكروبه الذي شكله مستطيل

(٢) البزور [Cocci] وميكروبات هذا الشكل كنقط صغيرة، وهذه النقطة قد يلتصق بعضها بجانب بعض فيتكون منها خيوط تسمى البزور السلسلية [Streptococci] وقد تجتمع مثنى مثنى ميكروب الالتهاب الرئوي والروماتزم والالتهاب السحائي الوبائي والسيلان إلا أن هذا الأخير شكل بزوره كلوي (أي كشكل الكلية) وقد تجتمع رباعاً ، وقد تجتمع على أشكال غير منتظمة فيتكون منها ما يسمى بالبزور العنقودية [Staphylococci]

والبزور المربعة توجد عادة في القيح الناشئ من تمدد المعدة، والبزور الاخرى السلسلية والعنقودية توجد في الالتهابات والخراجات ونحو ذلك ، وأشدها خطراً البزور السلسلية فانها هي التي تحدث المرض المعروف بالحمرة ، وهو من الامراض المعدية الفتاكة، وتوجد أيضاً في بعض التهابات الرحم العفنة عقب الولادة

(٣) الشكل الحلزوني [Spirilla] وميكروبه يكون دقيقاً مستطيلاً ملتويًا على نفسه كالثعبان ، ومن هذا الشكل ميكروب الهیضة (الكوليرا) وهذا الميكروب كثيراً ما يشاهد مقسماً الى قطع صغيرة كل قطعة منها تشبه الضمة أو الشولة ، ولذلك يسمونه بالباسيل الضمي [Comma] فاذا اجتمع من هذا الميكروب اثنان مثلاً فقد يتكون منهما شكل يشبه حرف (S)

ومن الشكل الحلزوني أيضاً ميكروب الزهري وميكروب الحمى الراجعة . والجمهور يعد الآن بعض الحلزونات من نوع الحيوان لامن نوع النبات وهو الراجح وبعض الميكروبات لها أهداب [Flagella] تتحرك بها، فمثلاً ميكروب الحمى التيفودية له أهداب عديدة تبلغ ٨ أو ١٢ وطول كل منها نحو من ضعف طول الميكروب نفسه، وهو يتحرك بهذه الأهداب حركة شديدة ، ولضمة الكوليرا هذب أو اثنان في طرف واحد منها، وكذلك الاشكال الاخرى قد يكون لبعضها أهداب ويقال ان لميكروب الحمى الراجعة أربعة أهداب اثنان في كل طرف . ولا

فرق بين طرف وطرف في هذه الميكروبات بل يمكنها أن تسير بأي شاءت
تربية الميكروبات

والميكروبات يمكن تربيتها تربية صناعية ويسمى ذلك في اصطلاح هذا العلم
«زراع الميكروب» أو إنباته لأنها نباتات — كما قلنا —

ومن السوائل المستعملة في تربية الميكروب المرق واللبن والبول ومصل الدم
وأما المياه الجيدة فقد شوهد أن الميكروبات لاتعيش فيها أكثر من ١٤ الى
٤٠ يوما ، وربما كان ذلك لقلة المواد الغذائية لها فيها

ويمكن تربيتها أيضا على الجلاتين وهو مادة تستخرج بفلي العظام والأنسجة
الضامة كالاربطة وغيرها . وكلمة جلاتين إيطالية معناها الفالودج ، ويمكن تسمية
هذه المادة في لغتنا (بالودك) وهي مادة تشبه المواد الزلالية في تركيبها أي انها تشتمل
على النيتروجين

ومن المواد الصلبة أيضا التي تربي عليها الميكروبات ما يسمى (بالأجار أجار)
[Agar - agar] وهو صمغ يستخرج من نباتات بحرية تنبت في الشرق كاليابان
وجاوة . ومن هذه المواد أيضا البطاطس وغرقى البيض المسلوق (زلاله)

والميكروبات المرضية تحتاج في نموها الى حرارة مثل حرارة الانسان تقريبا
(أي نحو ٣٥ — ٣٩) ولذلك توضع في آلة مخصوصة تسمى آلة التفريخ
[Incubator] تكون الحرارة فيها مرتفعة الى درجة مخصوصة

ومن الميكروبات ما يحتاج لأكسجين خالص أي غير متحد بشيء كما في
الهواء ليستنشقه ومنها ما يضره الأكسجين الخالص ويمنع نموه

وهذه المسألة من أغرب مسائل العلم الطبيعي، فان الناس كانوا يظنون أن
الهواء ضروري لجميع الأحياء كضرورة الماء لها وقد ظهر بطلان ذلك ، ومن آيات
بيان القرآن للحقائق أنه قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولم يقل في موضع
مأمنه إن الهواء ضروري للأحياء

ومن الميكروبات ما يعيش في الهواء وفي غير الهواء، وهذا النوع هو والنوع
الذي يضره الأكسجين يمكن زراعته (تربته) في الفراغ

ومن أمثلة مالا ينمو في الهواء باسيل التيتانوس ، وهو مرض يحدث من دخول هذا الميكروب في أي جرح في الجسم فيصاب الجسم بالتشنج الذي يتدئ بتقلص عضلات العنق وابتقاض الفكين حتى لا يمكن للإنسان أن يفتح فاه، ولذلك يسمى هذا المرض بالعربية الكزاز ، وميكروبه يعيش في الطين والوحل والأتربة المحتبئة في الأماكن المظلمة وتعريض هذا الميكروب للهواء يضعفه ويمنع نموه. أما ميكروب الدفتيريا مثلاً (التي منها الخناق) فإنه يعيش في الأكسجين وفي غيره

توالد الميكروبات

وأشهر طرائق توالد الميكروبات اثنتان : الطريقة الأولى الانقسام — وهي عامة في الجميع — فتقسم كل خلية منها بالعرض ^(١) الى اثنتين والاثنتان الى أربع وهلم جرا

والطريقة الثانية تكون بتولد حبيبة [Spore] في داخل كل ميكروب وبعدها ينفلق الميكروب وتبقى هذه الحبيبة قابلة للنمو مرة أخرى وهذه الطريقة تحصل في بعض الأشكال الباسيلية وفي قليل من الخلونية. والحبيبات تقاوم درجة الغليان (١٠٠ سنيجراد) لمدة تختلف من خمس الى عشر دقائق ، وهي تقاوم المواد المطهرة كالسليماني والفينيك مقاومة كبيرة، ولذلك يجب أن تكون نسبة السليماني الى الماء أكبر من النسب المعتادة لإبادة حبيبات تلك الميكروبات ، وكذلك يجب ابقاء الشيء المراد تطهيره في المحلول مدة طويلة وطريقة التوالد الأولى تكثر الميكروبات، والثانية تبقى النوع فقط ولا تكثره

(١) هذا في الميكروبات النباتية أما الحيوانية كميكروب الزهري والحمى الراجعة فينقسم بالطول. وفي البيئة الصالحة قد يحدث انقسام الميكروبات مرة في كل عشرين أو ثلاثين دقيقة

أثارة من تاريخ العرب في الاندلس

تنبى عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وجهه بين الدين والدنيا، ومكانة علماء الدين في عهده، وقبوله منهم الاغلاظ في وعظه، - وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخافون في الحق صولة حاكم، على ورع يزينه ظرف واطف، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف، يمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الانس، ومسرح التانس، في ملح أهل الاندلس. قال عفا الله عما تكلف من إبداع، وما صنعه من اسجاع:

(الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى)

اية حركة في سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون، ااية سفاهة في تعلم، وجهامة ورع في طي تبسم، اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع هن مرقب، ولا اكنسب إثما ولا احتقب، ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، وناهيك من عدل أظهر، ومن فضل اشهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع، ومن باطل خفض، وكان مهيبا طيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استمعى مرارا فما أعفى، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكمته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب، متكلم بالحق، متينا بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع، وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا. ولد سنة ثلاث وعشرين (ومائتين) عند ولاية المنذر بن محمد. وتوفي يوم الخميس (المنار: ج ٧) (٦٨) (المجلد الثامن عشر)

للبتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ ومن شعره في الزهد ﴾

كم تصابى وقد علاك المشيب	وأعماى عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير	ان يوم الحمام منك قريب
ياسفيا قد حان منه رحيل	بعد ذلك الرحيل يوم عصب
ان للموت سكرة فارثها	لا يداويك ان أتاك طيب
كم تراني ^(١) حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم	فاعملن جاهدا لها يارتيب
وتذكر يوما تحاسب فيه	ان من يدك كرفسوف ينيب
ايمن من ساعة من الدهر الا	المنايا عليك فيها رقيب

الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وانبه أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتها له من توطد الخلافة ورمي الملوك بآمالها ، وتقدم الى الامير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ،^(٢) فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي^(٣) ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انقطع ، وبهت فواصل الاقطع ، ووقف ساكتا متفكرا ، وتشوف لاناسيا ولا منذ كرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم توانى » (٢) يعلم من هذا أن عاداتهم في الاحتفالات كمادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلا وان كان تابعا للحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الأمة

ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته ، بدرجة من مراقاته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل محبيب ، وقال : اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس يعد الحق الا الضلال ، واتي قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصغوا لي بأسماعكم ، وامنوا علي بأفئدتكم ، معاشر الملأ ! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت . وللباطل كذبت ، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصدق بصفاته ^(١) أمر كليمة موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم ، وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافية لكم ، بخلافة أمير المؤمنين التي امنت سربكم ، ورفعت خوفكم ، وكشمت قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولأه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم تشعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدة البعير ، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم يمين مياسته الى كنف العاقبة بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحفظها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال متهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافية جمع كلمتكم بعد اقتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، وشفى صدوركم ، وصرتم يداعلي عدوكم بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة وافرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقربين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، و بلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا . ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم ، وغيبها عالم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدلهم من بعد خوفهم امنا) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارباب ،
ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة
والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم ،
بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فان
من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا
والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه
من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق
ملككم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين
 والمرسلين ، أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل	فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتني جنباته	كبارق رعد عند نقش الاناصل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي	ولا طار عقلي يوم تلك البلابل
بخير امام كان أو هو كائن	لمقبل أو في العصور الاوائل
وقد حدثت نحوي عيون إخالها	كمثل سهام اثبتت في المقاتل
ترى الناس أفواجا يؤمون داره	وكلهم ما بين راض وآمل
وفود ملك الروم وسط فنائه	مخافة بأس أو رجاء لسائل
فعش سالما اقصى حياة معمر	فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العليج: هذا والله كبش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه،
وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارتجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن
يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ؛
فقال والله لقد أحسن ما أنشأ ، ^(١) وأثن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فما للصنعة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيها والخطبة . ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء .

جهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلما بمارة الارض، واقامة معاملها، وتكثير مياها، واستجلاها من ابعدها، وتخليد الآثار الدالة على قوة ملكه، وعزة سلطانه وعلوهمته، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الارض أثره، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذوه، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التائب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الانفاق عليه، فجرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) واتى بما شا كل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والرغيب في الآخرة وبقاياها، والتقصير عن طلب الدنيا، ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن العظيم ما يوافق، وجلب من الحديث والآثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا، وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعلم الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدي وبكى، وندم على ماسلف منه من فوطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصمه برحمته؛ إلا أنه وجد على منذر بن سعيد للفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك الى ولده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في ترويعي، وأفرط في تقربعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيائتي عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة ابداً، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانهره، وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشده، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، وأني لاستحيي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفعاً في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقد نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلاً الى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً.

وعذله قوم من اخوانه لتكنيته لرجل كان بسبه فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته من بعد ما قد سبنا وهجانا
فإن الله قد كنى أبا لهب وما كناه إلا خزية وهوانا
﴿ومن قوله في الزهد﴾

ثلاث وستون قد حزنها فإذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى بل وما تزدجر
تمر لياليك مرأ حثيثا وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي من العمر ما اعتضت خيراً بشر
فمالك لا تستعد إذا لدار المقام ودار المقر
أترغب في فجأة المنون (?) وتعلم ان ليس منها وزر
فاما الى جنة أزلقت واما الى سقر يستعر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقهط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فتأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلاً وانبابة واستجداء ورهبة، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرقة ليشرك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة - فلما سرح طرفه في ملائ الناس وقد شخصوا اليه بأبصارهم قال :

يا أيها الناس - وكررها مشيراً بيده في نواحيهم - ثم قال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم - أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال ^(١) ومضى على تمام خطبته، فافزع النفوس بوعظته، وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما آتم خطبته حتى بللهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر لدين الله جاء غداة ذلك اليوم، فخركه للخروج وذكر له عزمه عليه، والسابقون متساقون الى المصلى، فقال للرسول - وكان من خواص حلفاء الصغاء اليه: يا ليت شعري! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له مارأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، انه لما نذ حائر متفرد بنفسه لا يس أخشن الثياب، مقترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أترأك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني؟ ^(٢) قال فتهلل وجه القاضي منذر بن سعيد عند ماسمع من قواه، وقال يا غلام! احمل الممطر ^(٣) معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا، اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء، وكان كما قال فلم تنصرف الا عن السقيا

(١) لعل الاصل : ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لمقام الاستسقاء، لأن مراده اتعذب الرعية بذنبي اذ انا حاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم لفعلت، واذا عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك. هذا مراده قطعاً

(٣) الممطر الثوب الذي يتقى به المطر

*

استقلال القضاء وإيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه. ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته المشهورة في إيتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحضية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه - منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد^(١) ومنها الغبطة^(٢) فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع، واما الوهي فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والافلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فآظمر الزهد في شراء الدار طمعا أن تتراخي رغبته فيها، بخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتها، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الانقاض وكانت لها قيمة باكثر مما قومت به للسلطان، فأتصل الخبر به فعز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟ فقال له نعم، قال له وما دعائك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تتحقق بما فيه مصلحة

الايثام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فمقومتك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تعلق وممك
 قد نص في اتقاضها أكثر من ذلك ^(١) وبقيت الدار والحمام فضلا . ونظر الله
 تعالى للايتام . فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك ، وقال نحن أول من اتقاد الى الحق
 فجزاك الله تعالى عنا وعن اماتك خيرا
الوقار والديانة ، مع الظرف والدعاة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعاة فربما ساء ظن من
 لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري
 فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قمنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم
 مع أيننا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا
 من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ، وأكثر من ذلك . فقال
 القاضي ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد
 وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب
 من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي ، قال فسرنا تقفوه وهو
 أمامنا وأمامه امامه يحملون خرائطه ^(٢) وعلى ذويه السكينة والوقار ، وكانت القضاة
 حينئذ لا تراكب ولا تمشي ^(٣) فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحدة وهي تلعق
 منها وتدور حوله ، فوقف وصرف وجهه إلينا وقال : ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب
 بالهن الذي تعلقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك !! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا
 وبقينا متعجبين من هزله

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حباه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع
 أن نحن اتقاضها وحده قد زاد على ذلك ، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام
 (٢) لعل أصله : وأمامه خدمه الخ و الخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى
 تشد وتربط على ما يوضع فيه من المتاع واحدا خريطة

(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يعيش معهم أحد مساويا لهم

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج ، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة ، فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه ما تجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ، ففعل ولم يطفى ذلك مابه ، فقال له : الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمينه والحكم لارابع لهم ، فكانه استجيا من ذلك ، واتقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يبحل يميناً وشمالاً ، فلم يسمع القاضي الا انفاذ أمر الخليفة ، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالقعود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر يمر مصعداً ومصوباً ، فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم — فهو يعجزه في إخلاده الى القعود ، ويماتبه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة بالجذب اليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، الى ان كاهه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفر معه ، وتثقل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هو جل^(١) معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمعني من أن أجول معه بحاله . فاستفرغ الحكم ضحكاً من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر ، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشا كل واحد منهما

وذكر ان الخليفة الحكم قال له يوماً لقد بلغني انك لا تجتهد للآيتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يا كلون أموالهم . قال نعم وان أمكنهم . . . أمهاتهم لم يعفوا عنهن ؟

(١) الهوجل الانحر الثقيل الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التعريض ما ترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى انه لم يملك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ، وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدهم عن المجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن احاني على اللوثي وأبي
ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا
إنكار القاضي على الخليفة وأنصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في إنكاره عليه
الاسراف في البناء - ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي
كانت ماثلة الى الصرح المرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب
وفضة أنفق فيها مالا جسيما وجعل سقفا صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب
الابصار بمطارح أنوارها المشعشة ، وجعل فيها إثرا تمامها لاهل مملكته مشهدا فقال
لقرايته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع
ما يتصل به من البدائع الفتاة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو
قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لا وحد في شأنك كله ، ولا سبقك
في مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى اليها خبره ، فابهمجه قولهم

وبينا هو كذلك سار ضاحك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا
ذقنه ، فلما أخذ محله قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ،
فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيته ، وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننت
ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكن ،
مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك منزل الكافرين !! قال فاقشعر
عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلي منازلهم ؟ قال نعم أليس
الله تبارك وتعالى يقول (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
ليبوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * وليبوتهم أبوابا وسررا عليها
يتكئون) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله
تبارك وتعالى ، وندما اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي
خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله
الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد
قرامدها ترابا اه

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

٤

الكلمات المبدوءة بهذا الحرف  وهو نسر يقرأ ألفا أو كسرة أو همزة أو واوا وهذا الأخير نادر

أب — أبأ وأبابة وأبابا : اشتاق الى الشيء . قالوا « أب لبي لمثك »
أي اشتاق قلبي الى رؤيتك (قرطاس رند لوحة ١٢ سطر ٢٢) ومنها
أبابة — قصد

أبخ — يقابلها في العربية عبق لأن الخاء تنوب عن القاف والكاف ،
فيقولون خب وكب لكف اليد : عبق المكان بالطيب انتشرت رائحته
فيه ، فيقال في المصرية « أبخ شمائاتها » أي عبق وانتشر كل ما يشم من
الروائح الطيبة . عبق به : لثق ، وقالوا « عبق المعبود متوفي حذتك » أي
لحمك . و « عبققت المشاة بالمشاة » أي التصقت والتحمت (عن حبر الملك
يعنخي الزنحي) و عبق بالسكان : أقام ، نحو قولهم « عبق الأرضان في عيشة
الملك السليمة » أي بقي القطران وهما الوجه القبلي والبحري في عيشة راضية
أبخ — يقابلها في العربية أبق : هرب ، قالوا « تأبق مطول الرثوة »
أي تأبق حال كونك مطولا الخطوة في سيرك (عن نقوش الملك تيتي)
آبدة — ج أوابد وهي الطير المقيمة بأرض شتاها وصيفها ، يكثر

(*) مختارات من معجم أحمد كمال بك الأثري المصري للغة المصرية القديمة فما
وافقت فيه اللغة العربية بالنص أو بضرب من القلب والابدال ، فالكلمة الأولى
من هذه الكلم المرتبة على حروف المعجم هي المستعملة في النصوص المصرية القديمة
مما هو عربي فان كان فيه قلب أو إبدال يذكّر بعده الأصل العربي ، وما بعد
النقطتين هكذا : تفسير لما قبلهما

ذكرها في النصوص المصرية ولا سيما فيما كان على صفائح القبور. ومنه قولهم «آبدة دثيصة» أي سمينة، و«آبدة مائية» والاثريون يصرفونها إلى جماعة الطير اذ وجد بجانبها رسم طيور متنوعة اتباعا لقاعدة الخط وعدم، لأن كل اسم جنس يرسم بعده بعض أنواعه للدلالة عليه، مثال ذلك كلمة حمس - وأصلها في المصرية حمت لأن التاء تنوب عن السين - واحدة خمسة اسم لدواب البحر، فترام يرسمون بعده ثلاث سمكات متنوعة، كما أنهم يرسمون بعد كلمة «أعضاء» بعض أجزاء الجسم. وبعد كلمة «كراع» - وهو السلاح في اللتين - بعض أنواع الاسلحة وهلم جرا - آبي - قيل عنه في كتب اللغة العربية انه اسم للأسد، وصوابه النمر لوجود صورة هذا الحيوان مرسومة بعد الكلمة في النصوص المصرية

اتا - عتا عتوا: استكبر وجاوز الحد

ات - وبالعربية أث اثانا وأثوثا وأثانة: التف وكثر. ويقال لها بالقبطية أنا

إتف - وبالعربية عطاف ج عطُف وأعطفه: السيف (عن العدد ١٣٧٧ من الجزء الأول من كتاب الجغرافية)

اجاب - وبالقبطية أجب - وجب وجوبا: سقط ومات، وأصل الوجوب السقوط والوقوع. والوجبة السقطة

اجاب - اجابة وجاب جوابا: رد الجواب (عن لوح قبر موجود في متحف مدينة مِثْرَنِيخ)

اجر - وأجراء وأجرية واحده جرو - وهو ولد الكلب
إجانة - ج أجاجين هو صركن من خشب، ومنه قولهم «إجانة

ماء تخمد اللوب « أي الظمأ (عن قرطاس پريس اللوحة ١ والسطر ٥)
 آخ . أش — مقلوبة ومحرفة عن شيء بالعربية (عن قاموس بروكش
 الجزء ١١ والصفحة ١١٧ والجزء الخامس الصفحة ١٢) وفي الغالب
 يقولون : خ — أو — ش بالامالة بمعنى شيء

اخ — وفي العربية آق عليهم أوتقأ : أتايم بالشؤم فيقولون « مَعَت
 (أي العدل) يؤخ عليك لو مشى عن سأوه »^(١) والمعنى : لو حاد العدل
 عن وطنه لآق عليك أي لآتاك بالشؤم (عن شكاية الفلاح الصحيفة ٩٢)
 اخط — وفي العربية خطا خطوا واختطى (عن قرطاس في متحف فينا)
 أخط — ويقال به في العربية خطّ خطا : رسم . وخط : كتب ويقال
 بالمصرية خطّ أيضا وهو الأكثر في آثارهم^(٢)

أخف — قفية : طعام، ومثلها كفية ج كفى
 أدابه — لغة في أتابه : أغضبه (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أد — الرجل في الارض أدّا : ذهب وسار سيرا شديدا (عن رحلة
 أسنوهيت الصحيفة ٤٤)

أذا — ايداء : أضرّ (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أر — ألؤ : البعيدة المرعى . ويقال انها عين واحد العليين وهو اسم
 لأعلى الجنة ، وفي المصرية تكتب بالراء وباللام (عن نقوش هرم أناس
 السطر ٥٨٨)

(١) المنار: في هذه الجملة المصرية ثلاث كلمات عربية وهي يؤخ المحرف عن
 يؤق ومشى والسأ وهو الوطن (٢) علم من هذه الأمثلة ومما سيأتي ان معتل
 العين أو اللام وكذا الفاء والمضاعف بالعربية يقلب حرف العلة أو المضاعفة فيه
 بالمصرية همزة وينقل الى الفاء ان لم يكن هو الفاء

أرجا — أرجاء جمع رجا وهو الجانب والناحية ، وبالقبطية أفريجو
(راجع قاموس بيره الصحيفة ٣ تقلا عن كتاب پريس)

أرض — ج أرضون وأروض وأراض

أرّف — (وتكتب عند المصريين بالعين أيضا لأن الالف عندهم
تنوب عن العين) عَرَفَ يقال أرّف الحبل أي عقده . ويقرب منها في
العربية أَرَب العقدة : شدها لأن الباء تنوب عن الفاء . ويقابلها في القبطية
أَرَف . أَرَب (عن نقوش متوحيتب)

أراق — ورَيْق : أسال وأهرق

اسد — ويقابلها في العربية زَاد — فهي مقلوبة وسينها زاي — رَادَا
وزوُدا : أفزع (عن نقوش هرم أناس السطر ٣٧٩) ويقابلها في اللغتين
شَفَّ وجَأَف : خاف . وهاد في الشيء هيدا أفزع وأكرب . وحذر :
أرهب . كلها ألفاظ عربية ومصرية

أس — هي مقلوب ساء سأوا : عدا . وسأي يسأي سأيَا : عدا في
المشي (عن نقوش هرم يبي السطر ٢٩٦)

أس — أسَا : سلح (عن قرطاس برلين الطبي ١٩ ٢٠) وسأَحَ أيضا
كلمة مصرية وعربية كالألفاظ أخرى بمعناها

أيسى — : خرنى الدار أي متاعه (عن نقوش إدفو)

آشى — أوشى المكان : ظهر فيه وشي من النبات

أشى — وبالعربية عشا وعسى الليل : أظلم واغشى يغشى : اظلم

أَصَبَ — وبالعربية عَصَبَ عَصَبًا : احمرّ في النار (عن كتاب

الموتى)

اطاب - للضيف إطابة : قدم له طعاما طيبا (قاموس ليفي الجزء ٨ ص ١٢)

إطل - وإطال - وإيطل : الخاصرة ، الجنب . قال امرؤ القيس في وصف ناقته * لها أيطلا ظي وساقا نعامه *

افا - مقصور . وبالعربية فاء فيثا : اخذ الغنيمة واغتنمها (عن جريدة السيتشرقت لسنة ١٨٧٢ ص ٢٥)

أفت - أبت الشمس وآفت لغة في غابت (عن قاموس بروكش الجزء ١ ص ٧)

أف - أوفأ : اضرّ وافسد

أفيه - كثير الاكل ، وبالعربية فيّة وفيّة . والفوه النهم الذي لا يشبع ، واستفاه الرجل اشتد اكله بعد قلة إستفيه في الطعام والشراب (راجع قرطاس پريس اللوح ١ ص ٨)

أقعح - وبالعربية اوكح : حفر (عن قرطاس ايرس الطبي عدد ٢ اكهي - حجر لا صدع فيه

اقس - عكس . قلبت عينه همزة ونخمت كاهه فصارت قافأ . يقال بالعربية عكس البعير اذا شد حبالا في خطمه الى رسغ يده لينزل . وعكس الخيل اقدعها (عن تابوت سيتي المحفوظ بمتحف لندرة)

أق - عج . يقال : عجت المرأة صبيها عجا لغة في عجته عجوا ، اي اسقته اللبن . ورسم بعد الكلمة امرأة ترضع ابنها

اكن - الشيء - وكنه كئنا وكنونا وكنته : ستره في كنهه وغطاه وأخفاه وصانه . واكتني : استتر (عن نقوش الملك يبي الأول السطر

(١٤٦) ومنها الكنّ وجمعه أكنان واكنّة
 أَلْ - : ضاق صدره ؛ ومنه قولهم « أَلْ لَّهُ وخسّ حزّه » أي ضاق
 صدره ونقص لحمه (عن ورقة بريس اللوحة ٨ والسطر ١٢)
 أَلْب - ولبّ لبّا أقام (عن ص ٤٣ من رحلة سنو هيت لماسيرو)
 أَلَقَ - وتألّق : لمع وفي المصرية تكتب بالراء أيضا (عن جريدة
 مجموعة أعمال الماديات جزء ٥ صحيفة ٩٤)
 أَلِكَة - وبالقبطية أليكو وبالعربية عَلِيقٌ عَلِيقَى : نبت يتعلق بالشجر
 (عن القرطاس الثاني السحري)
 أَلْ - أَلَهْ أَلَا : طعنه بالإلّة أي الحربة (عن قرطاس اسوريس
 بمتحف فينا)

أَمَّا - (بين القوم) : أفسد ، مقلوب مأى مأيا ومأوا (واوي يائي
 بالعربية) (عن رحلة سنو هيت السطر ١ من الصفحة ٢ لماسيرو)
 امرٌ - الشيء : شدة بالمرار وهو الحبل . وبالقبطية مُور
 أماه - ماه الشيء وأماهه : خطه ، كلمة تذكر كثيرا في قراطيس الطب
 القديمة فيقولون : « يُنَحَزْ ويماء في المروخ » أي يُصَحَن في الهاون^(١)
 أَمِي - عمي يعمى : ذهب بصره كله من عينيه ، قلبت العين همزة
 أنأى - إناء أبعد (عن القرطاس السحري السطر ٧ من ظهره)
 أنأى ونأى وانتأى - حفر أو عمل التؤيا أي الحفرة (عن نقوش
 مقبرة في السكاب)

(١) نحز الشيء دقه بالمنحاز وهو الهاون ، والمروخ (كصبور) ما يمرخ به البدن
 من دهن وغيره

أَهْد - وفي العربية هود تهويدا : رجع الصوت في لين . وغنى (عن
تمة قاموس ليفي ج ٢)

أَهْد - وفي العربية هَدَّ البناء هَدًّا وهُدوداً هدمه : ويقال هدمته المصيبة
أي أوهنت ركنه (عن كتاب نافع في إبادة الجنس البشري بالشمس)
اهط - وهط وفي العربية وهط : الأرض المطمئنة التي تزرع .
(عن نقوش معبد دندره)

أَهَّ - أَهَّا وآهَةً : توجَّع (عن نقوش دندرة وقرطاس پريس -
السطر ١ من اللوح ١٥)

اوقم - وقم الرجل ووكمه : قهره وأذله ، وحزنه أشد الحزن فهو موقوم .
ووكم له : اغتم وجزع (عن جريدة السيشرفت لسنة ١٨٧٨ الصفحة ٤٩)
ومنه قولهم « أقوال موكمة لاختلال سحت »^(١)

آوى - (المنزل أو الى المنزل) وغيره أويًا نزل به ولبأ إليه . وتأوى .
اجتمع (عن قرطاس برلين اللوح ١ ^{١٥}/_{١٦})

إي - حرف جواب بمعنى نعم (يقع قبل القسم في العربية) ويقابله
في اللغة العامية (إيوَ)

أَيَا - تَأَيَّا (المتعدي بعلى) : انصرف في تَوَدَّة (عن نقوش الملك مر نرع
السطر ٧٤٨)

أَيْلٌ - وَأَيْلٌ : الأَيْل (وبالقبطية إيلول) وهو الحيوان المعروف الذي
يشبه الوعل

الخطب الدينية

اشتغالنا بانتقادها واصلاحها

قد كان مما وقفنا الله تعالى له في أثناء الاشتغال بطلب العلم انتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التي يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيباً أو في الاوراق المخطوطة او المطبوعة؛ فان كل هذه الخطب أو جلها في ذم الدنيا والتزهيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها، وأكثر ما فيها من الاحاديث ضعيف أو موضوع، وقد عقدت في كتاب (الحكمة الشرعية) الذي ألفته في ذلك العهد فصلاً طويلاً في الخطابة بينت فيه حكمتها ومنفعتيها وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها، وما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب الدينية في المساجد، وأنشأت عدة خطب خرجت فيها من المضيق الذي حبس خطباءنا فيه أنفسهم؛ واخترت لأحد الخطباء أحاديث صحيحة وحسنة لديوان أنشأه عزوتها إلى مخرجيها فكان أول خطيب سمعناه في بلادنا يلتزم الاحاديث الصحيحة والحسنة في خطبه معزوة إلى مخرجيها، على أن التزام الاحاديث في آخر الخطبة غير واجب ولا مسنون، بل هو عادة ينبغي تركها أحياناً لتلايظن أنها مشروعة فيكون الالتزام من البدع التي سماها صاحب الاعتصام البدع الاضافية

ثم اتنا بعد انشاء المنار نوهنا فيه بهذه المسألة مراراً، واتفق لنا أن خطبنا في بعض المساجد خطباً مرتجلة مناسبة لحال عصرنا موافقة لما كان عليه سلفنا الصالح فكان هذا وذلك باعثاً لكثير من محبي الاصلاح

على مطالبتنا بإنشاء خطب اصلاحية تنشر في المنار عسى أن يقتبسها أو يقتبس منها الخطباء، فلم نجبههم الى ذلك لاعتقادنا ان الغرض منه لا يتم الا اذا جاء من جانب السلطة الرسمية

مثال ذلك أننا أنشأنا خطبة في الاقتصاد في المال وقضاء الدين اقترحها علينا الشيخ علي يوسف وأخذها منا . ثم علمنا انها نشرت في القطر بأمر الحكومة بعد استعسان شيخ الازهر وإجازته .

وكنا قد مهدنا السبيل الى مثل ذلك في ديوان الاوقاف ولكن علمنا أنه لا ينفذ الا اذا اقتنع به الامير واحب تنفيذه ، فكنا ننتظر الفرصة لعرض ذلك عليه واقناعه به ولم تسنح لنا ، ثم شرعنا فيما هو خير من ذلك اصلاحاً وهو مدرسة الدعوة والارشاد التي يتربى فيها الخطباء المرتجلون ، ولا تزال نعاني في هذه السبيل من تهديد العقوبات ، ومكافحة الحساد واعداء الاصلاح ، ما نرجو أن ينتصر فيه الحق على الباطل والاخلاص على النفاق

ديوان خطب المصلح القاسمي

اطلعنا في هذه الايام على ديوان خطب عالم الشام صديقنا المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي نغمده الله تعالى برحمته ، وكان أهدي الينا مطبوعاً منذ اعوام فلم يتح لنا التأمل فيه ، فرأيناه أفضل ما نشر من دواوين الخطب، بخلوه من البدع والخرافات ، ومن الاحاديث الواهية والموضوعات ، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس اليها في جميع الاوقات ، ولو كان للخطابة والتأليف حرية في بلاد الشام ايام انشائه رحمه الله تعالى لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والادبية

التي اشتدت الحاجة اليها في هذا العصر، وقد رأينا أن نكتب بعض مقدمات هذا الديوان النفيس وخطبه فيما يلي فهاكها بنصها :

« المقدمة الاولى في الهدي النبوي في الخطبة »

قال الامام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد في هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه : كان صلوات الله عليه اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش . وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه . ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي . وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فاذا رأى منهم ذافاة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . وكان يعمل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس، فاذا اجتمعوا خرج اليهم . فاذا دخل المسجد سلم عليهم . فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم، ثم يجلس ويأخذ بلال رضي الله عنه في الاذان، فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب، وكان في الجمعة يعتمد على عصا أو قوس . وكان منبره صلوات الله عليه ثلاث درجات . وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات . وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين، وفي رواية كان اذا صلى في المسجد صلى أربعاً وان صلى في بيته صلى ركعتين. انتهى ملخصاً

« الثانية في سنن الخطبة »

قال الامام النووي في الروضة في سنن الخطبة : منها أن تكون على منبر . والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الامام . ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين اذا لم يكن المسجد متسع الخطبة، فان لم يكن منبر خطب على موضع مرتفع، ومنها أن يسلم على من عند المنبر اذا انتهى اليه . ومنها اذا بلغ في صعوده الدرجة التي تلي موضع القعود أقبل على الناس بوجهه وسلم عليهم . ومنها أن يجلس بعد السلام . ومنها انه اذا جلس اشتغل المؤذن بالاذان، ويدعى الجلوس الى فراغ المؤذن. ومنها أن تكون الخطبة بليغة غير مؤلفة من الكلمات المبتذلة ولا من الكلمات

الوحشية بل قريية من الافهام . ومنها أن لا يطولها ولا يمحقها بل تكون متوسطة .
ومنها أن يستدبر القبلة ويستقبل الناس في خطبتيه ولا يلتفت يمينا ولا شمالا .
ومنها انه يستحب أن يكون جلوسه بين الخطبتين قدر سورة الاخلاص . ومنها أن
يعتمد على عصا أو نحوه . ومنها أنه ينبغي للقوم أن يقبلوا على الخطيب مستمعين
لا يشتغلون بشيء آخر ، حتى يكره الشرب للتلذذ ولا بأس به للعطش لا للخطيب
ولا للقوم . ومنها أن يأخذ في النزول بعد الفراغ ويأخذ المؤذن في الإقامة ويتمدد
ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم . اهـ

« الثالثة فيما يكره في الخطبة وفروع أخرى »

قال الامام النووي رحمه الله في الروضة . يكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة
منها التفاتهم في الخطبة الثانية . والدق على درج المنبر في صعوده . والدعاء اذا
اتهى صعوده قبل أن يجلس ، ومنها مباغتهم في الاسراع في الخطبة الثانية .
ويستحب اذا كان المنبر واسعا أن يقوم على يمينه ، ويكره للخطيب أن يشير
بيده . ويستحب أن يحتم الخطبة بقوله : أستغفر الله لي ولكم . وذكر بعضهم
انه يستحب للخطيب اذا وصل المنبر أن يصلي تحية المسجد ثم يصعد ، وهو قول
غريب وشاذ مردود . فانه خلاف ظاهر المنقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، ولو أغني عن الخطيب فهل يبني غيره على خطبته
أو يستأنفها ؟ قولان . اهـ ملخصا

ويكره أن يتخطى المصلي رقاب الناس لما فيه من سوء الادب والاذى .
ويحرم الكلام في الخطبتين والامام بخطب . وله الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سمعها ، ويسن سرا ، ويجوز تأمينه على الدعاء . ورفع الصوت قدام بعض
الخطباء مكروه اتفاقا . كذا في الاقناع^(١)

(١) المنار : لأهل هذا العصر بدع ومنكرات أخرى كثيرة قبل الخطبة
وبعدها وفي أثنائها ، بعضها من البدع الحقيقية وبعضها من الاضافية ، فمنها التزام
ذكر الخطباء الملوك والسلاطين في الخطبة الثانية بالتعظيم ورفع المؤذنين أصواتهم
بالدعاء لهم وإطاعتهم في ذلك والخطيب مسترسل في خطبته وفي ذلك عدة منكرات =

[المنار: ج ٧ م ١٨] تعدد الجمعة وسنن يوعها . فواتح الخطب النبوية ٥٥٩

الرابعة (حكم تعدد الجمعة)

الحاجة في هذه البلاد في هذه الاوقات تدعو الى أكثر من جمعة اذ ليس للناس جامع واحد يسعهم ولا يمكنهم جمعة واحدة أصلاً الا أن خروجها الى حد أن لا فرق بينها وبين بقية الصلوات في كثير من المساجد الصغيرة التي لم تشيد لمثلها قد هول فيه السبكي في فتاويه لانه مما تأباه مشروعيها وما مضى عليه عمل القرون الثلاثة بل وتسميتها جمعة فان صيغة فُعْلة في اللغة للمبالغة وبالجمل فالجوامع الكبار التي تؤمها الافواج يوم الجمعة، ويحتاج لاقامتها فيها حاجة بينة لمجاورتها ، هي التي لاخلاف في جوازها مهما تعددت ، والتي لاتعاد الظهر بعدها ، كما أشار له العلامة البجيرمي رحمه الله تعالى . وقد بسطناه في كتابنا [اصلاح المساجد من البدع والعوائد]

الخامسة مايسن يوم الجمعة

يسن تنظيف يوم الجمعة وتطيب ولبس أحسن الثياب واكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لذكر الرحمة بعثته ، والفضل بهدايته ، والمنة باقتفاء هديه وسنته ، والصلاح الاعظم برسائله ، والجهاد للحق بسيرته ، ومكارم الاخلاق بحكمته ، وسعادة الدارين بدعوته ، صلى الله عليه وعلى آله ما ذاق عارف سر شريعته ، وأشرق ضياء الحق على بصيرته ، فساعد في دنياه وآخرته ، آمين

﴿ طلائع الخطب النبوية ﴾

١

ان الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله — رواه الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس = مبتدعة، ومنها ان بعض الحاضرين يقومون في أثناء الخطبة الثانية فيصلون ، ومنها الدعاء برفع الايدي بين الخطبتين والاستمرار على ذلك بعد شروع الخطيب في الخطبة الثانية ، ومنها صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله أو أسماء بعض الصالحين ، ومنها المصافحة عقب السلام من الصلاة — الى غير ذلك

٢

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفي الى أمر الله — رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس —

٣

ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . يا أيها الذين آمنوا (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) - رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن مسعود —

السيد محمد شفيع آل رضا

في ضحوة يوم الاثنين أول أيام العشر الاخير من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٣ هجرية قمرية - وأواخر العشر الأول من شهر الصيف الأول (الدرجة التاسعة من برج الاسد) سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية - الموافق لليوم الثاني من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ مسيحية - وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أطلق عليه اسم (محمد شفيع) ولد محمد شفيع تام البنية ، ممتلئ الجسم ، أبيض اللون مشوبا بصفرة كما هي العادة ، أحمر الشعر ، اسود العينين الى زرقاة بارز الجبهة ، طويل القرة ، رافعا أصبعه السبابة ، ولم يلبث أن رضعها ، ولم يتقضى الاسبوع الاول الا وقد تبدلت الصفرة حمرة فصار أزهر اللون ،

فالله أسأل أن ينبتة نباتا حسنا ، ويوفقنا لتربيته تربية صالحة ، ويجعله قرة عين لوالديه وآل بيته وأمه ، ويستجيب لنا به وبغيره ، ما دعواته وتدعوه به من أدعية كتابه (ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

المعراج
١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ شوال ١٣٣٣ — ١٧ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٠ سبتمبر ١٩١٥

حال المسلمين مع غيرهم في العصر الاول

ان حالة الامم الاجتماعية والسياسية والادبية لها شأن كبير في تطبيق الاحكام على الوقائع وهو ما يسميه علماء الاصول « تحقيق المناط » ومن عرف التاريخ وفقه قواعد علم الاجتماع منه فانه هو الذي يفقه سبب اعراض الفقهاء والحكام عن قبول شهادة غير المسلمين عليهم . وأحق ما يجب فقحه من تلك القواعد أربع ينبغي التأمل فيها بعين العقل والانصاف

(أحدها) ما كان عليه المسلمون في القرون الاولى للاسلام من الاستمساك بعروة الحق ، وإقامة ميزان العدل ، وعدم المحاباة والتفرقة في ذلك بين مؤمن وكافر ، وقريب وبعيد ، وصديق وعدو ،

(ثانيها) ما كانت عليه جميع الامم التي فتحوا بلادها ، وأقاموا شريعتهم فيها ، من ضعف وازع الدين ، وفساد الاخلاق والآداب ، وقد قرر ذلك مؤرخو الإفرنج وغيرهم وجعلوه أول الاسباب الاجتماعية لسرعة الفتح الاسلامي في الخلفين

(ثالثها) ما جرى عليه الفاتحون من المسلمين من المبالغة في التوسعة على أهل ذمتهم في الاستقلال الديني والمدني ، اذ كانوا يسمحون لهم بأن يتحاكوا الى رؤسائهم في الامور الشخصية وغيرها — فكان من المعقول مع هذا أن لا يشهدوهم على قضايا

[المنار : ج ٨ م ١٨] نسبة ما ينكر على المسلمين الى القرآن وهو فوق الجميع ٥٨٣

أنفسهم الخاصة ، وان يمنعهم نظرم الى ما بينهما من التفاوت في الاحوال الدينية والادبية التي أشرنا اليها آنفاً من قبول شهادتهم على أنفسهم ، مع عدم ثقتهم بتدينهم وعدالتهم

(رابعها) تأثير عزة السلطان وعهد الفتح الذي كانت الاحكام فيه أشبه بما يسمونه الآن بالاحكام العسكرية . واعتبر ذلك بأحكام دول الافرنج في أيام الحرب ، بل في المستعمرات التي طال عليها عهد الفتح أو ما يشبه الفتح ، يتبين لك ان أشد أحكام فقهاء المسلمين وحكامهم على غيرهم هي أقرب الى العدل والرحمة من أحكام أرقى أم المدنية من دولهم

وقد علم من حال البشر ان الغالب قلما يرى شيئاً من فضائل المغلوب وان كثرت ، فكيف يرجى ان يرى قليلها الضئيل الخفي ؟ والجماعات الكبيرة والصغيرة كالأفراد في نظر كل الى نفسه وإلى أبناء جنسه بعين الرضا وإلى مخالفه بعين السخط . مثال ذلك ان امرأة من فضليات نساء سويسرة دينا وأدبا وعلماً راقبت أحوال الاستاذ الامام وسيرته مدة طويلة اذ كان يختلف الى مدرسة (جنيف) لتلقي آداب اللغة الفرنسية ، وكلمته مراراً في مسائل من علم الاخلاق والتربية — وكانت بارعة ومصنفة فيهما — فأعجبها رأيه ، كما أعجبها فضله وهديه ، ثم قالت له بعد ذلك : إنني لم أكن أظن قبل ان عرفتك ان القداسة توجد في غير المسيحيين

فمن تأمل ما ذكر تجلت له الاسباب المعنوية والاجتماعية التي صدرت الاحكام والفقهاء عن قبول شهادة غير المسلم على المسلم ، وتعجب من سعة أحكام القرآن ، التي يتوهم الجاهلون انها ضد ما هي عليه من الاطلاق وموافقة كل زمان ومكان ، فتراهم ينسبون الى القرآن كل ما ينكرونه على المسلمين من آرائهم وأعمالهم وأحكامهم بالحق أو بالباطل ، ولو كان المسلمون عاملين بالقرآن كما يجب لما أنكر عليهم أحد ، بل لاتبههم الناس في هديهم ، كما اتبعوا سلفهم من قبلهم ، بل لكانوا أشد اتباعاً لهم ، بما يظهر لهم من موافقة هدايته لهذا الزمان ، وموافقتها لأرقى ما وصل اليه من نظام وأحكام ، وهذا من أجل معجزاته التي تتجدد بتجدد الازمان .

﴿ إعراب الآية الثانية الذي اضطرب فيه النحاة ﴾

قد تبين مما فصلناه ان الذين عدوا الآيتين في غاية الصعوبة لخالفه مذاهبهم لها مخطئون ، وان الواجب رد المذاهب اليهما لا تأويلهما لتوافقا المذاهب ، وأما الذين استشكلوا اعراب جملة من الآية الثانية ، وعدوا لاجلها الآية أو الآيات في غاية الصعوبة — فانما أوقعهم في ذلك احتمال التركيب لعدة وجوه من الاعراب ، بما فيها من تعدد القراءات ، مع اعتيادهم تقديم الاعراب على المعنى وجعله هو المبين له ، وقد استحسننا بعد ايضاح تفسير الآيات بما تقدم ان نذكر ملخص ما قيل في إعراب تلك الجملة قلا عن (روح البيان) الذي يلتزم بتحقيق المباحث النحوية في جميع الآيات ، عسى ان يستغني القارئ به عن مراجعة تفسير آخر . ونبدأ بجواب الشرط لانه مبدأ ما استشكلوه من الاعراب . قال المؤلف رحمه الله تعالى :

(فأخران) أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يقومان مقامهما) والفاء جزائية وهي احدى مسوغات الابتداء بالنكرة ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وصفته وهو قوله سبحانه (من الذين استحق عليهما الاوليان) وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران ، وجملة يقومان صفته والجار والمجرور صفة أخرى . وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير يقومان وقيل هو فاعل فعل محذوف أي : فليشهد آخران . وما بعده صفة له . وقيل مبتدأ خبره الجار والمجرور والجملة الفعلية صفته وضمير مقامهما في جميع هذه الالوجه مستحق للذين استحقا ، وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي توليهاها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف . واستحق بالبناء للفاعل على قراءة عاصم في رواية حفص عنه وبها قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم ، وفاعله «الاوليان» والمراد من الموصول أهل الميت ، ومن الاوليين الاقربان اليه الوارثان له الاحقاق بالشهادة لقربهما واطلاعهما ، وهما في الحقيقة الآخران القائم مقام الذين استحقا ائما ، الا أنه أقيم المظهر مقام ضميرها للتنبيه على وصفهما بهذا الوصف ، ومفعول استحق محذوف

واختلفوا في تقديره فقدره الزمخشري أن يجردوها للقياس بالشهادة ليظهروا بهما كذب الكاذبين، وقدره أبو البقاء وصيتها . وقدره ابن عطية ما لهم وتركهم، وقال الامام : ان المراد بالاوليان الوصيان اللذان ظهرت خيانتها وسبب أولويتها أن الميت عينها للوصية . فمضى «استحق عليهم الاوليان» خان في ما لهم وجنى عليهم الوصيان اللذان عثر على خيانتهم، وعلى هذا لا ضرورة الى القول بحذف المفعول، وقرأ الجمهور «استحق عليهم الاوليان» ببناء استحق للمفعول واختلفوا في مرجع ضميره والاكترون انه الاثم والمراد من الموصول الورثة لان استحقاق الاثم عليهم كناية عن الجناية عليهم، ولا شك ان الذين جنى عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة، وقيل انه الايصاء، وقيل الوصية لتأويلها بما ذكر . وقيل المثل . وقيل ان الفعل مسند الى الجار والمجرور، وكذا اختلفوا في توجيه رفع الاوليان فقيل انه مبتدأ خبره «آخران» أي الاوليان بأمر الميت آخران، وقيل بالعكس، واعترض بأن فيه الإخبار عن النكرة بالمعرفة وهو مما اتفق على منعه في مثله، وقيل خبر مبتدأ مقدر أي هما الآخران على الاستئناف البياني، وقيل بدل من آخران، وقيل عطف بيان عليه، ويلزمه عدم اتفاق البيان والمبين في التعريف والتكثير مع أنهم شرطوه فيه حتى من جوز تنكيره، نعم نقل عن نزر عدم الاشتراط، وقيل هو بدل من فاعل يقومان وكون المبدل منه في حكم الطرح ليس من كل الوجوه حتى يلزم خلوتك الجملة الواقعة خبراً أو صفة عن الضمير على انه لو طرح وقام هذا مقامه كان من وضع الظاهر موضع الضمير فيكون رابطاً، وقيل هو صفة آخران، وفيه وصف النكرة بالمعرفة والاخضش أجازها هنا لأن النكرة بالوصف قربت من المعرفة، قيل وهذا على عكس . واقد أمر على التثنية يسبني « فانه يؤول فيه المعرفة بالنكرة . وهذا أول فيه النكرة بالمعرفة أو جعلت في حكمها للوصف، ويمكن — كما قال بعض المحققين — أن يكون منه بأن يجعل الاوليان لعدم تعيينهما كالنكرة، وعن أبي علي الفارسي انه نائب فاعل «استحق» والمراد على هذا استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة كما قال الزمخشري، أو اثم الاوليين كما قيل . وهو تثنية الاولى قلبت ألفه ياء عندها، وفي على في «عليهم» أوجه الاول انها على بابها، والثاني انها بمعنى في، والثالث انها بمعنى من . وفسر استحق بطلب الحق

وبحق وغلب . وقرأ يعقوب وخلف وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه «استحق عليهم الاولين» ببناء استحق للمفعول والاولين جمع أول المقابل للآخر وهو مجرور على انه صفة الذين أو بدل منه أو من ضمير عليهم أو منصوب على المدح . ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة وقيل التقدم في الذكر لدخولهم في (يا أيها الذين آمنوا) وقرأ الحسن «الاولان» بالرفع وهو كما قدمنا في الاوليان، وقرأ «الاولين» بالثنية والنصب، وقرأ ابن سيرين «الاولين» بياءين ثنية أولى منصوبا وقرأ «الاولين» بسكون الواو وفتح اللام جمع أولى كأولين واعراب ذلك ظاهر

البرهان

على

خروج تارك الصلاة وموانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد

الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٢

يزيدك بيانا لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة »^(١) ولا يحتاج بمده الى شرح وبيان،

(١) المنار : رواه مسلم عن جابر بن عبد الله عن طريق أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس وهو ثقة عند الجمهور رووا له الا البخاري فانه لم يرو له الا متابعة . وكان ابن حزم يرد من حديثه ما يقول فيه : عن جابر ، لأنه مدلس . وهنا صرح بسماعه منه . وطعن فيه شعبة ونهى عن الكتابة عنه قال لأنه لا يحسن بصلي ، ولكونه سيء صلاته . بل قال انه كذب على رجل واعتذر عن ذلك بأنه أغضبه . واحتج =

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين • الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون)
تراه في هذه الآية جعل الصلاة يستعان بها ، ولم يذكر ما يستعان
عائيه ، ليشمل كل الامور الدينية والدنيوية ، وذلك — كما بينا قريبا — أنها
تشغل النفس بذكر الله تعالى فتصقها كصقل الجلاء للمرأة ، فيرى صاحبها
بقربه من ربه ما لا يراه صديقه النفس ، فتقوى فيه الروحانية ، والمرء

= على الشافعي بحديثه فغضب وقال : أبو الزبير يحتاج الى دعامة . وقال أبو زرعة وأبو حاتم
لا يصحج به . ورواه أيضا من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع وقد روى له الجماعة الا
أن البخاري لم يرو له في الصحيح الامقرونا بغيره ، وقال سفيان بن عيينة : حديثه
عن جابر إنما هو صحيفة . أي لم يسمع منه مع أنه صرح بالسماع في رواية مسلم . وقال
ابن معين فيه : لا شيء . وقال ابن المديني . كانوا يضعفونه .

أما لفظ الحديث من الطريق الاول فهو « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر
ترك الصلاة » ومن الطريق الثاني « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »
قال النووي في شرحه : هكذا هو في جميع الاصول من صحيح مسلم — الشرك
والكفر بالواو — وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الاصبهاني — أو الكفر
باو . ولكل منهما وجه . ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة — ان الذي يمنع
من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل . ثم ان الشرك
والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص
الشرك بعبد الاوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ،
فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم . وذكر قبل ذلك أن الجمهور من السلف
والخلف لا يقولون بكفر ترك الصلاة الا اذا جحد وجوبها ، وحملوا مثل هذا الحديث
على ما رأيت في تفسيره له من كون تركها قد يفضي الى الكفر أو اذا كان جاحدا .
وقال بعض السلف بكفره وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه وعن عبد الله بن
المبارك واسحق بن راهويه ، قال النووي : وهو رواية عن أحمد ، ووجه لبعض أصحاب
الشافعي ، وسياتي جمعنا بين الاقوال

متى قويت روحه ، قويت إرادته واشتدت عزيمته ، فتسهل أمامه كل صعوبة ، ويفوز في كل عمل تطالبه الحياة ، وهذا كله هو حظ الشارع الحكيم ، ممن يخضع لأمره ، ويؤمن بشوابه وعقابه

وقد أفاد جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم سلاقو ربهم) الآية ان الصلاة إنما تكبر وتثقل على من لم يؤمن بالآخرة ، ومن لم يصدق بملاقاة ربه وجزائه ، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحده

وما هنا نكتة بليغة في قوله (يظنون) فإنه لم يقل « يوقنون » لينيد أن الظن — وإن كان لا يعني من الحق شيئا — يكفي حاملا للمرء على العمل احتياطا ، ما دام يرجح عنده أنه سيرجع الى الله فيحاسبه ويجازيه . فكأنه تعالى يقول : إن من يعتقد اعتقاد ظن ورجحان^(١) لم يصل فيه الى درجة اليقين بالبرهان ، انه سيلاقي ربه فيحاسبه ويجازيه ، لم تثقل عليه الصلاة ولا تشق ، بل يقيمها بنشاط على خشوع وراحة

وهذا مبني على سنة الله تعالى في النفس ، متى ترجح عندها الاجر والمنفعة في العمل نشطت اليه ، وهشت له ، وإن كان سخرة أو ضرا ، كبر عليها ، وجزعت منه . واذا كان ذلك حال الظان — لا يترك الصلاة ولا تثقل عليه اقامتها ، بل يحافظ عليها ، ويرتاح بها — فما بالك بالموقن هل يترك الصلاة ، أو يثقل عليه شيء منها ؟ أم ينتظر أوقاتها ، ويقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » ؟

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام (وهذا كتاب أنزلناه مبارك

(١) الظن الاعتقاد الراجح ، ولا يشترط فيه تصور مقابل مرجوح

مصدق الذي بين يديه ، ولتندرام القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)

جعل سبحانه المحافظة على الصلوات شأنا من شؤون أهل الإيمان
بالآخرة وبالقرآن ، وجعل هذا الإيمان داعيا اليها ، وباعثا عليها ، وذلك
أن قوله « وهم على صلاتهم يحافظون » يفيد أن الذي يؤمن باليوم الآخر
ويصدق بأن فيه الجزاء الأوفى — الطيب للطيب ، والخبيث للخبيث ،
لا بد أن يصدق بالقرآن ، ولا بد أن يكون على تلك الحالة ، ومتصفا
بتلك الصفة — المحافظة على الصلاة

واختيار التعبير بالفعل « يحافظون » على الوصف « يحافظون » يدل
على الدوام والاستمرار . أي أنه لا ينفك عنها في وقت من الأوقات .
والآية وما قبلها نص في أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن ،
والإيمان به يستلزم إقامة الصلاة ، ومفهومه أن من لم يحافظ عليها كافر ،
وعلى هذا يكون القرآن قد بين أن الصلاة هي الفارق بين المؤمن والكافر .
ويجلي لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »
رواه مسلم وأبو داود والترمذي ، وفي رواية « بين العبد وبين الكفر ترك
الصلاة » وقوله (ص) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »
رواه الترمذي والنسائي وصححه ، فتأمل هذه التصريحات في هذه الأحاديث ،
وانظر التحقيق من النبي (ص) بلفظة « فقد كفر » وكلها في معنى الآيات
التي سمعت

وأزيدك أن النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط
عمله » رواه البخاري والنسائي ، ومن المعلوم في الشرع أن الذي يحبط

عمله هو الكافر، قال تعالى في سورة المائدة (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) فإذا كان تارك العصر كافراً، فما ظنك بتارك جميع الصلوات؟ ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلموا، قالوا: اسمع لنا في أن ندع الصلاة، وألا نكسر أصنامنا بأيدينا. فقال صلى الله عليه وسلم «أما كسر أصنامكم بأيديكم فقد عفوناكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» وأبى صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الإسلام إلا بالصلاة، وأنت ترى أن في قوله «لا خير في دين لا صلاة فيه» أن تارك الصلاة لا يعتد بتدينه - وعلى هذا قد درج الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق^(١) أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفراً إلا الصلاة؛ وذلك لما قدمنا من أن الصلاة أصل، فالمحافظة عليها تستلزم المحافظة على كل الدين

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. رواه مالك وغيره.

س إن ما تقدم من الأدلة كله صريح في أن تارك الصلاة غير مسلم مطلقاً، ولا أراني أشك بعد في ذلك، إذا ما معني قول بعضهم: من

(١) المنار: قد كان عبد الله هذا ناصبياً يفيض عليه السلام وقد صبح الحديث عن مسلم أنه لا يحبب إلا مؤمن ولا يغيظه إلا منافق. فآخذ الكاتب بظواهر مثل هذا الحديث يقتضي ألا يحتج بما يرويه عبد الله بن شقيق ولا يعتد بإيمانه، وما تقدم عن النووي يفيد أن جمهور الصحابة لا يعدون مجرد ترك الصلاة كفراً بمعنى الردة عن الإسلام، وحسب التارك لها أنهم اختلفوا في إيمانه، وسيأتي الجمع بين الأقوال في ذلك.

تركها كسلا لا يكفر . وما معنى التفريق بين من يتركها بكسل أو غيره؟
ج لا معنى لذلك الا مخالفة النصوص الصريحة ، وعدم تدبر القرآن
والسنة الصحيحة^(١) وما دمنا نقول كما قال القرآن : ان المحافظة
على الصلوات من شأن المؤمنين ، ومن صفاته الملازمة له ، فالجرد منها ،
المتخلي عنها ، غير مؤمن ضرورة ، لكونه عري من صفة الإيمان الفعلية.
على أن الله سبحانه قد صرح بأن الكسل في الصلاة من شأن المنافقين
وصفاتهم ، فقال عز شأنه في سورة النساء (ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)

وليس المنافقون بأقل من الكافرين ، قال تعالى في سورة براءة
(ان المنافقين هم الفاسقون — أي الخارجون عن الدين — وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
ولهم عذاب مقيم)

قرن الله تعالى في هذه الآية المنافقين مع الكافرين ، ووعد الجميع
معاً الخلود في جهنم والعذاب الدائم ، بل قد حطهم عنهم فقال في سورة
النساء (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً)
الى هنا انتهينا من أدلة الصلاة وحدها

فاليك ما جاء في الزكاة أختها

قال الله تعالى في سورة فصلت (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ أنما
إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فتأمل كيف جعل منع الزكاة من صفات

(١) المنار: هذا تهور عظيم والصواب أن سببه تعارض النصوص كما سنبينه بعد

المشركين وشأنهم ، وإنما كان منعها من شأن المشرك بربه لأنه يؤثر المال على حبه ، وقد قرن منع الزكاة بالكفر بالآخرة ، لأنهم لو كانوا واثقين بخبر الله ، ومؤمنين بجزائه ، لأنفقوا من مالهم رغبة في ثوابه ، وخوفا من الكيِّ بناره . قال تعالى (يوم يحسب عابها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (وقال) جل ثناؤه في سورة آل عمران (لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون) علق نيل البر على الاتفاق مما يجب ، فمن لم ينفق مما يجب ، لا حظ له من البر ، والبر نعيم الله ورضوانه . فمانع الزكاة — وهي أول مقصود بالاتفاق — محروم من نعيم الله ورضوانه كافر^(١)

ولعلك تلاحظ الحكمة في تقييده الاتفاق بأن يكون المنفق منه محبوبا عند المنفق ، إذ المرء لو أثنى لله ما يكره ، لا يكون اتفاقه له بسبب حبه إياه ، بل يعتبر غرما ومظلمة ، أو شيئا كريها رغب الخلاص منه بهذه الطريقة رياء ، أما لو أثنى من شيء محبوب له ، يكون حبه الله قد رجح في نفسه على حبه المال ، فدعاه الى بذل المال على حبه إياه ، وهناك يظهر الفضل بالتوحيد والاخلاص

(وقال) تعالى في سورة الأعراف (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) بين أن رحمته واسعة ، ولكنها لا تكتب لكل الناس ، بل كتابها وإيجابها خاص بالاتقياء المعطين الزكاة ، فالذي يمنع الزكاة ، تمنع كتابة الرحمة له ، فلا يكون له حظ فيها ، بل يكون بعيداً عنها ، ومحروماً منها (لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على ذلك فالعمل بها يتم بما دون الزكاة الشرعية

مَدِينَةُ

دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنْتِشَادِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٠

سموم الميكروبات

نحدث بنمو كل نوع من الميكروبات مواد عديدة في السائل الذي تربى فيه. ومن أضرها مواد زلالية ومواد آزوتية تشبه المواد الآزوتية النباتية المسماة [Alkaloids] أي الشبيهة بالقلوية كمادة الاستر كنين، وهي مواد تفتك بالاحياء فتكاد خريعا مهما تكن قليلة. وهذه المواد تتولد بطريقتين: الاولى أنها تتولد في نفس جسم الميكروب ثم تخرج منه شيئا فشيئا، والثانية أنها تتولد في السائل نفسه وذلك بافراز الميكروب مادة (خميرة) تشبه الخمائر - المذكورة في الجزء الاول - وهذه الخميرة لها تأثير كباوي مخصوص في المواد المحيطة بها، فتحدث فيها تركيبا وتحليلا ينشأ منه مواد متنوعة ومن الميكروبات ما يبقى جل سمه في جسمه ولا يخرج الا اذا استخلص منه ببعض الطرق العلمية، وذلك مثل ميكروب الطاعون والسكوليرا والحمى التيفودية، ويسمى مثل هذا السم « بالسم الكامن » [Endotoxin] وفي الجسم المريض تنحل بعض هذه الميكروبات فتخرج منها سمومها وتسري فيه فتحدث المرض ومن المواد التي تتولد في السائل الذي يربى فيه الميكروب ما يقتل الميكروب نفسه، فانه قد تولد حامض الفنيك أو الغول (الكحول) أو الخل الى غير ذلك من المواد التي تستعمل مطهرات لقتل الميكروبات

الميكروبات والبيئة

تنقسم الميكروبات - باعتبار ما تعيش فيه - الى ثلاثة أقسام: فمنها ما لا ينمو عادة الا في الحي^(١) ومنها ما لا ينمو الا في الميت، ومنها ما يمكنه أن ينمو في الاثنين (١) هذا لا ينافي أن كثيرا يمكن تربيته تربية صناعية على أشياء غير حية كالرق - كما تقدم -

معاً، فمثال الاول ميكروب الحى الراجعة ، ومثال الثانى بعض ميكروبات الحى النفاسية وهي التي تعيش في الدم والسوائل المنتنة التي تتخلف أحيانا في الرحم عقب الولادة

ومن هذا النوع الميكروبات التي تحدث تحليل جثث الموتى والتي تفسد اللبن فيخثر ، ومنها ما يحول البولينا الى كربونات النوشاد والخر الى خل . وهذه الميكروبات فائدة كبرى في العالم فانها تحول الاجسام المركبة الى بسائط فتعود الى عالمي الحيوان والنبات فينتفعان بها. ولذلك وجد العلماء طريقة عظيمة لتحليل المواد البرازية ، فانها تلقى في مستودعات مخصوصة فيتسلط عليها في اولها الميكروبات التي لا تنمو في الاكسجين ، وفي الثانية الميكروبات التي تنمو فيه ، فبذلك تتحلل جميع المواد البرازية وتستحيل الى ماء وغاز ثاني أكسيد الفحم وأملاح النترات وهذه الاشياء كلها صالحة للنبات فيسقى بها الزرع وفيه تتحول مرة أخرى الى مواد مضاعفة التركيب ضرورية للحيوان والنبات، فكان نظام هذا العالم موقوف على عمل الميكروبات والنبات ، ولولاها لفسد وبطل

فالنباتات الدنيئة (البكتيريا) تركب قليلا وتحلل كثيرا ، والنباتات الكبيرة تركب كثيرا وتحلل قليلا كتحلليها بعض غازات الهواء، فعلى النبات مدار الحياة ومثال الميكروب الذي يعيش عادة في الحى والميت باسيل التيتانوس، وكذلك باسيل الدفثيريا (والتي منها الخناق) فان هذين الميكروبين يعيشان كثيرا في الطين، وقد ينتقلان منه الى الانسان ، الا ان ميكروب التيتانوس لا يعيش في جسم الانسان بعد ظهور أعراض هذا المرض الا قليلا . ومن طرق وصول ميكروب الدفثيريا الى الانسان أنه يكون مختلطا بالطين فاذا زادت المياه التي في جوف الارض كما يحصل عند فيضان الانهار ضغطت على الهواء الموجود خلال الطين فيندفع منها الى جوف المدن حاملا لهذا الميكروب الخبيث فيصاب كثيرون بهذا المرض

والميكروبات لا تموت مالم يقتلها شيء ، وأكثرها مقاومة للطوارئ ما كان له حبيبات ، وهذه الحبيبات نفسها تعيش مدة طويلة من الشهور أو السنين حتى في الاحوال غير المناسبة للحياة كالجفاف والبرد . ولاعجب في ذلك ، فقد عرف

أن بعض حبوب النباتات الكبيرة عاش نحو مئة سنة ولا يعلم بالتحقيق أن الحبوب يمكنها أن تعيش (أعني تبقى حية) أكثر من ذلك وما قيل من أن حبوب بعض الهياكل أو القبور القديمة نبت بعد ألوف من السنين فهو كذب محض، وقد ثبت أن حبوب القمح تعيش نحو سبع سنين على الأكثر، وعليه فالقمح الذي خزنه المصريون في زمن يوسف عليه السلام كان يمكن انباته في نهاية السنة السابعة. وأكثر الميكروبات التي لاحيات لها تقتل عادة بحرارة ٦٥ سنتغراد في نحو نصف ساعة

وميكروبات التعفن تقتل الميكروبات المرضية عادة، وهذه الميكروبات التعفننية تكون في الغالب من النوع الباسيلي (المستطيل) فإذا أصيب انسان بالتسمم الصديدي الناشئ على الأكثر من البذور السلسلية ومات فأراد طبيب أن يشرح جسمه عقب الوفاة مباشرة كان من أشد الخطر على هذا الطبيب أن يجرح ويتلفح جسمه بشيء من الجثة، وأما اذا تركت هذه الجثة زمنا حتى تتعفن فان ميكروبات المرض التي فيها تقتلها ميكروبات التعفن شيئا فشيئا حتى تزول من الجثة، وحينئذ لا يكون في تشريحها خطر على حياة الطبيب

أبواب دخول الميكروبات الى الجسم

لدخول الميكروبات في الجسم أبواب عديدة، وهي الرئتان (لمثل ميكروب الحمى القرمزية) والجهاز الهضمي (لمثل ميكروب الحمى التيفودية) والجلد (لمثل الزهري) والاعشية المخاطية كاعشية التناسل أو العين وغيرها (لمثل السيلان والدفتيريا)

ولا يشترط أن يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة، فقد يدخل الميكروب من الاماكن ذات الجلد الرقيقة أو من مسامها، ولكن الجرح أو السحج مما يسهل دخوله كثيرا كما هو ظاهر

فإذا دخل الميكروب الجسم من هذه المنافذ فمنا ما يبقى في مكان دخوله، ومنه ما يصل الى الدم أو المادة اللعناوية ويدور معها حيث دارت، وفي كلتا الحالتين يولد الميكروب سمعا زعافا وهو الذي يقتل الحيوانات ويحدث فيها جميع الحيات،

٥٩٦ زمن التفريخ . امارات اختصاص الميكروب بمرض ما [المنار : ج ٨ م ١٨]

الا ان بعض هذه الميكروبات يحدث امراضا ليست الحمى شرطاً فيها، مثل مرض (الكزاز)
فمثال ما يدور في الدم ميكروب (التسمم الصيدي وميكروب الحمى الراجعة)
ومثال الذي لا يدور في الدم (التيانوس والدفتيريا) فان ميكروبهما يبقى على الاكثر
في مكان التلقيح الا انه بعد الموت قد ينفذ الى جميع اجزاء الجثة ، واذا نفذ الى
الدم في أثناء الحياة التهمت كريات الدم البيضاء أو بقي في بعض الاعضاء التي
تعتقله فيها وتقتله غالباً بخلاياها ، كالسكب والطحال

زمن التفريخ

اذا دخل الجسم أي نوع من الميكروبات لا يحدث المرض فيه في الحال ،
بل لا بد من أن يمكث زمناً يتراوح بين يوم أو عدة أسابيع أو عدة سنين (كافي
داء الكلب والجذام) فانهما أطول الامراض مدة^(١) وفي هذا الزمن يتكاثر الميكروب
في الجسم ويحمل عليه بسمومه فاذا بلغت درجة مخصوصة ابتداء المرض في الظهور .
فن الناس من يختلط مثلاً بمصاب بالجدري ولا يظهر فيه المرض إلا بعد نحو ١٢
يوماً عادة . وهذا الزمن يختلف باختلاف الامراض فان لكل منها زمناً مخصوصاً ،
ويسمى هذا الزمن بزمن التفريخ أو الحضانة

وقد عرفت ميكروبات كثير من الامراض ، ولبعضها ميكروبات لم تعرف
الى الآن (كالحصبة) فان الدلائل تدل على أن لها ميكروبا لم يكتشف الى الآن
وهذه الامراض التي عرفت ميكروباتها منها ماله ميكروب مخصوص كمرض
الدرن ومرض الحمى التيفودية . ومنها ما يشترك فيه عدة ميكروبات كمرض (التهاب
الغشاء المبطن للقلب) و (الخراجات) فانهما يحدثان من ميكروبات مختلفة

امارات اختصاص الميكروب المعين بالمرض المعين

يدل على اختصاص بعض الميكروبات ببعض الامراض أمور كثيرة منها :
(١) وجود الميكروب دائماً في هذا المرض (٢) اذا حقن حيوان بهذا الميكروب
وكان مستعداً للمرض حصل له ، ووجد هذا الميكروب الخصوص في جسمه
(١) قد تمتد مدة التفريخ في الجذام الى عشر سنين وفي الكلب الى عشرين

(٣) عدم وجود هذا الميكروب في الجسم السليم ، أو المريض بغير هذا المرض ؛ ويستثنى من ذلك بعض الميكروبات كالزور المزدوجة المسببة للالتهاب الرئوي ، فإنها توجد في فم الصحيح وأنفه ، وتوجد أيضا في غير الالتهاب الرئوي كما في التهاب الشَّغاف (الغشاء المحيط بالقلب الذي يسمونه الآن بالنامور) وكذلك تستثنى مسألة حاملي الامراض التي سنفصلها

مصادر الميكروبات

تتصل الميكروبات بالانسان من عدة جهات (١) الهواء (٢) الشراب (٣) الطعام (٤) التراب (٥) سائر أجسام الاحياء والجمادات كاللابس مثلا ، وسيأتي ان شاء الله في باب الحميات بيان طرق وصول الامراض المختلفة الى الانسان تفصيلا

شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها

ما كل أحد يتصل به ميكروب مرض يصاب بذلك المرض ، بل هناك وقاية للحيوانات من فتك هذه الميكروبات بها دفعة واحدة ، ولولا ذلك لهلكت الاحياء في زمن قصير

وهذه الوقاية (ونسمى أيضا المناعة) منها ما هو فطري (أي يولد بها الانسان) ومنها ما هو مكتسب. أما المناعة الفطرية فقد تكون خاصة بالجنس أو النوع كبعض الامراض فالجدام مثلا خاص بالانسان لا يصيب أي حيوان آخر، وبعض الامراض يصيب بعض الانواع دون بعض ، كالحمى الصفراء فإنها لا تصيب السود الا قليلا، وبعض الامراض تصيب بعض البيوت (الاسر) أو الافراد دون البعض الآخر، وكل ذلك لاسباب لا نعلمها على وجه التحقيق . وخير الوقاية ما كان فطريا: وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأُطم وما بهي الجسم للعدوى التعب والجوع والبرد وكل ما ينهك القوى والادمان على الخمر، إلا أن بعض الاشخاص قد يكونون سليمين من كل عيب ومع ذلك يصابون ببعض الامراض: فمثلا قد نجد أن أسمن الاطفال وأحسنهم صحة يصابون بالقرمزية وتفتك بهم كثيرا. والاطفال الآخرون الضعاف لا يصابون بها أو اذا أصيبوا كانت اصابتهم خفيفة

أما المناعة المكتسبة وما في معناها كالعارضة بسبب يشبه الكسبي فتكون بما يأتي:

(١) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان مرة واحدة حتى جسمه من

الاصابة بهذا المرض مرة أخرى كالزهري والحصبة والجدرى مثلا

(٢) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان حتى جسمه من أمراض أخرى

تغايره بعض المغايرة ، فمنها جُدري البقر إذا أصاب الإنسان أو أُنمَح به حماه من

الجدرى الإنساني، ومنها الحمى الراجعة إذا أصيب بها شخص حمته غالبا من

التيفوس ولكنها لا تحميه من نفسها

(٣) بحقن سم الميكروب أو مصل يستخرج من الحيوانات بطريقة مخصوصة

كما في مرض الدفتيريا مثلا . وبيان ذلك أن يزرع ميكروب الدفتيريا في سائل

(كالرق) ثم يصفى هذا السائل من الميكروب ويحقن حصان بحجز صغير من هذا

السائل المصفى ، ونظرا لوجود سم ميكروب الدفتيريا في السائل المحقون به يصاب

الحصان ببعض أعراض مرضية خفيفة تزول سر بعا كالحمى وورم في مكان الحقن ،

ثم يحقن هذا الحصان بمقدار من السائل أكبر فأ أكبر حتى يصل الحصان الى حالة

لا يتأثر معها بهذا السم المحقون فيه ؛ وعندئذ يتولد في دمه مادة مضادة لسم

الدفتيريا . فاذا أخذ دم هذا الحصان واستخرج مصله كان هذا المصل نافعا لإفساد

سم الدفتيريا، وإذا حقن به الإنسان وقت انتشار هذا المرض حفظه منه لمدة ثلاثة

أسابيع عادة؛ وكذلك اذا حقن به المصاب بالدفتيريا نفعه نفعاً عظيماً وأدى الى شفائه

(٤) حقن ميكروب المرض نفسه ميتا أو بعد اذ اف تأثيره بطرق سيأتي

الكلام عليها في داء الكلب ، وتسمى المادة المحقونة « باللقاح » ومن ذلك حقن

ميكروب التيفود بعد قتله وحقن ميكروب الكلب بعد إضعافه ، وإن كان ميكروب

الكلب الى الآن لم يكتشف بمعنى أنه لم يره أحد ولكننا موقنون بوجوده ، فاذا

لقح الشخص تولدت في جسمه مادة مضادة لهذا الميكروب المحقون، وبذلك لا يكون

له تأثير في احداث المرض . وقد يحقن الميكروب بدون اضعافه ولكن بمقادير قليلة

جدا تزداد تدريجيا

والميكروبات التي تزرع بقصد الحقن منها ما يفرز مما في السائل المزروع فيه،

ومنها ما يكون سمة كامنا في جسمه - كما تقدم - وذلك مثل سم ميكروب الطاعون ولا بد من ملاحظة هذه المسألة قبل الحقن، فإذا أريد حقن حصان لاستخراج مصل منه نافع للطاعون فلا يجوز حقنه بالسائل الذي يربي فيه الميكروب فانه يكاد يكون خاليا من السم اذ لا يخرج منه شيء يذكر من جسم الميكروب، ولذلك يجب أن تستعمل طريقة أخرى للوقاية من الطاعون كأن يحقن الشخص المراد وقايته بنفس السائل بدون تصفيفه بعد قتل ميكروب الطاعون الذي فيه، وذلك بتعريضه مدة ساءة لحرارة درجتها ٦٥° بالمقياس المثني، ولا يصح قتل الميكروب بالغلي فان ذلك يفسد سمة أو يغيره تغييرا يجعله غير صالح لما نريد.

وقد ذهب علماء هذا العلم في تفسير مسألة الوقاية مذاهب عديدة، نذكر هنا أشهرها: -

(١) مذهب القائلين (بنفاد السماد) ومعنى ذلك أنهم يقولون ان في جسم الانسان بعض مواد لازمة لحياة الميكروبات تكون كالسماد لها فاذا أصيب الانسان بمرض ما كالجدري مثلا فقد هذا السماد الضروري لحياة ميكروبه من جسم الانسان ولذلك لا يصاب به عادة مرة أخرى. وهذا التفسير أصبح الآن مردودا عند جمهور العلماء

(٢) مذهب القائلين باحتباس سم الميكروب في جسم الانسان، وذلك أن الانسان اذا أصيب بمرض ما تولد من الميكروب سم يهلك نفس هذا الميكروب ويفسرون بذلك سبب شفائه من المرض، ويقولون ان هذا السم يبقى في جسمه بعد ذلك ويقتل هذا الميكروب الخاص اذا دخل في جسمه مرة أخرى

(٣) مذهب الفرنسيين، وهم يقولون ان الكريات البيضاء في دم الانسان تقتل الميكروبات لا سيما اذا تعودت أكل نوع مخصوص منها فانها تلتهمه بشراهة قوية

(٤) مذهب الألمانين، وهم يقولون: ان الانسان أو الحيوان اذا أصيب بمرض ما أفرزت منسوجات الجسم المختلفة مواد تجري في دمه، وهذه المواد منها ما يهلك الميكروب ومنها ما يفسد سمة، كالإداة المتولدة في مصل الحصان التي ذكرت سابقا للوقاية من الدفتيريا أو لشفائها

والحق شائع بين مذهبي الفرنسيين والالمانيين . وأحسن المذاهب مذهب من يجمع بينهما كذهب بعض علماء الانكليز وغيرهم بأن يقول : ان الانسان اذا أصيب بمرض تولدت في جسمه تلك المواد التي قال بها الألمانيون، وهذه المواد تفسد سم الميكروب أولا وتضعف نفس الميكروب أو تقتله ثانيا حتى تقوى عليه كريات الدم البيضاء فيسهل عليها أن تلتهمه وتهضمه هضمًا

وقد عرف من عهد قريب أنه يوجد في دم الانسان في الحالة الطبيعية مواد تسمى المواد الإدمية [Opsonins] وهذه المواد تؤثر في الميكروبات تأثيراً مخصوصاً حتى تجعلها كأنها طعام لذيذ للكريات البيضاء، ولذلك سميت بهذا الاسم تشبيها لها بالادام

ومقدار هذه المواد يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال، وكلما كثرت كانت البنية أشد مقاومة للميكروبات . وهي تزيد بالحقن باللقاح وبالمرض اذا قاومت البنية أو غلبته

ومدة الوقاية من الامراض تختلف كثيراً ، فاذا أصيب الانسان بالزهري أو الجدري فقل أن يعود اليه هذا المرض طول حياته واذا أصيب بالدفتيريا أو الالتهاب الرئوي فقد يعاوده المرض

ومن الناس من يجتمع في جسمه مرضان أو أكثر كاجتماع الدفتيريا مع الحمى القرمزية. وكانوا يظنون سابقا ان ذلك غير ممكن ولكن الحقيقة ان الجسم اذا أصيب بمرض كان أكثر تعرضاً للامراض الاخرى مما اذا كان سليماً وذلك لضعف قوة المقاومة

ومن الامراض ماتورث إما بنفسها كالزهري وإما بالاستعداد لها كالسل، فاذا كان أب الانسان مثلاً مصاباً بالزهري ولد ابنه مصاباً به أيضاً ، واذا كان مصاباً بالدرن الرئوي (السل) كان ابنه غالباً خالياً من ميكروب هذا الداء ولكن جسمه يكون مستعداً له كل الاستعداد فيصاب به عادة عاجلاً أو آجلاً

حاملو الامراض

اذا أصيب المرء بمرض كالحمى التيفودية أو كان جسمه ممتلئاً عليه لسبب ما

ودخلت الميكروبات في أمعائه فن الجائز أن تعيش في جوفه أشهراً عديدة أو سنين كثيرة ربما بلغت الخمسين بدون أن يشعر بمرض منها ؛ ولكنه يكون خطر على غيره من المستعدين لهذا الداء ، وذلك لان الميكروب يتكاثر في بعض أحشائه كالأمعاء أو المرارة أو الكلى والمثانة ويخرج في برازه أو بوله فيصل الى طعام الآخرين أو شرايهم ويوردوهم موارد الهلاك . ويسمى العلماء أمثال هؤلاء الناس [حاملي الامراض] ومنهم من يتكون عنده حصيات في المرارة بسبب هذه الميكروبات . وبعض الامراض الاخرى حاملون كالدفيريا والكوليرا وغيرها ومن ذلك يعلم أن الحاملين نوعان : (١) الحاملون الاصحاء ، وهم الذين لم يصابوا بالمرض مطلقاً وإنما كمن فيهم ميكروبه من غير أذى و (٢) الحاملون الناقهون ، وهم الذين يوجد فيهم الميكروب في أثناء النقاهة من المرض أو بعدها بمدة مديدة ، ويسمون حينئذ بالحاملين المزمنين

الفطر

نوع من الميكروب له خلايا عديدة وهو أيضا من فصيلة النبات الا انه خال من الكلوروفيل ، ويتركب من خيوط دقيقة جدا مشتبك بعضها ببعض الآخر بغير نظام - وهو الاكثر - كميكروب القرع ، أو بعض نظام - كما في الفطر الشعاعي [Ray - fungus]

وبين هذه الخيوط أو عند مركزها توجد حبيبات كالتى ذكرت في الميكروبات السابقة وهي بزور الفطر ومن الفطر ما يصيب الجلد فيحدث فيه أمراضا متنوعة كالقرع ومنه ما يصيب الفم أو الرئتين وغير ذلك مما سيأتي بيانه في باب الامراض المعدية ونخلو الفطر من الكلوروفيل لا يمكنه تحليل غاز ثاني أكسيد الفحم فهو بذلك يشبه البكتيريا

ضرورة الكلوروفيل والشمس للحياة

إعلم أن الكلوروفيل من أوجب ضروريات الحياة في هذا العالم اذ بوجوده في (المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الثامن عشر)

النبات يمكنه تركيب النشاء الضروري لتكوين مواد أخرى كثيرة مما في النبات وهي ضرورية للحيوانات أيضا ، وذلك بتأثير أشعة الشمس معه في الأجسام . ويحتاج الكلوروفيل لوجود مادة الحديد في الأرض وإن كانت لا تدخل في تركيبه ، بخلاف حمرة الدم فإن الحديد داخل فيها

وإذا تأمل الإنسان في هذا العالم وجد أن الحياة تفاعل في قوى المادة كتفاعل النار تبعاً لسنن مخصوصة ، ومن الصعب أن يضع الإنسان تعريفاً لها جامعاً مانعاً لدخول مثل النار فيه فإنها تشبه الأحياء في احتياجها إلى غذاء (وقود) وتخرج منها أجسام كما تخرج إفرازات الأحياء ، وتنقسم كاتقسامها وتتحرك كحركاتها إلى غير ذلك من الصفات المشتركة إلا أن حركتها لا تدل على شيء من الإرادة كحركة بعض الأحياء (راجع صفحة ٤٢ و ٤٣ من الجزء الأول)

هذا — وكان المتقدمون يرون أن الشمس ضرورية لتكوين الكلوروفيل في النبات ولكن وجد أنه قد يتكون بجملة عالية في الظلام التام ، ومن هذا نرى أن الحرارة أو النار سواء أكانت من الشمس أم من غيرها هي الأصل الأصلي للأحياء قاطبة ويصعب فصل مفهوم أحدهما (الأحياء والنار) عن الأخرى بالدلائل المقنعة

الملائكة

كان القدماء لصغر عقولهم لا يقدرّون على الاعتقاد بأن إلهاً واحداً يمكنه تدبير هذا الكون العظيم كله فلهمذا أشركوا به تعالى غيره فجعلوا لكل شيء إلهاً وكذلك لكل قوة من قوى هذا الوجود حتى جعلوا لبعض أعمال الإنسان آلهة . ومن ذلك ما نراه من أساطير اليونان مثلاً فإن لهم إلهاً للرياح وآخر للحرب وثالثاً للنوم ورابعاً للنار وخامساً للزواج إلى غير ذلك من الآلهة التي تكاد لا تعد . ولكل من هذه الآلهة اسم باليونانية يعرفه العالمون بتلك اللغة

ولما جاءت الرسل إلى الناس كان من أكبر مقاصدهم أن يردوهم عن الشرك إلى التوحيد فأبى أكثرهم ترك ما هم عليه ، ومن آمن منهم صعب عليه أن يترك جميع هذه الآلهة مرة واحدة ، فأخذوا يسمونها بأسماء أخرى ولكنهم بقوا معتقدين بوجودها

وتديرها لهذا الكون العظيم ، ومن ذلك ما نراه في اسرائيليات اليهود فانهم ذهبوا الى أن لكل شيء في هذا العالم ملكا قائما بتديره فقالوا ان للعرض ملكا وكذلك للنار والماء والوحوش والطيور ولسائر الحيوانات وللريح وللرعد وللشجر لكل منها ملك ، وللموت ملكان واحد يقبض أرواح القاطنين بأرض اسرائيل وآخر يقبض أرواح غيرهم من الساكنين في سائر البقاع الاخرى. ولم يكفهم ذلك بل زعموا أن الوباء (الطاعون) اذا انتشر فيهم كان بسبب ملاك يرسله الله تعالى اليهم ؛ ومن ذلك ما روي في سفر صموئيل الثاني (اصحاح ٢٤ : ١٥ - ١٧) ان داود رأى الملاك الذي ضرب بني اسرائيل بالوباء فمات منهم ٧٠ ألف رجل

وقد دخلت هذه الاسرائيليات في الاسلام مع من دخلوا فيه من أهل الكتاب ، وقال المسلمون بملائكة كملائكة اليهود مع أن القرآن الشريف لم يثبت الا وجود القليل منها كما هو معلوم . على أن لنا في فهم معنى كلمة « ملك » وجها آخر غير ما يفهمه أكثر الناس ، وذلك أن هذا اللفظ مشتق من (مألِك) بضم اللام وفتحها ، وهو اسم الرسالة ، وقيل مأخوذ من لفظ (لأك) اذا أرسل ، وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول ^(١)

(١) المنار : مقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، الا انه مذهب له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لأجلها اجزنا نشره ، وهي ان المغرورين بما أصابوا من علم البشر القليل بشؤون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالقه أيضا ، وان مالا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع السنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا ، خير من ان يكون زنديقا معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الألفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لا يجوز أن يدخل في مفهومها كل ما يناسب الأصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكنا عقلا ، والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والأول هو الايمان بالله =

فما يرسله الله تعالى الى هذا العالم من المادة أو قواها يصح لغة أن يسمى ملكا بلا نزاع ، فالريح يسمى ملكا أو رسولا من الله ، ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) والرعد كذلك ملك لانه يرسله الله تعالى لتخويف عباده وهكذا مما في هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالمغناطيس والكهرباء ، والى هذا الرأي يشير قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) فان الواجب أن تكون بين المعطوفات مناسبة فعطف الملائكة على الرعد يشير الى ان المراد منها بعض القوى الطبيعية كالكهرباء التي تحدث الرعد والبرق ولعدم فهم المفسرين هذه المناسبة في هذا المعطف زعموا أن للرعد ملكا بالمعنى الذي يفهمونه^(١)

ونحن اذا سمعنا قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) لا يتعين عندنا ان نفهم منه ما يفهمون فعزأيل^(٢) لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة ، وانما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرى ولذلك لا تؤمن بوجوده

والذي أراه أن الميكروبات هي من رسل الله في هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ، ومنها ما يحدث الامراض المختلفة ، ولا لتحلل جثث جميع الموتى الا

= تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها الكاتب بالدينثة الحقيقية ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس يعيد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد في الآثار ان الجن أنواع ومنه ماهو من خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلا ببعض شؤون الكون وسببا له . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية

(١) ان قول بعض المفسرين بان الرعد ملك لم يكن مخترعا ومستنبطا بسبب عدم فهم ما فهمه الكاتب بل هي رواية نقلها أهل التفسير الماثور الذين ينقلون كل ما بلغهم وتلك منة لهم علينا وهم لم يصححوها . وتسبيح الرعد من قبيل تسبيح الجبال

في سورة ص وتسبيح كل شيء في سورة بني اسرائيل

(٢) معناه في العبرية من يعينه (يهوه) أي الله

الميكروبات، فاذا انحلت الجثث خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة؛ وإذا ذهبنا الى أن الروح عبارة عن جزء من مادة الاثير متحد بالجسم لانستبعد خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية

فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم في أشد دركات الموت التي تغمره وهو وقت انحلال الجنة، وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بها من التحليل والافساد، وقد ورد مثل هذه العبارة كناية أو مجازا حتى في حق من هو منزّه عن الاعضاء والجوارح فقال تعالى (بل يدها مبدوستان) (وراجع ١٧ : ٣٠) وقوله (اخرجوا أنفسهم) هو ما تقوله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والارض (أتينا طائعين) والتعبير عن الميكروبات بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله الى آخره فانه يعبر غالباً عن كل ما يعمل عملاً من أعمال العقلاء بضميرهم، ومن ذلك قوله تعالى في السكواكب وهي أجرام جامدة (وكل في فلك يسبحون) وقوله في الاصنام (فراغ عليهم ضرباً باليمين) لان المشركين كانوا يعتقدون أنها عاقلة مدبرة

ولرفع التناقض الظاهري بين قوله تعالى (ملك الموت) بالافراد وبين قوله تعالى (توفته رسلنا) بالجمع نقول إن المفرد المضاف يعم كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي لياليه فكذلك يصح أن يكون المراد من ملك الموت ملائكته أو رسله أي ميكروباته، وهي عادة من النوع الباسيلي — كما تقدم — ومن أمثلة ذلك قولهم « حلت دودة القطن بأرض فلان » أي دوده فالمراد الجنس لا الفرد

ولا يتوهم أحد مما ذكر أننا ننكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التي لا يعلمها الا هو، كلا! ثم كلا! فان الايمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم. ومما يجب علينا الايمان به أن للوحي ملكاً (جبريل) وهو ليس من قبيل ما ذكرناه، وانما مرادنا أن الميكروبات مما يدخل تحت لفظ الملائكة وليسوا هم كل الملائكة وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الاجنحة للملائكة يمكننا أيضاً تطبيقها على

الميكروبات، فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهداباً مثني (كافي ميكروبات الكوليرا) فان لها هذين أحياناً في طرف منها وإذا اجتمع اثنان منها والتصقا معا جاز أن يكون لهما ثلاثة أهداب، وللميكروب الحصى الراجعة أربعة أهداب، وللتيفود أهداب عديدة، يزيد في الخلق ما يشاء، ولا شك أن الجناح يطلق على الجنب واليد والعضد والابط ومنه قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) فلا مانع من اطلاقها على هذه الأهداب التي هي بمثابة الايدي للميكروبات . على أننا لسنا في حاجة الى تطبيق هذه الآية على الميكروبات ، فانه ليس المراد من كون الميكروبات من الملائكة أن كل ما يسمى ملكاً يكون له أجنحة ويكون عاقلاً مكرماً عند الله بل المراد أن كل ما هو خاضع لأمر الله يرسله متى شاء فهو من ملائكته أي رسله

هذا — ولا يتوهم من قوله تعالى في سورة العنكبوت مثلاً عن لسان الملائكة . (إنا مهلكو أهل هذه القرية — ونحن أعلم بمن فيها — إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) الآيات أن القرآن — ككتب الأمم الاخرى — ينسب الى الملائكة الاعمال التي تجري في هذا العالم حسب السنن الالهية المعتادة كنسف القرى وقلب الارض بالثورات البركانية ، فان هؤلاء الملائكة كانت وظيفتهم قاصرة على اخبار ابراهيم ولوط بما قدره الله لقوم لوط ولزوجه وعلى ارشاده الى ما يجب عمله حتى ينجوا مما سيحل بهم ، وإما عبروا بتلك العبارات التي يفهم منها أنهم — أنفسهم هم الفاعلون اكبت وكبت لانهم رسل الله أرسلوا بأمره وارشاده ليكونوا ناثبين عنه تعالى في تبليغ ما أراد للوط فهم متكلمون عن الله ولسانه جل شأنه، فالمهلك والعالم بحال الناس والمنزل الرجز هو الله الذي أمرهم أن يقولوا عنه ذلك، وقد تقدم لهذه المسألة نظير في قصة مريم وجبريل عليهما السلام (راجع صفحة ١١٨ من الجزء الاول) ولذلك قالت الملائكة للوط (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) كما في سورة الحجر مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الذي قدر كل شيء وانما هم مبلغون بأمره عن قدره وعليه فالتقدير في سيرة العنكبوت هو هكذا : (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا) تبليغنا عنا (إنا مهلكو أهل هذه القرية قال ان فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) أي قالوا عنا اننا نعلم بمن فيها (وقالوا لا تخف ولا تحزن اننا

منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا فيها آية يئنه لقوم يعقلون) فالتكلم الحقيقي في كل هذه الآيات هو الله تعالى كما هو ظاهر من آخرها ، والملائكة إنما يرددون هذه العبارات لتبليغها الى لوط بالنيابة عن الله تعالى ، فافهم ذلك ولا تكن من الجاهلين

الجن

هذا اللفظ مشتق من مادة الجيم والنون، وهذه المادة تفيد معنى الستر ومن ذلك قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي ستره ، وأجن الشيء في صدره أي أكنه ، والجنين المخلوق مادام في البطن ؛ والجنة السترة والجنان القلب لاستتاره واستعجن أي استتر بستره ، والجن الترس وكلها تفيد معنى الحفاء والاستتار، فلفظ الجن يطلق أيضا على الميكروبات لاستتارها فهي ملائكة مرسله من الله ومستورة عن أعين البشر

ومن ذلك حديث (الطاعون وخز أعدائكم من الجن) وفيه إشعار بأن للانسان أعداء من غير الجن وهو صحيح

ونقول في خلقها إنا اذا لاحظنا أن الميكروبات نباتات والنباتات سابقة لجميع الحيوانات فهي مخلوقة من الارض بعد أن أخذت في البرودة واذا لاحظنا أن القرآن الشريف نص على أن الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي أمكننا أن نقول إنها خلقت باتحاد بعض العناصر مع الماء أو بخاره في وقت كانت الارض فيه شديدة الحرارة أو آخذة في البرودة

ولا يخفى على المطلعين على العلوم الطبيعية أن الراجح أن الارض كانت شعله من النار مشتقة من الشمس، فاذا قلنا ان هذه النباتات هي أول ما كوّن من الاحياء في الارض فهمنا معنى أنها مخلوقة من النار اذ ليس معنى هذا الخلق أنها خلقت مباشرة منها بل خلقت أطوارا كما أن الانسان لم يخلق مباشرة من التراب بل خلق منه طورا بعد طور . فالحسق أن جميع الاحياء مخلوقة من الارض والارض مخلوقة من النار،

ولما كانت النباتات أول المخلوقات كانت أسبق منا الى طور النار وأقرب بها عهدا منا ، على أنه ليس المراد بكون الميكروبات أو غيرها من الجن أن كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة بل معناه أن كل ذلك من العوالم الخفية المجتنة

العدوى

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نذكر ماورد من الاحاديث المثبتة للعدوى والنافية لها ثم نجتمع بينهما بما يفتح الله به علينا

فمن الاحاديث المثبتة للعدوى :- (قوله ص) « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين » ^(١) وقوله (ص) « ان كان شيء من الداء يعدي فهو هذا » يعني الجذام (وقوله ص) « اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد » وقوله (ص) لرجل مجذوم كان في وفد ثقيف « ارجع فقد بايعناك » وقوله (ص) « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » وهذا الحديث يصح أن يعتبر مبدأ يجري عليه الناس في مسألة الحجر الصحي المسمى باللاتينية (Quarantine) ومعناه الاصلي « أربعون » لان السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يوما . فالرسول (ص) يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا ، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين

وورد أن أبا عبيدة قال لعمر حينما خاف من طاعون الشام : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم فرارا من قدر الله الى قدر الله . وورد أن النبي (ص) قال « لا يُورَدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصْحٍ » وفي لفظ « لا يوردن ذو عاهة على مصح »

(١) يقول الاطباء إن ميكروب السل ينذر وجوده في الهواء حول المصاب بعد متر ونصف منه ، وربما كان الامر كذلك في الجذام

ومن الاحاديث النافية للعدوى: - قوله (ص) « لا يعدي شيء شيئا فمن أجرب الاول ؟ لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ورزقها ومصائبها » وفي حديث آخر « فمن أعدى الاول ؟ » وقوله (ص) « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، ولا يحل للمرض على المصح ، وليحل المصح حيث شاء - قيل : ولم ذاك ؟ قال - لانه أذى » وقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة - قيل : يا رسول الله ! رأيت البعير يكون به الجرب فيجرب الابل كلها ؟ قال - ذلکم القدر ، فمن أجرب الاول ؟ »

هذا شيء مما ورد في هذه المسألة ؛ وقبل الخوض فيها يجب أن نتذكر ما روي عن أنس أن الرسول قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » فعلى فرض أننا لا يمكننا تأويل الاحاديث النافية للعدوى فالمسلم لا يتحتم عليه أن يأخذ بها - كما سبق في صفحة ١٦٥ من الجزء الاول - فانه أدري بامور دنياه يأخذ منها ما ثبت عنده بالبرهان ، على أننا اذا راجعنا جميع هذه الاحاديث ظهر لنا أن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يعتقدون بالعدوى كما هو صريح ما ذكرناه منها
أما نفي العدوى فيقال فيه ما يأتي : -

العدوى لغة هي انتقال المرض من شخص الى آخر ، وكانت العرب تعتقد أن المرض لا يأتي الا من مريض ولذلك قال (ص) لهم : « فمن أعدى الاول ؟ » ولا يخفى أن المرض عرض لا يمكن أن يقوم بذاته وعليه فيستحيل أن ينتقل المرض من شخص الى آخر ، وهذا مما يفهم من قوله (ص) : « لا عدوى » أي لا ينتقل المرض ، وهذا حق

أما انتقال جراثيمه فهو أمر كانت تجهله العرب فلم يكن حديثهم ولا حديث الرسل فيه . وأيضاً قد ينتقل الميكروب ولا يحدث المرض كما سبق في باب الوقاية ، فليس انتقال الميكروب شرطاً لحدوث المرض . ومن الميكروبات ما يكون منتشراً في الهواء أو الطين أو غيرها وهي التي أصابت الاول المذكور في الحديث^(١) والميكروبات التي تصل الى الانسان لا تحدث فيه المرض الا اذا كان

(١) المنار : ان من يمرض بوصول الميكروب اليه من الهواء أو الطين =

مستعد له ، والاستعداد يكون بأسباب وأحوال أرادها الله تعالى وجعل السبب فيها على قدر المسبب وذلك ما يسمى بالقدر في الاحاديث ، فالاساس الاصيل في حدوث الامراض هو القدر ولولاه لما فعلت الميكروبات بالجسم شيئا مطلقا . وحكمة ذكر هذه الاحاديث بعد نصه (ص) على وجوب الابتعاد عن المرضى وتعليله ذلك بأنه أذى أي ضرر - هي أن الانسان يجب عليه أن لا يتغالى في أمر العدوى بمجرد اقترابه من المريض فان ذلك يحدث في الجسم وهما ووسوسة قد يؤديان الى ضعف حقيقي في الجسم أو العقل ، ويؤدي الناس الى الامتناع عن تمريض المريض أو معالجته لمجرد الوهم وفي ذلك ما فيه من الضرر

ولذلك تجد الاطباء لا يبالون بالوسوسة في أمر العدوى ويقابلون كل مريض ويقربون منه أشد القرب بل ويمسكون بأيديهم ما فيه الميكروبات ولا يجبنون فان العاقل يجب أن لا يكون جباناً ولولا ذلك لما تقدمت الابحاث العلمية كل هذا التقدم والخلاصة أن الخوف من العدوى يجب أن يكون في دائرة العقل فلا يجوز أن يفرط الانسان فيها ولا يجوز أن يفرط من الرعب منها فان ما قدر الله للانسان من حيث قوة بنيتة أو ضعفها ومقاومتها للأمراض لا بد أن يكون واذا فرض أن آمراً كان مستعداً لمرض ما أتاه المرض من حيث لا يحتسب، فلذا كان الواجب الاعتدال في العدوى كما هو واجب في كل شيء

وعبارة عمر (رض) السابقة في القدر صريحة في وجوب العناية بأوامر الطب وعدم مخالفتها اعتماداً على القدر وهي من أعلى الحكم الفلسفية

ومن مضار شدة الوسوسة في مسألة العدوى أن الموسوس يمتنع عن ملاسة كل شيء مما في هذا العالم الا بشروط مخصوصة توجب الاعياء والاعنات ، فمثلاً

= لا ينطبق عليه تعريف العدوى السابق

فان قيل: ان الميكروب الذي كان في الهواء أو الطين قد انتقل اليهما من شخص مصاب - تقول : ومن أعدي أول من أصيب بذلك المرض من البشر أو من الحيوان ؟ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بنفي حصر المرض بالعدوى المعروفة وإثبات أن من المرض ما حدث بأسباب أخرى، الا إن امكن اثبات أن أول البشر مثلاً كان مصاباً بجميع الامراض المعدية ولن يثبت هذا أبداً

يتجنب لمس النقود ونحوها كالأوراق المالية ، ويتجنب محادثة الناس واستنشاق الهواء خوفاً من أن يكون مرّ على مرضى أو موتى ، ويتجنب الأكل أو الشرب أو النوم أو الركوب في الحضر والسفر حيث يفعل الناس كل ذلك ، وفيه من الضرر البليغ ما لا يخفى على المفكر

أما الصَّفَر (بفتحين) فهو ما كانت تزعمه العرب من أن في البطن حية تعض الإنسان إذا جاع ، والذع الذي يجده عند الجوع من عضها . وهذه الحية لا وجود لها في الإنسان السليم وإنما قد يوجد في البطن أنواع كثيرة من الديدان ، منها نوع يشبه الثعبان الصغير ولكنه غير موجود في جميع أفراد الإنسان كما توهموا ، وليس هو السبب في الاحساس بالجوع كما كانت تزعم العرب ، وقيل : إن معنى (لاصفر) أن الأمور الرديئة لاتقع في صفر دون غيره من الشهور بل هو كغيره ، ولاعتقاد العرب أن هذا الشهر مشؤوم كانوا يجرّمونه ويستحلون المحرم بدله

فأنت ترى من كلا التفسيرين أن ليس المراد نفي (صفر) مطلقاً بل نفي ما كان تعتقده العرب فيه ، سواء أكان اعتقادهم أنه دودة في بطن كل امرئ تحدث عنده الجوع أم كان شهراً مشؤوماً دون الشهور ، فكذلك ليس المراد من نفي العدوى نفيها مطلقاً بل نفي ما كانت تعتقده العرب فيها من أن الأمراض تنتقل بنفسها وأنه يتحتم حصول المرض بمجرد الاقتراب من المريض وأنه لا مرض يحصل إلا من مريض سابق ، وكلها ألوهام باطلة نفاها رسول الله (ص) وهو محق في ذلك كل الحق كما نفي الصفر وكما نفي الهامة

وأما الهامة فهي لغة الرأس وطير من طيور الليل يسمى الصدى وهو ذكر اليوم وهو المراد في الحديث ، وكانت تزعم العرب أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة وتصيح على قبره — : اسقوني ! اسقوني ! فإذا أدرك بثأره طارت ، وهذا أيضاً من الخرافات التي جاء الإسلام بتطهير العقول منها

(استدراك على حياة الميكروبات)

ظهر مما سبق أن العلماء يعتقدون أن الميكروبات خالدة — كما يعبرون — وهم كذلك يعتقدون أن المادة وقواها خالدة ، أفليس من أعجب العجب بعد ذلك

أن يعتقدوا أن الانسان غير خالد مع أنه أرقاها ولم تمنن الطبيعة^(١) بمخلوق اعتناءها به ؟ - كما يقولون - أليس في محافظة الميكروبات على نوعها بالحييات (Spores) اشارة لنا الى أن روح الانسان هي كحيية الميكروب ؟ وكما أن الميكروب ينتقل بذلك من طور الى طور فكذلك الانسان ينتقل بروحه من طور الى آخر فهل بعد ذلك يكون في عقيدة البعث شيء من الغرابة أو المناقاة لسنن الكون حتي ينكرها المنكرون ؟ ا

الاحياء الطفيلية أو التسليقية

هي التي تتسلق غيرها (أي تملوه) وتطفل عليه فتتغذى منه ، وهي نباتية وحيوانية ، والنباتية أكثرها فتسكا بالانسان وغيره واشدها خطرا

النباتية

تشمل بعض أنواع البكتيريا التي يتركب أكثرها من خلية واحدة - كما سبق - والفطر الذي يتركب من خلايا متعددة - وقد قدم البيان الشافي عنهما - ويلاحظ في هذه الاحياء النباتية والحيوانية أنها كلما دقت وصغرت كانت أشد خطرا من الكبيرة ، والله في خاقه شؤون فكأنه تعالى قد وضع سره في أصغر خلقه (كما تقول العامة)

الحيوانية ، وأشهر انواعها : -

(١) ذوات الخلية الواحدة وتسمى بالافرنجية [Protozoa] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي « الحيوانات الاولى » وأشهر أمثلتها جرثومة (الملاريا) - وتسمى بالعربية [النافض] أي ذات الرعدة - وأحد نوعي (الدوسنطاريا) - وتسمى بالعربية [الزحار] أي التي تحدث الزحير - وبعض الخلزونات كحلزونى الزهري والحى الراجعة وهذه هي التي تنقسم بالطول - كما قلنا - بخلاف البكتيريا فإنها تنقسم بالعرض ، وذلك من أهم ما يميز الواحد منهما عن الآخر

(٢) حشرات صغيرة مركبة من خلايا عديدة ، تكون حيوانا صغيرا

مثل أكروس الجرب والقردان كما في بلاد السودان [Ticks] وهو جمع قُرَاد وكلاهما من الفصيلة العنكبوتية

(٣) حشرات كبيرة كالقمل والبراغيث والبق

(٤) السنغف وهو الذي يسميه الأطباء المحدثون [البرقات] وهي الدود الذي يخرج من بيض بعض أنواع الذباب ويعيش في جلد الانسان أو أذنيه أو أنفه
(٥) الديدان بأنواعها والاكياس الدودية، ومن أشهر أنواع الديدان : —
(أ) المعوية كالوددة الشريطية

(ب) الدموية كالبلهارزية وهي دودة اكتشفها في مصر الباحث الشهير ثيودور بلهارز [Theodor Bilharz] سنة ١٨٥١ وهي توجد في بعض أوردة الانسان (كالوريد الباب) وهي السبب في ما يصيب أكثر المصريين من البول الدموي أو البراز الدموي أيضا

(ج) اللفاوية كالفلاريا [Filaria] وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية ومعناها الخيط ، وهذه الدودة هي السبب في البول اللبني وداء الفيل
(د) الصفراوية كالوددة الورقية [Distoma Hepaticum] التي توجد في مرارة البهائم ومجري المرّة (الصفراء) فيها، وقد توجد في الانسان نادرا، وهي تشبه الورقة الصغيرة شبا تاما وطولها نحو ٢٥ مليمترا وعرضها ١٢ مليمترا وتكون مطوية على نفسها وقد تسد مجرى الصفراء في الانسان فتحدث عنده اليرقان وتنزل الصفراء في بوله

(هـ) الجلدية كالعرق المدني وهو نوع من الفلاريا يسكن تحت جلد الانسان خصوصا في أرجله، وهي كثيرة الوجود في سكان المدينة المنورة وبلاد الهند وغينيا (بأفريقية) والسودان

(و) العضلية كدودة الشعرة الحلزونية [Trichina Spiralis] طول الذكر منها ٥ و١ مليمتر وطول الانثى نحو ٣ مليمترات وهذه الدودة تسكن كبارها في أمعاء الانسان وصغارها في عضلاته. وانما ذكرت على حدة لان وجودها في الامعاء لا ينشأ عنه ضرر يذكر وكل الضرر من وجود صغارها في العضلات فانها تحدث

أما شديدا وهي تشبه الحمى التيفودية، والمرض الناشئ منها شديد الخطر على الحياة. وصغار هذه الدودة التي تسكن العضلات ترى فيها بالعين المجردة كنقط مبيضة صغيرة جدا طولها جزء من ثمانية وسبعين جزءا من البوصة، وهذه النقط هي الديدان وما أحاط بها من الغلف. وتصل هذه الدودة الى الناس من أكل لحم الخنزير . ويكثر وجودها بعض الكثرة في بلاد ألمانيا لكثرة أكل أهلها لحم الخنزير. وتصاب الفيران بهذه الدودة أيضا فتنتشر في عضلاتها، والفيران يأكل بعضها البعض الميت فتنتشر الدودة بينها، وهي تأوى الى زرائب الخنازير وتموت فيها، والخنازير مولعة بأكلها أيضا فينتشر فيها المرض لذلك، ومنها يصل الى الانسان، وسيأتي ان شاء الله البيان الشافي عن جميع هذه الديدان وتواريخ حياتها والامراض التي تنشأ عنها تفصيلا

الامراض التي تنشأ من الاحياء الطفيلية

(مقدمة في الحمى)

ذكرنا في الجزء الاول (صفحة ١١ و ١٢) حقيقة الحمى ومنشأها وغير ذلك مما يتعلق بها اجمالا ونريد الآن أن نفصل القول فيها تفصيلا فنقول : —
الحمى هي ارتفاع حرارة الانسان عن الدرجة الطبيعية ، وتكون مصحوبة بأعراض كثيرة تصيب أجزاء الجسم المختلفة وانما تفصيلها :
الجلد — يكون باخنا وجافا غالبا وقد يندى بالندى وفي بعض الحميات يكون العرق غزيرا ولون الوجه محمرا . وفي بعضها يظهر في الجلد ما يسمى « بالطفح » وهو أنواع كثيرة ، منها نقط حمراء تزول بالضغط عليها أو نقط ناشئة من نزف تحت الجلد وهذه لا تزول بالضغط ومنها بشوكا في الجدرى . والظاهر أن سموم الميكروبات تحدث شللا في الاوعية الدموية للجلد أثناء محاولتها الخروج من البنية أو تحدث تهيجا أو التهابا في الجلد فينشأ من ذلك الشلل أو ذلك التهيج أو الالتهاب أنواع من الطفح تختلف باختلاف كل مرض وسيأتي بيانها . وفي بعض الحميات التي يكثر فيها العرق كالحمى التيفودية والرثية (الروماتزم) تشاهد

حبوب صغيرة جدا في الجلد ممتلئة بسائل رائق وهي تتكون من ارتفاع الطبقات العليا للبشرة بترأ كم العرق تحتها

الجهاز الهضمي - يكون اللسان مغطى في أول الامر بطبقة بيضاء ثم يجف وتزول هذه الطبقة من مقدم اللسان وحوافه فيرى لونه أحمر، ثم يشتد الجفاف ويسمر لون اللسان ويتشقق وتجتمع عليه وعلى الاسنان والشفيتين أوساخ مسودة . ويفقد المصاب شهوة الطعام ، وقد يصيبه القيء ويكون الهضم ضعيفا جدا ويمسك البطن ويعظم حجم الطحال

الدورة الدموية - يسرع القلب في ضرباته في أول الامر ثم يضعف ، ويصل النبض الى ٨٠ أو ١٢٠ فأكثر في الدقيقة، وتمدد عضلة القلب بسبب الضعف التنفس - يسرع أيضا التنفس فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ مرة في الدقيقة وإذا طالت مدة الحمى تحتنق قاعدتا الرئتين وتكثر النزلات الشعبية أو الرئوية

البول - يقل مقداره ويشد لونه وترسب فيه أملاح حمراء من حامض البوليك وتكثر البولينا وتكون أملاح الكلوريد (كملح الطعام) قليلة عادة خصوصا في التهاب الرئة ، أما في الملاريا فتزيد هذه الأملاح عند ارتفاع الحرارة فيها

الجهاز العصبي - يكثر الصداع في أول الحمى ويشعر الانسان بتكسر في جميع الجسم ويسأم كل عمل جسماني أو عقلي وبعد قليل يصيبه ضعف في قواه العقلية ويميل الى النعاس وإذا نام ابتداء يهذي ، وبعد ذلك يكثر الهيجان ويزول النوم ويشد الهذيان فيكثر المريض من اللغو ويصاب بما يشبه الجنون، وقد يقوم من فراشه ويتشاجر مع ممرضيه أو أطبائه وقد يحاول أن يلتقي بنفسه من نافذة المكان، ثم تهدد قواه ويصاب بالغيوبة فيفقد كل شعوره وقبل تمام الغيوبة يصاب بارتعاش في حركاته وتهاص في العضلات (يسمى بالاهتزاز الوتري) ويلتقط أشياء وهمية يراها امامه في الهواء . وينتهي الامر به الى أن يبرز بدون شعوره ، ولعدم احساس الماثاة بما فيها يترأكم البول حتى تنعم به

(اختلاف الحرارة اليومي)

كما أن الحرارة الطبيعية تختلف في المساء عن الصباح^(١) كذلك حرارة المحموم تكون غالباً في المساء أعلى منها في الصباح ، وفي بعض الامراض تكون بالعكس فترتفع صباحاً وتنخفض مساءً . ويسمى ذلك (بالطراز المقلوب) [Typus Inversus] كما في الدرن العام المسمى بالدرن الدخني

ومن الحرارة ما يكون دائماً الارتفاع بكثير عن الدرجة الطبيعية ومنها ما يقرب في الصباح من الدرجة الطبيعية ، ومنها ما تصل في الصباح الى الدرجة الطبيعية أو تحتها ولكن ترتفع في المساء كثيراً . وعند ارتفاعها يزداد التنفس والنبض كما سبق ، وقد نحصل للمحموم قشعريرة لا إحساسه بالبرد وإن كانت درجة الحرارة في الحقيقة عالية، ولكن لا تقباض أوعية الدم التي في الجلد يحصل له هذا الاحساس بالبرد

ومن الحميات ما يزول بالتدريج فتأخذ الحرارة في النقص يوماً بعد يوم حتى تصبح طبيعية، ومنها ما يزول دفعة واحدة فيشفى الانسان في ظرف ١٢ ساعة أو ٣٦ ساعة ، وعندئذ قد يصاب الانسان بالاسهال أو بالعرق الغزير أو يحصل له الرعاف ويسمى انخفاض الحرارة الفجائي (بالبحران) وبعد انخفاض الحرارة قد تبقى بضعة أيام أقل قليلاً من الدرجة الطبيعية

(درجات الحرارة المختلفة)

درجة الحمود أو الهبوط	٣٥ و ٥° أو أقل
الدرجة التي تحت الطبيعية	٣٦ و ٤°
الطبيعية	٣٦ و ٥° الى ٣٧ و ٢°

(١) سبب ذلك أن عمل جميع أعضاء الجسم في هذا الوقت يكون أقل بكثير من عملها في سائر الاوقات . وإذا عكس الحال فإن اشتغل الناس ليلاً تصبح الحرارة مرتفعة صباحاً ومنخفضة مساءً . ويتبدى الارتفاع عادة من الساعة السابعة صباحاً الى الثانية بعد الظهر وتبقى على حالتها الى الساعة أو الثامنة مساءً ثم تنخفض الى الثانية بعد نصف الليل وتبقى كذلك الى الساعة السابعة صباحاً

الحمى الخفيفة ما كانت فوق 37.5° بقليل
الحمى الشديدة 39° الى 40°
الحمى الأشد 40° الى 43° وفي النادر جدا 44°
فاذا زادت الحرارة على 44° درجة فلا أمل في الحياة غالبا ما لم تستعمل أشد
العلاجات الفعالة وهي التبريد السريع بالماء والتلج
(الموت بالحيمات)

يحصل الموت — إما من نهك الحمى للقوى بسببها مع طول المرض أو بشدة
تسمم الدم في أيام قليلة — أو من زيادة الحرارة زيادة فاحشة كأن تصل الى 44°
مثلا ، واعلم أن طول التعرض لحرارة فوق 40° متعجرا يقتل (البروتوبلازم)
ويجمده ، ويسمى ذلك بتيبس الحرارة [Heat Rigor] (أنظر ص ١٥ من
كتاب فسيولوجيا هليبرتون) [Halliburton] — أو من شل القلب —
أو من المضاعفات الرئوية ، أو غيرها

ويكون الدم بعد الوفاة رقيقا مسودا ، وثقل كرياتة الحمراء وتكثر البيضاء ،
وتشاهد أنزفة نقطية كدغ البراغيث [Petechiae] أو أكبر في الأغشية
المصلية كالبيورا أو الشغاف . أما الأحشاء (الكبد والطحال والكليتان) فتكون
كبيرة رخوة ويحصل في خلاياها استحداثات^(١) حبيبية أودهنية وكذلك تصاب
المضلات بقل في منسوجها سنتكلم عليه في بحث الحمى التيفودية

(المضاعفات والعواقب)

كثيرا ما يطرأ على الانسان في أثناء الحمى بعض أعراض أخرى مرضية تزيد
المرض شدة فوق شدة ، وقد يصاب الانسان أيضا بعدها ببعض أمراض تكون
كالنتيجة لها . ويسمى النوع الاول بالمضاعفات ، ومثاله التهاب البريتون في الحمى

(١) وذلك بتحول بروتوبلازم الخلايا الى حبيبات دقيقة جدا ، وهي خطوة
في سبيل الاستحالة الى شحم وبذلك يبطل عمل هذه الخلايا

التيقودية. ويسمى النوع الثاني بالعواقب أو العقابيل ، كالشلل عقب الدقير يا فانه يصيب المريض بعد شفائه منها بيضعة أيام أو أسابيع

(معالجة الحمى)

يوضع المريض على فراشه ليسترجم راحة تامة في مكان صحي طلق الهواء وتخفف عنه أغطيته وملابسه — بعكس ما يتوهم الجاهلون — نعم ينبغي أن تدفأ الاطراف السفلى خصوصا اذا ضعفت قوى المريض وأصابها البرودة

والغذاء يكون من السوائل المغذية السهلة الهضم مثل اللبن والمرق^(١) وماء الشعيرة ولا بأس من طبخها بقليل من دقيق بعض الحبوب أو بمسحوق ناعم من الخبز الاسفنجي المش. وبحسن تحلية اللبن بالسكر أو غسل النحل المصفى . ويعطى للمريض أيضا المياه الغازية فانها نافعة للمعدة . ومن المستحسن أيضا إعطاؤه بعض الاشربة الحلوة كشراب التمر الهندي والسكر مع الليمون وعصير البرتقال المصفى . ويشترط في هذه السوائل الحامضة أن يفصل بينها وبين تعاطي اللبن بنحو ساعتين لئلا يتعجن فيتقايأه المريض . ويشرب من الماء ما يريد فانه منعش مغذ غاسل للسموم . واللبن المثار (لبن الزبادي) نافع جدا . ومن أسهل الاغذية هضما وأنفعها أن يمزج يياض بيضتين بنحو ربع لتر من ماء راسح ويحلى بعسل النحل النقي ويضاف عليه جزء من عصير الليمون ثم يثلج ويشرب منه المريض . ويجب أن تعطى هذه السوائل المغذية بمقادير صغيرة في فترات قصيرة متعددة كأن يعطى له اللبن قدر مل خمسة فناجين كل ساعتين مرة ، ويكون مقداره في اليوم نحو ثلاثة أرطال (مصرية) أو أربعة . وتبريده بالتلج محدود كثيرا

ولا يتوهم أحد انه يوجد لاكثر هذه الحميات الآن دواء قاطع لسيرها في

(١) يقال أن المرق قد يزيد الاسهال في بعض أحوال الحمى التيقودية . وانما تستعمل السوائل السهلة المغذية في الحميات لضعف المريض عن المضغ والبلع ، ولجفاف الاعضاء وضعفها وقلة العصارات الهاضمة

الحال^(١) بل لا بد أن تتم أطوارها ، وإنما يمكننا تخفيف وطأتها وإضعاف شدتها لكيلا تفسد الاحشاء ، وكذلك يمكننا ملافاة كثير من أعراضها الخطرة كالتهاب الرئة أو ضعف القلب أو ما ينشأ من بعضها من الانزفة كالنزف المعوي في الحمى التيفودية

ومن الادوية ما ينخفض الحرارة مؤقتا بعد استعماله بساعتين أو ثلاث ككبريتات الكينين (من ٢٠ الى ٣٠ قحمة) ولكن استعمال الماء البارد أفضل من جميع هذه الادوية . وطريقة ذلك أن تؤخذ حرارة المريض كل ٣ ساعات مرة وكلما وجدت ٣٩° فأكثر يوضع في الماء البارد مدة ١٠ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم يرفع منها وينشف جيدا ويوضع على فراشه بالراحة . فنجد أن الحرارة صارت طبيعية أو أقل ولكنها لا تلبث الا قليلا وترفع وكلما عادت عدنا . ويجوز أن يلف المريض مدة ربع ساعة بمثل ملاءة بعد غمسها في الماء الثلوج . ولا يخيفنا من استعمال الماء البارد الا أشياء قليلة جدا وهي الهمود الشديد والنزف المعوي والمضاعفات الرئوية البالغة ، وظاهر أنه في حال الهمود أو النزف الشديد تكون الحرارة منخفضة وإذاً يكون استعمال الماء البارد لا مسوغ له من أول الامر . وفائدة هذا التيزيد تحسين الاعراض عموما وتقليل حدوث المضاعفات والاستحالة الحبيبية للاعضاء

وإذا أصاب المريض همود في قواه يتعين استعمال المنعشات ، وأقربها إلينا القهوة والشاي والتمر ، ولكن يشترط في استعمال التمر أن لا تعطى بمقادير كبيرة لايام كثيرة والا حدث منها سرعة في النبض وشدة في الهذيان ، ومقدارها المعتاد من ٢ - ٨ أواقي (أو فناجين قهوة) في اليوم

ومن الادوية التي يستعملها الطيب النافعة في الهمود الديجيتالا^(٢) والنوشادر والاثير

(١) ولكن في مثل الحمى الراجعة تقطع سيرها حقنة ٢٠٦ في ٧ - ٢٠ ساعة، والكينين يزيل حمى الملاريا في الغالب

(٢) هي كلمة لاتينية معناها الاصبع لأن أزهار هذا النبات كالاصابع

٦٢٠ اللبن الخاثر. الحقن الشرجية المغذية. وجوب البعد عن المحموم [المنازل: ج ٨ ص ١٨٤]

والاستركنين، ويستحسن اعطاء شيء من الپيسين مع حامض الهيدروكلوريك^(١) لتفوية هضم المعدة لقلّة إفراز هذين الجوهرين في الحميات. ويجب عند ابتداء المرض في جميع الحميات أن يعطى مسهلا كالملح الانصكازي أو زيت الخروع لتنظيف القناة الهضمية والجسم

وإذا تعذر تغذية المريض في أثناء الغيوبة غذي بالحقن الشرجية المغذية، وحُقن بالمتبّهات وبمحلول ملح الطعام الطبيعي فإنه منعش مدر للبول مزيل لبعض سموم الميكروبات. وغرقى (يياض) البيضة اذا حقن في الشرج مع جرام ملح امتص منه ونفع المريض

(تنبيهان)

(الاول) في جميع الحميات يجب عزل المريض في مكان خاص بحيث لا يختلط به أحد من الناس مطلقا الا القائمون بتعريضه أو مداواته ، ولا يسمح لأحد بزيارته ، وذلك واجب طبيا وقانونا منعا لانتشار العدوى بين الناس ، وليس فيه مخالفة لآداب الاسلام في عيادة المريض . فقد ذكرنا من الاحاديث ومن أقوال الصحابة كعمر (رض) ما يدل صريحا على أن الانسان اذا خشي العدوى وجب عليه أن يتقي القرب من المريض . على أن الحميات اذا اشتدت أحدثت ذهولا عند المريض بحيث لا يقدر على تمييز زائريه أو محادثتهم بالعقل والحكمة . وأيضا فمن آداب عيادة المريض في الاسلام أن لا يطيل العائد المكث عنده حتى لو كان مرضه غير معد لان ذلك قد يكون سببا في مضايقة المريض . وفي الحديث أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال «نحولوا فان من القرف التلف»

(١) لذلك كان اللبن الخاثر (لبن الزبادي) من أفضل الاغذية للمحموم لوجود حامض اللبنيك فيه فيسهل هضمه لذلك ولقلة مائه فلا يضعف العصير المعدي ، وهو مطهر بمحوضته ونافع لزلزلات المثانة. والميكروبات التي تحدث حموضته مطهرة للامعاء نافعة في أمراضها خصوصا في التهاب الامعاء الغليظة فتمنع نمو الميكروبات فيها. وما تحدثه من حامض اللبنيك بتأثيرها في سكر اللبن أو العنب قاتل للميكروبات أيضا. وسكر العنب هذا يوجد في الامعاء بعدأكل النشاء أو سكر القصب (راجع صفحة ٨٢ من الجزء الاول)

[المنار: ج ٨ م ١٨] الميكروبات المحبة للحرارة . شذرة من الخطب النبوية ٦٢١

والقرف مدانة المريض فصرح بهذا الحديث يدل على وجوب البعد عن المرضى
لاجتباب التلف

(الثاني) الواجب أن يطهر الطعام الذي يعطى للمرضى بالغلي جيدا ثم يبرد
بسرعة فإن من الميكروبات ما يسمى « محب الحرارة » [Thermophilic]
وذلك لأنها تتكاثر في حرارة ٦٠° الى ٧٠° سنتجrad فإذا لم يطهر اللبن مثلا بالغلي
ولم يبرد سريعا انتهزت هذه الميكروبات فرصة سخونة اللبن اذا ترك يبرد بنفسه
فتسكاثر فيه وتحدث مواد تؤذي الصحة . وهذه الميكروبات توجد في الطين والماء
وغيرها ومنها تصل الى اللبن . فلذا يجب قتلها بالغلي

الخطب الدينية

٢

﴿ شذرة من الخطب النبوية ﴾

مقتبس من مقدمة ديوان خطب القاسمي، والحواشي له الا ما زدناه بعد اسم « المنار »

١

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ،
وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله تعالى ،
وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عوازمها ، وشر الامور محدثاتها ،
وأحسن الهدى هدي الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة
بعد الهدى ، وخير العلم مانفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب .
واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة
حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا
دبرا (١) ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا (٢) وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

(١) بفتححتين وتسكن الباء وضما لن كما في القاموس . أي في آخر وقتها
(٢) بضم فسكون وهو القبيح من الكلام (المنار : ضبطوه بفتح الهاء وفسروه
بالترك) والاستثناء منقطع

وخير الفنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ؛ والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثاء جهنم ^(١) والكنز في النار ، والشعر من مزامير ابليس ^(٢) والخروج من جمع الأمم ، والنساء حباثل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع ، والامر بآخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ^(٣) وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، واكل لحمه من معصية الله ، ^(٤) وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ^(٥) ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ^(٦) ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذب الله . اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، أستغفر الله لي ولكم . - رواه البيهقي عن عقبة بن عامر والسجزي عن أبي الدرداء ، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود

٢

أما بعد فان الدنيا خضرة حلوة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف

(١) الجثاء بضم الجيم وكسر هاء ثم مثناة ، ما اجتمع من الحجارة والجذوة (المنار: الجثى الاكوام والمعنى ان ما يؤخذ من الغلول وهو الخيانة في الغنيمة إنما هو اكوام من النار أي ليس ربحا بل خسارة لانه سبب لدخول النار ، كقوله تعالى « إنما يا كلون في بطونهم نارا » (٢) يعني بالشعر ممهودا من أفرادهِ وهو ما يتغنى به في محرم أو عليه أو ما يدفع اليه (٣) جمع راوية مبالغة في راو ، وهو من يروي الحديث (المنار: رجح ابن الاثير أن الروايا جمع روية وهي التروي والتفكر في الامر . واذا كان الكذب عن روية كان أشد إثمًا وأشد ضررا) « ٤ » كناية عن اغتيابه وذكره بما يكره وفي تصوير الاغتياب بأكل لحمه ابراز له على أخش وجهه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً « ٥ » تألى أي أقسم بانه يفعل كذا البتة « ٦ » السمعة الشهرة ونشر الذكر

تعملون . فائقوا الدنيا وائقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ؛
 الا ان الغضب جمة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ
 أوداجه ؟ فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالارض الارض . ألا ان خير الرجال من
 كان بطيء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء
 الرضا ، فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفیء ومريع الغضب سريع الفیء
 فاتها بها^(١) ألا ان خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار
 من كان سيئ القضاء سيئ الطلب ، فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب
 أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فاتها بها . ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة
 بقدر غدرته . ألا واكبر الغدر غدر أمير عامة . ألا لا يمنع رجلاً مهابة الناس أن
 يتكلم بالحق اذا علمه ، ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر - رواه
 الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد -

٣

انما هما اثنتان : الكلام والمهدي ، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن المهدي^(٢)
 مهدي محمد . ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة
 بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ألا لا يطولن عليكم الامة فتقسو قلوبكم ، ألا ان كل
 ماهوأت قريب وإنما البعيد ما ليس بأت . انما الشقي من شقي في بطن أمه .
 وانما السعيد من وعظ بغيره . ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق . ولا يحل
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة . ألا واياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجد
 ولا بالهزل . ولا يعد الرجل صبيه ولا يفني له . وان الكذب يهدي الى الفجور
 وان الفجور يهدي الى النار . وان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ،
 وانه ليقال للصادق : صدق وبر . ويقال للكاذب : كذب وفجر . ألا وان العبد يكذب
 حتى يكتب عند الله كذاباً - رواه ابن ماجه عن ابن مسعود -

(١) المنار : أي واحدة بواحدة جزاء تخير الخصلتين يكفر شرهما

(٢) المنار : المهدي بفتح فسكون السيرة والطريقة

٤

يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا فيها كتب ، وكأن الحق على غيرنا واجب ،
وكان الذي نشيع من الاموات سفرهم قليل اليانا راجعون ، نأويهم أجداهم
ونأكل تراثهم كأننا مخلصون ، قد نسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة . طوبى لمن
شغله عيه عن عيوب الناس . طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وحسنت
علانيته ، واستقامت طريقته . طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة ، وأنفق مالا
جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ،
طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعت السنة ، ولم يعد
عنها الى البدعة - رواه أبو نعيم عن علي -

٥

ان الحمد لله أحمد وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .
من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زين الله في قلبه ،
وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على من سواه من أحاديث الناس ، انه
لأحسن الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله . أحبوا الله تعالى من قلوبكم ، ولا
تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى قلوبكم ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه
حق ثقاته ، وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم ،
ان الله يغضب أن يشك عهده ، فالسلام عليكم ورحمة الله - رواه هناد عن أبي
سلمة مرسل -

﴿ نخب من الخطب النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يخطب في غير يوم الجمعة لمصلحة تعرض ، أو
منكر يظهر ، أو أمر بصدقة أو اصلاح ، كما هو معروف في دواوين السنة وخدمتها (١)
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
«أما بعد فوالله اني لأعطي الرجل وادع الرجل . والذي أدع أحب الي من

الذي أعطي . ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، منهم عمرو بن تغلب — رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق » — رواه الشيخان في صحيحهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي ، أفلا تعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدي له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفل أحدكم منها (أي الزكاة) شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » الحديث (رواه الشيخان)

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنة الا انتقم الله تعالى منه يوم القيامة » — رواه ابن حنبل في مسنده —
من خطب الصديق رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين أحمده واستعينه . ونسأله الكرامة فيما بعد الموت . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا . أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ، فإنه جوامع هدى للإسلام بعد كلمة الاخلاص . السمع والطاعة لمن ولاء الله أمركم فإنه من يطع والي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب . وإياكم والفخر . وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا

يوما يوم وساعة بساعة . وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدثوا أنفسكم في الموتى . واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا فالحذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه . وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، وانقوا توقوا ، وان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الاعمال وما يكره ، فاني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . واعلموا انكم ما اخلصتم الله من أعمالكم فربكم اطعم ، وحظكم حفظكم واغبطكم ، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ، ولا يصرف عنه سوءا ، الا بطاعته واتباع أمره . فانه لاخير في خير بعده النار ، ولا شرف في شر بعده الجنة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته — رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن موسى بن عقبة —

من خطب الفاروق رضي الله عنه (١)

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله . الذي يبقى ويقى ماسواه . الذي بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداءه . فليس لهلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه لم تبلغ منزلة ذي حق ان يطاع في معصية الله . واعلموا ان بين العبد وبين رزقه حجابا فان صبر أتاه رزقه ، وان اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه ، فادبوا الخيل واتضلوا واتعلوا وتسوكوا وتمعدوا (٢) وإياكم واخلاق العجم ومجاورة

(١) خطبها في الجاية قاعدة بلاد حوران في عهده رضي الله عنه واليها ينسب باب الجاية أحد أبواب مدينة دمشق الشام لان المسافر الى الجاية يخرج منه وقد خربت وانتقل عمرانها الى ماجاورها من قرية نوى والشيخ سعد

(٢) المنار : في حاشية الاصل « أي تزيوا بري معد في تخوشنهم وتشفهم » والمراد كونوا مثل معد بن عدنان فيما ذكر فاستعمل التزي في التشبه والزي في الشبه

الجبارين وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير مئزر .
واياكم والصغار ان يجعلوه في رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر^(١)
ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام . ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً
فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . لا يخلون رجل
بامرأة فان الشيطان ثالثهما . ومن ساءته ميثته وسرته حسنته فهو امانة المسلم
المؤمن . وشر الامور مبتدعاتها . وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة .
وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فانه أهون لحسابكم . وزنوا أنفسكم قبل أن
توزنوا . وتزينوا للعرض الا كبر يوم تعرضون لاتفخي منكم خافية . عليكم بهذا
القرآن فان فيه نوراً وشفاء . وغيره الشقاء . وقد قضيت الذي علي فيما ولائي
الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي
ولكم — رواه الحاكم وابن عساكر —

من خطب ذي النورين رضي الله عنه

أيها الناس اتقوا الله فان تقوى الله غنم . وإن أ كس الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت^(٢) . واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر . وليخش عبد أن
يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً . وقد يكفي الحكيم من جوامع الكلم . والاصم
ينادي من مكان بعيد . واعلم ان من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه
فمن يرجو بعده — رواه ابن عساكر —

من خطب الامام أبي الحسن على كرم الله وجهه

أما بعد فان المضمار اليوم وغدا السباق . الا وانكم في أيام عمل . من ورائه
أجل . فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيب عمله . الا فاعملوا لله في
الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا واني لم أرَ كالجنة نام طالبها . ولم أرَ كالنار
نام هاربها . الا وان من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى

(١) المنار : هذا وما بعده بضعة جمل مقتبسة من الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص)

(٢) المنار : مقتبس من حديث مرفوع رواه احمد والترمذي وابن ماجه

جار به الضلال . الا وانكم قد أمرتم بالظعن ودلتم على الزاد . الا أيها الناس
انما الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر . وان الآخرة وعد صادق ، يحكم
فيها ملك قادر . الا ان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا والله واسع عليم . أيها الناس أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبيكم ، فان
الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه وأوعده ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ
زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد . وماؤها صديد . وان
اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل . الا لا يستحي الرجل ان يتعلم
ومن يسئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم — رواه ابن عساكر —

ومن خطبه كرم الله وجهه

حمدت وعظمت من عظمت منته . وسبغت نعمته . وسبقت غضبه رحمة .
ونمت كلمته . ونفذت مشيئته . حمد عبد مقرر بر بوليته . متخضع لعبوديته .
ويستعينه ويسترشده ويستهديه ويؤمن به ويتوكل عليه . وشهدت له تشهد مخلص
موقن . وبعزته مؤمن . ووحدت له توحيد عبد مدعن . ليس له شريك في ملكه .
ولم يكن له ولي في صنعه . جلّ عن مشير ووزير . وعن عون معين ونظير .
وشهدت بيعت محمد عبده ورسوله . وصفيه ونبيه وحبيه وخليفه . صلى الله عليه
صلاة تحظيه . وتزانه وتعليه . وتقربه وتدنيه . بعثه في خير عصر . وحين فترة
وكفر . رحمة منه لعباده . ومنة لمزيد . ختم به نبوته . ووضح به حجته .
فوعظ ونصح . وبلغ وكده . عليه رحمة وتسليم . وبركة وتكريم .
وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم . وذكركم سنة نبيكم . فعليكم
برهة تسكن قلوبكم . وخشية تدرى دموعكم . وتقاة تنجيكم . قبل يوم يذهلكم
ويبليكم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته . وخف وزن سيئته . ولتكن
مستلثكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع . وتوبة ونزوع . وندم
ورجوع . وليقتنم كل مقتنم منكم صحته قبل سقمه . وشبيبته قبل هرمه . وكبره .
وسعته قبل فقره . وفرغته قبل شغله . قبل أن تجذب نفسه . ويحفر رمسه . وينفخ
في الصور . ويدعي للنشور . في موقف مهيل . ومشهد جليل . بين يدي ملك

عظيم . بكل صغيرة وكبيرة علم . حينئذ يلججه عرقه فعبثته غير مرحومه . وضرعته غير مسموعه . وحجته غير مقبولة . فورد جهنم بكرب وشدة . ندم حيث لم ينفعه ندمه . نعوذ برب قدير من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه . ومغفرة من قبل منه . فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنة بقربه . وخلد في قصور مشيدة . ومالك حور عين وحفدة . وطيف عليه بكؤوس . وسكن حظيرة قدس في فردوس . وتقلب في نعيم . وسقي من تسنيم . هذه منزلة من خشى ربه . وحذر نفسه . وتلك عقوبة من عصى منشئه . وسولت له نفسه معصيته . هو قول فصل . وحكم عدل . خير قصص قص . ووعد نص . تنزيل من حكيم حميد . نزل به روح قدس على قلب نبي مهتد رشيد . صلت عليه سفرة . مكرمون بررة . يتضرع متضرعكم . ويتهلل مبتهلكم . واستغفر رب كل مريبوب لي ولكم . ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين) — رواه الخفاف في مشيخته^(١)

مختارات من خطب القاسمي

﴿ خطبة في الحذر من التطير والتشاؤم بخطب بها اول صفر ﴾

الحمد لله الذي بسط لنا موائد كرمه وافضاله ، وعمنا بجوده وغمرنا بنواله ، فسبحانه من إله تاهت العقول في سبحات جلاله ، أحمده وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله أن يجعلنا ممن وفقه لصالح أعماله ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة موحد له في غده وأصاله ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي ميز حرام الشرع من حلاله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمنح قائلها الفوز في ما آله ، وسلم تسليما .

أما بعد أيها الناس فاثقوا الله واعلموا أن جميع ما يتقلب فيه الانسان طول

(١) المنار : الظاهر ان هذه الخطبة موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فأين هذا السجع المتكلف من خطبه التي تعد في أعلى مراتب البلاغة بعد كلام الله ورسوله

عمره ، إنما هو بمحض قضاء الله وقدره . ألا وإنه قد دخل عليكم شهر مباركة أوقاته ، ميمونة ساعاته ، لا ينسب إليه شر ولا خير ، بل هو صفر الخير ، وقد كانت الجاهلية يتشاءمون به وهو مبارك ، ويتطيرون منه وليس الله جل جلاله في مشيئته وتقديره بمشارك ، وإنما هو من شركهم وشرهم ، وسخافة عقولهم ومحض كفرهم ، وكيف ينسب فعل إلى شهر أو زمان ، والله خالق الزمان والمكان ، وقد بطل التطير والتشاؤم ولم يبق له أثر ، بما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ، أنه قال « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا ظننتم فلا تحققوا ، وإذا حسدتم فلا تبغوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب - فستل صلى الله عليه وسلم عنهم فقال - هم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » فمن اعتقد ما يتشاءم به سبباً مؤثراً في حصول المكروه فقد أشرك ، ولعقيدة التوحيد والموحدين ترك ، إذ لا فاعل إلا الله ، ولا مؤثر في الكائنات سواه ، وإنما الزمان ليال وأيام ، تختلف بتقدير العزيز العلام ، فلا شو ثم لصفر ولا جمود لجمادى ولا بلاء ، ولا نحس ليوم أربعاء ، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فبأذن الله) وقال جل جلاله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

﴿ خطبة لاول ربيع في وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ وعلامت محبته ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) الخطبة من أوها إلى هنا من ديوان جد جدي لابي الامام الكبير والولي الشهير السيد محمد الدسوقي نسبا الدمشقي امام جامع حسان وخطيبه المتوفى ١٢٤١ بمزلة هدية قبيل المدينة المنورة ذهاباً إلى الحجاز وقد بسطت ترجمته في تاريخي « تعظيم المشام في ما أترد مشق الشام »

المشركون ، ومن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وأشهد
أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في جلال إلهيته ، ولا مثيل له في عز ربوبيته ،
ولا كفوء له في أحديته ، ولا كيف له في صفات مجده وصمديته ، وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى ثوابه وبشر ، وحذر من عقابه وأنذر ،
وأوضح سبيل الرشاد ، وجاهد فيه حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ،
وشملت رحمته وتمت نعمته ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار ،
وصلم تسليما

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا ان الله تعالى اكمل المنة على المؤمنين ،
وأنتم نعمته عليهم بارسال خاتم الأنبياء رحمة للعالمين ، فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم
بمكانه (١) من الجهالة ، وفتح به أعينا عمياء ، وآذانا صماء ، وقلوبا غلفا منة وطولا ، وأرشد
به السبيل ، وأقام به معالم البرهان والدليل ، نعمة وفضلا ، ورفع به للتوحيد أعلاما ،
ومحا به من الشرك ظلاما ، ثم جمل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته ،
وذكره مقرونا بذكره ، وبيعته مقرونة ببيعته ، فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى
(ورفعنا لك ذكرك) وقال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ثم بين
جل جلاله ان مخالفة أمر نبيه ضلال وخسران ، وأوعد عليه بالعذاب والخسران (١)
فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم) وقال سبحانه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فحذر سبحانه وأوعد ، وأقسم وأكد ،
ليعلموا أن من شعب الإيمان ، وكمال الاسلام والايقان ، اتباع سنته ، والتسليم لقضيته ،
وتوقيره وتعظيمه ، واجلاله وتكريمه ، كما قال تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا ه لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) قال ابن عباس
وغیره : أي تبالغوا في تعظيمه . ألا وان من تعظيمه وتوقيره المطلوب ، ايثار حبه

(١) المنار : لعله أراد ان يقول « وافتتان » فسبق القلم ، او قاله خروفا في الطبع

على كل محبوب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) ومن توقيره وجبه ذكر شمائله التي تهز أعطاف المحبين ، ونشر فضائله التي تزيد في إيمان المؤمنين ، وإيراد سيرته وما كان عليه من الاخلاق تسليكا للمتبعين ، ثم هل تدرون من المحب للنبي صلى الله عليه وسلم . والصادق في محبته واجلال قدره المعظم ؟ المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القائم بامثال أوامره ونشر هديه الاكمل ، والاعتصام بسنته والحض عليها واحياؤها بالطلب والعمل . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو المتخلق بأخلاقه الجليلة ، والمتحقق بأدابه الجميلة . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر علامات الحب على أحواله ، من الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله ، فليتخلق بأخلاقه الطاهرة من كان صادق الحب ، مخلص اليقين سليم القلب ، ولكن ما أكثر للدعين وما أقل المخلصين ، عجبا لابن آدم يفهم ما يضره مما ينفعه ، ويسمع ولكن قلما يعمل بما يسمعه ، ويحضره العزم في مجلس الذكر الا انه يقوم ويدعه . فالى كم تهزه العبر وهو كالطفل كلما حرك نام ، ويقتحم المعاصي الكبر ويقول ان الله ذو مغفرة وينسى انه ذو انتقام ، فواخجل المقصرين من التوبخ في محفل القيامة ، وياسوا منقلب الظالمين عند حلول الندامة ، وياحسرات الهالكين اذا عاينوا اهل السلامة ، ويا هو ان المتكبرين اذا حرموا دار الكرامة ، فرحم الله امرأ رجعا الى ربه سريرا ، قبل ان يقع لجنبه صريعا ، وألقى الى الموعظة قلبا واعيا وسمعا سميعا ، قبل أن لا يسمع في مقام السؤال الا توبيخا ونقريا . اللهم تداركنا برحمتك انك أرحم الراحمين ، وجد علينا بمغفرتك انك خير الغافرين

﴿ خطبة في شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة ﴾

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله . نبي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذناه صفيه وحبيبه . ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه . وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تحييبه . فصلى الله عليه وآله الطيبين

الطاهرين وسلم نسلياً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا أن آداب الظواهر، عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والاعمال نتيجة الاخلاق، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية ، لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، وقد أدب صلوات الله عليه بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتم مكارم الاخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق ، ولما أكمل تعالى خلقه اثنى عليه فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) فكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه . وكان أسمع الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يسأل شيئاً الا أعطاه ، وكان يخفف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر . يغضب لربه ولا يغضب لنفسه . يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد . يركب ما أمكنه ويردف خلفه . يحب الطيب ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل رحمه . لا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . ولا يقول الا حقا . يضحك من غير قهقهة ، يخرج الى بساتين أصحابه ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ، ما لعن خادماً ولا امرأة . ولا ضرب يده أحدا الا في سبيل الله . يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة . يكرم من يدخل عليه . حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه . وكان أفصح الناس منطقاً وأحلام كلاماً . يتكلم بمجوامع الكلم . ولا يتكلم في غير حاجة . اذا سكنت تكلم جلساؤه . وكان أحسن الناس نعمة . يعظ بالجد والنصيحة . وكان اذا لبس ثوباً جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً . وكان أرغب الناس في العفو مع القدرة . أبعد الناس غضباً وأمرعهم رضاء . يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان أزهر اللون ليس بالطويل ولا بالقصير . بين كفيه خاتم النبوة . وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه . وبالجملة فأخلاقه الكاملة لا تحصى ، وشماله الحسنى لا تستقصى . وكل

من أصغى إليها علم علو منصبه وعظم مكاته . وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما استفاضت به الأخبار ، وكان أعظمها معجزة القرآن الكريم والذكر الحكيم . أعجز البلاء عن مماثلته في عبارته . وأفهم الحكماء عن محاكاته في عظمته وهدايته . وتشريعه للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم مادامت الدنيا . وانتظام السعادة بالمحافظة عليها في الأولى والأخرى ، ولما لم يدع قاعدة من أصول الفضائل إلا جلاها . ولا أما من أمهات الصالحات إلا أحيها . ختمت النبوات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالاته . قال الله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (الخطب بقية)

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية*

٥

وصفتان طبيتان مصريتان

(الأولى) ورد في القرطاس الطبي - الذي نقلت عنه الوصفة الطبية التي نشرت في الجزء السادس من المنار - وصفة أخرى بمعناها ، وهي الثالثة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

تميزست تمشأ عن ست لا تمشأ

بطيكا^(١) ينت^(٢) وينحط^(٣) على إرد^(٤) التي مشأت ذكرا

(*) لعلامة الآثار المصرية احمد بك كمال (١) بطيخ (٢) أي يلت ، قاؤها لام ، من لت الشيء إذا ذاقه أو سحقه (٣) نخط يقابله في العربية شخط بمعنى خلط (٤) إرد مقلوب در وهو اللبن جعل أحد حرفي المضاعفة همزة في أول الكلمة كما مر نظيره في الجزء السابع

يؤري ^(١) مثل سم ^(٢) تسم الست ، ان كرات ^(٣) مشأت وان زعت ^(٤) (١) لا تمشا الى نوح ^(٥)

(المعنى)

لتمييز المرأة التي تلد عن المرأة التي لا تلد — يدهق البطيخ ويخلط على لبن امرأة ولدت ذكرا ويجعل طعاما تأكله المرأة المراد اختبارها فان قامت ولدت ، وان حصل لها رياح في المعدة لا تلد البتة

(الثانية) وورد فيه أيضا وصفة أخرى وهي الرابعة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

بطيخا يخطط على إرد التي مشأت ذكرا ويونج ^(٦) في قطاتها ^(٧) فان جشأت مشأت وان قامت ^(٨) لا تمشا

(المعنى)

بطيخ يخطط على در (أي لبن) امرأة ولدت ذكرا ويونج في فرجها أي يحقن فيه فان غائت وثقايات ولدت وان وجدت في جوفها رياح لا تلد

(١) أرى : جمع الطعام (٢) سعمه : غذاه وسعمه تسعيا : غذاؤه المسعم حسن الغذاء والعين المعجمة لغة فيه والعين في المصرية تنوب عن العين فيقال عني بمعنى غني غذاء (٣) كرات يقابلها في العربية كزعت بمعنى أمطرت « السماء » وهنا تفيد القيء (٤) زع فعل يقصد به خروج الريح الذي يوجد في المعدة ومنه في العربية الزعزاع وهي الريح الشديدة (٥) نوح مقلوب حان يحين حيننا : والى حين ، أي الى دهر مديد (٦) ونح : أعطى قليلا أي شيئا فشيئا (٧) قطاة : ما بين الوركين والعجز ومقعد الرديف من الدابة وتدل هنا على الفرج (٨) قاس أي غاث وغثي وجأش أو جشأ لأن القاف تقلب غينا أو جيا كما ان السين تقلب ثاء أو شينا فيقال في العربية الدبس « عراقية » مقلوب الشدي فالسين فيها بدل الثاء وبالمصرية الشدي بالشين المعجمة ومن هنا يعلم ان الثاء والشين والسين ينوب بعضها عن بعض

عدل الاسلام

مقالة لانكليزية مسلمة ترجمت للمؤيد عن مجلة (اسلاميك ريفيو-اي المجلة الاسلامية) التي تصدر في وكننج بانكلترا فنشرناها مع تصحيح لبعض الالفاظ وهي :

اذا اخلص قلب الانسان (ضميره) في مطالعة تعاليم الدين الاسلامي وجدها أشد الاديان عدلا وصدقا ، وقد قضت تعاليم هذا الدين بأن العبد يخلق مجردا من كل خطيئة . فهو لا يرث ذنوب والديه ، ولا خبث أجداده

الاسلام يعلم أهله الاستقلال الشخصي (الاعتماد على النفس) ويجرد من نفس الانسان حكما عليها ، فهو يمكنه خلاص نفسه أو اهلا كما بأعماله ، فاذا عمل الخير وتمحى الصواب جنى ثمار الجزاء الحق ، واذا عمل سوءا يجزى به

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (كل نفس بما كسبت رهينة) وينطوي في معنى هذه الآية كل ما يقتضيه العدل ، لان من الظلم أن يتحمل الانسان أوزار غيره ويستل عما ارتكب سواء . وقد قررت جميع الشرائع العادلة الجديرة بهذا الوصف أن من الظلم أن يعد أحد مجرما بجريمة غيره . وهذا من أصول الشريعة المحمدية أيضا ، ولا يزال هذا المظهر مظهر السيد المسيح الذي ينظر اليه المسيحيون باعتباره المخلص للعالم

واذا ولد الشخص من غير ارادة خاصة فيه ، وعجز عن تعرف مواطن الصواب ، ومقاومة الخطأ ، كان في عقابه أو إثابته كل ما يتصوره الخيال من الظلم ، وكان من العبث نفخ روح العقل والضمير فيه . ولكن تعاليم الاسلام صريحة في أن خالق العالم — وهو ربهم الحق — خلق الانسان ارادة واختيارا (وهديناه النجدين) وسيستل عن نتائج الطريق الذي فضله وسار فيه فاذا اهتدى صفا ضميره وصفت سعادته ، واذا شقي وسار في الطريق المعوج كانت عاقبة أمره خُسرا ، ولكن الحكم على طفل صغير لا يفرق بين الغث والسمين لا يمكن أن يقال انه عدل . نعم انه ليس من العدل ولا من الشجاعة أن يحمل أحد أوزار غيره ثم يستل عنها . ومتى وكل الانسان بأمر نفسه تعلم وجوب الاعتماد عليها ، ومن المحتمل أن العبد اذا علم بأن

غيره سيستل عما اقترفه هو أطاع هواه ولم يحترم نفسه ، فكيف يكون فخورا بمولده وحياته ؟

والجواب على هذا انه يوجد نوعان من الفخر - الفخر الوهمي الخاطيء والفخر الصحيح ، والاول منهما هو فخر الفطاسة وغش النفس ، وهو مقبول الطعم يجعل صاحبه أو صاحبه ينظر الى الناس بغير العين التي ينظر بها الى نفسه ، ثم يحقر الجار والفقير ، وهي خطيئة فظيعة طالما حض النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها أضف الى هذا ان الفخر الخاطيء ، يكون مجلبة للغيرة والطمع الكاذب . ويملا أوداج صاحبه بالفخخة الخارجة عن الحد

والفرق بين هذا الفخر وبين الفخر الصحيح هو أن الذي يبذل مجهوده في أداء الواجب بارضاء الله ومساعدة النوع البشري يثبت في قلبه حب السلام الذي لا يعطيه الله الا للمجتهدين من عباده ، واذا عمل العبد نهاية الخير لم يسأله الله أكثر من ذلك ، ولم يؤاخذ به اذا قصر طوقه عما ليس في مقدور أمثاله من البشر ، وهو القائل على لسان نبيه (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

الاسلام دين حق يعلم الناس العدل ، وأسست مبادئه على العدل ، فهو يحرم الخمر والمقامرة والزنا

تاريخ ميلاد ولدنا محمد شفيع

(لصديقي الوفي شيخ الخطباء والمحامين (وكلاء الدعاوي) اسماعيل بك عاصم)

تاريخ ميلاد محمد شفيع نجل حضرة صديقي العزيز الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزهراء

سر يا بشير التهانى للرشيد وقل	(بشرى فقد أتجز الاقبال ماوعدا)
قد لاح نور ابنه نعم الشفيع به	(وكوكب السعد في أفق العلاصعدا)
فرع نما عن أصول طاب عنصرها	أنعم بمولده أكرم بمن ولدا
وكان في رمضان بمن طالعه	كليلة القدر فيها للنفوس هدى
محمد دام يسو للفضائل عن	أب يقر به عينا وقد حمدا

عساه يأتي بنفع مثل والده وأنه يتحرى مثله رشداً
وعاصمٌ عن رضاٍ عنه أرخه رشيدُ بشارك في نجل سناه بدا

سنة ١٣٣٣ ٥١٤ ٥٢٣ ٩٠ ١١٦ ٨٣ ٧

الشرطان اللذان كل منهما بين قوسين هما مطلع أحسن قصيدة قيلت نهضة
لأحد الخلفاء ببلاد والده كما قال صاحب كتاب خزانة الادب وقد ضمنهما هنا
أحسن تضمين اسماعيل عاصم

تقريظ المطبوعات الجديدة*)

كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل العربية

تأليف الشيخ الامام العالم الزاهد أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي
وهو شرح لحديث « بدأ الاسلام غريباً — » وقد قام بطبعه واعتنى بتصحيحه
الشيخ أحمد محمد شاكر فطبعه بمطبعة (النهضة) طبعاً نظيفاً على ورق متوسط
صفحاته ٣٠ وثمنه قرش واحد ويطلب من مكتبة المنار خاصة

كتاب المبادئ النافعة ، في تصحيح المطالعة

ألفه الاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالازهر عند
ما كان مدرسا للعلوم العربية بالمدارس الاميرية . وقد قرر المجلس العالي في اللائحة
الداخلية للمعاهد الدينية تدريسه لطلبة السنة الاولى

طبع في المطبعة المصرية في الاسكندرية وصفحاته ٤٠ وثمنه قرشان
عنوان الطرف في فن الصرف

للاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق المذكور ثمنه نصف قرش

الدروس الاولى في العقائد الدينية

طبع للمرة الثانية في المطبعة السابقة الذكر سنة ١٣٢٦ هجرية وصفحاته ٤٦
بالقطع الصغير وثمنه قرش واحد

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

ومباحثه هي : ١- في حقوق الاستاذ والوالدين - ٢- في حقوق الله تعالى
 ٣- في حدوث العالم - ٤- في الوجدانية - ٥- اجمال الصفات - ٦- أول ما يجب
 على الخلق لخالقهم - ٧- في الوجود والقدم والبقاء الى آخر مباحث الصفات - ١٤-
 في الصفات والاسماء الحسنى... ٧- في معرفة الله وطاعته وفي بعثة الرسل وصفاتهم
 الى آخر المباحث التوحيدية المشهورة

الدروس الاولى في السيرة النبوية

طبع للمرة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر صفحاته ٤٧ بالقطع الصغير ومباحثه هي :
 نسب النبي (ص) ونشأته وبعثته وخروجه من الشعب الى دخول الانصار في
 الاسلام ويعني العقبة الى الهجرة والهجرة والغزوات وصلح الحديبية ومرضه (ص)
 وموته والاهتداء بهديه وخلافة الصديق وعمر وعثمان وعلي ثم دول الاسلام الكبرى
 وفي ولاية مصر من فتحها الى الآن

الدروس الاولى في الاخلاق المرضية

طبع للمرة الاولى بمطبعة جاليتي بالاسكندرية صفحاته ٤٨ بالقطع الصغير
 ومباحثه هي : نصيحة الاستاذ لتلميذه ، الوصية بتقوى الله ، حقوق الله ورسوله ،
 حقوق الوالدين ، حقوق الاخوان ، آداب طلب العلم ، آداب المطالعة والمذاكرة ،
 آداب الرياضة والمشي في الطرقات ، آداب المجالس والحديث آداب الطعام
 والشراب ، آداب العبادة والمساجد وفضيلة الصدق والامانة والعفة ، والمروءة
 والشهامة وعزة النفس الخ

هذه الرسائل تأليف الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كان شيخ علماء الاسكندرية
 ثم وكيل مشيخة الازهر ومن كل منها ١ وتطلب من مكتبة المنار وغيرها

ديوان غصن النقا

من نظم الشاعر الذكي اللوذعي ، الشيخ رشيد مصوبع اللبناي ، طبع بمطبعة
 المقتطف سنة ١٩١٥ على ورق جيد صفحاته ٨٨ بالقطع الوسط ويطلب من مكاتب
 مصر ومن ناظمه

عرفنا الناظم من أذكي شعراء العصر، وباريس من أجمل مدن العالم كما هو معلوم بالتواتر، وناهيك بشاعر ذكي عربي أم هذه العاصمة الزاهرة فجمع في مخيلته جمال التصوير المعنوي والحسي، فنظم هنالك ديواناً فاق ما نظم قبله من الدواوين جعل الناظم ديوانه هذا هدية إلى الموسيو دلكاسيه نابغة مساسة فرنسة ووزير خارجيتها وقد نظم معظمه في باريس، فمن قصائده ما مدح به الموسيو ييشون والموسيو دلكاسيه ومنها ما عنوانه «باريس والجمال» و«وداع باريس» و«وصف باريس وانتقادها» و«المحل وباريس» و«باريس ووقتها» و«في مفتون في باريس» و«موحش باريس» وغير ذلك

وحسبنا نموذجاً من الديوان هذه الأبيات التي مدح بها صاحبه الموسيو دلكاسيه ناظر الخارجية الفرنسية قائماً على كونها تعد من المقاطع لا القصائد تمثل ذوق الناظم في الغزل والرثاء والمدح والفخر — قال :

تحكي الامام اليازجي بطلمعة	تزهو وبالقد الرشيق العادل
فاذا حزنتُ عليه فمتَ مقامه	فأعدت لي فرحي بذلك الراحل
ياطرف ابراهيم أذبلك الثرى	أسفي على طرف الحبيب الذابل
قم وانظر اليوم الرشيد فانه	يختال مثل السميري المائل
يختال في أكناف دلكاسه الذي	هز الحسام بوجه ذاك العاهل
هذا بفضلك يا حبيب ولم أصل	لولا التفاتك لاوزير الفاضل
قلدتني سيف البيان فكان لي	يوم المنى أمضى جميع وسائله
أن كان بدر الوجه عني آفلا	فبدور علمك في غير أوافل
حاكك في الشكل الوزير ودونه	في ود قلبك كان خير مشاكل
فمرنا الي بأعين مملوءة	عطفا علي وكان اكرم باذل
وأجل منزلتي وأعجب بي كما	أعجبت بي وأشدت بي بمحافل
ان كان ركن العلم مال فلاهوى	ركن السياسة والعلى والنائل

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوي و • مناراء كنار الطريق

مصر ٢٩ ذي القعدة ١٣٣٣ — ١٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٤ هـ ش ٩ اكتوبر ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٣

فها أنت ذا قد سمعت من الآيات ما يدلك على أن مانع الزكاة مشرك بالله ، لأنه آثر المال على الله ^(١) وكافر بيوم المعاد ، لأنه لو كان عنده جزم بل ظن به لمله على الاتفاق ، فلا إخالك تشك في أنه محروم من الجنة ، وان (مأواه جهنم وبئس المصير)
وهالك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على ما قلنا ،
المؤيدة لما ذكرنا

أخرج ابن عساكر عن رسول الله (ص) أنه قال « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وفي رواية للخطيب « يحلف الله بعزته وجلاله ألا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل »

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد والنسائي والحاكم والبيهقي عنه (ص) « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وفي رواية لابن عدي :
« لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا »

(١) المنار : مثل هذا القول لا يمكن حمله على الشرك في الاعتقاد وإنما هو من باب حديث « تعس عبد الدينار » وباب (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)

فهذا رسول الله (ص) المبين للدين، الناطق عن الله، أراك أنت البخل لا يدخل الجنة، ولم يأت بالخبر الا مؤكدا بالقسم عن الله تعالى ولا يخفى أن البخل خلق في النفس يمنع صاحبه من بذل فضله لمن يحتاج اليه. والشح أشد من البخل، فهو أكثر منعا منه لصاحبه، وكلاهما ضد للإيمان الذي يحمل صاحبه على بذل روحه في سبيل ربه، فضلا عن بذل ماله وفضله، فكيف يكون المانع للزكاة مؤمنا وهو لم يمنع الزكاة الا حرصا على المال، وإثارا له، وشحابه على الله؟ فلا شك في كفره وحرمانه من الجنة كما أخبر الله ورسوله

وهنا ربما تقول: أتيتنا بآيات في الصلاة وصفت تاركها بالشرك والكفر والنفاق، ولم تصف آيات الزكاة مآذها الا بالشرك والكفر فقط. فأقول لك: قد جاء في القرآن أيضا وصف المنافقين بمنع الزكاة. قال عز شأنه في سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فقبض اليد هو امساكها عن الاتفاق الواجب من زكاة وغيرها، وقد علمت حال المنافقين ودرجتهم مما سبق، فلا حاجة الى الاعداء، والى هنا تنتهي من أدلة الزكاة وحدها واني أتلو عليك آيات في الصلاة والزكاة معا

(قال) الله تعالى في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى ان قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فانظر كيف جعل البر الايمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء

بالعهد، والصبر في الشدائد. وتراه قد ابتدأ بالإيمان وعقبه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لانهما تابعان له، لا ينفكان عنه، ثم ذكر بعدهما الوفاء بالعهد والصبر في الشدائد، وهما من الاخلاق التي تدعو اليها الصلاة، وتثبتها في النفس، وقد عرفت ذلك فيما تقدم من الحكمة

ولما كان الإيمان يستلزم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما يتبعهما من الاعمال والاخلاق، وكان محالاً — بحسب سنة الله تعالى — أن يوجد الإيمان في قلب المرء ويستقر من غير أن يحرك الجوارح لتلك الاعمال، ذيل الآية بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » أي أولئك الذين أقاموا الصلاة فأتوا بها معدلة مقومة، وآتوا الزكاة لمستحقها بنفس طيبة، واتصفوا بهذه الاخلاق الفاضلة، هم الذين صدقوا في إيمانهم، وهم الذين فعلوا ما يقيهم عذاب ربهم، دون غيرهم. وهذا نص صريح في أن من يدعي الإيمان من غير أن يكون مصلياً لله مزكياً، تكون دعواه باطلة كاذبة، اذ لم يأت عليها من أعماله بشاهد أو بينة^(١)

وقد قضت حكمة الله تعالى أن يكون الإيمان حياة للروح، كما أن الدم حياة للجسم، وكلاهما يحتاج الى ما يمدده ويقويه، فكما أن الدم يطلب بطبيعته أن تأتي له الاعضاء بمواد تجهزها له، وتمده بها ليقوى ويزاد صلاحاً لتقوية الجسم على حاجاته، كذلك الإيمان يطلب عملاً صحيحاً تقوم به الجوارح من الصلاة والزكاة وغيرهما لينغذيه ويزيده قوة فتقوى بقوته

(١) المنار: الاستدلال بعدم الاتيان بالبينّة وباستلزام الإيمان للعمل يجادل فيه المشتغلون بالعلم بقولهم ان عدم الاتيان بالدليل لا يقتضي عدم المدلول وعدم البينة لا يقتضي كذب الدعوى، وعدم الملزوم يقتضي عدم اللازم دون العكس، ويعدون هذا الاستدلال من الخطايات. وستعلم ان له وجهاً صحيحاً

الروح ، وتستعد بزيادته النفس لأن تكون ملكية صالحة لجوار الله تعالى ،
وأهلا للتمتع بجناته ورضوانه

وهذا هو السرّ في أن الايمان متى قام بالنفس صرف الجوارح في
العمل حتما ، وأن الايمان لا يوجد في قلب امرئ لا يصلي أو لا يزكي ،
كما سمعت من الآيات التي تقرن الايمان بالعمل على الدوام ، وتكذب
من يدعي الايمان ولا يعمل ، لانه لو كان صادقا لآتى بالصلاة والزكاة التي
تصدقه وتشهد له ، وقد علمت أن غير الصلاة والزكاة من الفضائل هو تابع
لها بالضرورة ، ولذلك تجدد الآيات تقرنهما بالايمان ، وتذكر غيرهما بعدهما ،
وفي كثير من الآيات يستغنى بذكرهما بعد الايمان ، للإشارة الى ذلك
(قال) تعالى في وصف المؤمنين في سورة النساء (والمؤمنون يؤمنون
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة
والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما)

س لم قال (والمقيمين) فأني بها منصوبة على غير المؤلف لنا من
قواعد النحو في العطف ؟

ج لتنبية الذهن ، فهو تخصيص يظهر لك به قيمة المقيم للصلاة ، وتأکید
للعناية بها ، اذ هي الاصل للفضائل كما أسلفنا ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ،
وقد أردفها بأختها الزكاة ، وجعلهما معا وسطا بين الايمان بالكتب المنزلة
من السماء ، وبين الايمان بالله وبالجزاء ، ليفيد أنهما مظهر الايمانين ، وأن
المؤمن لا بد أن يتصف بالصفتين

وكأنه يقول : ان من لم يتحل بالصلاة والزكاة ، لا يكون مؤمنا
بالله ، ولا خائفا من عذاب الله . اسمع قوله تعالى في سورة النور (في
(النار: ج ٩) (٨٤) (المجلد الثامن عشر)

يوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصاره ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) الآية

تجد أنه جعل خوف هؤلاء الرجال من يوم القيامة وهوله ، وما يلاقهم هناك من حسابه ، سببا في ذكرهم ربهم ، وإقامة صلاتهم ، وإيتاء زكاتهم ، كما أن فعلهم الصلاة والزكاة نتيجة تقىهم بأن الله يشكرهم على فعلهم ، ويمتعهم بثمره أعمالهم ، فالآيات تنادي بأن من لم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة لا يخاف ذلك اليوم - يوم الدين ، ولا يثق بشواب رب العالمين ، إذ النفس مفطورة على فعل الشيء متى ترجح لها فيه الخير ، والابتعاد عنه إذا علمت منه الضرر ، وهذه قاعدة نفسية ، تجري عليها جميع الأعمال البشرية ، فمن ادعى خلافها فهو كاذب . ألا تراك حين تعلم أنك إذا وضعت يدك في جحر الثعبان فإنه يلدغك ، أو أكلت طعاما فيه سم فإنه يقتلك ، لا تستطيع بحسب فطرتك أن تقدم عليه البتة ، اللهم إلا إذا زال من نفسك هذا العلم بالضرر ، أو أصابك شيء في العقل فترجع لك النفع في الموت ، ولكن مادام العقل سليما ، والضرر مرجحا ، فإنك لن يمكنك الإقدام عليه ، فارجع الى وجدانك ، وحقق منه ذلك ، فإنك لا تشك في أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ، لم يمنعه من أدائها ، إلا ما قام بنفسه من ترجيح الخير في تركها ، وعدم يقينه بأن سيعذب على عدم المبالاة بهما ، ولو قرأت قوله تعالى عقب هذه الآية مباشرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية - لرأيت أنه يقابل الآية التي قبلها ،

ومن المعلوم في سنة القرآن أن يذكر الكافرين ، في مقابل المؤمنين ،
فيريك أن من يتخلى عن تلك الصفات إنما هم الكفار ، ولا بد للمؤمنين
من الاتصاف بها ، فيها يعرفون ، وبها يميزون

(قال) تعالى في سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون • الذين هم في
صلاتهم خاشعون • والذين هم عن اللغو معرضون • والذين هم للزكاة فاعلون)
جعل الفلاح للمؤمنين الخاشعين في صلاتهم ، الفاعلين لركائهم ، فأفهم
ألا فلاح لغير المؤمن ، كما أنه لا إيمان لمن لا يصلي خاشعاً ، وبزكي عبادة
س عهدنا من القرآن أن يذكر الزكاة بعد الصلاة من غير فصل ،
فلماذا فصل بينهما هنا بقوله « والذين هم عن اللغو معرضون » ؟

ج لينبهك الى نكتة جميلة ، وحكمة جلية ، وهي ان الصلاة التي
ليس فيها خشوع لا يعاب بها ، وأنها لغو يتزه المؤمنون عنها ، فليكن لك
من كلام الله عبرة ، ترجع فيما تطالبك به نفسك اليه ، وتقيس أخلاقك
وما تأتي به من الاعمال عليه ، فمالك من قسطاس مستقيم يزن الاعمال
بالضبط غيره ، ولا مقياس صحيح يحدد الصفات بالحق سواء (هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق — ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)
(وقال) تعالى في سورة النمل (طس • تلك آيات القرآن وكتاب
مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم يوقنون)

(وقال) في سورة لقمان (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم • هدى
ورحمة للمحسنين • الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
يوقنون • أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

تراه هنا قد حصر الفلاح فيهم، وأفادك أمرا آخر وهو أن الصلاة والزكاة مع ملازمتها للإيمان بالآخرة، قد يأتي بهما المرء عن غير داعية الإيمان، إما للرياء أو الكراه. وحيث لا يكون له حظ في هداية القرآن، ولا البشري بالجنة والرضوان، ومن كان هذا حاله، لا تنفعه صلاته، ولا تقبل منه ثقاته

(قال) تعالى في سورة براءة (وما منهم أن تقبل منهم ثقاتهم ألا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون. فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) أنزل الله ذلك في شأن المنافقين الذين لم تكن صلاتهم عن إيمان فينشطوا اليها، ويرتاحوا بها، ولم تكن ثقاتهم عن اخلاص فينفقوا عن طيب نفس ورغبة في القبول، فبذلك كفروا، وجعل الله أموالهم وأولادهم فتنة لهم، ووبالا عليهم، وسينتقم منهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) من عيوب الشرك والنفاق

هذا وقد تضافرت الآيات الناطقة بأن الصلاة والزكاة هما علامتا الإيمان بالله، ودليلا الاخلاص له، وأنه لا يصح إيمان بدونهما، كما أنهما لا تقبلان من غير أن يكون الإيمان باعثا عليهما، وهما إذا أزيدك على ما تقدم منها ما تقطع بعد تدبره بأن تارك الصلاة ومانع الزكاة لم يمس الإيمان قلبه

قال العزيز الحكيم في سورة السجدة الم (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون. تتجافى

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (وقال) تعالى في سورة الاثقال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (اولئك هم المؤمنون حقا) وقد أتى في الآيتين بلفظ «انما» الذي يدل على الحصر، كأنه يقول سبحانه إنه لا يوجد الايمان الصحيح الا فيمن يكون هذا شأنهم، وتلك صفاتهم، فمن لم يهتز قلبه لذكر الله، ولا يخضع ويدعن لاوامره، فيرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فليس بمؤمن وإن سعى نفسه مؤمنا، لان المؤمن يدور دائما بين خوف ورجاء، فخوفه عذاب ربه يزجره عن المنكرات، ورجاؤه ثوابه يدعو به الى المسارعة في الخيرات، فمن لم يك كذلك فاعتقد كذبه في دعوى الايمان، وحسبك شهادة الله لمن يقيم الصلاة ويعطي الزكاة بعد ما تقدم بقوله (اولئك هم المؤمنون حقا) بالحصر المؤكد بالحق. فهل بعد هذه أدلة، تشفي من الغلة، أو ينتظر برهان، أرقى من القرآن؟ ولنختم الموضوع بآيات أخرى ودلائل، لاتدع بعدها قولاً لقائل فنتلو قول الله الكريم (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) الآيات، ففيها يقول الله للمسلمين (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله عفور رحيم) وفيها يقول (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم — الى أن قال — لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين (

أمرهم ألا يعتدوا بتوبتهم من الشرك والاعتداء إلا إذا اتبعوا التوحيد بإقامة هذين الركنين للدين ، لأنهم بهما يصيرون مسلمين متآخين ، وعلى هذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وقاتل الخليفة أبي بكر باجماع الصحابة لما نبي الزكاة ، وعده إياهم خارجين بتركها مشهور ، وبه علم أن الاسلام أركانه متضامنة ، لا يقام إلا بإقامتها جميعها ، وينهدم بهدم أي ركن منها ، وقد عزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالحديث الذي خرج به الامام أحمد ^(١) « أربع فرضهن الله في الاسلام فمن جاء بثلاثة لم تغنين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت » وقد علمت مما تقدم أن من يقيم الصلاة بالخشوع ، ويؤتي الزكاة بالاخلاص ، لا يسه أن يترك غيرها من الفروض ، ولا يمتنع عن تقوى الله ما استطاع ، ولذلك اختصرنا عليهما إذ يوشك أن تضع كل فضيلة بضياعهما ، وعدم المبالاة بهما

فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واعلموا أنكم لستم بمأجورين ، حتى تحذوا حذو سلفكم الصالحين ، فتكونوا بالصلاة والزكاة أمرين مؤثرين وعلى يد التاركين لهما ضارين ، (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) تتعاونون على نشره ، وتكاثفون في إحياء شعائره ، فتعملون كلمته ، وتجنون ثمرته

هذه نصيحتي أقدمها اليكم ، عسى أن تكون وسيلة لديكم ، فتطلبوا الحق من القرآن ، ولا تستبدلوا التقليد بالبرهان

هداني الله وإياكم

محمد علي أبو زبير

[المنار] عنوان هذه الرسالة والكثير من عباراتها يخالف في ظاهره لمذهب أهل السنة في عدم تكفير المسلم بترك فريضة أو فعل معصية، وموافق لمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة كترك أحد أركان الإسلام أو إقرار القتل أو الزنا أو شرب الخمر، وقد تعارضت ظواهر نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب فأطلق اسم الكفر في بعض أحاديث صحيح مسلم على ترك الصلاة وعلى الطعن في النسب والنياحة على الميت وفي حديث الصحيحين «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (وفيها) إذا التقى المسلمان بسييفيهما فاقاتل والمقتول في النار» وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسامها مؤمنين . وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجمع أهل السنة بين هذه النصوص وأشباهاها بأن لفظ الكفر — ومثله الفسق والظلم — ورد في الكتاب والسنة بالمعنى اللغوي فأطلق على كفر النعمة وعلى الشرك وما في معناه من منافيات الإيمان بالله ورسوله وتصديق ما جاء به الرسول (ص) عن الله تعالى . وكذلك الفسق والظلم — قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) والكافرون هم الظالمون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فهذا الفسق دون ما قبله . وكذلك لفظ الشرك وهو أقبحها. أطلق على مادون اتخاذ إله مع الله فسمي الرياء شركاً وجملة القول ان أهل السنة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمعصية يرتكبها فعلاً كانت أو تركاً وان كانت من الكبائر ، الا أن بعض أئمة أهل السنة من الصحابة والتابعين قالوا بكفر تارك الصلاة كما تقدم في تعليقنا على حديث مسلم في أول هذه الرسالة، وأطلق جمهورهم كلمة «المرتدين» على مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) كما أطلقوه على من رجعوا عن الإسلام إلى الشرك أو الإيمان بنبوة الكذابين مسيلة والاسود العنسي ، ولكن قال علماء السنة ان الذين منعوا الزكاة تأولاً بأن أخذها خاص بالنبي (ص) لم يسموا مرتدين الا بالتبع لغيرهم أو بمعنى الارتداد اللغوي. وان الاجماع انعقد في عهد الصحابة بأن من منع الزكاة متأولاً — ومثله من جحد ما في معناها وحكمها — تقام عليهم الحجة أولاً فان اعترفوا بوجوبها ولم يؤدوها لا يحكم بكفرهم بل يقاتلون قتال البغاة لا الكفار كما قاتل الصحابة الخوارج ولم يكفروهم ولا عاملوهم معاملة الكفار في القتال

هذا — وان وراء هذه المسألة بحثاً آخر وهو : انه لا يعقل أن يكون المرء مؤمناً بالله تعالى ورسوله وباليوم الآخر على الوجه الحق الذي دعا اليه القرآن ، ومسلماً مدعناً في ظاهره وباطنه لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يترك الصلاة التي هي عماد الاسلام وركنه الاعظم للعبادات الشخصية ، والزكاة وهي ركنه الاعظم الذي تقوم عليه حياته الاجتماعية ، غير مبال بنصوص الكتاب والسنة التي قرتها بالايمان ، وعدتها أعظم أركان الاسلام ، وقد عد السلف العمل بما أمر الله ورسوله داخلاً في مفهوم الايمان ، والاذعان شرط لصحة الايمان بالاتفاق . وكيف يكون مدعناً من لا سلطان للامر والنهي على قلبه ، ولا يظهر لها أثر في عمله ؟

لقد أحسن من عبر عن المسألة بقوله « لانكفر أحداً من أهل القبلة » أي من ثبت إسلامه بأذعانه لما جاء به نبينا ، بأن كان يصلي معنا الى قبلتنا ، ويلتزم أحكامنا وشعائرناء ، فانا لانحكم بكفره لذنوب يقره بجهالة كثورة غضب ، أو نزوة شهوة ، أو فريضة يتركها بشغل عارض ، أو برد قارس ، ثم يتوب من قريب ، إذعانا لمقتضى الوعد والوعيد (أيما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم * والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) لا ايمان لمن لا اذعان له ، ولا إذعان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا عمل له ، وأعمال الاسلام قسمان أركان كأركان البيت يتوقف عليها وجوده ، وواجبات ومندوبات يتوقف عليها كماله ، فهذا هو الاسلام الديني وهناك اسلام آخر هو عبارة عن جنسية سياسية أو اجتماعية تنال بالوراثة أو بالانتماء الى قوم يسمون مسلمين ، وهذا الاسلام لا يشترط فيه العلم بعقائد الاسلام الديني ولا القيام بأركانه وشعائره الظاهرة ، ولا ترك محرماته المجمع عليها ولا استباحها ، ولا ينافية إنكار شيء من القرآن ولا استباح شيء من شرعه كتحريم تبرج النساء والخمر والقمار ، وانما يعرف بالاسم وبمشاركة المسلمين في بعض احتفالات أعيادهم ومواسمهم المشروعة والمبتدعة ، وبعدم التزام شعائر دين آخر . وانا نرى بعض الملاحدة من هذا الجنس يريدون هدم الاسلام الديني بالاسلام الاصطلاحي الجنسي ، حتى أنهم يبيعون جحد المجمع عليه المعلوم منه بالضرورة وأولئك هم المرتدون المناقون

مَدِينَةُ دَارُ الدُّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١١

أنواع أمراض الاحياء الطفيلية الميكروبية

هذه الامراض نوعان : منها ما عرف ميكروبه باليقين ، ومنها ما لم يعرف الى الآن. ومن أسباب ذلك أن جميع المجاهر أو النظارات المكبرة (الميكروسكوبات) الحالية لا تكشف الا ما بلغ طول قطره ١٦ و. من الميكرومليمتر أو أكثر . أما ما قل عن ذلك فلا يمكن رؤيته الى الآن مطلقا ويسمى [بما وراء المجهز] (Ultra-microscopic) وهذه الميكروبات تمر خلال أحكم النواضح (المرشحات) مثل ميكروب الكلب وجدري البقر

أما الميكرومليمتر المذكور هنا — ويسمى أيضا [المكرون] — فهو جزء من ألف من المليمتر، ويرمز اليه بهذه العلامة (μ) في الافرنجية وبحرفي (مك) في العربية والميكروبات المعروفة اما نباتية أو حيوانية — كما سبق —

الامراض التي تنشأ من الميكروبات النباتية

الحُمى التيفودية Typhoid Fever

لفظ التيفود يوناني معناه [شبه التيفوس] ومعنى كلمة [تيفوس] الصاعقة،

سميت بذلك الحُمى المعروفة لانها تصعق المريض

(المنار: ج ٩) (٨٥) (المجلد الثامن عشر)

هذه الحى من الحيات الشهيرة المعدية وتمكث عادة نحو ثلاثة أسابيع ، وقد يُنكس فيها المريض مرة أو أكثر . وأهم مميزاتا طفح قرنفلي واسهال مع التهاب وتقرح في بقع (باير) وفي الغدد المنعزلة للأمعاء . ولاصابة الأمعاء فيها بالتقرح تسمى أيضا بالحى المعوية

الاسباب — هذه الحى لا تميز الا قليلا بين الذكر والانثى ، ولكن للعمر تأثيرا كبيرا فيها فهي تكثر في سن الشباب الى ٣٠ سنة وبعد ذلك تقل كثيرا ، غير انها قليلة متا تصيب الاطفال والشيوخ ، واذا أصابت الاطفال كانت الاصابة خفيفة ومدتها قصيرة ، واضرارها بالأمعاء أقل مما في الشبان

تكثر هذه الحى بين شهري أغسطس ونوفمبر ، أو في فصل الحر والجفاف . واذا أصيب بها المرء مرة وقته من الاصابة بها مرة أخرى . وميكروبها من الشكل الباسيلي ، كثير الحركة باهدابه ، طوله ميكرونان أو ثلاثة ، ويتكاثر بالاقسام ، ولا حبيبات له . ويوجد بكثرة في البراز وفي البول^(١) وفي اللعاب أيضا (في المضاعفات الرئوية) وفي العرق ، ويوجد كذلك في قيح الخراجات التي تنشأ من هذه الحى . وقد ينتقل من الام الى جنينها

فاذا وصل هذا الميكروب الى أي شيء مما يأكله الانسان أو يشربه انتشر المرض بين الناس . والذي اكتشفه هو [ايرت Eberth] سنة ١٨٨٠ وهذا الميكروب يعيش حتى في الثلج ولا يقتله عصير المعدة الحامض ويقاوم درجة ٤٤ الى ٤٥ سنتيغراد مدة طويلة جدا ، ولذلك قد يصل الى الانسان من مثل القشدة الثلوجة وغيرها ، ويدخل هذا الميكروب كثيرا في الاسماك الصدفية أي المحار (كأم الخلول) التي تؤكل عادة بلا طبخ ويعيش فيها الميكروب وهي حية لغاية ١٨ يوما بدون أن يظهر عليها عرض متا . واذا جف الطين وصار بحيث تثيره الريح عاش الميكروب فيه ٢٥ يوما فينتقل بذلك الى طعام الانسان وشرابه . وكذلك الذباب ينقله أيضا . وقد يعلق هذا الميكروب بالخضروات كالنجل والجرجير ونحوهما مما يؤكل

(١) وجوده في البول كثير خصوصا في الاسبوع الثالث وفي طور النقاهة بل بعدها

غضا، فكل هذي الاشياء هي مما ينقل المرض من شخص الى آخر . وكثيرا ما تلوث الآبار أو الانهار أو أنابيب المياه من المراحيض التي يلقي فيها إفراز المرضى . وقد ثبت انه يعيش في قذارة المراحيض من ٣ الى ٥ أيام ولكن يوجد في هذه المواد القدرة من الميكروبات ما يقتله بعد ذلك

واذا عرض هذا الميكروب لنور الشمس مات بعد ٤ ساعات وقد يبقى الى ٨ ساعات ، واذا وجد في الارض مختبئا عاش شهرين كاملين

ومن الناس من يحمل هذا الميكروب في جسمه عدة أشهر بل عدة سنوات بعد الشفاء من الحمى ويكون سببا في عدوى الكثيرين بيوله وبرازه^(١) ومن المحقق ان المראה هي غالبا مسكن الميكروب في هؤلاء الحملة (خصوصا من النساء) وفيها يتكاثر بعد الشفاء (راجع صفحة ١٦ و ١٧ من هذا الجزء)

والطريق الوحيد للعدوى بهذا المرض هو الجهاز الهضمي فاذا وصل الى أي جزء منه — كالفم مثلا — اذا ذرته الريح فدخل غباره في جوف الانسان فن الجائز أن يصاب بهذا المرض، وان كان الغالب في العدوى ان يزدرد في الانسان في الطعام أو الشراب

الاعراض — مدة التفريخ تكون في أكثر الاحوال نحو أسبوعين وقد تكون ٥ أيام فقط أو ٢٢ يوما . ويتبدى المرض بإحساس المريض تدريجيا بضعف وتكسر في الجسم ويسأم العمل ويشعر بصداع وآلام في الاطراف والظهر والاقهاء (فقد شهوة الطعام) وقد يحصل له غثيان أو قيء . وفي أغلب الاحوال لا يمكن للمريض أن يعين بالضبط مبدأ لهذه الاعراض — بخلاف بعض الحميات الأخرى التي تتبدى فجأة — ويكون الصداع شديدا (وأكثر شكوى المريض منه) وفي كثير من الاحوال يحصل له إسهال . وقد يحاول المريض في أول الامر أن لا ينقطع عن عمله الا أنه في أواخر الأسبوع الأول يضطر الى ذلك ويأجأ الى الفراش . وكذلك تتبدى الحرارة بالتدرج حتى تصير بعد أيام قلائل نحو ٤٠° ويسرع النبض وتزداد مرات التنفس . وفي نحو اليوم السابع أو العاشر يكون عند المريض

(١) خروج الميكروب مع البراز ليس متابعا بل متقطعا فاذا وقف زمانا ما

فقد يعود ثانية ، ولذلك فن المتعذر القطع بطهارة الحامل منه وعدم عدواه لغيره

ذهول وضعف شديد ويحتقن خداه ويجف اللسان ولا يزال يشتكي من الصداع. ويحصل له أحيانا عرق غزير أو رعاف . ومن اليوم السادس الى اليوم الثاني عشر يظهر الطفح القرنفلي المخصوص وهو نقط أو بقع صغيرة وردية مستديرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد تزول بالضغط عليها ولا يحصل فيها نزف كما في التيفوس ، وتشاهد هذه النقط على البطن والصدر وقد ترى أيضا على الجنبين والظهر أو العضدين والفخذين ؛ ويتراوح عددها بين ٦ الى ٢٠ أو ٣٠ وقد تزيد على ذلك بكثير . وفي بعض الاحوال لا يكون لهذا الطفح وجود — خصوصا في مصر — وهو لا يظهر دفعة واحدة بل تدريجيا ، وتمكث كل نقطة ٣ أو ٤ أيام ثم تزول ويحلها غيرها حتى نهاية الاسبوع الثالث أو بعده . وبعد الموت تزول هذه النقط

وفي الاسبوع الثاني يكون البطن متفخا وبه آلام ، وبالضغط على الحفرة الحرقفية اليمنى يشعر المريض بالألم القليل ، وقد يحس الطبيب بهراق مخصوصة . ويشد الإسهال ، ولكن في بعض الاحوال — خصوصا في مصر — يكون البطن معتقلا من أول المرض الى آخره ، وللبراز في هذا المرض رائحة كريهة مخصوصة ولون أصفر يشبه حساء (شوربا) العدس المصري . وقد يحصل نزف من البطن يكون سببا في الموت أحيانا . ويكبر الطحال ويقل البول

أما الصداع فانه لا يملك عادة بعد اليوم العاشر وقد يصاب المريض بالصمم الوقي . وفي أواخر الاسبوع الثاني تبتدى الحرارة في النزول تدريجيا حتى تصبح طبيعية . هذا في الاحوال الحسنة

أما في الاحوال السيئة فيشتد الهذيان والنعاس الذي تعقبه الغيبوبة ، ويحصل الاهتزاز الوتري ، وتجتمع الاوساخ على الاسنان والشفتين وغيرها ويضعف القلب ويكثر السعال ويعسر الشفاء

وقد ينكس الانسان بعد الشفاء من هذا المرض ، فانه لوحظ أن نحو ١١ مريضا في المئة ينكسون ، وقد تكون الفترة بين المرة الاولى والثانية ١١ يوما . وفي الغالب تكون مدة النكس مثل المدة الاولى في طولها ولكنها أخف منها ، وقد ينكس ثانية وثالثة ورابعة

وأهم تغير يحصل في الجسم بهذا المرض هو التهاب بقع (بايبر) المذكورة والغدد المنعزلة. وفي اليوم العاشر أو بعده بقليل تقترح هذه الاجزاء وقد ينتقب البريتون فتعرق الامعاء ويحصل التهاب بريتوني شديد يعقبه الموت . أما التغيرات في بقية الاعضاء فهي كما ذكر سابقا في المقدمة ، وكثيرا ما يشاهد في التيفود اذا طالت مدته تغير العضلات الذي ذكره [زنكر Zenker] فتستحيل اليافها الى مادة شفاقة كالشمع ثم تتفتت وتصبح حبيبات صغيرة وبذلك تفسد العضلات وقد يتولد فيها خراج

المضاعفات والاشكال المختلفة — مضاعفات هذا المرض كثيرة منها النزلة الشعبية والالتهاب الرئوي أو البليوراوي أو البريتوني أو السحائي، وغير ذلك كثير ومن أنواعها مالا يحصى الا عشرة أيام ويسمى بالنوع المجهرض [Abortive] أو يطول الى ٦ أسابيع. ومن الناس من لا يشعر بالمرض لشدة خفته ولكنه قد تثقب أمعاؤه فجأة فيموت . واذا شفي المريض لا تعود اليه قواه العقلية والجسمية الا تدريجا فيحتاج في الاحوال البسيطة الى ثلاثة أشهر من مبدأ المرض الى تمام نقاهته ، أما في الحالات الشديدة أو المتضاعفة أو ذات النكس فيحتاج الى ٥ أو ٦ أشهر من مبدأ المرض

الانذار (١) — عدد الوفيات بهذا المرض هو من خمس الى عشرين في المئة . ومن أشد الاشياء خطرا على الحياة تثقب الامعاء والنزف

المعالجة — هي كما سبق في باب الحميات ، انما نذكر هنا بعدة مسائل (١) أن لا يعطى المريض مسهلا الا في أول المرض ، وأفضل المسهلات عندئذ زيت الخروع ، ولا يجوز بحال من الاحوال اعطاء مسهل شديد البتة (٢) يجب التزام الراحة التامة على الظهر حتى يتبرز المريض في اثناء مفرطح منعنا لكل حركة ويجب بقاء المريض على الغذاء السائل مدة ١٠ أيام على الاقل بعد نهاية المرض . والغرض من ذلك كله منع الالتقاب والنزف (٣) من اطباء من يعطي أدوية مطهرة للامعاء

(١) لفظ اصطلاحى يراد به الانباء بمصير المرض ، وذلك مبني على ما يذكر في الكتب الطبية — تحت هذا العنوان — من الاحصائيات والملاحظات ونحوها

(كالسألول) والزئبق الحلو بمقادير صغيرة ، ولكن نفع هذه الاشياء قليل ، وغاية الامر انها قد تقلل الاسهال والرائحة الكريهة للبراز (٤) اذا زاد الاسهال عن أربع مرات يوميا وجب العلاج والا فلا (٥) لأبأس من شرب الماء بكثرة فانه منعش ويغسل سموم الجسم في العرق والبول . وماء الجير نافع جدا اذا مزج باللبن فانه يسهل هضمه ويمنع الغثيان والقيء ويمسك البطن ويقوي خلايا الجسم ، فان الجير لازم لحياة جميع الخلايا (٦) يعالج الصداع بوضع الماء المثلوج على الرأس أو بتعاطي الفيناستين (بقدرة ٥ - ١٠ قححات) أو غيره

الوقاية - (١) تطهر جميع مواد البراز والبول وغيرها بوضع مثل الفينيك عليها بنسبة ٥ في المئة لمدة ساعتين على الأقل قبل القائها في المراحيض
(٢) يغلى كل ما يستعمله المريض من ملابس وفرش وأواني وغيرها مدة نصف ساعة على الأقل

(٣) يجتنب إلقاء أي شيء مما يخرج من المريض أو يمسه في مجاري ماء الشرب أو تركه مكشوقا بحيث ينقله الذباب أو الريح ، بل يجب تغطية أواني البراز أو البول بخرقة مغمسة بمحلول الفينيك - بنسبة ٥ في المئة أيضا - منعا لانتقال الميكروب بواسطة الذباب الى أهل المنزل

(٤) يجب غسل يدي كل من خالط هذا المريض بالماء والصابون ثم بمحلول السلياني ١ في ١٠٠٠ أو بمحلول الفينيك أو بالغول (الكحول) النقي بوضعها فيه خمس دقائق قبل أن يمس أي شيء من طعامه

(٥) في وقت انتشار هذا الوباء يجب غلي كل طعام وشراب ، وأحسن طريقة لتطهير الخبز ونحوه امراره في لهب الكحول أو وضعه على الفحم الملتهب ، وينبغي أيضا الامتناع عن أكل الخُضَر كالفجل والجرجير والفاكهة الا اذا غسلت جيدا بالماء الغالي وأزيلت قشورها وكذلك يجب اجتناب أكل الحيوانات البحرية المذكورة سابقا واللبن المثلوج

(٦) يلقح السليم بالحقن تحت الجلد بميكروب الحمى التيفودية بعد قتله ، وذلك بأن يربي ميكروب التيفود لمدة ٤٢ ساعة ثم يوضع في محلول ملح الطعام ١ في ١٠٠

ويقتل بعد ذلك بحرارة درجتها ٥٣ ستيجراد لمدة ساعة وليحترس من رفع الحرارة أكثر من ذلك لأنها تفسد مادة التطعيم، ويحقن المريض مرتين بينهما فترة عشرة أيام. وعدد البكتروبات التي يجب أن تحقن في المرة الأولى نحو ٥٠٠ مليون وفي الثانية نحو ١٠٠٠ مليون، ويوصي بعضهم بمحقنة ثالثة من ٢٠٠٠ مليون. وللحقن في زمن انتشار الوباء عيب وهو أن القابلية للمرض تزداد بعد الحقن لمدة قصيرة فيكون الإنسان فيها عرضة للإصابة. وأحسن الاوقات للحقن ما كان قبل قيام المسافر ونحوه الى مكان الوباء بوضعة أيام

(٧) يظهر الاواني اذا تعسر عليها بمحلول حامض الكبريتيك — بنسبة ٢ في المئة — ومزيتة أن الآثار التي تبقى منه لا تضر صحة الإنسان مطلقا بل ان طعمه الحمضي مما يحرض شهوة الطعام ويعين على الهضم

(٨) لا يجوز للناقلين التبول أو التغوط في الطرقات، ولذا يجب تقصير الثياب وخلع المرء نعليه عند دخوله حجرات منزله. ولا ينبغي أن من آداب الاسلام تقصير الثياب فان في اطالتها اسرافا وخيلاء وضراعا عظاما

(٩) تبقى مخالطة الناقلين مدة ثلاثة أشهر على الأقل أو الى أن يظهر البحث البكتيريولوجي طهارتهم من البكتروبات تماما بعد عمله عدة مرات متباعدة والا وجب منعهم عن مس أي طعام أو شراب وتطهير أيديهم وملابسهم وفرشهم أو مفرزاتهم دائما وغلي كل طعام أو شراب مسوه قبل تناوله

طريقة فيدال لتشخيص الحميات

Widal's Test

هذه الطريقة مبنية على أن مصل دم المرضى بالتيفود يبطل حركة ميكروباته في بضع دقائق ثم يتراكم بعضها على بعض فيتكون منها أكوام وذلك ما يسمى بالافرنجية [Agglutination] وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي (التفريجة) لان الميكروبات في اجتماعها تكون كأنها غريت بعضها ببعض بعد أن بطلت حركتها، والاحسن أن نسمي ذلك (بالارتكام) والميكروبات في هذه الحالة لا تكون

ميتة كما يقوم بعض الناس . وملخص هذه الطريقة عملا أن يؤخذ جزء من دم المريض في أنبوبة دقيقة مطهرة ، ثم تخرج نقطة من مصله بجزء أكبر من السائل الذي ربي فيه الميكروب بنسب مخصوصة أفضلها ما كان (من ١ الى ٣٠) وينظر اليه بالميكروسكوب بطريقة (النقطة المعلقة) فبعد نصف ساعة أو ساعة لا يشاهد غالبا ميكروب واحد منفردا ، وقد فسر العلماء ذلك بعدة تفاسير لا حاجة لذكرها لان الحقيقة مجهولة ، وهذه الطريقة لا تنجح الا بعد مضي بضعة أيام من المرض ، والاحسن أن يؤخذ الدم بعد الاسبوع الاول ، وفي بعض الاحوال لا تنجح مطلقا وتكون الحُمى حينئذ شديدة ومميتة ، وفي البعض الآخر يستمر نجاحها لعدة أشهر بعد انتهاء المرض . وهي تستعمل في الحيات الاخرى التي عرف ميكروبها باليقين كالحمى المالطية ، ويؤخذ الدم من شحمة الاذن أو الاصبع بالوخز بآبرة أو نحوها ولا يتعين استعمال المصل في طريقة فيدال هذه ، بل يجوز أن تعمل بدم متجمد فيذاب بقليل من الماء المقطر ويستعمل كالمصل ، ويجوز أيضا استعمال الميكروب الميت فانه يتراكم أيضا وكذلك الميكروبات غير المتحركة

الحُمى الباراثيفودية Paratyphoid

كلمة [بارا] يونانية معناها « قريبة » لان هذه الحُمى تقرب جدا من التيفودية في أعراضها وسيرها بل في جميع مميزاتا تقريرا غير أنها تكون عادة أخف وطأة وأقصر مدة ، والبطن يكون — في النوع الاول منها — غالبا معتقلا ، وهي غير مميتة إلا نادرا . وتنتشر أحيانا بشكل وبائي ، وقد تحصل في جميع بقاع الارض . وأم الأسباب في انتشارها الماء الملوث وميكروبها كميكروب الحُمى التيفودية الا في بعض أشياء قليلة من الوجهة البكتريولوجية . أما في الشكل والحركة فهما سيان . وهذا الميكروب لا يتراكم بمصل دم الحُمى التيفودية . وهو نوعان: النوع الاول يسمى (أ) والثاني (ب) أما (أ) فانه أشد شبا بميكروب التيفود ، وأما (ب) فانه أضر . وإذا مات الشخص بسبب هذه الحُمى كان غالبا مصابا بميكروب (ب) وقد تخرق أمعاء المصاب بسبب تقرح اللغائف ولكن تكون تقع باير سليمة وفي بعض

الحالات لا يوجد شيء في الأمعاء ، وفي إصابة واحدة شوهدت ضخامة غدد المساريقا ، وفي كثير من الاصابات يكبر الطحال أما المعالجة والوقاية فهي كالتييفية سواء بسواء . وهذه الحمى تقي من أصيب بها من مثلها ولا تقي من التيفود

الحُمى المالطية Malta Fever

تسمى هذه الحمى أيضا بحُمى البحر الأبيض المتوسط لأنها كثيرة الحصول في شواطئه وفي جزائره ولكنها توجد أيضا في جنوب أفريقية والهند والصين وغير ذلك

الاعراض — طور التفريخ يتراوح بين بضعة أيام ٣ أو ٤ أسابيع . وتبتدى الاعراض تدريجيا كما في الحمى التيفية ولكن لا يظهر فيها طفح ويكون البطن ممسكا، ولا تنقرح فيه بقع (باير) ولا تضخم . والوفيات فيها قليلة (نحو ٢ في المئة) ولكنها تطول جدا فقد تمتد الى ٩ أشهر، ويشفى منها المريض بالتدريج ويصير ضعيفا أصفر اللون وقد تلتهب مفاصله أو خصيتاه

أسبابها — لهذه الحمى ميكروب من النوع البرزوي وهو لا حركة له ولا أهداب (وان ادعى بعض الباحثين أن له أهدابا) أما ما يشاهد فيه من الحركة فهي حركة برون [Brown] وهو اسم امرئ نباتي يسمى (روبرت برون) شاهدها في قطرات الندى ولكنها ظاهرة طبيعية يمكن مشاهدتها في كل سائل فيه ذرات دقيقة فتتهز هذه الذرات مع حركة رطوبة قليلة حول نقطة معينة، وسببها اختلاف درجة الحرارة في السائل بالتبخر القليل الذي يحصل من سطحه

وأعظم ما ينقل ميكروب هذه الحمى الى الانسان هو لبن المعز، فإن المعز تصاب كثيرا بهذا الميكروب في جزائر البحر الأبيض وفي جنوب أفريقية وغيرها بدون أن يظهر فيها عرض مما لهذا المرض (إلا ضعفا في بعضها أو التهابا في ضروعها) ولكنها تفرز في لبنها كثيرا من هذا الميكروب

والوقاية منه يجب اجتناب أكل أو شرب هذا اللبن أو ما يصنع منه كالزبدة أو

الجبين الحالوم الا اذا كان اللبن غلي قبل صنع الجبن منه. ويجوز أن يدخل الميكروب من جرح بالجلد اذا مسه هذا اللبن أو ينتقل بواسطة الحشرات الماصة للدم كالبعوض مثلا فان الميكروب يعيش في جسمه أربعة أيام أو خمسة وهذه الحمى تصيب الذكر والانثى على السواء تقريبا وهي أكثر حدوثا في سن الشباب منها في الكبر ويكثر حصولها في أيام الحر

الدفتيريا Diphtheria

الدفتيريا كلمة يونانية معناها الغشاء ، وهي عبارة عن مرض معد رديء ، أهم مميزاته أنه يصيب الأغشية المخاطية للفم أو الحلق أو الأنف أو الحنجرة أو غير ذلك فيتسكون غشاء أبيض فوق هذه الأجزاء المتهبة ، وقد يصيب هذا الغشاء أيضا سحبات الجلد أو جروحه

واذا أصاب الملتحمة (غشاء العين) ألتفها في ٢٤ ساعة

الاسباب — هذا المرض يصيب الاطفال خصوصا بين السنة الثانية والعاشره أو الثانية عشرة و يندر حصوله لغیرهم . وهو ينتشر بالهواء لمسافات قصيرة. ويخرج الميكروب في افرازات المصاب أثناء عطاسه أو سعاله مثلا ، أما نفسه الهادي فلا يضر . ويعيش ميكروب الدفتيريا مدة طويلة اذا سكن في طيات الثياب وهي مما ينقله الى مسافات أبعد من مسافة انتقاله في الهواء. ويعدي هذا المرض حتى في مبدئه قبل أن تظهر جميع أعراضه . ورطوبة المنازل والأهوية الفاسدة مهيئات له ، وكذلك أمراض الحلق كالتهاب اللوزتين . وقد ينتقل الميكروب بالطعام أيضا الى مسافات بعيدة. وتصاب بعض الحيوانات بمخصوصا القطط والبقرة فيعدي لبنها حينئذ اذا لم يغل ؛ ويصاب الحمام والدجاج والخيل والغنم بمرض يشبهه. والقول الراجح عند العلماء الآن ان مرض هذه الحيوانات المذكورة أخيرا لا علاقة له بمرض الانسان ولا ينتقل اليه، ولكن لاختلاف بينهم في اصابة القطط والبقرة فتظهر بثور وقروح دفتيرية في ضرعوها . والفيران لا تصاب به، أما تلك الحيوانات الداجنة التي لا تصاب به فقد تلوث بميكروب دفتيريا الانسان وتكون كحامل الامراض فتنتقله من مكان الى آخر ومن انسان الى انسان

ويرى بعض العلماء أن ميكروبها يعيش مدة طويلة في الطين، والهواء المحتبس في جوف الأرض يخرج منه إذا ارتفعت مياهها — كما سبق — ويكثر هذا المرض في فصلي الخريف والشتاء وهو الزمن الذي تكثر فيه القرمزية والتهاب الحلق أو الخنجر أو اللوزتين

وميجوز أن يعود المرض للبرء بعد شفائه . وميكروب هذا المرض يوجد في الطبقات العليا للأغشية المذكورة، وإذا طال المرض وجد في الرئة والطحال والكليتين بل ربما وجد في الدم أيضا . وهو من الشكل الباسيلي اكتشفه كل من [كلبز Klebs] سنة ١٨٨٣ [ولفلر Loeffler] سنة ١٨٨٤ وهما عالمان من علماء الألمان . وطول هذا الميكروب يختلف من ٣ إلى ٤ ميكرون ، وهو غير متحرك ولا حييات له بل يتكاثر بالانقسام، ويعيش في الهواء ولكنه يمكنه أن يعيش في غير الهواء حتى في الفراغ ، ويبقى في السوائل المغذية وغيرها من المزارع مدة شهر وإذا جفف عاش ٣ أو ٤ أسابيع ويقف نموه إذا زادت الحرارة عن ٤٠° أو نقصت عن ٢٠° ستجrad وإذا شفي المصاب وجد الميكروب في حلقه في نصف عدد الناقهين لمدة ٣ أيام وفي أحوال قليلة يبقى ٣ أسابيع وقد يستمر إلى ٥ أشهر بل ١٥ شهرا . ومن ذلك يعلم خطر الاسراع في خلط المصاب بغيره من الأطفال قبل مضي مدة طويلة . والأفضل أن يفحص حلق الطفل أو أي موضع آخر للإصابة مرتين أو ثلاثا فحصا بكتيريولوجيا بأخذ جزء من افرازاته فإذا لم يوجد الميكروب بعد الفحص مرتين أو ثلاث مرات متفرقة يؤذن للطفل بأن يختلط بغيره

ومن يختلط بالمصاب أناس (٨ — ٣٠ ٪) أصحاء يحملون الميكروب في حلقهم وأفواههم^(١) لغيرهم ويقون أصحاء ولكن بعد زمن يصبح ميكروبهم غير خطر غالبا على غيرهم لفقده قواه السامة ، ويسمى الأطباء مثل هؤلاء الناس بالحملة الأصحاء . ويرى بعض العلماء أن باسيل هوفمان [Hofmann] الكاذب الذي يوجد أحيانا في حلق الأصحاء وأنوفهم قد ينقلب فيصير صادقا أي محدثا للدقيريا الحقيقية

(١) خصوصا في أسنانهم لاسيما إذا كانت مصابة بداء ريج (راجع ص ٦٨ من الجزء الأول) وهو الذي يحدث سيلان قيح من السنيخ (الحفرة التي فيها السن)

الاعراض — مدة التفريخ تختلف من يومين الى ستة أيام، وقد تكون يوماً أو ثمانية. ويبتدى المرض بالإقياء وبسامة وصداع أو بغثيان وفي ورعدة ثم لا يلبث المريض أن يشتكي من ألم في الحلق. فاذا نظر الى حلقه في هذا الوقت شوهد احمرار فيه وفي اللهاة وانتفاخ، أو احمرار والتهاب في اللوزتين. وبعد وقت قصير يرى الغشاء يتكون على سطح الأغشية المتهبة وقد يظهر في وقت واحد على اللوزتين معا، وقد يبدأ بواحدة منهما قبل الأخرى، ومن الجائز أن يظهر على غيرهما من أجزاء الحلق. وبسبب هذا الالتهاب تلتهب بعض الغدد اللعابية التي في العنق^(١) وقد يحدث من ذلك خراج فيها أو تموت الغدد وتسقط.

وحارة الدقيريا لانظام لها فقد يزيد عن ٤٠° ولكن الأغلب أنها تكون أقل من ذلك، وهذا الارتفاع تصحبه أعراض الأخرى للحمى. وفي كثير من الاصابات يشتمل البول على زلال في وقت اشتداد المرض. أما اذا أصابت الأنف فيعسر التنفس منه وينتفخ غشائه المخاطي ويسيل منه مخاط وقبح أو دم وصديد فيتقرح بذلك جانباً الأنف وما جاورها من الشفة. وخطر الالتهاب الأنفي الغشائي نادر جداً ولا عواقب له، ويندر أن يعدي الآخرين ولو أن الميكروبات تكون فيه كثيرة كغيره.

واذا أصابت الدقيريا الحنجرة (وهذا ما يسمى بالحنثاق) كثرت السعال وصار له صوت مخصوص وعسر التنفس وبج الصوت وكثيراً ما يشتد الضيق حتى يختنق المريض وفي الأحوال الحنجرية يكون هذا الضيق غالباً هو السبب في الموت. واذا عمل للمريض فتح في القصبة الهوائية فقد يموت بسبب المضاعفات الرئوية أو الضعف العام مع شلل القلب.

أما في الأحوال الحلقية فالموت فيها يكون بشلل القلب وهو يحصل بسرعة عجيبة المضاعفات — كثيرة منها التهابات الرئة والبلعور والالتهاب الكلوي والشلل

(١) اذا أصابت الحنجرة أو الحلق أو اللوزتين أو الحفر الأنفية التهبت لها الغدد العنقية العليا الغائرة، واذا أصابت لثة اللسان السفلى مثلاً أو مقدم اللسان (وذلك نادر) التهبت الغدد التي تحت الفك

الدفتيري، وأهم أعراضه شلل في سقف الحلق الرخو فيرجع الماء وغيره من السوائل من الأنف ويصاب المريض بالحنّة أو الغنّة — وهي خروج صوته من أنفه — وتضعف رجلاه فلا يقوى على المشي طويلا ولا القيام ويصاب بالحوّل لشلل بعض عضلات العين الى غير ذلك من الاعراض التي تصيبه بسبب تأثير سم المرض في الاعصاب . وهذه الاعراض تبتدىء بعد الشفاء الظاهري بأيام أو أسابيع

المعالجة — يعزل المريض وتعطى له السوائل المغذية والمنعشات المنبهة للقلب فانه عرضة لان تحصل فيه استعالة شحمية . وتجب المبادرة الى حقن المريض بمصل الدفتيريا وذلك من اختصاص الطبيب الذي يقدر الكمية المناسبة لحالة المريض ويجري عمل الحقن طبق الاصول الطبية

والمبادرة الى حقن المريض من أوجب الواجبات لان التأخير يفسد خلايا الأعضاء وخصوصا القلب حتى اذا عمل للمريض الحقن بعد ذلك لا ينفعه شيئا . والمصل يبقى نافعا مدة سنة على الاقل اذا لم تفتح زجاجاته وحفظ في مكان مظلم بارد ويظهر الحلق بطرق كثيرة ، ومن أحسنها استعمال أقراص (الفرمانت) [Formamint] لسهولة تعاطيها عند الاطفال واذا احتيج الى تطهير أقوى ونزع تلك الاغشية من الحلق فالاولى أن يخذل الطفل بالكورفورم لينظف حلقه تنظيفا تاما بغير اجهاد له

أما الشلل الذي يعقب المرض فانه يزول من نفسه في شهرين أو أربعة أشهر، ومما يعجل في شفاؤه الراحة والمقويات والكهرباء والاعذية الجيدة والهواء النقي

الوقاية — تعرف من الكلام على أسباب هذا المرض ، واذا حقن الطفل الذي اختلط بمريض وقته الحقنة لمدة ٣ أسابيع تقريبا . والكمية اللازمة للوقاية هي ٥٠٠ الى ١٠٠٠ وحدة . أما الوحدة وتسمى وحدة [ارليخ ^(١) Ehrlich] — وهو عالم ألماني يهودي — فهي الكمية التي اذا مزجت بمائة ضعف للكمية الكافية لقتل خنزير الهند البالغ وزنه ٢٥٠ جراما في ٤ أيام وقته من الموت اذا حقنت تحت جلده

(١) توفي هذه السنة (١٩١٥ م) فجأة بينما هو يعمل في معمله

سوء استعمال الحقن الواقي من الدفتيريا وغيرها

سبق قولنا انه اذا أصيب طفل بهذا المرض بقي الميكروب في حلقه مدة مختلفة بعد شفائه قد تمتد الى عدة شهور، فقد روى العلامة هيلت الانكليزي [Hewlett] حادثة وجود الميكروب في أحد المصابين بعد شفائه بخمسة عشر شهراً فالواجب اذا عزل المصاب عن غيره عزلاً تاماً وتطهير كل ملامسه أو خرج منه نظهيراً تاماً وعدم السماح له بالاختلاط بغيره الا بعد فحص حلقه فحصاً بكتيريولوجياً دقيقاً نحو ثلاث مرات متفرقت والتيقن من عدم وجود الميكروب أما الحقن بمصل الدفتيريا للوقاية فله عيب كبير. ذلك ان الوقاية به لا تتجاوز ثلاثة أسابيع، فاذا أصيب الطفل الذي عمل له هذا الحقن بمرض الدفتيريا بعد نهاية الثلاثة الاسابيع مثلاً وعالجناه من مرضه بالحقن فقد يصاب الطفل فوق مرضه بمرض آخر يسمى « مرض المصل » [Serum disease] أو « زيادة التأثير بالحقن » [Supersensitiveness] وهذا المرض كثيراً ما يكون خطراً ولعله أحد أسباب كثرة المتوفين من الاطفال حتى بعد الحقن بمصل الدفتيريا

وأعراضه هي : غثيان وقيء وضعف في النبض مع سرعته وإحساس بالضجر والاختناق وسرعة في التنفس مع ضيقه وهمود (هبوط) وتشنجات بل وغيبوبة. وهذه الاعراض تزول عادة بعد ساعة أو ساعتين ولكنها قد نمت الشخص خصوصاً بالاختناق لا تقباض الشعب الرئوية الصغيرة. هذا ولو كان الشخص المحقون مرتين سليماً فما بالك اذا كان مصاباً مع هذه الاعراض بالدفتيريا فان الوفاة تكاد تكون محققة

والمراد بهذا المرض المذكور هنا هو غير ما يحدث من الحقن (لنحو ٧٪) في نهاية الاسبوع الاول أو بعده مثل ظهور طفح متنوع الشكل وألم في المفاصل مع تورم فيها وحمى خفيفة فان هذه الاعراض لا اهمية لها وتزول في نحو ثلاثة أيام ولا خطر منها عادة أما المرض الذي نحن بصدده فيحدث اذا حقن شخص مرة للوقاية مثلاً من الدفتيريا ثم مضت مدة بعد حقنه نحو ١٢ يوماً أو أكثر ثم عدنا الى الحقن مرة

ثانية. وقد يحدث هذا المرض حتى اذا كانت الفترة بين الحقنين أربع سنوات أو أكثر وهذا المرض لا ينشأ عن سم في المصل بل عن نفس المصل بحيث اذا حقن مصل أي حيوان سليم مرتين متفرقتين بتلك الفترة فقد يحدث هذا المرض . لذلك ولغيره لا يجوز معالجة النزف بالحقن بالمصل أو بالسم كما سبق في صفحة ٤٩ من الجزء الأول

ومن طرائق اتقاء المرض المذكور أن يحقن نوعان مختلفان من المصل أعني أن يحقن للوقاية مصل مستخرج من الثور مثلاً وللعلاج مصل آخر مستخرج من الحصان كما هو المعتاد . وكذلك استعمال لبنات الكالسيوم قبل الحقن أو في أيام استعماله فان هذا الملح كثيراً ما يمنع هذه الاعراض الخطرة أو يخفف من وطأتها بل قد يمنع الاعراض الأخرى المذكورة ككالطفح وألم المفاصل وغيرها أيضاً . ومقدار هذا الملح في كل جرعة من ١٠ الى ٣٠ قحمة أي يختلف باختلاف السن وهو يذوب في الماء ويسهل امتصاصه في البنية واذا تسر اعطاؤه من طريق الفم كما في الدفثيريا أذيب في الماء وحقن في الشرج أو أعطي مع اللبن فان المريض لا يشعر به

ومن الطرق أيضاً لاتقاء تلك الاعراض التخدير العام بالاثير مثلاً وقت الحقن الثاني، ولكنها طريقة رديئة جداً وغير ميسورة في أكثر اصابات الاطفال خصوصاً اذا أصابت الدفثيريا حناجرهم

ويقال ان الحقن بالمصل الذي أزيل منه بعض المواد الزلالية الأولية [Proteins] يقلل التعرض للاصابة بتلك الاعراض. وعلم أن المصل الرقيق الذي لم يتكاثف بالتبخر أسهل امتصاصاً من الغليظ . هذا ولا يتوهم القارئ أني أفقر الناس من الحقن في الدفثيريا لعلاجها كلا ! ثم كلا ! بل الواجب المبادرة الى الحقن بالمصل المشتمل على وحدات كثيرة بحسب ما يراه الطبيب في الحالة^(١) وانما كلامي السابق هو لبيان مضار الحقن للوقاية لا للعلاج

(١) في أحوال الدفثيريا الشديدة أو التي تأخر علاجها يجب البدء بحقن ١٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ وحدة (Units) ويتكرر الحقن كل ٦ أو ١٢ ساعة بحسب حالة المريض وسرعة اتصال الاغشية ، ولا يراعى في ذلك سن الطفل

وكذلك يجب حقن 'مَصُول' أخرى كالمصل المضاد لسم البزور السلسلية اذا وجدت في الحلق بالبحث الميكروسكوبي أو عرفت بمثل الأعراض الآتية وهذه الميكروبات تصاحب ميكروب الدفتيريا في بعض الاحوال فتكون الحمى فيها شديدة ورائحة الحلق كريهة جداً . فان لم يعمل هذا الحقن أيضاً كان مصل الدفتيريا وحده غير واف بالغرض

الطاعون Plague

الطاعون — وقانا الله منه — داء اشتهر كثيراً حتى بين الامم الغابرة ، وكانوا يخشونه أشد خشية لشدة فتكه بهم ومسرعة انتشاره بينهم . ومن أشهر أوبئته التي حدثت في أوربة ما حدث في عصر يوستنيانوس الروماني في القرن السادس بعد الميلاد الاسباب — هذا المرض ينشأ من ميكروب باسيلي اكتشفه (كيتاساتو) (Kitasato) الياباني سنة ١٨٩٤ وهو يوجد أثناء حياة المريض في الدم وفي الغدد الملتهبة وفي البراز والبول وفي اللعاب اذا التهابت الرئة ، وبعد الموت يوجد في جميع أعضاء الجسم تقريباً . طول هذا الميكروب من ١ الى ١.٥ ميكرون وهو لاهييات له ولا حركة وان زعم بعضهم ان له أهداباً

ينتقل هذا الميكروب من شخص الى آخر بسرعة عظيمة ، خصوصاً اذا ساءت الاحوال الصحية بالازدحام ونقص التهوية وزيادة التلوثات في الاماكن والملابس وغيرها . وهو يصيب الناس في جميع الاعمار الى سن الخمسين وبعد ذلك يقل كثيراً . والاصابة به مرة تحمي عادة من الاصابة ثانية . وشدة الحر تعوق سيره أكثر من البرد هذا المرض يصيب كثيراً من الحيوانات مثل القردة والقطة والجِرَذان (جمع جُرَذ وهو الفأر الكبير) أما الخيل والانعام فهي لاتصاب به الا قليلاً وكذلك الطيور أهم مدخل لميكروب هذا المرض في الجسم طريقان : وهما طريق الرئة وطريق الجلد ، أما طريق المعدة أو الامعاء فهو من الندرة بمكان بحيث لا يستحق الذكر

وكيفية وصوله من طريق الرئة أن يستنشقه الانسان مع الهواء الملوث به من نفايات المصاب بالطاعون الرئوي . أما طريق الجلد فهو من أعظم الطرق لنشر هذا

المرض ، ولا يوضح ذلك نقول : ان الفيران كثيرا ما تصاب به فتبوء. والفيران يأكل بعضها بعضا - كما سبق - فينتشر المرض بينها لهذا السبب وغيره. والفيران براغيث تنتقل منها الى الانسان فتلقحه بها وكذلك تلقح الفيران الاخرى ، وقد تلقح شخصا من شخص ولكنه نادر. واسم هذا النوع من البراغيث بالفرنسية [Pulex Cheopis] وهو أشهر أنواع البراغيث التي تعيش بدم الفيران في البلاد الحارة. ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث وأمعائه ويخرج في برازه فقط ، فاذا علق بخرطوميه ، ووخز به الانسان لقحه بالمرض ، وقد يتلوث مكان الوخز من الانسان ببراز البرغوث الذي فيه كثير من ميكروبات الطاعون . ويبقى البرغوث قادرا على التلقيح لمدة تتراوح بين سبعة أيام و ١٥ يوما . وقد ينقل البق أيضا ميكروب الطاعون . ويحتمل أيضا أن يدخل الميكروب من بعض الجروح والسحجات كما في الاقدام الخافية فان لم توقف الغدد اللعابية الميكروبات وصلت الى الدم وأحدثت تسهما عاما كما سيأتي

الاعراض - مدة التفريخ من يومين الى خمسة

ولهذا المرض ثلاثة أشكال شهيرة وهي : الطاعون الدملي والطاعون الدموي

والطاعون الرئوي

أما أعراض الشكل الاول - وهو أكثر حدوثا - فهي الاحساس بالضعف العام والكلل والصداع والدوار والرعدة التي يعقبها ارتفاع في الحرارة ، وفي بعض الاحوال يصاب المريض في هذا الطور بشيء من الدھول مع مشية كشية الذشوان وارتعاش في حديثه وقد يصاب بتھيج ورعب لا يعرف سببه أو يصاب بالغثيان والقيء أو الاسھال

وتكون الحمى في هذا المرض عالية ويصاحبها باقي أعراض الحمى كجفاف اللسان واسوداده ، ثم يصير المرء في حالة تشبه المصاب بالتيفوس فيھذي كثيرا ثم تصيبه الغيوبة وتكثر الاوساخ على الشفتين والاسنان ويضعف النبض وتبرد الاطراف ويقل البول بل قد لا يفرز مطلقا في بعض الاحوال المميتة ، وبعد يومين أو ثلاثة تضخم الغدد اللعابية في الارية أو الابط أو العنق

والغالب أن تصاب الغدد في جهة واحدة وهي الأريية، وحجم الورم الناشئ من ذلك يكون كحجم بيضة الدجاجة ويصعبه ألم شديد . وإذا طالت حياة المرء حصل له خراج في تلك الغدد في اليوم السابع عادة، وفي هذا الوقت قد تظهر دمل في الجلد أو جهرات خصوصا في الاطراف السفلى أو الاليتين أو القفا. وفي الاحوال الشديدة جدا يحصل نزف تحت الجلد قبل الموت أو يكون النزف كنقط صغيرة كدغ البراغيث وكلاهما قد يعم الجسم كله أو يكون ظاهرا حول الغدد الملتببة . وقد يصاب المرء أيضا بالرعاف أو النزف الرئوي أو المعدي أو الدموي

والموت يحصل عادة قبل اليوم السادس . والشفاء يقتدى من اليوم السادس الى العاشر ولكن اذا تقيحت الغدد قد تطول مدة المرض بسبب الوباء التي فيها أما أعراض الشكل الدموي فيصاب المرء فجأة بأعراض الحمى البالغة، وقد يموت في ظرف ٢٤ ساعة لتسمم دمه . وفي هذا الشكل قد ترم الغدد قليلا ولكن لا تصل الى حجم النوع الاول مطلقا . ويسمى هذا النوع بالطاعون الصاعق فان المريض يصعق به فجأة فيغيب عن الوجود وترتفع حرارته فيموت سريعا أما أعراض الشكل الثالث فتبتدى كالشكل الاول ولكن بعد يوم أو يومين تظهر الأعراض الرئوية فيسرع التنفس ويكثر السعال مع النفث الكثير المشوب بالدم ويزول النوم ويكثر الهيجان والهذيان، ويموت المريض في ظرف ثلاثة أيام وتكون الرئة في هذا النوع مصابة بالتهابات متعددة في فصيصاتها

ولا توجد الخيرجلات (وهي التهاب الغدد اللمفاوية) عادة في هذا الشكل، وفيه يوجد الميكروب في القطع الملتببة من الرئة وفي البصاق وهناك نوع آخر لا يهتما كثيرا لقلته وفيه تكون الحمى قليلة والأعراض خفيفة بحيث يمكن للمريض أن يندو ويروح مدة من أيام مرضه . ويسمى هذا الضرب بالطاعون الجولاني

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض كثير جدا فقد تصل الى ٥٠ ٪ بل الى ٨٠ ٪ والموت بين الجنس الابيض في الظروف الصحية الجيدة أقل منه في غير ذلك

المعالجة - تعالج الاعراض كل بما يناسبه حسب الاصول الطبية . وللطاعون مصل كـمصل الدقيريا^(١) يحقن منه في اليوم الاول ثلاثة مقادير كل منها خمسون سنتي مترا مكعبا تحت الجلد أو في الاوردة - وهو الافضل في الاحوال الشديدة - ويتكرر بعد ذلك حقن مقادير صغيرة بضعة أيام . ومن أحسن أنواع هذا المصل مصل [يرسين Yersin] ولكن فائدته ليست بكبيرة

الوقاية - تكون بأشياء كثيرة أهمها ما يأتي :

- (١) عزل المصاب
 - (٢) النظافة التامة في كل شيء
 - (٣) اباداة الفيران وأحسن طريقة لذلك أن تصطاد بالاشراك أو تسمم بالزرنيخ أو الفسفور ، أما اصطيادها بالقطط فعليه أنها هي نفسها قد تصاب بالطاعون فتكون من العوامل الناشرة للمرض بدل المقللة له
 - (٤) تنظيف الملابس ليتقي وجود البراغيث فيها
 - (٥) اباداة الحشرات الاخرى بقدر الامكان كالبق فانه قد ينقل الميكروب من شخص الى آخر
 - (٦) يحقن الاصحاء مرتين اذا حصل الوباء بـلقاح الطاعون وهو ميكرو به المقتول بالحرارة فتحصل المناعة بسرعة حتى لا يخشى كثيرا من حصول المرض قبلها
 - (٧) يظهر كل ما يوجد في غرفة المريض بالفلي أو الحرق أو غيرها ، وقتل الميكروب الذي يوجد في افرازاته بالأدوية المطهرة وبالحرق
 - (٨) لا يختلط المريض بالاصحاء الا بعد شهر من شفائه ، لان الميكروب قد وجد في دم المـطعون بعد النقاة بثلاثة أسابيع
 - (٩) على الممرض للمطعون بالنوع الرثوي أن يتكم بالقطن المنفوش ليحول دون وصول الميكروب الى رثته ثم يحرق القطن
 - (١٠) تسد شقوق وفروج المنازل لكيلا تأوي اليها الجرذان
- (١) وإنما يختلف عنه بأنه يستخرج من الحصان بعد حقنه بالميكروب المقتول لا بسم منه مصفى

الخطب الدينية

٣

﴿ خطبة من خطب القاسمي في النهي عن الحلف بالله والطلاق ﴾

الحمد لله الذي خلق الخلق على الاطلاق . فاطر السموات والارض وباسط الارزاق . فسبحانه هو العلي الرزاق . لا تنفذ خزائنه بكثرة الانفاق . أحمدته واشكره . وأتوب اليه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الخلاق ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العالمين بالاتفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين الى يوم التلاق . وسلم تسليما . أما بعد أيها الناس عليكم بالتقوى فانها ترضي الملك الخلاق . واحذروا من ان يجعلوا الله عرضة لآيائكم . فان إيمان الحنث تحقق بركة الارزاق ، واحذروا من الحلف بالطلاق . فانه يمين الفساق ، فمن حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله صار من أهل النفاق ، وخالف الكتاب والسنة ومن خالفهما فليس له في الآخرة من خلاق . فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وآت الذي هو خير » واعلموا ان من حنث في يمينه فعليه أداء الكفارة وهي عتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فان عجز فصوم ثلاثة أيام ، ولا يجب التتابع في الصيام ، ويكفي في الكسوة ثوب أو سراويل أو قميص ، يوزع من كل عشرة على المساكين الذين ورد فيهم التنصيص ، ومن طلق زوجته ثلاث تطليقات شرعيات غير بدعيات فلا تحل له الا بنكاح جديد ، ومن أمسكها بعد الثلاث فقد خالف أمر الله المجيد ، وتعرض للوعيد الشديد ، ومن لعب

بالطلاق ، أو طلق امرأته من غير ما باس فقد تقض الميثاق ، فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال اتلعبن بكتاب الله وانا بين أظهركم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال الى الله الطلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « ايما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة » وقال تعالى (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال تعالى (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) أي بالفراق ، فائقوا الله عباد الله في النساء وحقوق الزوجية ، وقوموا من مكارم الاخلاق مع الاهل بالسنة النبوية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لأهلي » واشكروا نعمة الله في الازواج أيها المؤمنون ، فقد قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

﴿ خطبة أخرى له في آداب الكسب والمعاش ﴾

الحمد لله الذي رفع السماء لعباده سقفاً مبنيّاً ومهد الأرض بساطاً لهم وفراشاً . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً . لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات انعماشاً . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد وردهم عليه عطاشاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا (؟) في نصرة دينه تشمراً وانكماشاً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله . واعلموا ان رب الارباب ، ومسبب الاسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب . والدنيا دار التمحل والاضطراب . والنشمر والاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصوداً على المعاد دون المعاش . بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها ، والنامن ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد ، من لم يلزم في طالب المعيشة

منهج السداد ، ولم ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ، ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة ، وقد ورد في فضل الكسب والحث عليه آيات وأخبار ، قال الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقال تعالى (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم ، « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان » وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ويجب على التاجر أن ينصح في المعاملة ، ويجب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يحمل له ان يثني على السلعة بما ليس فيها ، ولا يكتُم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا ، ولا يكتُم في وزنها ومقدارها شيئا . ومن خالف ذلك كان ظالما غاشا ، والغش حرام قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » وقال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اكتبوا على الناس يستوفون « واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) وعلى التاجر الرفق في التعامل والاحسان فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسرا أو ترك له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » وقال تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

﴿ خطبة له في فضل الاخوة والصحبة والالفة ﴾

الحمد لله الذي غمر صفوة عبادہ بطائف التخصيص طولا وامتانا ، والف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا ، وفي الآخرة رقاء وخلانا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلًا وعدلا واحسانا . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله

واعلموا أن التعاطف في الله تعالى والاخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات، وقد ورد في فضل الاخوة آيات كريمات وأخبار عالياً. قال الله تعالى (أما المؤمنون إخوة) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن آلفٌ مألوف ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه » وعنه صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلاً في الله شوقاً اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » واعلم أن لاختيك عليك في اخوته وصحبته حقوقاً يجب الوفاء بها . فمنها حق في المال بأن تقوم بحاجته من فضل مالك ، أو تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، وحق في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات مع البشاشة واظهار الفرح ، وحق على اللسان في السكوت عن عيوبه وفي ترك مماراته ، وفي النطق بالحجاب تودداً اليه وتفقداً لاحواله ، وحق في العفو عن الزلات والهفوات ، وحق في الدعاء له في حياته ومماته كما يدعو لنفسه ، وحق في الوفاء والاخلاص ، وذلك بالثبات على الحب وادامته الى الموت معه ، وبعد الموت مع اولاده وأصدقائه ، وحق في التخفيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سره من مهماته وحاجاته ، وجملة حقوق المسلم أن تسلم عليه ، اذا لقيه ، ونجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبرقسه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك. وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحامدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً كما أمركم الله » فاتركوا الضغائن من قلوبكم والاحقاد ، وتصافحوا على المحبة وسلامة الصدر والايثار وصدق الوداد ، وليعتذر كل منكم لاختيه عما فرط منه ، ليفوز برضاء الله عنه. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقال صلوات الله عليه لمعاذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد ، وأداء الأمانة وترك الخيانة ، وحفظ الجار ورحمة اليتيم ، ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح »

المعرفة بالله تعالى

بين ابن القيم في باب المعرفة من الجزء الثالث من (مدارج السالكين) الفرق بين المعرفة والعلم لغة وشرعا من خمسة وجوه ، ثم بين معناها في اصطلاح الصوفية وكلام أئمتهم فيها ، ثم شرح ما قاله شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروي فيها ، ونحن ننقل ما هو خاص بالتصوف ، أي ما بعد الفروق الخمسة وهذا نصه :

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن ان المعرفة عندهم هو العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله ، فتشهد له بالمعرفة ، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تظهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبلياته ، ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ، ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، اذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة^(١)

وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدھا فقال بعضهم : من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه ، فن ازدادت معرفته ازدادت هيئته — وقال أيضا — المعرفة توجب السكون فن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . وقال لي بعض أصحابنا : ما علامة المعرفة التي يشيرون اليها ؟ فقلت له : أنس القلب بالله . قال لي : علامتها ان يحسن بقرب قلبه من الله فيجده قريبا منه . وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة^(٢) ولا لمحب شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لحائف قرار ، ولا لاحد من الله فرار . وهذا كلام جيد ، فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها ، وتعلقه

(١) في ب « فاذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة » (٢) في ب

بمعروفه فلا يبقى فيه علاقة بغيره ، ولا تمر به الملائق الا وهي مجتازة ، لا تمر مرور
استيطان . وقال أحمد بن عاصم : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف . ويدل على
هذا قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقول النبي صلى الله عليه وسلم
« أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال آخر : من عرف الله تعالى ضاقت عليه
الدنيا بسعتها . وقال غيره : من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق . ولا تنافي
بين هذين الأمرين ، فانه يضيق عليه كل مكان لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه ،
ويتسع عليه ما ضاق على غيره ، لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه ، فقلبه غير
محبوس فيه ، والاول في بداية المعرفة ، والثاني في نهايتها التي يصل اليها العبد .
وقال آخر : من عرف الله تعالى صفا له العيش فطابت له الحياة وهابه كل شيء ،
وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله . وقال غيره : من عرف الله قرت عينه بالله
وقرت به كل عين ، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، ومن عرف
الله لم يبق له رغبة في سواه ، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت
رغبته معرفته ، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ، وتوكل عليه
وأناب اليه ولهج بذكره ، واشتاق الى لقائه واستحيا منه ، وأجله وعظمه على قدر
معرفته به ، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي
دعي الى الايمان به ، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يترأى له فيها الله سبحانه والدار
الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قيل :

اذا سكن الغديرُ على صفاء وجُنب أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهذه رؤية المثل^(١) الأعلى كما تقدم ، ومن علامات المعرفة أن يدرك
الشاهد ، وتقتى الشواهد ، وتنحل الملائق ، وتنقطع العوائق ، وتجلس بين يدي
الرب تعالى وتقوم وتضطجع على التأهب للقائه ، كما يجلس الذي شد أحماله وأزعم

(١) في ن « المثال »

السفر على التأهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه ، كما ينزل المسافر في المنزل فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب ، وقيل للجنيذ : ان أقواما يدعون المعرفة يقولون أنهم يصلون بترك الحركات من باب البر والتقوى . فقال الجنيذ : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الاعمال ، وهو عندي عظيم ؛ والذي يسرق ويرزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، ان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله والى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بيني وبينها ومن علامات العارف انه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا ، ومن علاماته انه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت ، لانه ينظر الى الاشياء بعين الفناء والزوال ، لانه في الحقيقة كالظلال والخيال . وقال الجنيذ : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض يطأها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالمر يسطي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى ابن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين : بكاء على نفسه ، وثناؤ على ربه . وهذا من أحسن الكلام فانه يدل على معرفته بنفسه وعبوبه وآفاته ، وعلى معرفته بربه وكماله وجلاله ، فهو شديد الازراء على نفسه ، لهج بالثناء على ربه . وقال أبو يزيد : انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله سبحانه وتعالى فتغنيهم حقوقه عن حظوظهم

وقال آخر : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين . وهذا يحتاج الى شرح ، فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن يكون اشتغاله بغير الله ، فذلك اشتغال به سبحانه لانه اذا اشتغل بغيره لاجله لم يشغل عنه ، قال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان : الهية والحياة والانس . وقيل لذي النون : بم عرفت الله ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي . وقيل لعبد الله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . فاني عبد الله باصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه الا به ، وهو المبينة والعلو على العرش

ومن علامات العارف أن يعتزل الخلق بينه وبين الله حتى كأنهم أموات لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق حتى يكون بينهم بلا نفس ، وهذا معنى قول من قال : العارف يقطع الطريق بخطوتين : خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق ؛ وقيل : العارف ابن وقته . وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم وعما لم يدخل بعد في الوجود ، فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الياقية . ومن علاماته أنه مستأنس بربه مستوحش ممن يقطعه عنه ، ولهذا قيل : العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق وافتقر الى الله فأغناه عنهم ، وذل لله فاعززه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغنى بالله فأحوجهم اليه . وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول . يعني ان العالم علمه أوسع من حاله وصفته ، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره ، وقال أبو سليمان الداراني : ان الله تعالى يفتح للعارف على فراشه ما لم يفتح له وهو قائم يصلي . وقال غيره : العارف تنطق المعرفة على قلبه وحاله وهو ساكت . وقال ذو النون : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف اقطاعه عن ذكر الله

وقل بعضهم : رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين . وهذا كلام ظاهره منكر جدا يحتاج الى شرح ، فالعارف لا يراي المخلوق طلبا للمنزلة في قلبه ، وإنما يكون رياؤه نصيحة وارشادا وتعلما ليقتدى به ، فهو يدعو الى الله بعمله كما يدعو اليه بقوله ، فهو ينتفع بعمله وينفع به غيره ؛ واخلاص المريد مقصور على نفسه ، فالعارف جمع بين الاخلاص والدعوة الى الله ، فاخلاصه في قلبه ، وهو يظهر عمله وحاله ليقتدى به ، والعارف ينفع بسكوته والعالم إنما ينفع بكلامه * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق *

وقال ذو النون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رمز بها الى حقيقة العبودية ، وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية ، فينأى تراه مصليا اذ رأته ذا كرا أو قارئا أو معلما أو متعلما أو مجاهدا أو حاججا أو مساعدا للضعيف أو مغنيا للملهوف ، فيضرب في كل غنيمة من

الغنائم بسهم ، فهو مع المتسبيين متسبب ، ومع المتعلمين متعلم ، ومع الغزاة غاز ، ومع المصلين مصل ، ومع المتصدقين متصدق ؛ فهو يتنقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية . وهو مقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره

وقال يحيى بن معاذ : العارف كائن بائن . وهذا يفسر على وجوه (منها) انه كائن مع الخلق بظاهره بائن عنهم بصره وقلبه و (منها) انه كائن بربه بائن عن نفسه و (منها) انه كائن مع أبناء الآخرة بائن عن أبناء الدنيا و (منها) انه كائن مع الله بموافقته بائن عن الناس في مخالفته و (منها) انه داخل في الاشياء خارج منها ، فان من الناس من هو داخل فيها لا يقدر على الخروج منها ، ومنهم من هو خارج عنها لا يقدر على الدخول فيها ، والعارف داخل فيها خارج منها . ولعل هذا أحسن الوجوه

وقال ذوالنون : « علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله » وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج الى شرح ، فان كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الاشياء من قلة المعرفة ، فان المعرفة منسعة الا كفاف واسعة الارضاء ، فالعارف واسع موسع ، والسعة تطفى نور الورع ، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه ، ولا يخالف ورعه معرفته . كما قال بعضهم^(١) العارف لا ينكر منكرا ، لا تنبصاره بسر الله في القدر ، فعنده ان مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة ، واذا شاهد الحقيقة عذر الخليفة ، لأنهم مأسورون في قبضة القدر . فمن يعذر أصحاب الكبائر والجرائم ، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع ، بل غلام معرفته قد أطفأ نور ايمانه.

قوله : (٢) باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم — فانه يشير به الى ما عليه المنحرفون ممن ينسب الى السلوك ، فاتهم يقع لهم أذواق ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدها فيعتقدونها ويتركون

(١) كتب في هامش الاصل « قوله بعضهم أي الملاجدة القائلين بوحدة الوجود أعاذنا الله من الزيغ والضللال » (٢) أي ذوالنون

ظاهر الحكم ، وهذا كثير جدا ، وهو الذي نفاه أئمة الطريق على هؤلاء وصاحوا بهم من كل ناحية ، وبدعواهم وضللوهم به ، قوله ^(١) « ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك محارم الله » كثرة النعم تطغي العبد وتحمله دلى أن يصرفها في وجوها وغير وجوها ، وهي تدعو الى أن يتناول العبد بها ما حل وما لا يحل ، وأكثر النعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة دلى القدر الحلال بل يتعداه ^(٢) الى غيره وتسول له نفسه ان معرفته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ، ويقول العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل . وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل ، وهذا من أعظم المكر . والامر بضد ذلك ، فيسئل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف ، إذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين ، وقد دل على هذا شرع الله وقدره ، ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد ، وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (يانسأ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فإذا كملت النعمة على العبد فقابلها بالأساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم فدرجته أعلى وعقوبته أشد

وقال أيضا ^(١) ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا ؟ يريدانه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عباداً أو من أبناء الدنيا وقال أبو سعيد : المعرفة تأتي من بين الوجود ^(٢) وبذل المجهود . وهذا كلام حسن يشير الى أن المعرفة ثمرة بذل المجهود في الاعمال ، وتحقيق الوجود في الأحوال ، فهي ثمرة عمل الجوارح ، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث ، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له ، وسئل ذوالنون عن العارف فقال : كان هاهنا فذهب . فسئل الجنييد عما أراد بكلامه هذا فقال : لا يحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع كل أهل منزل بمثل الذي هم فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق بمعالمها لينتفعوا ، وقال عجمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله . وسئل أبو سعيد : هل يصل العارف الى حال يجفو عليه البكاء ؟ فقال : نعم ! أما البكاء

(١) مقتضى ما قبله ان يقول : يتعدونه — أو : يتعداه أحد هم الخ اي ذوالنون

(٢) كتب في هامش الاصل « لعله الجود »

٧٠٢ الدرجة الاولى للمعرفة. الفرق بين النعت والصفة [المنار : ج ٩ م ١٨]

في أوقات سيرهم الى الله فاذا نزلوا بمحقات القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك ، وقال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل . إنما كان نوم العارف يقظة لان قلبه حي فعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها ، جسده في الفراش ، وقلبه حول العرش ، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل لأن بدن الغافل واقف في الصلاة وقلبه يسبح في خشوش الدنيا والاماني ، ولذلك كانت يقظته نوم لان قلبه موات ، وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست الى ست : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الآخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة

فصل

قال صاحب المنازل في المعرفة على ثلاث درجات ، واخلق فيها على ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعوت ، وقد وردت أساميها بالرسالة ، وظهرت شواهدا في الصنعة ، بتبصر^(١) النور الثماني في السر ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر ، وحياة القلب بحسن النظر بين المعاني وحسن الاعتبار ، وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين الا بها ، وهي على ثلاثة أركان : اثبات الصفات باسمها من غير تشبيه ، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيل ، والإيأس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها

قلت : الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة (أحدها) ان النعت يكون بالأفعال التي تتجدد كقوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار — وقوله — الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون » والذي نزل من السماء ماء بقدرنا أنشرنا به بادة ميتا كذلك نخرجون » والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم

(١) في المتن « بتبصير »

[المنار: ج ٩ م ١٨] الايمان بالصفات شرط المعرفة وأساس العقيدة ٧٠٣

من الفلك والانعام ما تكون (ونظائر ذلك . والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات كقوله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ونظائر ذلك

(الفرق الثاني) ان الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليد والقدم والاصابع وتسمى صفات ، وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم ، وكذلك متكلمو أهل الاثبات سموها صفات ، وأنكر بعضهم هذه التسمية كابي الوفاء ابن عقيل وغيره ، وقال: لا ينبغي أن يقال نصوص الصفات . بل: آيات الاضافات ، لان الحي لا يوصف بيده ولا بوجهه ، فان ذلك هو الموصوف ، فكيف تسمى صفة ؟ وأيضا فالصفة معنى يتم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة . والتحقق ان هذا نزاع لفظي في تسميته ، فالمقصود إطلاق هذه الاضافات عليه سبحانه ونسبتها اليه والاخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل ، سواء سميت صفات أو لم تسم

(الفرق الثالث) ان النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام ، والصفات أعم ، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام ، ومنه قولهم في تحلية الشيء : نعتة كذا وكذا . لما يظهر من صفاته ، وقيل : هما لعتان لا فرق بينهما . ولهذا يقول نحاة البصرة « باب الصفة » ويقول نحاة الكوفة « باب النعت » والمراد واحد والامر قريب ونحن في غير هذا

فلنرجع الى المقصود وهو انه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الايمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه ، فالايان بالصفات وتعرفها هو أساس الاسلام وقاعدة الايمان وشجرة ثمرة الاحسان ، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الاسلام والايمان وثمره شجرة الاحسان ، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان ، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظن به ، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم

من الخاسرين) فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به ، وأنه هو الذي أهلكهم ، وقد قال في الظانين به ظن السوء (عليهم دائرة السوء) وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وسائر مصيرا) ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه . وجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به ولما كان أحب الأشياء إليه حمده ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان إنكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك ، فالمعطّل شر من المشرك ، فإنه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والظن في أوصافه هو والتشريك بينه وبين غيره في الملك ، فالمعطّلون أعداء الرسل بالذات ، بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل ، فإنه لولا تعطيل كماله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به ، كما قال امام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه (أفكأ آلهة دون الله تريدون ؟ * فما ظنكم برب العالمين ؟) أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره ؟ وما (١) الذي ظنتم به حتى جعلتم معه شركاء ؟ أظنتم أنه محتاج إلى الشركاء والاعوان ؟ أم ظنتم أنه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج إلى شركاء تعرفه بها كالمملوك ؟ أم لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاس فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عبادته ؟ أم ذليل فيحتاج إلى ولي يتكثر به من القلة ، ويتعزز به من الذلة ؟ أم يحتاج إلى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه ؟ تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً . والمقصود أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا تجدد معطلا إلا وشركه على حسب تعطيله ، فستقل ومستكثر

فصل

والرسل من أولهم إلى خاتمهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أرسلوا بالدعوة إلى الله وبيان الطريق الموصل إليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه ، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول فعرّفوا الرب المدعو إليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا ، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه

(١) لعل الأصل « أو ما » لأنه وجه آخر في تفسير الآية

[المنار: ج ٩ م ١٨] زعم الجهمية ان تسمية صفات الله بأسماء الاعضاء تشبيه ٧٠٥

وينظرون اليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى وبغضب ، ويحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ، ويحب دعوة مضطرم ، ويغيث ملهوفهم ويعين محتاجهم ، ويجبر كسيرهم ، ويعني فقيرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، يؤتي الحكمة من يشاء^(١) وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا ، وينصر مظلوما ، ويقسم ظلما ، ويرحم مسكينا ، ويغيث ملهوفًا ، ويسوق الاقدار الى مواعيدها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تقديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخيره ، فآزمة الامور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه . وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة

(القاعدة الثانية) تعريفهم بالطريق الموصل اليه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امثال أمره واجتناب نهيه والايمان بوعدته ووعدته

(القاعدة الثالثة) تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر

من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط

فعمدت المعطلة والجهمية على رأس القاعدة الاولى فخالوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، وسموا اثبات صفاته وعلوه فوق خلقه واستوائه على عرشه — تشبيها ونجسها وحشوا ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسموا نزوله الى سماء الدنيا ، وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه وغضبه بعد رضاه ، وسمعه الحاضر لاصوات العباد ، ورويته المقارنة لافعالهم ونحو ذلك — حوادث ، وسموا وجهه الاعلى ويديه المبسوطتين وأصابه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة — جوارح وأعضاء ، مكرها منهم كُبارا بالناس ، كمن يريد التنفير عن العسل فيمكر في العبارة ويقول : مائع أصفر يشبه العذرة المائنة . أو ينفر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الاسماء فعل الماكر الخادع ، فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والعمل

فلما تم للمعطلة مكرهم وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بمقائق الايمان وما جاء

(١) لعله سقط من هنا : ويؤتي الملك من يشاء

به الرسول — ترتب عليه الإعراض عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه باوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواء وجاء أهل الآراء الفاسدة ، والسياسات الباطلة ، والأذواق المنحرفة ، والعوائد المستمرة ، فقعّدوا على رأس هذا الصراط وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها وما كان عليه وأصحابه ، وعابوا من خالفهم في قعودهم عن ذلك ورغب عما اختاروه لأنفسهم ، ورموه بما هم أولى به منه كما قيل : رميتي بدائها وانسلت وجاء أصحاب الشهوات المعتنون بها الذين يعدون حصولها كيف كان الظفر في هذه الحياة والبغية فقعّدوا على رأس طريق المعاد والاستعداد للجنة ولقاء الله ، وقالوا : اليوم خمر ، وغدا أمر ، اليوم لك ولا تدري غدا لك أو عليك . وقالوا : لا نبيع ذرة منقودة ، بدرة موعودة

خذ ما تراه ودع شياً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل
وقالوا للناس : خلوا لنا الدنيا ونحن قد خلينا لكم الآخرة ، فان طلبتم منا ما بأيدينا أظناكم على الآخرة

أناس^(١) يُقَضُّون عيش النعيم ونحن نحال على الآخرة
فان لم تكن مثلما يزعمون فتلك اذاً صكرة خاسره
فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه ، وغايته ، وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزماهم إذا قفروا ، ومثير همهم إذا قصروا ، فان سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا شاهد له فلا سير ولا طلب ولا سلوك له ، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو العَلَمُ الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً راتحاً لم يضع لبنة على لبنة ، ولكن رفع له علم فشمروا إليه » ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل حتى يرفع الله عز وجل له بفضلته ومنته علماً يشاهده بقلبه فيشير إليه ويعمل عليه ، فان عطلت شواهد الصفات ووضعت أعلامها عن القلوب ، وطمست آثارها

[النار: ج ٩ م ١٨] حرمان المعطلة من المحبة والتوكل ومقام الاحسان ٧٠٧

وضربت بسياط البعد ، وأسبل دونها حجاب الطرد ، وتخلفت مع المتخلفين ، وأوحى اليها القدر أن اقعدي مع القاعددين ، فإن أوصاف المدعو اليه ونعوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب الى محبته وطلب الوصول اليه ، لان القلوب انما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه وتشتاق اليه وتلتذ بقربه وتطمئن الى ذكره ، بحسب معرفتها بصفاته ، فاذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والاقاربها ، امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها ، اذ وجود الملزوم بدون لازمه والمشروط بدون شرطه ممتنع

فحقيقة المحبة والالاباة والتوكل ومقام الاحسان ممتنع على المعطل امتناع حصول المغل من معطل البذر بل أعظم امتناعا . كيف نصعد القلوب الى من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مبائنا له ولا محايثا ، بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد والاماكن التي يرغب عن ذكرها ؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها ولا يُحِب ولا يُحَب ولا يقوم به فعل البتة ، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يقوم به رافة ولا رحمة ولا حنان ، ولاله حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لاجلها ؟ فكيف يتصور التوكل على ذلك ، ومحبته والالاباة اليه والشوق الى لقائه ورؤية وجهه الكريم في جنان النعيم وهو مستو على عرشه فوق جميع خلقه ؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب ولا يرضى ولا يفضى ولا يفرح ولا يضحك ؟ فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته والسرور والفرح به والشوق الى لقائه وانتظار لذة النظر الى وجهه الكريم والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه ! فلورآها أهلا لذلك لمن عليها به وأكرمها به اذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده ، والله أعلم حيث يجعل كرامته ، ويضع نعمته (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله باعلم بالشاكرين * واذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته — أم هم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون) وليس جحودهم صفاته سبحانه وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيها ،

٧٠٨ تأويل آيات الصفات كتاويل آيات المعاد والاحكام [المنار: ج ٩ م ١٨]

وانما هو حجاب ضرب عليهم فظنوه تنزيها ، كما ضرب حجاب الشرك والبدع المضلة والشهوات المردية على قلوب أصحابها وزين لهم سوء أعمالهم فأروها حسنة عدنا الى شرح كلامه . قوله « وقد وردت أساميها بالرسالة » الى آخره ، ذكر ان اثبات الصفات دل عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله ، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة فاستدل بها على صفات صانعها ، والعقل الذي طابت حياته بزرع الفكر ، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار ؛ فاما الرسالة فانها جاءت باثبات الصفات اثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب ، فتلجت له الصدور واطمأنت به القلوب ، واستقر به الايمان في نصابه ، ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والافعال أعظم من تفصيل الامر والنهي ، وقررت إثباتها أكل تقرير في أبلغ لفظ وأبعد من الاجمال والاحتمال وأمنعه من قبول التأويل ، وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره ، بل أبعد منه لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب [الصواعق المرسلة ، على الجهمية والمعتلة] بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها كتاويل آيات الامر والنهي . فالباب كله باب واحد ومصدره واحد ومقصوده واحد ، وهو اثبات حقائقه والايمان بها ولذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم وقالوا : فعلنا فيها كفعل المتكلمين في آيات الصفات ، بل نحن أعذر ، فان اشمال الكتب الالهية على الصفات والعلو وقيام الافعال أعظم من نصوص المعاد للابدان بكثير ، فاذا ساغ لكم تأويلها فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد ؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الامر والنهي وقالوا : فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الاحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية — قالوا — وما يظن انه معارض من العقليات لنصوص الصفات فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه أو أقوى منه ، وقالوا ^(١) متأولو آيات الاحكام على خلاف حقائقها وظواهرها ^(٢) التي سوغ لنا ^(٣)

(١) لعل الاصل « قال » وما بعده فاعله (٢) وفي ب « فظواهرها » وهو غير ظاهر

(٣) هذا مقول المقول ، وصوابه : الذي سوغ لنا هذا القول القواعد الخ أي هو القواعد

هذا التأويل القواعد التي اصطلاحتموها لنا وجهلتموها أصلاً ترجع إليها فلما طردناها كان طردنا ان الله ماتكم بشيء قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا له صفة تقوم به ولا يفعل شيئاً ، وطرد هذا الاصل لزوم تأويل آيات الامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب

وقد ذكرنا في كتاب [الصواعق] ان تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين . وزول الملك وتسليط أعداء الاسلام عليه إنما كانت بسبب التأويل ، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ، ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته ، لانه سبب لفساد العالم وتعطيل الشرائع ، ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فانها وردت على وجه لا يحتمل معه (١) التأويل بوجه ، فانظر الى قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً أنه إتيانه بنفسه ؟ وكذلك قوله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده - الى أن قال .. وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الأبحاء انعام والتكليم الخاص ، وجعلهما نوعين ، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرفع لتوهم ما يقوله المحرفون ، وكذلك قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فنوع تكليمه الى تكليم بواسطة وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله لموسى عليه السلام (اني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ففرق بين الرسالة والكلام ، والرسالة إنما هي بكلامه ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « انكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس منه حجاب ، وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوً ليس دونها سحب » (٢) ومعلوم ان هذا البيان والكشف والاحتراز (١) في نوح « منه » (٢) ليس من التأويل ما قالوه في شرح الحديث من أن التشبيه فيه للرؤية لا للمرئي الذي لا يشبهه قبر ولا شمس ولا غيرهما (ليس كمثل شيء) ولا قولهم ان كيفية هذه الرؤية لا تعرف في الدنيا بل ما دونها من أمر الآخرة لا يمكن أن يعرف في الدنيا أيضاً

بأننا في ارادة التأويل قطعا ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين
قوله « وظهرت شواهدا في الصنعة » هذا هو الطريق الثاني من طرق اثبات
الصفات ، وهو دلالة الصنعة عليها ، فان المخلوق يدل على وجود خالقه وبلى حياته
وعلى قدرته وعلى علمه ومشيتته ، فان الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا .
وما فيه من الاتقان والإحكام ووقوعه على أكل الوجوه ما يدل ^(١) على حكمة فاعله
وعنايته ، وما فيه من الاحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة الى المخلوق — يدل على
رحمة خالقه واحسانه وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على ان خالقه أكمل منه .
فمعطي الكمال أحق بالكمال ، وخالق الاسماع والابصار والنطق أحق بأن يكون سميعا
بصيرا متكلما ، وخالق الحياة والعلوم والقدر والارادات أحق بأن يكون هو كذلك
في نفسه ، فما في المخلوقات شيء ^(٢) من أنواع التخصيصات من أدل شيء ^(٣) على
ارادة الرب سبحانه ومشيتته وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الاجابة عقيب
سؤال المطلوب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه
لسؤال عبيده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم ، والاحسان
الى المطيعين والتقرب اليهم والاكرام واعلاء درجاتهم — يدل على محبته ورضاه ،
وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب
والسخط والإبعاد والطرد والإقصاء يدل على المقت والبغض ، فهذه الدلالات من
جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده الى الاستدلال بذلك
على صفاته ، فهو يثبت العلم برؤيته ووحدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعته المشهودة
والقرآن مملوء بذلك ، فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق ، وشاهد اسم
الرازق من وجود الرزق والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في
العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدار لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم
الحليم من حلمه عن الجنة والعصاة وعدم معاجلتهم ، واسم الغفور والتواب من
مغفرة الذنوب وقبول التوبة ، ويظهر شاهد اسمه الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره

(١) « ما » زائدة إما هنا وإما في أول الجملة (٢) لعل كلمة شيء زائدة
(٣) لعل الاصل : أدل شيء — أو — من أدل الاشياء

من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنی له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه وبجهله من جهله، فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحذقه وتبريزه على غيره وتفرده بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي وهذه المخلوقات من بعض صنعته

واذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الاسماء الحسنی، وعلمت أن المعطلة من أعظم الناس عی بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فالوجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير الى الاسماء الحسنی وحقائقها وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل:

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير باثبات الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل
فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت
كمالها وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحسب وفطرة
ونظراً واعتباراً^(١)

قوله «تبصير النور القائم في السر» يعني ان النور الإلهي الذي جعله الله لعبده ويلقيه اليه ويودعه في سره هو الذي يبصره بشواهد صفاته، فكما قوي هذا النور في قلب العبد كان بصره بالصفات أتم وأكمل، وكما قل نصيبه من هذا النور وطفئ مصباحه في قلبه طفي نور التصديق بالصفات وإثباتها في قلبه، فانه إنما يشاهدها بذلك النور، فاذا فقدته لم يشاهدها وجاءت الشبه الباطلة مع تلك الظلمة فلم يكن له نصيب منها سوى الانكار

(١) هذه الجملة من قوله «من دلالة المخلوقات» الى هنا سقطت من نوح

قوله « وطيب حياة العقل لزرع الفكر » أي يدرك الصفات بذلك النور القائم في سره وطيب حياة عقله التي طيبها زرع الفكر الصحيح المتعلق بما دعا الله سبحانه عباده الى الفكر فيه بقوله (ويتفكرون في خلق السماوات والارض - وقوله - أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق - وقوله - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) (١) فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم فيستدلون بها على توحيده وصفات كماله وصدق رسله والعلم بخلقاته ، ويتفكرون في الدنيا واتقضاها واضمحلالها وآفاتنا ، والآخرة ودوامها وبقائها وشرفها ، وقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل على اثبات صفات الكمال ونموت الجلال ، وأما فكر مصحوب بموت القلب وعمى البصيرة قائما يعطي صاحبه فيها وتمطيلها

قوله « وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار » يعني انه ينضاف الى نور البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر الدائر بين تعظيم الخالق جل جلاله وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه ، فلا بد من الامرين فانه ان غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له الاستدلال على الصفات ، وان حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه لم يستفد به اثبات الصفات ، فاذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه آثما له اثبات صفات كماله ولا بد ، والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر الى المؤثر ومن الصنعة الى الصانع ومن الدليل الى المدلول ، فينتقل اليه بسرعة لطف ادراك ، فينتقل ذهنه من المألوم الى لازمه ؛ قال الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار) والاعتبار افعال من العبور وهو عبور القلب من المألوم الى لازمه ومن النظر الى نظيره ، وهذا الاعتبار يضعف ويقوى حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكماله على ما يفعله لحسن اعتباره وصحة نظره ، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم ، فأنهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وانه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، فيفعل ما هو موجب حكمته وعلمه وغناه وحجده ، ولا يفعل

(١) كذلك حذفت هذه الآيات منها فتقلت من ب

ما يناقض ذلك ؛ وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه فقال تعالى في الطريق الاول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — ثم قال في الطريق الثانية^(١) — أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فمخلوقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته ، وأسماءه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به وما لا يفعله ولا يأمر به مثال ذلك ان اسمه الحميد — سبحانه — يدل على انه لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، واسمه الحكيم يدل على انه لا يخلق شيئا عبثا ، واسمه الغني يدل على انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، واسمه الملك يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته وتديره وعطائه ومنعه ونوابه وعقابه ، وبث رسله في اقطار مملكته ، وإعلام عبيده بمراسيمه وعهوده اليهم ، واستوائه على سرير مملكته الذي هو عرشه المجيد ؛ فتنى قام بالعبد تعظيم الحق جل جلاله وحسن النظر في الشواهد والتبصر والاعتبار بها صارت الصفات والنسب مشهودة لقلبه قبله له

قوله « وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين الا بها » لا يريد بالعامة الجهال الذين هم عوام الناس ، وإنما يريد ان هذه هي المعرفة التي وقف عندها العموم ولم يتعدوها ، وأما معرفة أهل الذوق والمحبة الخاصة فأخص من هذا كما سيأتي قوله « وهي على ثلاثة أركان اثبات الصفة من غير تشبيه » الى آخره — هذه ثلاثة أشياء

(أحدها) اثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والانكار
(الثاني) انه لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويعيرها اسما آخر ، كما نسمي الجهمية والمعتلة سمعه وبصره وقدرته وحياته وكلامه أعراضا ، ويسمون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأباضا ، ويسمون حكيمته وغاية فعله المطلوبة عللا وأغراضا ، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث ، ويسمون علوه على خلقه واستواءه على عرشه تميزا ، ويتوصلون بهذا المكر الكبار الى نفي ما دل عليه الوحي والعقل والفطرة وآثار الصنعة من صفاته ، فيسطون بهذه الاسماء التي سموها هم و! باؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه

(١) الطريق يذكر ويؤنث وما أرى التانيث هنا والتذكر قبله الا لمن النسخ

(الثالث) عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإن الله سبحانه ليس كمثل شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به المصدقون لرسوله المقرون بكلامه يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فذهبهم حسنة بين سيئتين ، وهدى بين ضاللتين ، فصراطهم صراط المنعم عليهم ، وصراط غيرهم صراط المفضوب عليهم والضالين ، قال الامام أحمد رحمه الله : لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشعين — وقال — التشبيه أن تقول : يد كيدي . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله « والإيأس من ادراكها وابتغاء تأويلها » يعني ان العقل قد يئس من تعرفه كنه الصفة وكيفيتها فإنه لا يعلم كيف الله الا الله ، وهذا معنى قول السلف ، [بلا كيف] أي بلا كيف يعقله البشر ، فإن من لا يعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف يعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الايمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما انا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفية مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف بطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها ، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والارض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك ، الذي يقبض سمواته بيده فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا ، الذي نسبة علوم الخلائق كلها الى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العالم ، الذي لو أن البحر يمدده من بعده سبعة أبحر مداد ، وأشجار الارض من حين خلقت الى قيام الساعة أقلام ، قي المداد وفيت الأقلام ولم تنفذ كلماته ، الذي لو أن الخلق من أول الدنيا الى آخرها إنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم جعلوا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على اصبع من أصابعه والارض على اصبع والجبال على اصبع والأشجار على اصبع ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك . فقاتل الله الجهمية والمعتلة ، أين التشبيه هاهنا وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل هاهنا كل موجود سواه فضلا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه .

فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته وولاها ما نولت من وقوفها مع الالفاظ التي لا حرمة لها والمعاني التي لا حقائق لها ، ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الالهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت الى انكار حقائقها وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً ، فشبهت أولاً وعطلت ثانياً ، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه ، أما إسائة الظن بالرب فانها عطلت صفات كماله ونسبته الى انه أنزل كتاباً مشتملاً على ما ظاهره كفر وباطل ، وان ظاهره وحمائمه غير مرادة ، وأما اسائة ظننا بالرسول فلانه تكلم بذلك وقرره وأكده ولم يبين للامة ان الحق في خلافه وتأويله ، وأما اسائة ظننا بأتباعه فذهبتم لهم الى التشبيه والتشيل والجهل والحشو ، وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفروهم الا من عاند الرسول وقصد نفي ما جاء به . والقوم عندهم في خفارة جهلهم قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله وإثبات حقائق أسماؤه وأوصاف كماله (له بقية)

تقرير المطبوعات الجديدة*)

المخلق — مباحث علمية في النفس والعقل وقواها وكنه الاخلاق والعوامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها . وماهية الفضيلة وتنوع درجاتها في أدوار الحياة وأنواعها وحدودها ، والرذيلة ونشأتها وأقسامها ودرئها

تأليف حسن افندي فتوح بنظارة (وزارة) المعارف ، طبع بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٠ طبعاً نظيفاً على ورق متوسط بحرف بنط ٢٤ صفحاته ١٤٤ بالقطع الصغير وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

عظة الناشئين — كتاب أخلاق وآداب واجتماع . تأليف الشيخ مصطفى الغلايبي أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت ، طبع بمطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣٠ صفحاته ٦٦ بالقطع الصغير

ومن مباحثه : الاقدام — الصبر — الإخلاص — الشجاعة ، الشرف — المهجعة واليقظة ، الثورة الادبية ، الامة والحكومة ، الغرور ، التجدد — الدين ، المدنية ، الحرية — الزعامة والرئاسة — السعادة ، القيام بالواجب ، الثقة — التعاون — التعصب ، ورثاء الارض الخ

(*) عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

كتاب الارشاد الى تربية العقل — تأليف الدكتور محمود علي السركي طبيب
مستشفى المنيا الاميري ، طبع سنة ١٩١٣ بمطبعة (الآداب الشرقية) بالمنيا على ورق
متوسط صفحاته ١٤٨ بالقطع الوسط وثمنه ١٢ قرشا

من مباحث هذا الكتاب : الفهم والمعرفة ، كيفية تحصيل الاعمال ، كيفية الملاحظة ،
كيفية الحكم ، كيفية الاحساس ، كيفية العمل ، الارادة ، كيف تكون علاقة الانسان
مع غيره ، كيف يجب أن يكون الانسان ، كيف يتجنب الضرر ، معنى الحياة

جمال الزوجة — تأليف الاستاذ الشيخ مهدي أحمد خليل . طبع بمطبعة الجمالية
بمصر سنة ١٣٣٣ صفحاته ١٥٢ بالقطع الصغير ثمنه $\frac{3}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر
جدير بالطلبة والشبان والشابات مطالعة هذا الكتاب فانه من أفيد ما كتب في
هذا الموضوع ، وقد توخى كاتبه فيه استعمال المفردات العربية لحلل النساء وحلّين
وغير ذلك وشرح هذه المفردات ، كما هو دأبه في تصانيفه التعليمية المفيدة .

فصول الكتاب : نصائح للامهات ، ما يازم للمولود المنتظر ، الاعتناء بصحة
الأولاد ، التسنين ، غذاء الطفل ، الارضاع المختلط ، الارضاع الصناعي ، تخفيف اللبن ،
غلي اللبن وتعقيمه ، الفطام ، الاعتناء بشدي الام عند الفطام . وفي كل فصل من هذه
بيان وايضاح وشرح لا يستغنى عنه من يعلم ما يجب عليه لأولاده وأتمه ونوعه

قبل الزواج وبعده — تأليف الدكتور ا . دنيسون لايت ، الانكليزي
وترجمه بالعربية محمد افندي عبد العزيز الصدر وطبع بالمطبعة الحميدية المصرية بمصر
طبعا نظيفا ، صفحاته ٧٠ بالقطع الصغير وثمنه $\frac{3}{4}$

مباحث هذا الكتاب : مستقبل الطفل ، متى أتزوج ، الميل الشهواني — فوائده
ومضاره ، التشريح الجنسي ، الولادة ، قانون الزوج ، قانون الزوجة . وفي الكتاب
جدول لاوقات إرضاع الطفل ومقدار كل رضعة من الماء واللبن من أول عمره الى
الشهر الثاني عشر فنحث الامهات والآباء على اقتنائه

تدبير حياة الرضيع الصحية من يوم ولادته الى يوم الفطام — تأليف الدكتور
نجيب افندي قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر للاطفال بالاسكندرية . طبع بمطبعة

محمد الكلازة بالإسكندرية سنة ١٣٢٩ طبعاً نظيفاً على ورق جيد وثمنه ثلاثة قروش، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب

جرجي زيدان — كتاب فيه ترجمة حياة جرجي بك زيدان صاحب الهلال ومراثي الشعراء والكتاب وحفلات التأين وأقوال الكتاب والمجلات والجرائد في الفقيده وآثاره ومكانته العلمية الادبية وفي الكتاب رسوم الفقيده شاباً وكهلاً طبع بمطبعة الهلال بمصر على ورق جيد سنة ١٩١٥ وصفحاته ١٤٧

تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان — الجزء الرابع — طبع بمطبعة الهلال على ورق متوسط سنة ١٩١٤ وصفحاته ٣٢٨ بقطع المنار وثمنه ٢٠ ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المنار بمصر

هذا الجزء هو ثمة أجزاء الكتاب ، وبه تمت حياة المؤلف المملوءة جداً ونشاطاً وعملاً

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية وعلومها وتراجم العلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها ، من عهد دخول الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ الى هذه الايام ، وقد قرظ المنار أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ونشر انتقاد الامتاذ الاسكندري له ، وأنصف مؤلفه فيما كتبه عن مؤلفاته

ألقى المصنف بهذا الجزء جدولاً متفرق ٦ صفحات في تصحيح الاغلاط التي استفادها من المنتقدين على الاجزاء التي قبله ، وذكر منهم الاب لويس شيخو والاب انستاس الكرمل والشيخ احمد عمر الاسكندري واحد آل كاشف الغطاء وعيسى افندي المعلوف . وهؤلاء نشرت انتقاداتهم في مجلات المشرق ولغة العرب والمنار والعرفان ، وذكر من المنتقدين الذين كاتبوه احمد بك تيمور . ولكنه لم يذكر الشيخ شبلي النعماني فانه كاتبه وكتب انتقاداً على تاريخ التمدن الاسلامي في المنار ، غير انه كان في انتقاده شدة وغلظة ضاق بها صدر جرجي بك زيدان على سمته

وفي هذا الجدول استدرأكت استفادها المؤلف من المطالعة وفي ذيله ترجمة حياته وذكر جميع مؤلفاته وفيه فهرس للاجزاء الاربعة

كتاب أصول علم الاقتصاد — تأليف الاستاذ ووكر الامريكي وتريب محمد حمدي بك السيد من قضاة المحاكم الاهلية يطبع بمطبعة المنار طبعا نظيفا على ورق جيد وقد صدر الجزء الاول منه في أواخر سنة ١٣٣٣ وصفحاته ٢٥٨ وثمنه ٢٠ قرشا ولتلاميذ المدارس العليا ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

ان الحالة المالية والاقتصادية بمصر جعلت الحاجة ماسة الى وجود كتب في علم الاقتصاد والى مدرسين يدرسونه في المدارس ولا سيما في هذه البلاد التي كثرت فيها الشركات الزراعية والتجارية والصناعية واتسعت دائرة الاعمال المالية . وان بلادا كالبلاد المصرية في حالتها المدنية وتغلغل الافرنج فيها واداراتهم للمصارف والشركات فيها لا يمكن أن يحفظ أهلها ثروتهم أو أرضهم فضلا عن أن ينموها الا اذا كثر فيهم العارفون بهذا العلم وبنوا أعمالهم المالية كلها على أصوله التي بنى عليها غيرهم ، فوجب على المصريين خاصة والعرب عامة تناول هذا الفن لان مصر اليوم هي أرقى بلاد العرب ثروة فاذا ارتقى هذا العلم فيها يكون ذلك مقدمة لارتقائه في غيرها

يظن كثير من الناس ان الاقتصاد كل الاقتصاد أن لا تنفق كثيرا ، أو ان تدخر من كسبك شيئا لوقت حاجتك ، وهذا وهم منشأ الجهل فان تناول علم الاقتصاد أوسع من ذلك واكبر من أن ينحصر بالتقير والتصديق على من وسع عليهم في الرزق وأقل ما يقال فيه انه علم يبحث في (ايجاد الثروة) وهذه الكلمة تتضمن معرفة طبيعة الارض واستعدادها وكيفية توزيع محصولاتها وتكون الصناعة وارتقائها وتأثير العوامل الطبيعية والسياسية والادارية والمركز السياسي في ذلك . ثم هو يبحث في (انماء الثروة) وما يلزم لذلك من تأثير الصناعة واتقانها وتصرف مديري المصانع وعمل الصناع ورأس المال والقيمة الاعتبارية للنقددين أو ما يقوم مقامها والمبادلة والارباح والاقوات وقيمة الايجار والتوزيع والاشتراك ومعاملة الدول وتبادل بعضها مع بعض . ثم ما لا اعتصاب العمال وتأثير القوانين الادارية والسياسية في ذلك فالإقتصاد هو ما يوجد ثروة لامة والفرد وينميها أي أن تعلم كيفية كسب

المال وكيفية انفاقه بما يعود عليك وعلى أمتك بالثراء ونعمة العيش

ولما أحس الناس بالحاجة الى هذا العلم في السنين الاخيرة كتب فيه بعض الكتابين مقالات في الجرائد والمجلات ، وترجم آخرون بعض المختصرات ، وكان آخر ما ارتقت العناية اليه أن انبرى محمد حمدي بك السيد القاضي بالمحاكم الاهلية الى ترجمة (أصول علم الاقتصاد السياسي) فأفرغ جهد المستطاع في نقله الى العربية مع ما يلزم لذلك من تعريب الاصطلاحات الفنية فأنجزه ترجمة وأتم طبع الجزء الاول منها وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الثاني . ومن مميزات هذا الكتاب ان المؤلف قد وفى المسائل حقها ، وأعطاه من الايضاح قسطها ، وأبرزها في لغة العرب بعبارة سهلة المتناول صحيحة التعبير واضحة المعنى غير متنعق ولا متعذر

كتاب دروس سنن الكائنات

في مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس علمية طبية اسلامية في الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة للدكتور محمد توفيق صدقي نشرتها مجلة المنار وطبعتها على نفقتها بمطبعتها على ورق جيد وقد تم طبع الجزء الاول فبلغت صفحاته ١٨٦ بقطع المنار وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكتبة المنار وادارته بمصر

الدكتور محمد توفيق صدقي بحانة منقب، مؤلف محقق، عرفه قراء المنار بآثاره من أول عهده بالكتابة العلمية لانه قلما كتب شيئاً في غير المنار. ودروسه هذه مبنية على البحث والاطلاع والتحقيق والجمع بين العلم والعمل فهي كتاب علمي طبي جدير بأن يدرس في المدارس العربية ولا سيما الدينية منها، لانه يقرب هذه العلوم من ذهن التلميذ بعبارة عربية سليمة ، التزم فيها تعريب الاصطلاحات العلمية والتوفيق بين مسائل العلم المحققة ونصوص القرآن والحديث عند الحاجة الى ذلك ، لالأن المراد مزج العلم بالدين في التعليم كما يتوهم من يرى أن الفصل بينهما بتعليم كل منهما وحده أولى ، بل لان الغرض الاول من هذه الدروس أن يكون لرجال الدين الذين يعدون للارشاد والتعليم إلمام صحيح بالعلوم التي يحتاجون اليها في الترية والارشاد من وجهين (أحدهما) تقوية الايمان بما ترشد اليه هذه العلوم من الآيات على

قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته ووحدانيته (وثانيهما) العلم بأن الانتفاع بها مطلوب شرعاً لا ممنوع كما يتوهمه الجاهلون . مثال هذا ان توقي ميكروبات الامراض والآفات التي تصيب الانسان والحيوان والنبات لا ينافي الايمان بالله ولا اتوكل عليه ولا ما نقل في كتب الدين من نفي العدوى الجاهلية ، فاذا لم يكن رجال الدين على بصيرة في ذلك لا يسهل عليهم القيام بوظيفة الارشاد الاسلامي الذي يجب أن يكون جامعاً بين حقوق الارواح والاجساد ، ومصلحتي المعاش والمعاد

الالفاظ الكتابية : لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني — هذا الكتاب

غني عن التعريف والتعريض وهو أشهر من نار على علم ، وقد طبع مرات بأشكال مختلفة ، ولعل آخر طبعة طبعها هي هذه التي طبعها محمد امين ومحمود توفيق بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ على ورق أبيض بقطع رسالة التوحيد وجعلاً ثمنه أربعة قروش ويطلب منها ومن مكتبة المنار بمصر

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه — رسالة مقتبسة من كتاب يتيمة الدهر

الشهير تأليف أبي منصور الثعالبي ، طبعه علي عطية بمطبعة الجمالية بمصر على ورق أبيض صفحاته ١١٢ بقطع الاسلام والنصرانية وثنه $\frac{1}{4}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر موضوع الرسالة ما قيل في شعر المتنبي انتقاداً وتعريضاً وهو ما كتبه الثعالبي و يتيمة عند الكلام على أبي الطيب وقال في آخره انه يصلح ان يكون كتاباً مستقلاً وهو القائل في المتنبي : إنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر .

ديوان عبد الرحمن شكري — طبع الجزء الثالث من هذا الديوان في مطبعة

غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٥ فبلغت صفحاته ٢٤ فيها من القصائد والمقاطع ٥٥ ثمنه $\frac{1}{2}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر

شعر عبد الرحمن شكري معروف لقراء العربية فهو يطرق أبواباً لم يطرقها غيره لانه يقول الشعر للشعر لا للسعر فاذا كان الكون في نظر الشاعر قصيدة — كما يقول شكري — فان قصائده أبيات من تلك القصيدة كما يعلم من عناوين هذا الجزء ومنها : الربيع والصبا ، بين الحقيقة ، الخيال ، الشعر والطبيعة ، سحر الربيع ، الحسن مرآة الطبيعة ، وغير ذلك ومن قصائده الاخلاقية قصيدة تحت عنوان « صوت النذير » تمثل غيرته وشاعريته

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وه منارة كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ — ١٥ العقرب (خ ٢) ١٢٩٤ هـ ش ٨ نوفمبر ١٩١٥

خلاصة سورة المائدة

انفردت هذه السورة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه وبتفصيل عدة أحكام اجملت في غيرها اجمالاً ، وأكثرها في بيان شؤون أهل الكتاب ومحتاجتهم . ونحن نذكر قارئاً تفسيرنا بختلاصتها مراعين مناسبة بعض المسائل لبعض لا ترتيب ورودها في السورة ، وجعلنا ذلك على قسمين :

❖ القسم الاول ماهو من قبيل الاصول والقواعد الاعتقادية أو العملية ❖

(١) أهم الاصول التي انفردت بها السورة ، بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن ، وإتمام نعمته عليهم بالاسلام . (راجع ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦) (٥)

(٢) النهي عن سؤال النبي (ص) عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين اذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التكاليف مثلاً (راجع ص ١٢٥ - ٢٠٩ ج ٧) وقد علم من الآيات التي نزلت في هاتين المسألتين المتلازمتين ان كل حكم ديني من اعتقاد أو عبادة أو حلال أو حرام لم يدل عليه النص دلالة صريحة ولم يعمض به السنة العملية من عهد النبي (ص) فليس من الدين الذي هو حجة الله على كل من بلغتهم دعوة الرسول بحيث يطالبون به في الدنيا ويستلون عنه في الآخرة ، كما فصلنا ذلك في تفسيرهما مع بيان الفرق بين الاحكام الدينية والدينية . وأما ما دل عليه الكتاب أو السنة دلالة غير صريحة - ومنه أكثر ما اختلف أئمة العلم في دلالاته - فهو حجة على من فهم منه الحكم لا على كل أحد كما يبيناه في تفسير آية تحريم الخمر (٣) بيان ان هذا الدين مبني على العلم اليقيني في الاعتقاد والهداية في الاخلاق والاعمال ، وان التقليد باطل لا يقبله الله تعالى ، كما هو صريح الآية ١٠٧ (راجع ص ٢٠٥ ج ٧) وتقدم مثلها في سورة البقرة

(٤) بيان ان أصول الدين الإلهي على السنة الرسل كلهم هي الايمان بالله

(*) الإشارة بحرف ج لأجزاء التفسير المطبوع على حديثه لا لأجزاء المنار

(المجلد الثامن عشر)

(٩٣)

(المنار: ج ١٠)

واليوم الآخر والعمل الصالح فمن اقامها كما أمرت الرسل من اية ملة — من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين — فلم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون (ص ٤٧٦ ج ٦) وتقدم مثل ذلك في سورة البقرة

(٥) وحدة الدين واختلاف شرائع الانبياء ومناهجهم فيه

(٦) هيمنة القرآن على الكتب الالهية (ص ٤١٠ ج ٦)

(٧) بيان عموم بعثة النبي (ص) وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث كونه رسولا الا التبليغ ، وان من حجج رسالته انه بن لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يخفون من كتبهم وهو قسمان (أحدهما) ما ضاع منه قبل بعثة النبي (ص) بناء على الاصل المبين في هذه السورة وهو أنهم نسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به بانزاله فيها (وثانيهما) ما كانوا يكتُمونه من الاحكام اتباعا لاهوائهم مع وجوده في الكتاب كحكم رجم الزاني ، وقد بينا كلا من القسمين في موضعه من هذه السورة. ولولا ان مجدا الامي مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذاك

(٨) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس أن يضرّوه أو يقدروا على صده عن تبليغ رسالة ربه. وهذا من دلائل نبوته (ص) أيضا فكم حاولوا قتله فأعيامهم وأعجزهم (ص ٤٧٣ ج ٦)

(٩) بيان ان الله أوجب على المؤمنين اصلاح أنفسهم أفرادها وجماعتها ، وانه لا يضرهم من ضل من الناس اذا هم استقاموا على صراط الهداية ، أي لا يضرهم ضلاله في دنياهم لان الله تعالى لا يجعل له سبيلا عليهم ، ولا يضرهم في أمر دينهم وآخرتهم لأن الله تعالى لم يكلفهم إكراه الناس على الهدى والحق ، ولا ان يخلقوا لهم الهداية خلقا ، وانما كلفهم ان يكونوا مهتدين في أنفسهم باقامة دين الله تعالى في الاعمال الفردية والمصالح الاجتماعية ، ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٠) تأكيد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينه الله تعالى من لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم وتعليقه ذلك بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١١) نفي الحرج من دين الاسلام (ص ٢٥٨ و ٢٦٩ ج ٦)

(١٢) تحريم الغلو في الدين والتشدد فيه ولو بتحريم الطيبات وترك التمتع بها، وتحريم الخبائث والاعتداء والاسراف في الطيبات (ص ٤٨٨ ج ٦ و ١٧ - ٣٢ ج ٧)
 (١٣) قاعدة إباحة الاضطرار للمحرّم لذاته فيما يضطر اليه كالطعام، ومنه أخذ الفقهاء قولهم : الضرورات تبيح المحظورات (راجع ص ١٦٧ ج ٦)

(١٤) قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان في الحكم كما انهما لا يستويان في أنفسهما وفيما يترتب عليهما . وهذا أصل عظيم من أصول التحليل والتحريم في الطعام وغيره يدل على تعليل الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح، وعلى عدم استواء جزاء الخبيث والطيب من الناس عند الله عز وجل (ص ١٢٢ ج ٧)
 وما كان تعليل الاحكام وبيان حكمتها وفائدتها الا لاجل توخيها - كاحكام الطهارة وتحريم الخمر والميسر وبعض الطعام واحكام الوصية والشهادة وإقسام الشهداء اليمين - وانك لتجد الذين يجهلون ذلك لاعراضهم عن حكم القرآن وأسرار السنة قد جعلوا أمر الوضوء والغسل تعبديا محضا لا يستلزم النظافة فعلا ولا قصدا، وزعموا ان تحريم الخمر تعبدى لا يدل على تحريم كل مسكر بناء على رأيهم ان الخمر ما كان من عصير العنب خاصة، فما القول في فهمهم لسائر الاحكام

(١٥) تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم، لانه يجب على المؤمنين أن يأنزروا الحق والعدل ولا يكونوا كأهل السياسة المدنية (ص ١٢٨ و ٢٧٤ ج ٦)

(١٦) وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة بين غير المسلمين كالمسلمين ولو للاعداء على الاصدقاء وتأكد وجوب العدل فيها وفي سائر الاحكام والاعمال (ص ٢٧٦ و ٢٧٣ و ٣٩٤ و ٤١٢ و ٤٢٠ ج ٦)

(١٧) الامر المطلق العام في أول السورة بالوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس عليها في جميع معالمتهم الدنيوية من شخصية ومدنية، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الإسلامية، وهي ان الله تعالى وكل أمر العقود التي يتعاملون بها الى عرفهم ومواضعاتهم لانها من مصالحهم التي تختلف باختلاف الاحوال، فلم يقيدهم في احكامها وشروطها بقيود دائمة الا ما أوجبه الشرع مما لا يختلف باختلاف

الاحوال والعرف كتحریم أكل أموال الناس بالباطل كالربا والقمار ، فكل عقد يتعاقد عليه الناس لم يحل حراما ولم يحرم حلالا مما ثبت بالنص فهو حلال

(١٨) إيجاب التعاون على البر والتقوى ومنه تأليف الجماعات الخيرية والعلمية

وتحريم التعاون على الاثم والعدوان

(١٩) بيان ان الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس في أمر دينهم

ودنياهم، فهو جعل تكويني باعتبار شرعي باعتبار آخر، وهو يدل على علمه الواسع،

المحيط بالاشياء والحكم والمصالح والمنافع

(٢٠) مسألة موالاة المؤمنين للكافرين وبيان أن من آيات النفاق ومرض

القلب المسارعة في موالاتهم من دون المؤمنين خوفا ان تدور الدائرة على المؤمنين

فتكون لهم يد عند أعدائهم يستفيدون بها منهم (ص ٤٢٣ ج ٦)

(٢١) تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان ان الله تعالى يريد ان

يعطى الناس ويزكيهم بما شرعه لهم من أحكام الطهارة وغيرها ، وشمول الطهارة في

آية الوضوء لطهارة الظاهر والباطن . وهذا يدل على أن أحكام الطهارة كلها معقولة

المعنى كما أشرنا اليه في المسألة الرابعة عشرة ، فيجب ان يتحرى بأداء ما ورد به

الشرع ما تحقق به الحكمة منه ، ويدل على أن الوسوسة في الطهارة مذمومة

مخالفة لنص الشرع ومقصده

(٢٢) تفصيل أحكام حلال الطعام وحرامه وما حرم منه لكونه خيثا في ذاته

كالميتة وما في معناها والخنزير وما حرم لسبب ديني كالذي يذبح للأصنام

(٢٣) تحريم الخمر وهو كل مسكر والميسر وهو القمار ومنه ما يسمى في عرف

الناس اليوم بالمضاربات

(٢٤) أحكام محرمات الاحرام

(٢٥) تفصيل أحكام الصيد للحل والحرم في أوائل السورة وأواخرها

(٢٦) حدود المحاربين الذين يفسدون في الأرض ، ويخرجون على أئمة العدل ،

وحد السرقة ، وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة بشرطه

(٢٧) أحكام الايمان وكفارته واثبات الايمان والشهود

(٢٨) تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية وفي قضاياها وشهادة غير المسلم على المسلم ، والفرق بين الشهادة والاشهاد . وإتنا بعد الاطالة في تفسير الآيات في الوصية والشهادة فيها لخصنا مسائلها في ١٥ مسألة

(٢٩) الامر بالتقوى في عدة آيات من هذه السورة تدخل في جمع الكثرة ، لان صلاح أمور الدنيا والدين يتوقف على التزامها ، وأما يرجى بشكرار الامر بها في كل سياق بحسبه

(٣٠) بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة الى الله تعالى وحده كما حكاه سبحانه من قول المسيح في ذلك اليوم مقرونا بتعليله ودليله ، وكون النافع في ذلك اليوم هو الصدق في الظاهر والباطن ، جعلنا الله من أهله

﴿ القسم الثاني ما ورد من الاخبار والحجاج والاحكام ﴾

(في شان أهل الكتاب)

من الآيات في هذا القسم ما نزل في شأن أهل الكتاب عامة ، ومنه ما هو في أحد الفريقين خاصة . فن المشترك وصفهم بالغلو في دينهم المستلزم للتعصب الضار ، وباتباعهم أهواء من ضل قلوبهم من الوثنيين وغيرهم ، وبالغرور في دينهم وزعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وبأنهم مع ذلك تقضوا ميثاق ربهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به على السنة أنبيائهم ، ولم يقيموا التوراة والانجيل كما أوجب الله عليهم ، وقد فند دعواهم أنهم أبناءه وأحباؤه بما يأتي ذكره قريبا وبين الله لهم حقيقة الامر وهي أنهم بشر ممن خلق الله ، لا مزية لهم على سائر البشر في انفسهم وذواتهم ، لان البشر انما يمتاز بعضهم على بعض بالعلوم الصحيحة والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة ، لا بالنسب والالتناء الى الانبياء والصالحين وان كانوا مخالفين لهم في هدايتهم وذكر من جزائهم على سوء أعمالهم في الدنيا إلقاء العداوة والبغضاء بينهم ، وأنه يعذبهم في الدنيا بذنوبهم الشخصية والقومية كغيرهم ، وان ذلك يدحض دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ودعاهم كافة الى الاسلام ، والايمان بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لهم حقيقة دينهم الذي كان عليه سلفهم ، ودحض ما زادوا فيه

بالبرهان، وبين بعض ما كانوا يخفون أو يجهلون منه أحسن بيان
ووصف التوراة والإنجيل أحسن وصف، وذكر من أخبار التوراة قصة ابني
آدم بالحق، ومن أحكامها عقوبات القتل واتلاف الاعضاء والجروح، ومن أخبار
الإنجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقين، وبين ان الكتابين أنزلا نورا وهدى
للناس، وانهم لو كانوا أقاموها لكانوا في أحسن حال، ولسارعوا الى الإيمان بما
أنزله الله على خاتم رسله مصداقاً لأصلهما، وميناً لما طرأ عليهما، ومكملاً لدين
الانبياء جميعاً، على سنة الله في النشوء والارتقاء، التي هي أظهر في البشر منها في
سائر الاشياء، ولكنهم اتخذوا الاسلام هزوا ولعباً في جملة وفي صلاته، ووالوا عليه
المناصيين له من أعدائه، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم لذلك

ومما جاء في اليهود خاصة نعياء عليهم وبياناً لسوء حالهم — انهم تقضوا ميثاق الله
الذي أخذهم عليهم في كتابهم ونسوا حظاً عظيماً مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن
مواضعه، وتركوا الحكم بالتوراة وأخفوا بعض أحكامها، وحكموا الرسول ولم يرضوا
بحكمه الموافق لها، وان من صفاتهم الغالبة عليهم قساسة القلب، والخيانة والمكر،
والكذب وقول الأثم، والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في
الارض، وفي إيقاد نار الفتن والحرب، وانهم كانوا يقتلون الانبياء والرسل بغير حق،
وتمردوا على موسى اذ أمرهم بدخول الارض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله
بالتيه في الارض، وانهم كانوا أشد الناس عداوة للمؤمنين. حتى انهم يوالين عليهم
المشركين، بسبب ما ورثوه من تلك الصفات عن الغابرين. وذكر انه عاقبهم على
ذلك كله باللعن على السنة الرسل، وبالغضب والمسح، وهذه الصفات التي غلبت
عليهم في زمن البعثة وقبله تثبتها تواريخهم وتواريخ غيرهم، ومن المعلوم انها لم تكن
عاملة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم، فقد أنصفهم الحكم العدل في هذه السورة وغيرها
بالحكم على الكثير منهم أو أكثرهم، ومنه قوله في هذه السورة (منهم أمة مقتصدة
وكثير منهم ساء ما يعملون) وبيننا في الموضوع ما كان بعد النبي (ص) من مساعدة
اليهود للمسلمين في الشام والاندلس

ومما جاء في النصارى خاصة أنهم نسوا — كاليهود — حظاً مما ذكروا به،

وأهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ، ورد عليهم هذه العقيدة بالادلة العقلية . وبرائة المسيح منها ومن متجليها يوم القيامة ، وبين لهم حقيقة المسيح وانه عبد الله ورسوله وروح منه ، وما أيده به من الآيات ، وحال حواريه وتلاميذه في الايمان . وبين أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون) فليراجع تفسير ذلك في أول الجزء السابع

وجملة الآيات الواردة في أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربي الأمي الذي لم يقرأ شيئا من تلك الكتب ، على ان تلك الآيات ليست موافقة لها ولم توافق الناقل للمنقول عنه ، وانما هي فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفي كتبهم حكم المهيمن السميع العليم

أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر — ولا سيما الذين ناصبوا الاسلام العداء عند ظهوره — بأشد الاحكام وأقساها . ولكنه نزل من حكيم حميد ، أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل ، والحكم بينهم بالقسط ، وحكم بحل مؤاكلتهم ، وتزويج نسائهم ، وقبول شهادتهم ، والعفو والصفح عنهم ، وهذه الاحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم نزلت بعد إظهار اليهود للنبي (ص) والمؤمنين منتهى العداوة والغدر ، وبعد أن ناصبوه مع المشركين الحرب ، وهي تتضمن تأليف قلوبهم ، واكتساب مودتهم ، (راجع ص ١٩٥ ج ٦) وقد ختم الله تعالى السورة بذكر الجزاء في الآخرة بما يناسب أحكامها كلها ، كما بيناه في تفسير آخر آية منها .

روى أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي في سننه وبعض رواة التفسير عن جابر بن نفير قال : حججت فدخلت على عائشة فقالت لي يا جابر تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه ، وروى احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة

والفتح . وقد تقدم في آخر تفسير سورة النساء بعض ماورد في آخر ما نزل من القرآن من السور برمتها ومن الآيات ، وكان كل يزوي ما وصل اليه علمه ، والله أعلم

﴿ تم تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير قد وفقني الله تعالى لإتمام تفسير هذه السورة في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ وكنت بدأت بتفسيرها في مثل هذا الشهر من سنة ١٣٣١ وسبب هذا البطء اني أكتب التفسير لينشر في مجلة المنار فتارة أفسر في الجزء منه بضع آيات ، وتارة أفسر آية واحدة في عدة أجزاء . وقد يمر شهر أو أكثر ولا أكتب في التفسير شيئاً ، وأسأل الله تعالى ان يوفقني لإتمام هذا التفسير بمنع العوائق والمباركة في الوقت وان يؤيدني فيه بروح من عنده ﴾

مكان الاسباب من الدين

﴿ فصل من مدارج السالكين في رد ما قاله صاحب المنازل في باب التليس ﴾
قد عرفت ان هذا الباب مبناه على محو الاسباب وعدم الالتفات اليها والوقوف معها ، ولهذا سمي المصنف نصبها تليسا ، ونحن نقول : ان الدين هو إثبات الاسباب والوقوف معها والنظر اليها والالتفات اليها ، وانه لا دين الا بذلك كما لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشرعية مبناهما على اثباتها لاعلى محوها ، ولانكر الوقوف معها فان الوقوف معها فرض على كل مسلم لا يتم اسلامه وإيمانه الا بذلك ، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها بمعنى انا ثبت الحكم اذا وجدت وتنفيه اذا عدمت ، ونستدل بها على حكمه الكوني ، فوقونا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشرعية ، وهل يمكن حيوانا ان يعيش في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الاسباب ؟ فينتجع مساقط غيثها وموقع قطرها ، ويرعى في خصبها دون جذبها ، ويسالمها ولا يحاربها ، فكيف وتنفسه في الهواء بها وتحركه بها وسمعه وبصره بها وغذاؤه بها ودواؤه بها وهداه بها وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه بالاعراض عنها وإلغائها ، فأسعد الناس في

الدارين أقومهم بالاسباب الموصلة الى مصالحهما ، وأشققهم في الدارين أشدّهم تعطيلاً
 لاسبابهما ، فالاسباب محل الامر والنهي والثواب والعقاب والنجاح والخسران ،
 وبالاسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها اطيع الله ، وبها تقرب اليه المتقربون ،
 وبها نال أولياؤه رضاه وجواره في جنته ، وبها نصرُوا حزبه ودينه ، وأقاموا دعوته ،
 وبها أرسل رسله وشرع شرائعه ، وبها انقسم الناس الى سعيد وشقي ، ومهتد وغوي ،
 فالوقوف معها والالتفات اليها والنظر اليها هو الواجب شرعاً كما هو الواقع قدراً ،
 ولا تكن ممن غاظ حجابيه وكشف طبعه فيقول : لا تقف معها وقوف من يعتقد انها
 مستقلة بالاحداث والتأثير وانها أرباب من دون الله . فان وجدت أحدا يزعم ذلك
 أويظن انها أرباب وإله مع الله مستقلة بالابجاد ، أو انها عون لله يحتاج في فعله اليها ،
 أو انها شركاء له فشأنك به ، فزق أديمه وتقرب الى الله بعداوته ما استطعت ،
 ولا فاف هذا النفي لما أثبتته الله ! والالغاء لما اعتبره ! والاهدار لما حققه ! والخط
 والوضع لما نصبه ! والمحو لما كتبه ! والعزل لما ولاه !! فان زعمت انك تعزلها عن رتبة
 الإلهية فسبحان الله ! من ولاها هذه الرتبة حتى يجعل سعيدك في عزلها عنها

ويا الله ما أجهل كثيراً من أهل الكلام والتصوف حيث لم يكن عندهم تحقيق
 التوحيد الا إلغاءها ومحوها واهدارها بالكالية ، وانه لم يجعل الله في المخلوقات قوى
 ولا طبائع ولا غرائز لها تأثير موجبة ماء ، ولا في النار حرارة ولا احراق ، ولا في
 الدواء قوة مذهبة للداء ، ولا في الخبز قوة مشبعة ، ولا في الماء قوة مروية ، ولا في
 العين قوة باصرة ، ولا في الانف قوة شامة ، ولا في السم قوة قاتلة ، ولا في الحديد قوة
 قاطعة ؟ وان الله لم يفعل شيئاً بشيء ولا فعل شيئاً لاجل شيء ، فهذا غاية توحيدهم
 الذي يحومون حوله ويبالغون في تقريره ، فلعمري الله لقد أضحكوا عليهم العقلاء ،
 وأشمتوا بهم الأعداء ، ونهجوا لأعداء الرسل طريق اساءة الظن بهم ، وجنوا على
 الاسلام والقرآن أعظم جناية ، وقالوا نحن أنصار الله ورسوله الموكنون بكسر أعداء
 الاسلام وأعداء الرسل ، واعمر الله لقد كسروا الدين وسلبوا عليه البطلان . وقد
 قيل « إياك ومصاحبة الجاهل فانه يريد أن ينفعت فيخسرك » فنف مع الاسباب
 حيث أمرت بالوقوف معها ، وفارقها حيث أمرت بمفارقةها ، كما فارقها الخليل وهو في

تلك السفرة من المنجنيق (الى النار) حيث عرض له جبريل أقوى الاسباب، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما اليك فلا. ودُر معها حيث دارت. ناظرا الى من أزمته يديه، والتفت اليها التفات العبد المأمور الى تنفيذ ما أمر به والمتحديق نحوه، وارعها حق رعايتها، ولا تغب عنها ولا تفن عنها، بل انظر اليها وهي في رتبها التي أنزلها الله إياها، واعلم ان غيتك بمسبها عنها نقص في عبوديتك، بل الكمال ان تشهد المعبود وتشهد قيامك بعبوديته وتشهد ان قيامك به لا بك ومنه لا منك وبحوله وقوته لا بحولك وقوتك، ومتى خرجت عن ذلك وقعت في انحرافين لا بد لك من أحدهما: إما أن تغيب بها عن المقصود لذاته لضعف نظرك وغفلتك وقصور علمك وعرفتك، وإما أن تغيب بالمقصود عنها بحيث لا تلتفت اليها، والكمال أن يسلمك الله من الانحرافين فتبقى عبدا، ملاحظا للعبودية ناظرا الى المعبود، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله.

حرب أمم المدنية لا الملل الدينية

تسمي الجرائد العربية والأوربية هذه الحرب المشتعلة في أوربة حرب الامم، ولا نرى لها مخالفا في صحة هذه التسمية، فقد أجمع الناس على ان جميع الامم الاوربية المتحاربة موافقة لدولها على الاستمرار على هذه الحرب الى أن يقضى آخر رجل يقدر على استعمال السلاح فيها، وينفق آخر دينار في صناديقها، أو تقهر عدوها قهرا يخضع به لحكمها، ويدعن صاغرا لشروط الصلح التي تضعها حكومتها، وينقلون لنا ان النساء موافقات للرجال في هذا الامر، وان القسيسين والرهبان والاشتراكيين أيضا متفقون فيه مع رجال الحرب، الا ما تنقله الجرائد آنا بعد أن عن بعض النساء والاشتراكيين في ألمانيا من الرغبة في عقد الصلح كراهة للحرب وأطيطا من أوزارها، وأنينا من أهوالها وسوء آثارها، ولعل هذا من قبيل ما كانت تنقله في أول الحرب من كراهة الشعب الألماني كله لها ورغبته عنها، وكون عاهله هو الذي ساقه اليها سوقا، بل دَعَّه اليها دعا، وكنا أول من خالفهم في ذلك على أن المعقول الذي لا يعقل غيره هو أنه يوجد في كل أمة محاربة كثير حتى

من أهل الرأي يكرهون الحرب لذاتها ويتمنون الصلح على علته، والمعقول أن يكون أكثر هؤلاء الناس من أفراد الحكماء الراسخين، ومن النساء والاشتراكيين، ومن المتدينين الذين يفهمون أن الديانة المسيحية ديانة سلم وتواضع وزهد في المال والجاه والرياسة والملك — وما أكثر المتدينين إليها على هذا الفهم — فحيث يكثر هؤلاء يكثر الميل إلى الصلح، والجنوح إلى السلم، وإن لم تكن الجرائد بنقل أخبار هؤلاء في بلادها وبلاد أحلافها، لثلايتها أعداؤها ويظنون أن أمهم غير متفقة على تأييد حكوماتها، وهي إنما تنقل عن شعوب أعدائها الميل إلى الصلح في سياق ذمها بالعجز والضعف، لا في سياق مدحها بكرامة القسوة والوحشية والافساد في الأرض، واستباح الطمع المفضي إلى اهلاك الحرث والنسل، ولذلك كانت تقول في أول الحرب أن الشعوب الجرمانية كارهة له مكرهة عليه، ويوشك أن تخرج على حكومتها وتثور عليها، ثم رجعوا عن ذلك ووصفوها بضده، فالجرائد السياسية لا تكتب إلا ما يملئها الهوى، فهي تابعة لمهابة أهوائه تميل معها كيفما أمالتها

إلا أنها صادقة في قولها أن السواد الأعظم من الأمم الأوربية مؤيد لدولها بما لها ورجالها واجماها على الاستمرار في الحرب، إلى أن تنال ما ترجون النصر، وتكون كلمتها هي العليا، وكلمة أعدائها هي السفلى، فإن من يوجد في كل منها من محبي السلم يباعث الدين أو حب الإنسانية والميل إلى التواضع والقناعة مغلوبون على أمرهم، ووجودهم لا ينافي ما أجمع عليه الكتاب من أن هذه الحرب هي حرب الأمم لا الدول، فإن العبرة بالغالب والنادر لا حكم له، وقد جرت عادة الناس أن يطلقوا على جملة الأمة ما فشا فيها وثبت لاكثرها من الأعمال، أو اتصفت به من الصفات والأخلاق، ولن تستطيع دولة من دول أوربة الاستمرار على الحرب إذا كان الرأي الغالب في الأمة لا يؤيدها، إلا أن تكون الدولة الروسية التي ليس لأمتها رأي غالب ومن أعجب ما نقل إلينا عن الحكومة الانكليزية — ويحسن عده في هذا المقام من فضائلها التي تجري فيها على عرق — أنها حكمت أخيراً بوجوب التجنيد الإجباري على المزاب إلا من يرى ذلك مخالفاً لوجدانه واعتقاده، وقد سبق لسلفها مثل ذلك في قانون وجوب التلقيح للوقاية من الجدري، وهذه الفضيلة مما امتاز به الانكليز

على غيرهم، وهم موافقون فيه لقاعدة من قواعد الاسلام تركهاحكام المسلمين منذ قرون ان ما أجمع عليه الناس من تسمية هذه الحرب حرب الامم قد استثنوا منه الامة العثمانية بالنقل، كما استثنينا منه بعض الافراد من كل أمة بحكم العقل، فقد نقلت الينا بلاغات دول الحلفاء الرسمية، والبرقيات العامة والجرائد الغربية والشرقية، أن الشعب العثماني كاره لهذه الحرب، بل قالوا مرارا ان السلطان وولي عهده وسائر أهل بيته واكثر رجال دولته كانوا معارضين فيها، وما زالوا كارهين لها، بل قالوا أيضا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا كذلك، وان السبب المباشر لا يذان دول الاحلاف الدولة بالحرب — وهو اعتداء البارجتين الالمانيتين (غوبن وبرسلو) على ثغور روسية — لم يكن باذن من السلطان ولا الصدر الاعظم، بل لم يعلما به الا بعد وقوعه، وقد وعدا سفراء دول الاحلاف بعدم العود الى مثله، وان أنور باشا ناظر الحرية هو الذي اتفق مع ألمانية على ضم الدولة اليها في هذه الحرب، فغلب نفوذه على نفوذ غيره من زعماء جمعيته بمساعدة الالمان، الذين كان قد وُكل اليهم أمر اصلاح الجيش العثماني بعد حرب البلقان. ولا تزال الجرائد تتخوّلنا بأخبار كراهة العثمانيين لهذه الحرب في عاصمة الدولة وولاياتها، وما يأمرون به لاسقاط الحكومة الاتحادية وانشاء حكومة جديدة تصالح الاحلاف وتتفق معهم، وبسعي صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان الى ذلك واتفاق حزبه أخيرا مع حزب المشير شريف باشا وبعض رجال حزب الحرية والائتلاف على ذلك أنا لم أصدق كل ما نشرته الجرائد في هذا الموضوع وان كان بعضه رسميا، ولا أكذبه كله وان كان سنده ضعيفا واهيا، واعتقد ان أهل الحل والعقد من زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا متفقين مع الالمان، وان السواد الاعظم من العثمانيين كاره لهذه الحرب في كل مكان، فهي حرب الدولة التي يتولى ادارتها الاتحاديون، لا حرب الامة العثمانية وان أقرها المبعوثون، فان المبعوثين في هذا العهد لا يمثلون الشعوب العثمانية ولا يعبرون عن رأيها، بل أكثرهم ألسنة لجمعية الاتحاد والترقي ومظهر لارادتها اذا تمهد هذا فاعلم أيها القارئ أنني لم أقصد به المدح أو الذم للامم المتفقة على الحرب أو المختلفة فيها، ولا التخطئة أو التصويب لموقدي نارها، وإنما أريد ان أثبت

إنها حرب المدنية الاوربية الحديثة ، لا حرب دينية ولا مذهبية ، وهذه المدنية مادية لا روحية ، دنيوية لا دينية ، وغاية اصحابها ومقصدهم منها هو التمتع بالشهوات البدنية ، والعلو والعظمة في الارض ، والتكاثر في الاموال وضروب الزينة ، فهي لا تتفق مع شرعة المسيح (عليه السلام) في ورد ولا صدر ، ولا تسير في منهاجه في مبدأ ولا غاية ، ولو كان روح المسيحية الحق له سلطان غالب في أوربة لما وقعت هذه الحرب البتة ، كلا ان روح المسيحية مغلوب على أمره لسلطان المدنية المادية ، فموقدو نار الحرب إما من خلص الماديين ، وإما من متبعي أهوائهم في فهم الدين ، ولكن أهوال الحرب قد أيقظت في جمهور كل أمة منهم شعور الدين ، وكثرفيهم من يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على أعدائهم ، كما هو شأن البشر في حال الكروب والخطوب (فاذا غشيم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر ذاهم يشركون فاذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فهل يعتبر بهذه الحرب أولئك الحادعون المحدثون الذين كانوا يعيبون الاديان ، بزعمهم أنها مثار البغي والعدوان ، ومسر نيران الحرب بين الانسان وأخيه الانسان ، وانه لولاها لا آخت المدنية بين الناس ، وجمعت بين ما تفرق من الاجناس ؟ كلا إن الحياة المدنية هي التي تولد في النفوس المطامع التي لا حد لها ، وتقرن التنافس بالتحاسد ، وتسوق الحسد الى البغي والتقاتل ، وان الدين ينهي عن ذلك كله ، ولكن الناس كثيرا ما يخطئون في فهمه ، وكثيرا ما يعتمدون تحريف كلمه عن مواضعه ، فهم يسيئون استعماله كما يسيئون استعمال الحواس والعقل وغير ذلك من نعم الله تعالى ، فمن مقاصد الدين إزالة الخلاف من بين الناس فالتخذه سببا من أسباب الخلاف (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد لما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالحرب سنة من سنن الاجتماع قد يخفف الدين شرورها بقدر ارتقائه واستمسك أهله به كما ينشأه في مقالة نشرناها في الجزء الثالث عنوانها (حرب المدنية الاوربية ، والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية والفتوحات العربية)

وليس للمدنية المادية مثل هذا التأثير في نفسها ، فان وجد في أمم المدنية من

يقبح الحرب أو يقبح ارتكاب القسوة فيها غيرة على العمران ومحافظة على حقوق البشر غير مهتد في ذلك بتريية الدين ولا متأثر بفضائله فهو لا يكون الا كالتاجر الخوآن لا يحجم عن صفة الا خوفا من الخسارة، فتمى غلب على ظنه انه يرجح فيها لا يبالى ما يفعل . اللهم الا الافراد من الحكماء ، الذين رجح العقل والفضيلة في نفوسهم على الاهواء ، كالفيلسوف هررت سبنسر الانكليزي الذي اهدى اليه عاهل الألمان وساما علميا فلم يقبله منه لانه قيصر حرب وهو عدو للحرب ، وإياك ان تظن في هذا الحكيم الكبير انه كان يبغض الالمان بغضا سياسيا لمناظرتهم لقوة قلبس عليهم وعلى الناس بما ادعاه من سبب رفض الوسام ، فكان ذلك من الرياء الفرسي الذي يغمز به الانكليز منتقدوهم كما صرحوا به في هذه الايام^(١) ، فان هذا الحكيم الكبير قد نصح لليابانيين بأن لا يولوا قومه الانكليز شيئا من شؤون بلادهم ، لان ذلك يكون ذريعة لعبثهم باستقلالهم ، فأى استقلال في الرأي واخلاص في النصح أدل على الحكمة والفضيلة من هذا ؟

على ان هذا الفيلسوف لم يكن ماديا بل كان يشكو من انتصار المطامع المادية في البلاد الاوربية — حتى في بلاده — على الفضيلة كما حدثنا عنه شيخنا الاستاذ الإمام . وانا نذكر في هذا المقام بعض ما دار بين حكيم الشرق والغرب في زيارة الاول للثاني بداره في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ : بدأ المزور الزائر بسؤاله عما رأى من تغير الافكار في انكلترا وعما دخل الشرق من الافكار الاوربية ، وشكا اليه من صريان الافكار المادية الى قومه وما يخشى من إضعافها للفضيلة، ثم دار بينهما ما يأتي قال الفيلسوف : الحق عند أوربة للقوة . قال الاستاذ الامام : هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منافعها . قال الفيلسوف : محي الحق بالمرّة من عقول أهل أوربة وسترى الامم يختبط بعضها ببعض لينبئن من هو الاقوى فيكون سلطان العالم .

(١) من الشواهد على هذا ما في مقالة (آراء الاميركيين في الحرب) المنشورة في جزء يناير سنة ١٩١٥ من المقتطف ، وأوضح منه مقالة لكاتب قصصي انكليزي كتبها لصديق له فرنسي ونشرت في المقطم

قال الاستاذ : عندي أمل ان هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق يحول دون ذلك . فقال الفيلسوف كلاما يدل على يأسه من ذلك . وقد كتب الاستاذ في مذكرته بعد الاشارة الى هذه المذاكرة مانصه :

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكرا ، لوجأت من ثرائر غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد ، فكانت (تكون) جيفة تعافها النفس فلا تحرك الا شهيقا وغيثانا » هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته وتقدير نعمته (أعجزهم) ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضيء ، افلا يتيسر لهم ان يجلووا ذلك الصدا الذي غشي الفطرة الانسانية ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء ؟ الرجوع الى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلون ، اه الظاهر ان الاستاذ كان يريد ان يتوسع في هذا الموضوع كما يشير الى ذلك قوله في مذكرته « الخ » ولعله كان ينتظر فرصة مناسبة للمقام سواء كانت عملية كهذه الحرب أو قولية كقال ينشر في الصحف في تفضيل المدنية المادية على المدنية الدينية فيكتب مقالا يبين فيه الحق ويزيل فيه الالتباس مؤيدا بالحكمة الصحيحة وشواهد التاريخ ، وقد بينا شيئا من المقابلة بينها وبين المدنية الاسلامية في المقالة التي أشرنا اليها آنفا ان أصحاب النظر والاستقلال من هؤلاء العشاق للمدنية المادية — وقليل ما هم — كانوا يفرقون في حسن الظن بالمدنية المادية وبأهلها إغراقا بعشهم على الجزم بأن فكرة الحرب قد قضي عليها في أوربة قضاء مبرما فلن توقد لها هناك نار ، وكانوا يقولون : ان وجد من الملوك والرؤساء من يسعى لها سعيها ، ويحاول ان يقدح لها زندها ، فان شعبه هو الذي يضرب على يده ، ويفت في عضده ، وقد كنا نخالف هؤلاء في الرأي ، ومنهم من هو أعلم منا بحال القوم ، ولكن رأيهم في ذلك خالف رأي من هو أعلم منا ومنهم بحال أوربة وفلسفتها . الا وهو شيخ فلاسفتها الاكبر ، هربرت سبنسر

كان أولئك المحسنون للظن ، من ذوي الاستقلال في الرأي ، لا ينكرون كالمقلدين سيئات هذه المدنية المادية ، ولكنهم يقولون إنها اذا قيسَت بسيئات المدنية الدينية كانت أقل منها وأخف ضررا ، ونحن نخالفهم في هذا أيضا ، ونقول ما كل سيئات المدنية القديمة صادرة عن الدين والفلسفة الروحية ، وما كل حسنات المدنية الحديثة صادرة عن الاتحاد والفلسفة المادية . ولا تضاد بين العلوم والأعمال المادية ، وبين العقائد والأعمال الدينية ، وإنما نعني بالمدنية المادية المذمومة ما كان مبنيا على جهود حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، وحصر ثمرات أعمال البشر في التمتع بالذات الدنيوية من طعام وشراب وفراش وزينة ورياسة — ونعني بالمدنية الدينية ما كان مبنيا على أن للإنسان حياتين يجب عليه أن يأخذ حظه من أولاهما الدنيا بالمعروف ويستعد فيها للآخرى بالعمل الصالح ، على حد قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) فان أصول الدين التي دعا اليها الرسل هي الثلاثة المنصوصة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من البديهي ان من لم يكن له حظ من وجوده الا التمتع بلذات الدنيا وزينتها لا يكون له هم من حياته الا تحصيل المال والجاه الموصل اليها بحق أو بغير حق ، وان الحق يكون عنده تابعا للقوة دون العكس ، فان وجد في أهل هذه المدنية المادية من يترف بحق لضعيف قائما يعترف به لمنفعة يراعيها ، أو لمفسدة يتقيها ، ولو تنازع أقوياء هؤلاء على الضعفاء ، لما سلم ضعيف من الايذاء ، وقد كان من المصالح جعل بعض الدول الصغيرة في أوربة حاجزا بين الكبيرة المتعادية منها ، وتعاهدوا على ان تكون حرما آمنا لا يجنى عليها ، ولكنهم لم يرعوا هذه العهود ولا غيرها عند حاجتهم الى تقضها في هذه الحرب ، والدين لا يبيح ذلك . قال تعالى في العهود بين المسلمين والمشركين (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) وقال في المؤمنين الذين لم يهاجروا الى النبي (ص) (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير)

الألقاب

بحث لغوي تاريخي في الألقاب الرسمية وغير الرسمية

منقول من الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الثالثة من الجزء الخامس من كتاب صبح الأعشى للكلام فيه طرفان - قال :

الطرف الأول في أصول الألقاب وفيه جملتان

(الجملة الأولى في معنى اللقب والنعته ، وما يجوز منه ويمتنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النبز - بفتح الباء ، قال ابن حاجب النعمان في « ذخيرة الكتاب » : والنبز ما يخاطب به الرجلُ الرجلَ من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب إليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف

وأما النعت فأصله في اللغة الصفة . يقال : نعته ينعته نعتا اذا وصفه . قال في « ذخيرة الكتاب » : وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في اجلاله ونباهته ، بخلاف اللقب . قال : لكن العامة استعملت اللقب في موضع النعت الحسن ، وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم اياه ، حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللقب والنعته يستعملان في المدح والذم جميعا فمن الألقاب والنعوت ما هو صفة مدح ومنها ما هو صفة ذم . وقد عرفت النحاة اللقب بأنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمودي الى المدح كأمر المؤمنين ، وزين العابدين ؛ والمودي الى الذم كأثف الناقة وسعيد كرزوما أشبه ذلك ؛ والنعته تارة يكون صفة مدح ، وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد هنا من اللقب والنعته ما أدى الى المدح دون الذم . وقد اصطلح الكتاب على أن سموا صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتبات ونحوها بصيغة الافراد كالأمير والأميري

(المجلد الثامن عشر)

(٩٥)

(المنار: ج ١٠)

والاجل والاجلي والكبير والكيري ونحو ذلك ألقابا . وصفات المدح التي يوردونها على صورة التركيب ، كسيف أمير المؤمنين وظهر الملوك والسلطين ، ونحو ذلك نعوتا . ولا معنى لتخصيص كل واحد منها بالاسم الذي سموه به الا مجرد الاصطلاح ، ولا نزاع في اطلاق اللقب والنعته عليهما باعتبارين : فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث انها صفات لدوات فائمه بها يطلق عليها اسم النعت

وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره ، بل وبما استحب ، كما صرح به النووي في «الاذكار» للطباق على استعماله قديما وحديثا . والممتنع منه ما أدى الى الذم والنقيصة مما يكرهه الانسان ولا يحب نسبه اليه ، قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفة له ، كالاعمش ، والاجلح ، والاعمى ، والاحول ، والابرص ، والاشج ، والاصفر ، والاحدب ، والاصم ، والازرق ، والاشتر ، والاثرم ، والاقطع ، والزمن ، والمقعد ، والاشل ، وما أشبه ذلك ؛ أو كان صفة لأبيه : كابن الاعمى ، أو لأمه : كابن الصوراء ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى (ولا تنايزوا بالألقاب بئس الأسْمُُ الفسوقُ بعد الإيمان) قال : واتفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك ، ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة

الجملة الثانية في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية الى المدح

واعلم أن القاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على أشرف الناس وجلة الخلق في القديم والحديث ، فقد ثبت تلقيب ابراهيم عليه السلام بـ«الخليل» وتلقيب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقيب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقيب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الامين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذي يزن ، وذو المنار ، وذو نواس ، وذو رعين ، وذو جدن ، وغيرهم مما هو مشهور شائع .

وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عطاء الاسلام واشرافه كالصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم ؛ فكان لقب أبي بكر « عتيقا » ثم لقب بـ « الصديق » بعد ذلك ، ولقب عمر « الفاروق » ولقب عثمان « ذا النورين » ولقب علي « حيدرة » ولقب حمزة بن عبد المطلب « أسد الله » ولقب خالد بن الوليد « سيف الله » ولقب عمرو^(١) بن عمرو « ذا الدين » ولقب مالك بن النيهان الانصاري « ذا السيفين » ولقب خزيمة بن ثابت الانصاري « ذا الشهادتين » ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشاده « ذا الجناحين »

وأما الخلفاء ، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم ، فلما صارت الخلافة الى بني العباس وأخذت البيعة لابراهيم بن محمد لقب بـ « الامام » ثم تلقب بمن بعده من خلفائهم : فلقب محمد بن علي بـ « السفاح » لكثرة ماسفح من دماء بني أمية. واختلف في لقبه بالخلافة ، فقليل « القائم » وقيل « المهدي » وقيل « المرتضى » وألقاب الخلفاء بعده والى زماننا معروفة مشهورة على ما مر ذكره في المقالة الثانية. وعلى ذلك كانت القاب لخلفاء بني أمية بالاندلس الى حين انقراضهم على ما هو مذكور في مكاتبة صاحب الاندلس ، على ما سيأتي في المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى ثم تعدت ألقاب الخلافة الى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء في الالقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك ، فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بـ « وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان « الاخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره « ذا الكفائتين » ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرياستين » ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد ابن مخاض « ذا الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب اسماعيل ابن بلبل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش ، فلقب أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ « أمير آل محمد » ، وقيل « سيف آل محمد » وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ « ندي اليمنين » ولقب المعتمد بالله حيدر

(١) في كتب اللغة والحديث ان اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا

ابن كاووس بـ «الافشين» لانه أشروسني ، والافشين لقب على الملك بأشروسنة .
 ولقب اسحاق بن كيداح أيام المعتمد بـ «ذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام
 المقتدر بـ «المظفر» ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر بـ «المؤتمن» ولقب أبو بكر
 ابن محمد بن طعج^(١) الراضي بالله بـ «الخشيد» والاشيد لقب على الملك بفرغانة
 ثم وقع التلقب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفي بالله ، فلقب المكتفي
 أبا الحسين^(٢) بن القاسم بن عبيد الله «ولي الدولة» وهو أول من لقب بالاضافة
 الى الدولة، ولقب المقتدر بالله علي بن أبي الحسين^(٢) المتقدم ذكره «عميد الدولة»
 ووافت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر جار على التلقب بالاضافة للدولة
 فافتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك
 بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ «ممد الدولة» ولقب أخوه
 أبو علي الحسن بـ «ركن الدولة» وأخوها أبو الحسين بـ «معز الدولة» ثم وافى
 [عضد الدولة] من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ «تاج الدولة» فلم يجب اليه وعدل
 به الى «عضد الدولة» فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك ، اختار له أبو اسحق
 الصابي صاحب ديوان الانشاء «تاج الملة» مضافا الى عضد الدولة ، فكان يقال
 «عضد الدولة وتاج الملة» ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله
 «ناصر الدولة» ولقب أخوه أبو الحسن علي بن حمدان «سيف الدولة»

وبقي الامر على التلقب بالاضافة الى الدولة الى أيام القادر بالله فافتتح التلقب
 بالاضافة الى الدين . وكان أول من لقب بالاضافة اليه أبو نصر بهاء الدولة بن
 عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة «نظام الدين» فكان يقال
 «بهاء الدولة ونظام الدين» قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرط ،
 حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد ، وسائر من طلب وأراد ،
 وكره (?) حتى صار لقباً على الاصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد حتى
 تعاطاه أهل الاسواق ومن في معنهم ، ولم تصر به ميزة لكبير على صغير ، حتى قال قائلهم

(١) معنى طعج عبيد الرحمن كما في ابن خلكان (٢) لم يذكر في الضوء لفظ
 الاب في المحليين

طلع الدين مستغيثا الى الله وقال : العبادُ قد ظلموني !
يتسبون بي ، وحقت لا أعرف منهم شخصا ولا يعرفوني !
أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي اليهم خبره من ألقاب
الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو القاب خلفاء بني العباس
ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
وعلى ذلك الى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة
الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية

وتلقب وزراؤهم وكتابهم بالإضافة الى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم
[ولي الدولة] بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا [ولي الدولة] بن خيران
كاتب الانشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
ثم تلقب الوزراء بعده بنحو [الأفضل] و [المأمون] . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
كـ « الملك الأفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ماسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى
وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية الى أثناء الدولة الأيوبية يلقبون
بـ « الفاضل والرشد والعماد » وما أشبه ذلك . ثم دخلوا في عموم التلقب بالإضافة
الى الدين ، واختص النقيب بأثناء بناء الدولة كولي الدولة بكتاب النصاري ،
والامر على ذلك الى الآن

الطرف الثاني في بيان معاني الألقاب وفيه تسع جمل

الجملة الأولى في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعبرة التي بها انتظام أمور
المملكة وقوامها ، وهي قسمان (القسم الأول) الألقاب الإسلامية وهي نوعان :
(النوع الأول) الألقاب القديمة المتداولة الحكم الى زماننا ، وهي صنفان :

الصنف الأول ألقاب أرباب السيف ، وهي سبعة ألقاب

الأول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمر الأمة ، وقد اختلف
في معناه ، قليل : انه فعليل بمعنى مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقليل بمعنى مقتول
ويكون المعنى انه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى (اني جاعل في الارض

خليفة) على قول من قال: ان آدم عليه السلام أول من عمر الارض وخلفه بنوه من بعده . وقيل : فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المراد أن يخلف من بعده ^(١) وعليه حمل الآية من قال انه كان قباه في الارض الجن وانه خلفهم فيها ، واختاره النحاس في [سنة الكتاب] وعليه اقتصر البغوي في [شرح السنة] والماوردي في «الاحكام السلطانية» قال النحاس: وعليه خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله وقد أجازوا أن يقال في الخليفة : خليفة رسول الله ، لانه خلفه في أمته . واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله ؟ فجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باق موجود الى الابد لا يغيب ولا يموت ، ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لابي بكر رضي الله عنه : يا خليفة الله . فقال : لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله - فقال : ويلك ! لقد تناولت متاولا بعيدا ! ان أمي سميتي عمر ، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ، ثم كبرت فكنت أبا حفص ، فلو دعوتني به قبلت ، ثم وايتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين ، فلو دعوتني به كفاك . وخص البغوي جواز اطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام ، محتجا بقوله تعالى في حق آدم (اني جاعل في الارض خليفة) وقوله في حق داود (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) ثم قال : ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما . قال في [شرح السنة] ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل اطلاق اسم الخليفة على من بعد خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فبا حكاية النحاس وغيره ، محتجين بحديث « الخلافة بعدي ثلاثون » يعني ثلاثين سنة ، وكان التقضاء الثلاثين بالتقضاء خلافة الحسن . ول انقضت الخلافة سارت ملكا . قال المعافى بن اسماعيل في تفسيره : وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسائر عن الفرق بين الخليفة وبين غيره . فقال طلحة والزبير : لا ندري . فقال

(١) أيضا في النسخة أيضا وفي نسخة أخرى : وأما خلفه من قبله

سلمان : الخليفة الذي يعدل في الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ، ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أهدى سلمان حكما وعلمًا

واختلف في الهاء في آخره : فقيل أدخلت فيه للمبالغة كما أدخلت في رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس ناقلًا له عن أكثر النحويين ، وخطأه علي بن سليمان محتجا بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيا . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » يعنون خليفته

ثم الأصل فيه التذكير نظرا للامني لان المراد بالخليفة رجل وهو مذكر ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير . وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأنشد الفراء : « أبوك خليفة ولدته أخرى »

ومنه البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز [قالت طلحة] في رجل اسمه طلحة وهو ممتنع . فان ظهر اسم الخليفة تعين التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة أو : قال الرازي الخليفة ونحو ذلك . ويجمع على خلفاء ككريم وكرماء ، وعليه ورد قوله تعالى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وعلى خلائف كصحيفة وصحائف ، وعليه جاء قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) والنسبة اليه خلفي كما ينسب الى حنيفة حنفي . وقول العامة درهم خلقتي ونحوه خطأ ، اذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب اليه الياء وهاه التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومنهم في ذلك ، المقر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في كتابه [التعريف] حيث قال : وأول ما نبداً بالمكاتبة الى الابواب الشريفة الخليفية ، ولعله سبق قلم منه ، والا فالله ألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه

الثاني — الملك . وهو الزعيم الاعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة ، وقد نطق القرآن بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) (وقال الملك اتوني به) الى غير ذلك من الآيات ، ويقال فيه ملك بكسر اللام

وملك باسكانها ومليك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى (عند ملك مقتدر) قول الجوهري : والملك مقصور من مالك أو ملك ، ويجمع على ملوك وأملاك . ويقال لموضع الملك المملكة

الثالث - السلطان . وهو اسم خاص في العرف العام بالملوك . ويقال : ان أول من لقب به [خالد بن برمك] وزير الرشيد ، لقبه به الرشيد تعظيماً له ، ثم اقتطع التلقب به الى أيام بني بويه فتلقب به ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرا الى زماننا

وأصله في اللغة الحجة قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) يعني من حجة . وسمي السلطان بذلك لانه حجة على الرعية يجب عليهم الاتقياد اليه

واختلف في اشتقاقه : ف قيل انه مشتق من السلاطة وهي القهر والغلبة ، لقهره الرعية واتقيادهم له ، وقيل مشتق من السليط ، وهو الشيرج في لغة أهل اليمن لانه يستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض لمضي أمره ونفوذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع واحده سليط كقفيز وقفران ، وبغير و بعران

وحكى صاحب [ذخيرة الكتاب] أنه يكون واحدا ويكون جمعاً ، ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة . وحكى الكسائي وانفراء على التأنيث عن بعض العرب : قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه [الفرق] في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعيم الاعظم ، والسلطان يطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرف الفقهاء في كتبهم ، اذ يطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجها السلطان ونحو ذلك . ومن حيث ان السلطان أعم من الملك يقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني ، ليقع السلطان أولاً على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك

الرابع - الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : ف قيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر)

سمي بذلك لان الرعية يلجئون اليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الاوزار وهي الامتعة ، ومنه قوله تعالى (ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم) سمي بذلك لانه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) سمي بذلك لانه يتحمل أثقال الملك ، وقيل مشتق من الازر : وهو الظهر ، سمي بذلك لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد أوضحت القول في ذلك في [النفحات النثرية في الوزارة البدرية] قال القضاعي في [عيون المعارف في أخبار الخلائف] وأول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذي يفوض الامام اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجمالي والى حين انقراضها ، واما وزير تنفيذ : وهو الذي يكون وسيطا بين الامام والرعايا معتمدا على رأي الامام وتدبيره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها الا الاسم دون الرسم . ولم تنزل الوزارة في الدول تتردد بين أرباب السيوف والاقلام تارة وتارة الا أنها في زماننا في أرباب الاقلام

الخامس — الامير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام وأصله في اللغة ذو الامر وهو فاعل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ، سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان . اذا صار أميرا ، والمصدر الامرة والامارة بالكسر فيها ، والتأثير تولية الامير ، وهي وظيفة قديمة

السادس — الحاجب . وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لا ابتداء الخلافة فقد ذكر القضاعي في [عيون المعارف] لكل خليفة حاجبا من ابتداء الامر والى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه « شديدا »

مولاه ، وحاجب عمر « يرفأ » مولاه ، وحاجب عثمان « حمران » مولاه ، وحاجب علي « قنبرا » مولاه ، وعلى ذلك في كل خليفة ، ماعدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا ، وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عن يدخل اليه بغير اذن . قال زياد لحاجبه « وليتك حجابي وعزيتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجه عني ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تمحجه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة ، فأدخله عليّ وان كنت في لحافي ، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد »

ثم تصرف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب خلافة بني أمية بالاندلس ربما أطلق على من قام مقام الخليفة في الامر ، وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب كما سبق بيانه في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب دولتهم . أما في زماننا فإنه عبارة عن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ، ليلغ ضرورات الرعية اليه ، ويركب أمامه بعضا في يده ، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداهين خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية ونحوها . وله يبلاد المغرب والاندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكاتباتهم في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

السابع — صاحب الشرطة . بضم الشين المعجمة واسكان الراء : وهو المعبر عنه في زماننا بالوالي ، وتجمع الشرطة على شرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفي اشتقاقه قولان : أحدهما انه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة ، لانهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ؛ ومنه أشراط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا : وهو رذال المال ، لانهم يتحدثون في أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم .

مَدِينَةُ دَارُ الدُّعْوَةِ وَالْإِنْتِشَارِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٢

الهيضة - أو الكوليرا Cholera

داء ويل ، سريع الانتشار ، وأوبئته تفتك بالأمم فتكا ذريعا
وكلمة كوليرا من كلمة يونانية معناها الميرة (وهي افراز الكبد المعروف الآن
بالصفراء) لان القيء والبراز يشتملان في أول الامر على الصفراء ، ويسمى هذا
المرض باللغة العربية [الهيضة] ويسميه المتأخرون من العرب بـ [الهواء الأصفر]
لانهم توهموا أنه ينشأ من تغير في الجو أو الهواء
ومنبع هذا الداء بلاد الهند بأسية ولذلك يسمى بالهيضة الآسيوية ومنها انتشر
في أقطار المسكونة ، وقد دخل مصر عدة مرات

الاسباب — لهذا المرض ميكروب خاص يشبه الضمة اكتشفه (كوخ) سنة
١٨٨٣ وهو لا يصيب عادة غير الانسان. طول هذا الميكروب [ميكرون] واحد أو
اثنان . وقد يجتمع منه اثنان فأكثر فيتألف منهما حلزون ، وهو متحرك وله هذب
واحد غالبا في أحد طرفيه ولا حبيبات له وإنما يتوالد بالانقسام
يوجد هذا الميكروب في براز المصابين وقد يوجد أحيانا في القيء أيضا ولا
يوجد في الدم ولا في الاعضاء ولا الانسجة وقد يستمر خروجه مع البراز حتى بعد
الشفاء بمدة ، وهو يسكن في الامعاء وأغشيتها المخاطية . وبعد الوفاة قد يوجد في جميع
أجزاء الجسم لانه ينفذ من الامعاء اليها

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره ، والجفاف التام يقتله . وقد يعيش في الطين الرطب الى ٦٨ يوما ، وفي ماء الشرب عدة أشهر ، وفي البراز عدة أسابيع وحامض العصير المعدي يقتله ، ولكن هذا العصير لا يفرز إلا مع وجود الطعام فاذا شرب الانسان ماء على الجوع خيف عليه العدوى لعدم وجود هذا الحامض حينئذ فيصل الميكروب الى الامعاء . وأمراض الجهاز الهضمي أو اضطراباته تنهي المرء لقبول العدوى به

ولا يميز هذا الداء بين الذكر والأنثى ويصيب الناس في جميع الأعمار . والفاقة والضعف والادمان على الخمر مما يهيئ له وكذلك الإفراط في الطعام الكثير . ويكثر انتشاره في فصلي الخريف والصيف ، ولكن البرد يوقف سيره والاصابة به مرة تحمي غالبا من الاصابة به ثانية

ولا يصل هذا الداء الى الانسان الا بطريق القناة الهضمية فهو في ذلك كالحمى التيفودية سواء بسواء . ومما ينقله الى الطعام أو الشراب الذباب والنمل وغيرهما

الاعراض — مدة التفريخ هي يومان عادة أو ثلاثة أيام ، وقد تكون أكثر من ذلك أو أقل

وقد يسبق جميع الاعراض إسهال أو يصاب المرء بمخمول وصداع ودوار وطنين وغير ذلك ، وتستمر هذه الحالة يوما أو اثنين أو ثلاثة ثم يشتد الإسهال دفعة واحدة وتزول الصفراء من البراز فيصير لونه كحساء الارز (أي مرق الارز المغلي) وتسمع في بطن المصاب قراقر كثيرة قلما يكون معها ألم . وبعد الإسهال بساعة أو أكثر يتبدى القيء فلا يبقى في المعدة شيء ويصير لونه كلون البراز أي كحساء الارز أيضا ، ويشتد العطش ويجف اللسان ويبيض ويتألم المريض من جس معدته ويصاب بتقلص مؤلم جدا في عضلات الساقين والقدمين أو الايدي والجذع (أي باقي الجسم) ثم يصاب المرء بالهمود (الهبوط) فيبرد الجسم ويزرق ، وتغور العينان ، ويبرد النفس وتنخفض الحرارة ويسرع النبض ويضعف جدا ولا يقدر المريض على الكلام ويزول الإسهال غالبا ولكن القيء يستمر ، ويقل إفراز البول أو ينقطع مطلقا لشدة ضعف الدورة الدموية ولتنقص مائية الجسم بالقيء والإسهال . وكثيرا ما يموت المصاب في هذا الطور

فإذا جاوزته ترتفع الحرارة تدريجياً ويعود لون الجلد الى أصله وترتفع العينان بعد الغثور ويتحسن النبض ويفرز البول وي زال الخطر شيئاً فشيئاً حتى يشفى المريض المضاعفات والعواقب كثيرة — منها : التهاب الرئوي أو الپليوراوي وموت بعض الاجزاء (غفرينا) وسقوطها كالصفن والقضيب أو الأنف، وظلمة القرنية وتقرحها الانذار — تختلف الوفيات من ٤٠ — ٦٠ في المئة . والمرض شديد الخطر على الصغار والشيخوخ ومن كان ضعيف البنية أوسكيراً المعالجة — عند ظهور أعراض المرض الأولى تعطى الادوية القابضة وأحسنها الأفيون

فإذا اشتد الاسهال والقيء وألم الساقين حقن المريض بالمورفين^(١) تحت الجلد وأعطى قطعاً صغيرة من الثلج لمصها أما في طور الهبوط فيعطى المنعشات المنبهة وما يملأ العروق مما سبق ذكره في باب النزف (صفحة ٥٥ من الجزء الاول) إما حقناً تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة وإما شرباً ، ويدفأ تدفئة جيدة بزجاجات الماء الساخن والاعطية الثقيلة وبالدلك للأطراف

وقد وجد المايجور [ليونارد روجس Leonard Rogers] أن الحقن بمحلول ملحي في الاوردة واعطاء البرمنجنات من الفم قد قلل الوفيات الى ٢٣ في المئة. وفائدة هذا الحقن أن يزيل الهمود ويقوى القلب ويعوض الجسم ما فقد من الاملاح. وأما البرمنجنات فيظن أنها تؤكسد سموم ميكروب الكوليرا وبذلك تبطل عملها . وتركيب هذا المحلول الملحي هو ١٢٠ قحمة من ملح الطعام و ٦ قمححات من كلوريد البوتاسيوم و ٤ قمححات من كلوريد الكلسيوم، تذاب كلها في نصف لتر من الماء العقيم ثم يحقن منها نحو لترين في أجد أوردة الذراع (أعني عرق الباسلق الاوسط وهو الاكمل بالعريية) وتكفي عادة حقنة واحدة. فإذا عاد الهمود عدنا باخرى، ولكن اذا كان الهمود قليلاً فالأولى الحقن تحت الجلد. وتكون حرارة الحقنة

(١) هو أم الاصول القحالة في الافيون ، سمي بذلك من كلمة يونانية معناها « إله الاحلام » لانه يحدث نوماً مريحاً ، وأحلاماً لذيدة

٧٦٦ الوقاية من الكوليرا . وجوب تطهر المغسل شرعا وطبا [المنار: ج ١٠ م ١٨]

أعلى بقليل جدا من حرارة الجسم الطبيعية
أما طريقة إعطاء البرمنجنات فهي أن يشرب المريض مقادير قليلة من محلول
برمنجات الكلسيوم بنسبة نصف قمحة في كل ٥٠٠ جرام ماء وتزاد هذه النسبة
تدرجيا الى ٤ أو ٦ قمحات

الوقاية — خير من العلاج ، وتكون بأمور :

- (١) عزل المرضى وتطهير مواد قيشهم وبرازهم وسائر ما يستعملونه من ملابس
وأنية وفراش الخ، وإلقاء تلك المواد حيث نأ من تلويثها لأي شيء آخر
- (٢) غسل الأيدي قبل مس أي طعام وتطهير جميع ما يأكله الأصحاء أو
يشربونه أو يستعملونه في ذلك كله من أواني وغيرها بالغلي وخصوصا ماء الشرب
فيجب غليه دائما ، ويجب تجنب التخمر وكل ما يفسد الهضم
- (٣) إبادة الذباب والنمل ومنعهما من الوصول الى مفرزات المرضى ثم الى
طعام الأصحاء وشرايهم

- (٤) عدم أكل شيء غير مطبوخ في زمن الوباء
- (٥) عدم الإذن للناقلين بالاختلاط بغيرهم الا بعد خلوة مفرزاتهم من
الميكروب بأن يعلم ذلك بالبحث البكتيريولوجي الدقيق ، وبعد ذلك يستحمون
وتغلى ملابسهم ويلبسون غيرها جديدا . وكذلك يبحث عن [الحالة الأصحاء]
وهم الذين خالطوا بعض المرضى فوصل الميكروب الى أمعائهم ولم يصابوا بالمرض ،
فهؤلاء يعزلون وتطهر مفرزاتهم حتى تخلو من الميكروب
- (٦) أن تدفن الموتى بعيدا جدا عن الأماكن المسكونة بشرط أن لا يتلوث بجثثهم
ماء الشرب أو غيره ، ويغتسل [المغسل] ويطهر يديه بالمحاليل المطهرة، وكذلك
تطهر ملابسه بالغلي

هذا ويرى بعض أئمة الدين وجوب الغسل بعد تغسيل الميت لما روي عن
النبي (ص) أنه قال «من غسل ميتا فليغتسل ومن حمه فليتوضأ» ولعل المراد بالوضوء
هنا غسل اليدين كما في قوله (ص) «الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان»
وهذا كله مما يوافق قواعد الصحة كل الموافقة : ومثل [المغسل] كل من قام بدفن

الميت أو بتمر يرضه قبل الوفاة فيجب عليه غسل يديه خصوصا قبل أكله

(٧) يعمل التلقيح الواقي لمن شاء بميكروبات الكوايرا حسب طريقة هافكين [Haffkine] فيحقن أولا سنتيمتر مكعب وبعد أربعة أيام أو خمسة يحقن غيره أقوى منه . ويصاب الانسان بعد الحقن بصداع وحى وأنحطاط مدة ثلاثة أيام أو أربعة عقب كل حقنة منهما . وما قيل في عيب الحقن الواقي من التفود يقال مثله هنا أيضا

الكزاز — التيتانوس Tetanus

التيتانوس كلمة يونانية معناها التشنج أو التقلص وهو اسم داء يسمى بالعربية [الكزاز]

ينشأ هذا الداء من باسيل مخصوص يوجد في الطين وغيره كأوساخ الحدائق والاسطبلات ، طوله ٤ الى ٥ ميكرونات ونحته ٤ و ٥ . من الميكرون وله أهداب ، غير أنه قليل الحركة . ولا ينمي في جوفه أثر من الاستعجين الخالص . ويتكون في داخله حبيبات عند أحد طرفيه وهي كروية الشكل وأغلظ منه حتى شبه العلماء هذا الميكروب عند تكون الحبيبة بمطرقة الطبل

الاسباب — يصيب هذا المرض الانسان في جميع الاعمار حتى الاطفال الرضع عقب ولادتهم بقليل . وهو كثير الحصول في البلاد الحارة . والجنس الأسود أو الأسمر أكثر عرضة له من غيرها . وأهم سبب لدخول الميكروب في الجسم إنما هو الجرح أو السحج صغيرا كان أو كبيرا حتى ولو كان كوخز الابرّة أما إصابة الاطفال الرضع به فسيبها الغالب قذارة ما يقطع به الحبل السري ، أو تعرض السرة لشيء قذر

وقد يصيب بعض الناس بدون أن تشاهد في أجسامهم إصابة ، ولعل السبب في ذلك دخول الميكروب من سحج بسيط جدا لم يلتفت اليه أحد أو دخوله من بعض الأغشية المخاطية فقد شاهد بعض الباحثين حبيباته في رجيع الانسان وفي رجيع الانعام والحيل وغيرها . والانسان والحيل أكثر الحيوانات إصابة به

واذا دخل الميكروب من الجرح عاش حيث دخل مدة قصيرة ومات بعد بضعة أيام. وهو لا ينتشر في البنية البتة ، وغاية ما يمكنه الوصول اليه هو بعض الغدد اللعابية القريبة من الجرح . وجميع الاعراض انما تنشأ من امتصاص سمومه . وحييات هذا الميكروب تعيش عدة سنين ولو جفت وتقاوم درجة ٨٠° سنتجرا مدة ساعة ولكن درجة الغليان تقتلها بعد خمس دقائق وحامض الفنيك بنسبة ١٪ لا يهلك هذه الحيات في أقل من ١٥ ساعة ولذلك يجب تطهير الآلات الجراحية بالغلي مدة طويلة حتى يؤمن شربه ، فقد شوهد كثرة الاصابة بهذا الداء بعد عمل الخزام أو عقب الحقن تحت الجلد أو في العضلات خصوصا بمادة الكينين لتأثير هذه المادة في كريات الدم البيضاء واعاقتها عن قتل هذا الميكروب فيجد بيئة صالحة لنموه لا سيما وان الأكسجين الخالص غير موجود في تلك البيئة

وسكان جزائر سليمان في المحيط الاعظم في الشمال الشرقي من استراليا قد عرفوا شيئا من هذه الحقائق ، فلذلك يصنعون سهاماً ويغمسون طرفها في مادة لزجة ثم يلوثونها بقذارة المستنقعات ويجففونها فتوجد فيها بذور هذا الميكروب اللعين فاذا أصابت شخصا كانت السبب في موته غالبا

الاعراض — بعد دخول هذا الميكروب في الجرح ببضعة أيام يشعر المريض بيبس في فاه وفي فكيه بحيث يتعسر عليه المضغ أو أن يفتح فاه وقد تستمر هذه الحال يوما أو يومين ، وقد ينتقل الى الطور الثاني بأسرع من ذلك ، فتيبس عضلات الجذع ييبس شديدا وتيبس عضلات الاطراف ييبس قليلا ثم يشتد تيبس الظهر وانقباض عضلاته حتى يتقوس ويكون تعفيره الى الخلف ، وتيبس كذلك عضلات البطن والصدر — حتى يتعسر التنفس — وعضلات الاطراف السفلى ، وأما الاطراف العليا فيكون تيبسها حول الكتفين والمرفقين وتبقى حركة الاصابع ميسورة . وفي هذا الوقت يشتد تقلص الفكين حتى لا يمكن فتحهما الا بشق الانف ، ومع ذلك لا يمكن الفصل بينهما بأكثر من ١/٢ بوصة . وتقلص كذلك عضلات الوجه حتى ينشأ من تقلصها ما يشبه الضحك ، ويسمى هذا الضحك المؤلم عند الاطباء [ضحك سردينية] وهي تلك الجزيرة المشهورة في البحر الابيض المتوسط لوجود

عشب سام فيها يذهب العقل ويحدث تشنجا في عضلات الفم يشبه الضحك
 فاذا وصل المرض الى هذا الحد صار المريض عرضة لاشتداد تقلص العضلات
 كلما سه أي شيء ولو أطراف الاصابع أو كما هز سريره . ومدة اشتداد هذا
 التقلص لحظات يتعسر عدها بالثواني وفيها يخشى عليه من الاختناق . والفترات
 بين هذه النوب تكون من نصف ساعة الى ساعة أو أكثر وكلما طال المرض نقصت
 وازدادت شدة التقلصات . ويكون المريض في تلك الفترات متألما جدا من انقباض
 عضلاته، ويكون تنفسه عسيرا ، وصوته ضعيفا ، ونبضه صغيرا سريعا، ولكن حرارته
 تكون عادة طبيعية غير انها قد ترتفع ارتفاعا فاحشا قبل الوفاة ، وتستمر في الارتفاع
 حتى بعد الوفاة فتصل الى أكثر من ٤٣ درجة ويحبس البول أيضا . ويكون احساس
 المريض طول مدة المرض على أمه وكذلك عقله الا قبيل الوفاة فقد يعتريه الهذيان،
 وأكثر اصابات الكزاز (التي تانوس) تنتهي بالوفاة بعد يوم أو ١٢ يوما . وسبب الموت
 اما نهائة قوى المريض أو اختناقه لتشنج عضلات التنفس أو الخنجر أو طروء
 بعض المضاعفات عليه كالالتهاب الرئوي أو الشعبي . وقد تطول الحياة الى ٣ أو ٤
 أسابيع ، وقد يشفى المريض

الانذار — عدد الوفيات في الاحوال ذوات الجرح نحو من ٩٠ ٪ وفي
 الاحوال التي لم يشاهد فيها جرح نحو من ٥٠ ٪ والكزاز من الامراض القتالة
 جدا خصوصا عقب الاجهاض أو الوضع . وكما كان الجرح شديدا أو متسعا كان
 الامل في الحياة ضعيفا جدا

المعالجة — يوضع المريض في الفراش في مكان مظلم لا حركة فيه ولا صوت،
 ويغذى بالسوائل وإن اضطررنا الى تغذيته بأنبوبة من أنفه أو بالحقن الشرجية،
 والاحسن أن تدخل الانبوبة من بين أسنانه اذا كان بعضها مفقودا . ومن الاطباء
 من يقلع بعضها من أجل ذلك ولكنه عمل غير محمود

ومن الواجب تنظيف الجرح قبل كل شيء وتطهيره طهارة تامة لكي تقتل أو
 نزيل بقدر الامكان تلك الميكروبات منه ؛ ولكن مما يوجب الاسف أن ظهور
 الاعراض دليل كاف على أن السم قد وصل الى المراكز العصبية واتحد بها

وتعطى المسكنات بمقادير كبيرة ومن أحسنها بروميد البوتاسيوم والافيون أو المورفين . ومن الاطباء من ينشق المريض الكلوروفورم مرة أو مرتين في اليوم لتخديره حتى ترتخي عضلات الفكين وحينئذ يمكن تغذيته

وللكزاز مصل يستخرج بطريقة استخراج مصل الدقيريا . ويجب المبادرة بحقنه بمقادير كبيرة جدا فيحقن منه ١٠ آلاف الى ٢٠ ألف وحدة في الاوردة أو ١٠ آلاف الى ٥٠ ألف تحت الجلد . ويتكرر الحقن يوميا حتى تتحسن الحالة . ومن الناس من يحقن هذا المصل في النخاع أو في المخ بإحداث ثقب في عظام الجمجمة يسمى عند الجراحين بالتربنة [Trephining] ولكنه عمل عسير مشكوك في نفعه والسبب في عسر شفاء هذا المرض أن سم الميكروب يسرى في الاعصاب المحركة ويلتصق بالمراكز العصبية التصاقا شديدا بحيث يتعذر ازالته منها بعد تمكنه، زد على هذا ان بعضه يدور في الدم ويصل معه الى المراكز العصبية أيضا

الوقاية — عقب إصابة أي شخص بأي جرح يجب تنظيفه جيدا ثم تطهيره بكل الوسائل الممكنة وإذا ظن أن الجرح تلوث بشيء قدر مما يحتمل وجود الميكروب فيه وجبت المبادرة الى الحقن قبل أن تبتدى الأعراض فيحقن ١٥٠٠ وحدة تحت الجلد ، ولذلك بادرت الحكومة الانكليزية باتباع هذه القاعدة مع جنودها ، فترى الاطباء الانكليز يحقنون كل جريح اشتبه في جرحه في أقرب وقت ممكن في ميدان القتال

وتطهير الجرح بالكي بالنار عقب حدوثه مباشرة كما تفعل العرب عمل محمود

الحمرة

اسم لداء يسمى باللغات الافرنجية [Erysipelas] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي (الجلد الاحمر) ويسمى الانكليز هذا المرض أيضا بنار القديس أنطونيوس [Anthony] لتوهم عامتهم أنه قادر على شفاؤها . وهو من الامراض المعدية الشديدة ، وينشأ من ميكروب من الشكل المسمى بـ «البزور السلسالية» [Streptococcus erysipelatis]

الاسباب — أعظم الاسباب المهيئة لهذا المرض وحود أي جرح الجسم . حل

منه هذا الميكروب الخبيث مهاصفر الجرح . وفي أحوال قليلة جدا يحدث هذا المرض بدون جرح ظاهر ، ولكن اذا دقق في البحث فلا بد من وجود أي منفذ الى الجسم ولو مسح بسيط جدا أو دمل صغير أو خدش كخدش الدبوس . والمدوى لا تنتقل إلا الى المسافات القصيرة

وهو يصيب الاطفال الرضع والكبار فوق الاربعين اكثر من غيرهم ولكنه لا يميز بين الذكر والانثى

ومما يجعل الشخص أكثر تعرضا له من غيره إدمان الخمر وأمراض الكبد والكلية المزمنة والضعف أو الفاقة وكذلك البرد والرطوبة وكثرة الازدحام خصوصا اذا كان المكان رديء الهواء أو قذرا . ومن الاسباب أيضا استعداد مخصوص في الشخص نجعل حقيقة فان هذا المرض كثيرا ما يعاود شخصا عدة مرات ، فالوقاية منه لا تطول مدتها

أما ميكروبه هذا البزري فهو عديم الحركة ، وقطر كل بزة نحو ميكرون واحد . ويحصل الانقسام فيه في جهة واحدة فقط ولذلك تتكون منه السلاسل المذكورة . وهو يموت اذا بلغت الحرارة ٥٣° الى ٥٥° سنتجراد وعرض لها ١٠ دقائق

الأعراض — في الاحوال التي يتعسر فيها مشاهدة الجرح أو السحج نرى أن هذا المرض يصيب الوجه على الأكثر ولذلك كان وصفنا الآتي قاصرا على وصف هذا العضو اذا أصيب به

ومدة التفريخ أيام معدودة فهي في أكثر الاحوال من ٣ الى ٦ وان كانت تطول في بعضها . ويتبدى المرض عادة بقشعريرة أو رعدة وصداع وغثيان ويبيض اللسان ويحس المريض بآلام عامة في جسمه ، وبعد بضع ساعات تظهر على الوجه بقعة حمراء مؤلمة خصوصا حيث يلتقي الجلد بالغشاء المخاطي كفتحة الفم أو الأذن أو الأنف . ثم تكبر هذه البقعة وترم ويشد احمرارها وألمها واذا ضغط عليها انبعجت ، ثم يمتد الورم بسرعة متفاوتة ترى أن السطح العالي الأحمر كأنه يسير في باقي الجلد . وفي بضعة أيام قد يغطي الوجه كله قتره متفخا جدا وكذلك الجفون حتى تتدلى . وترم الاذنان والشوأة (فروة الرأس) وتكون غالبا فقاعات أو فقاخات ممتلئة بسائل

مصلي صديدي على الخدين أو الجفون ، وقد تنفجر قنزيد المصاب تشويها حتى
تتعذر معرفته . وتضخم الغدد اللمفاوية القرية من المكان المتهب وتكون مؤلمة ،
ويقال انها تتهب حتى قبل ظهور التهاب الجلد

وتكون الحمى عالية جدا حتى تزيد عن الاربعين في اليوم الثالث والرابع . وفي
السادس تميل للانخفاض فجأة ما لم يستمر التهاب الجلد أو يظهر التهاب جديد ، فهي
تابعة لحالة الالتهاب . وتكون الحمى مصحوبة بباقي أعراضها المعروفة

وهذا الالتهاب يمتد أيضا الى الأغشية المخاطية كغشية الحلق أو اللوزتين
وأحيانا الى أغشية الخنجر حتى يتعسر التنفس والازدراد . ويعتري المريض الهذيان ،
وقد تطرأ عليه الغيبوبة . وبينما نرى الالتهاب يمتد في جهة قد نشاهده يشفى حيث ابتدأ
وسبب الموت نهاكة القوى مع الهذيان والغيبوبة خصوصا في الشيوخ ومدمني
الخمر وغيرهم ممن ذكرنا من قبل

وإذا شفى المريض تقشرت البشرة مكان الالتهاب ويستمر التقشر بضعة أيام ،
وكثيرا ما نشاهد سقوط شعر الشواة

المضاعفات والعواقب — منها : الخراجات وموت الجلد وسقوطه وضخامة
الغدد اللمفاوية أو تقيحها — في النادر — والاختناق من تورم الخنجر والالتهاب
الرئوي أو الپلوراوي في بعض الاحوال وكذلك الالتهاب السحائي
ويقال إن امتداد هذا المرض في الجلد تابع لسير الاوعية اللمفاوية ، ويقف
الالتهاب في الغالب حيث يلتصق الجلد التصاقا شديدا بالانسجة التي تحته كما يحصل
في الارية عند رباط [پوپارت Poupart]

وانذار هذا المرض في أكثر الاحوال حميد ، ولكن يختلف خطره باختلاف
امتداد الالتهاب . وهو قاتل غالبا للشيوخ والسكرين وغيرهم ممن ذكرنا

المعالجة — المبدأ العام في معالجة هذا المرض هو استعمال المنعشات والمقويات
للمريض ، فيعطى كثيرا من اللبن والمرق وغيرها من السوائل المغذية ، وبعض
المنعشات كالخمر — اذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — والنوشادر والاثير والاستركنين
وغيره . وصبغة فوق كلوريد الحديد نافعة جدا في هذا المرض حتى كانوا يمدونها شفاء

قطبها له ، فيعطى منها من ٣٠ — ٤٠ نقطة للشبان والكهول كل ٣ أو ٤ ساعات . وقد
وصى بعضهم أيضا باستعمال الكينين . وظهرت نتائج حسنة من استعمال المصل المضاد
لبزور هذا المرض [Anti - streptococcus Serum] فيحقن منه تحت
الجلد مرة أو مرتين يوميا ١٥ أو ٢٠ سنتيمترا مكعبا . وهذا المصل يستخرج من
الحصان بطريقة تشبه استخراج مصل الدفتيريا ، غير أنها تختلف عنها في أنه في مصل
الدفتيريا يحقن الحصان بسم الميكروب ولكن هنا يحقن الحصان بنفس الميكروب حيا ،
لان ميكروب الدفتيريا يفرز سما في السائل الذي يربى فيه وأما ميكروب هذا المرض
فسمه كامن في جسمه فاذا حقن السائل الذي يربى فيه لا يفيد . وطريقة ذلك أن
يقوى ميكروب الحمرة بحقنه في عدة أرناب فيكون ما حقن في الاخير أقوى مما حقن
في الاول ويزرع من كل منها جزء من الميكروب فتكون قوته متفاوتة ، ثم يحقن الحصان
بأضعف هذه الميكروبات سما ، وتترقى منه تدريجا الى أقواه . وفي نهاية سنة الحقن يؤخذ
مصل هذا الحصان فيكون فيه سم قاتل لميكروب الحمرة ، فاذا حقن للمريض به أفاده
فائدة عظيمة

واذا اشتدت الحمى كان استعمال الماء البارد أو الفاتر نافعا فيها أيضا
وعلاج مكان الحمرة نفسه قليل الجدوى ، وغاية ما يعمل له أنه يدهن ببعض
المراهم أو نحوها كزيت البوريك واذا اشتد تورم الجلد جاز تشريطه قليلا

النزلة الوافدة — الانفلونزا Influenza

الانفلونزا اسم ايطالي أولاتيني لمرض كانوا يظنون أنه من تأثير الكواكب .
في الانسان ، فلذا سموه بهذا الاسم الذي معناه (التأثير) ويسمي الاطباء المحدثون
من العرب هذا المرض بالنزلة الوافدة

الاسباب — هذا المرض كثيرا ما ينتشر في البلاد بشكل وبائي سريع
خصوصا اذا كانت القرى مزدحمة فيصاب به في وقت واحد مئات من الناس
وميكروب هذا المرض من النوع 'لباسيلي' (المستطيل) اكتشفه [Pfeiffer]
في سنة ١٨٩٢م وهو يوجد في بصاق المصابين وأنوفهم وقل أن يوجد في دمه ، وهو

٧٧٤ أعراض النزلة الو فدة وانذارها وعلاجها. ميكروب الزكام [المنار: ج ١٠ م ١٨]

من أدق الميكروبات وأصغرها حجما فان طوله ٠.٦ الى ١.٥ ميكرون وهو ساكن لا حركة له ولا حبيبات ، ولا يعيش الا في الاكسجين . وكثيرا ما يصاحبه ميكروبات أخرى في هذا المرض . واذا شفي المريض زالت منه الميكروبات بسرعة فلا يعدي بعد النقاهة كالدفتيريا مثلاً ، وهو ينتقل من شخص الى آخر اذا اقترب منه بحيث يصل اليه بعض افرازات الانف أو الفم . والاستعداد لهذا المرض يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يعاوده مرارا ومنهم من لا يمسهم مرة واحدة في حياتهم وكثير من الناس يطلقون اسم (انفلونزا) على كل النزلات التي تعقب البرد كالزكام أو السعال ، ولكنه خطأ

الاعراض — مدة التفريح ساعات معدودة . ويتبدى هذا المرض فجأة بألم شديد في الجبهة ومؤخر العنق وألم في عضلات القطن والفخذين وغيرها ، وقل أن تحدث فيه رعدة . والحرارة ترتفع في ساعات قليلة الى ٣٩° أو ٤٠° وتكون مصحوبة بباقي اعراض الحمى ، ويلتهب الحلق واللوزتان وتصبح رائحة النفس كريهة ، وقد يكثر العرق ولكن الغالب أن يكون الجلد جافاً ، وتضعف قوى المريض ويشد به الارق والتألم . وقد يقتصر المرض على هذه الاعراض وتزول الحرارة فجأة بعد يوم أو يومين غير أن آلام الاطراف تستمر بعدها مدة وكذلك الضعف . وقد تطول مدة الحمى بضعة أيام ، أو ينكس المريض . ومن الناس من يصابون فوق ذلك بالنزلات الشعبية أو الرئوية ، ومنهم — وهم الاقل — من يصابون باضطراب في الجهاز الهضمي فيعثر بهم مغص وقيء واسهال وأحياناً اليرقان ، ومنهم أيضاً من يصابون في جهازهم العصبي فيعثر بهم التعاس في أول الامر والهديان ثم يزول عنهم النوم ويحل محله الارق ، وتشتد عندهم الآلام العصبية والعضلية

وقد يحصل في هذا المرض طفح في الجلد

وانذار هذا المرض في الغالب حميد

والعلاج كملاج باقي الحميات سواء بسواء

أما الزكام والسعال العاديان فينشآن غالباً من ميكروب آخر من الشكل البزري

يسمى « البزور الصغيرة النزلية » [*Micrococcus catarrhalis*] وهو يوجد

[المنار: ج ١٠ م ١٨] الحمى المخية او الالتهاب السحائي الوبائي وأسبابه ٧٧٥

كثيرا في الانف والحلق في أصابات البرد وفي البصاق بعد السعال الناشئ من
النزلات الشعبية وقد يوجد في الاشخاص الاصحاء ويوجد أيضا في الاطفال اذا
أصيبوا بالنزلات الشعبية الرئوية

الحمى المخية الشوكية أو الالتهاب السحائي الوبائي

هذا المرض عرف أولا في [جنيف Geneva] سنة ١٨٠٥ ومنذ سنة ١٨٦٠
صار منتشرا في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرها . وهو كثيرا ما يشاهد أيضا في مصر
خصوصا في الاماكن التي يكثر فيها الازدحام كالسجون والمآهد العلمية

ينشأ هذا المرض من [بزور مزدوجة Diplococcus] تسمى البزور السحائية
[Meningococci] تشاهد في الكريات البيضاء التي توجد في السائل المستخرج
من النخاع في هذا المرض ، وقد توجد هذه البزور أيضا خارج الكريات في السائل
نفسه، وأحيانا في دم المصاب وفي مفاصله اذا التهب وكذلك في الرئتين اذا التهبتا
وفي الانف والحلقوم والاذن الوسطى. وهذا الميكروب اكتشف سنة ١٨٨٧ وهو يشبه
ميكروب السيلان ولا ينمو الا بوجود الأكسجين ولا في حرارة أقل من ٢٥° سنتجراد
الاسباب — يدخل هذا الميكروب من الحلقوم سواء أوصل اليه من الفم أم من الانف.
ويوجد في حلقوم المرضى والناقلين كذلك وفي حلقوم بعض الاصحاء المخالطين للمريض .
وهو يصيب الصغار اكثر من غيرهم حتى ان ٨٠ ٪ من المصابين منهم تجد أن عمرهم أقل
من ١٦ سنة وهـ ٠ ٪ فقط فوق ٢٥ سنة، ولا يميز بين الذكور والاناث. وهذا المرض كثير
الحصول في أزمدة البرد، لان الناس في تلك الازمنة يضطرون الى السكنى في أماكن
محتبسة الهواء فيفسد وترتفع حرارته وتكثر رطوبته وبذلك يصير بيئة صالحة لنمو هذا
الميكروب الخيث وان كان البرد الشديد يقتله، ولذلك لم يعرف هذا المرض بين سكان
المنطقة القطبية. ولهذا الهواء الفاسد تأثير سي في بنية المستنشقين له وهو يجذب بسخوته
الدم من الاحشاء الى ظاهر الجلد وذلك أيضا مما يضعف البنية ويعوق الاعضاء عن
اتمام وظائفها، فكأن الهواء الفاسد، السخن سبب للعدوى من وجهتين (١) كونه بيئة
صالحة لنمو الميكروب و(٢) كونه مضعفا للبنية عن مقاومته ، مفسدا للصحة . ولولا

ذلك لما كثر انتشار هذا المرض في أزمدة الشتاء. ومن المشاهدات العجيبة في العدوى بهذا المرض أن الأشخاص الذين يكونون في جهة معينة من المريض يصابون به بينما غيرهم في الجهة الأخرى لا يصابون، وما ذلك إلا لكون الهواء يهب على المريض من تلك الجهة التي فيها السليمون فيمر عليهم أولاً ثم على المريض ويحمل ذرات فيها الميكروب من نفسه أثناء الكلام أو السعال ونحوها إلى الذين في الجهة الأخرى. وقد وجد أن نحواً من ٤٠ ٪ ممن يخالطون المريض قد يصبرون من (الحملة الأصحاء) الأعراض — في أحوال قليلة يتقدم المرض أعراض بسيطة كالصداع والغثيان، ولكن في أكثر الأحوال يتبدئ هذا المرض فجأة بألم شديد في الدماغ ورعدة أحياناً فيضطر المريض في الحال لللازمة الفراش وترتفع الحرارة بسرعة حتى تصل إلى ٤٠° ويشد الصداع خصوصاً في مؤخر الرأس وتيبس عضلات القفا حتى يتعسر على المريض الانحناء إلى الأمام، ويبقى شاخصاً يبصره إلى السماء، وكذلك يقنعس المصاب أي يتقوس الظهر ويكون تغيره إلى الخلف، وتشنج الأيدي والأرجل وتكثر الآلام في الظهر والأطراف ويكون الجلد حساساً وقد يرتخي الجنان أو أحدهما للشلل فيها وربما يشعر المريض بألم في أذنه وطين أو صمم ويقل شمه ويعتريه النعاس فالهذيان فالغيبوبة. وقد يصاب بنوبات تشبه الصرع فيتخبط كما يتخبط المصروع وفي كثير من الأحوال يظهر على وجهه ما يسمى بالتملة [Herpes] وهي ققاءات صغيرة ممتلئة بسائل. وتلتهب المفاصل أحياناً وقد تقيح. ويتقر البطن حتى يصير كالزورق، ويعظم الطحال ويكثر البول، وقد يوجد فيه زلال قليل أو أثر من السكر. وإذا رفع فخذ المريض — وهو ملقى على ظهره — بحيث يكون مع جسمه زاوية قائمة تعذر مد الساق حتى تكون مع الفخذ على خط مستقيم. وهذه العلامة — وتسمى علامة [Kernig كرنج] — من أهم ما يعرف به التهاب السحائي، وإذا مرت بأصبعك على جسم المريض ظهر خط أحمر حيث مرت الأصبع ويستمر نحو خمس دقائق أو أكثر ويسمى هذا الخط بالفرنسية [Tache Cérébrale] ومعناه [البقعة المحيية] وهي من أهم علامات التهاب السحائي أيضاً، وتنشأ من شال في أوعية الدم وهذا المرض خطر جداً على الحياة، وكثيراً ما يموت به المصابون بل منهم من

يموت في بضع ساعات أو بضعة أيام . وعدد الوفيات يختلف من ٣٠ الى ٧٠ ٪ .
ويوجد نوع آخر منه يصيب الاطفال الرضع فيقتلهم غالبا
واذا شفي المريض منه قام غالبا بصمم أو عمى أو استسقاء في الدماغ مع صداع
وتشنجات وضعف شديد في العقل أو الجسم أو شلل بعض الاعضاء . واذا أصاب
الصمم الاذنين قبل أن يتعلم الطفل الكلام بقي طول حياته أبكم أصم
وقليل من الناس من يشفي منه ولا يصيبه شيء

الصفة التشريحية — اذا شرحت الجثة بعد الوفاة من هذا المرض يُشاهد
التهاب حاد في الأم الحنون للمخ والنخاع الشوكي قترى الصديد والمواد اللفافية
متراكمة على سطح المخ في شقوقه (أي ما بين التلافيف) ويكون السطح الخلفي
للنخاع ملتها أكثر من السطح الامامي وخصوصا القسم القطبي منه . وفي بطينات
المخ يشاهد مصل عكر أو صديد، وفي القشرة السنجابية نقط نزفية أو بثور

وترى الرئتين والكبد والطحال والكليتين جميعا محتقة مع استحالة شحمية في
خلايا الكلية واستحالة حبيبية في ألياف العضلات الاختيارية . وقد نرى أيضا
نقطا نزفية في الشغاف والپليورا وأحيانا ثقيحا في المفاصل

وبكل هذه التغيرات المرضية التي تشاهد في الاحشاء ما عدا المخ والنخاع هي
تابعة لالتهاب السحايا وليست من أصل المرض وإنما تنشأ من سُموم الميكروب ومن
شدة ارتفاع الحرارة ونحو ذلك

المعالجة — أحسن علاج لهذا الداء استعمال المصل الخاص به فيصفي جزء
من السائل الذي في النخاع بالبرز القطبي ويستعاض عنه بمحجن ٣٠ سنتيمترا مكعبا كل
يوم أو كل يومين بحسب شدة المرض

والبرز القطني وحده نافع في هذا المرض لتخفيف الضغط على المراكز العصبية
بسحب بعض المواد الالتهابية ولإزالة بعض سموم المرض

وبقي علاج هذا المرض كعلاج سائر الحميات ، ومن النافع فيه أيضا استعمال
مركبات الزئبق ويودور اليه شيوعا في بعض الاحوال

انوفاية — عزل المريض كما تقدم في الحميات وتطهير كل افرازاته واتقاء القرب منه

والسكنى في الاماكن النقية الهواء ذات النوافذ الكثيرة من أحسن ما يتقى به هذا الداء. فلذا يجب تهوية الاماكن المسكونة ليلا ونهارا صيفا وشتاء. ولا يتوهم أحد أن الهواء المطلق الذي نرغب فيه هو مما يسمونه « بتيارالهواء » ويقولون إنه يجب اتقاؤه بل التيار الضار يكون بتعريض جزء من الجسم لهواء يغير باقي الهواء المحيط بالجسم في سرعته وفي درجة حرارته ، كالجلوس امام إحدى النوافذ من بيت دافئ مع تعريض جزء من البدن لهواء النافذة البارد . وأما خروج الانسان الى الاماكن الطلقة الهواء كالفلوات والبحار والمكث فيها زمنا مآ فانه لا يضر الصحيح البنية خصوصا اذا كان جسمه مدفأ جيدا بالملابس الكثيرة الجافة، ولكن اذا ابتلت هذه الملابس بالعرق أو بالماء خيف على المرء من ضرر البرد بالمكث في الهواء البارد .

الجذام Leprosy

مرض شهير منذ العصور النابرة سمي بذلك في العربية لانه يثر بعض الاعضاء، وهو من الأمراض المزمنة المتعذرة الشفاء، ينشأ من ميكروب من الشكل الباسيلي اكتشفه [هانسن Hansen] سنة ١٨٧٩ م يشبه ميكروب الدرن من عدة وجوه. وحقن هذا الميكروب في الحيوانات لم ينجح في احداث المرض فيها ما عدا القردة فانها تصاب باصابة موضعية وقتية . ويوجد الميكروب في دم المجذوم وفي الجلد والاعشية المخاطية والاعصاب والغدد اللعابية والخنجرة والكبد والطحال والخصيتين والكليتين ، ونادرا في الرئتين ، ولا يوجد في العظام ولا المفاصل ولا العضلات

الاسباب — هذا المرض قليل الوجود في أوربة ماعدا بلاد الترويج ويوجد في كثير من البلدان الافريقية والآسيوية والأمريكية وكثير من جزائر المحيط الهادئ ، وهو يصيب الذكور أكثر من الاناث ، والصغار قبل سن الثلاثين أكثر من غيرهم ، ومن النادر جدا أن يصيب الاطفال . وللوراثة بعض التأثير في احدثه

يدخل ميكروب هذا الداء الى الجسم من منفذ أو أكثر من المنافذ الآتية :
الأنف أو أعلى الجهاز التنفسي أو الفم أو الأوزتين أو سحبات الجلد أو الجهاز التناسلي
ومن العلماء من يرى أن بعض الحشرات تنقل هذا المرض من شخص الى

آخر، فقد وجد ميكروبه في البعوض (الناموس) والبق . ولم يشاهد ميكروبه في الارض ولا في الهواء^(١) ولا في الطعام ولا في الشراب ويرى بعض العلماء ان الافراط في أكل السمك خصوصا الفاسد مما يهيئ الجسم لقبول هذا الميكروب الخبيث

ويسكن هذا الميكروب في جميع أجزاء جسم المصاب حيث توجد أنسجة مريضة به ويخرج من جسم المجدوم في مخاطه ودموعه ولعابه ولبنه ومنيه وافرازات الاحليل والمهبل . وفي البراز يل يخرج أيضا مع خلايا البشرة التي تنفصل بالتدريج من الجلد . هذا فضلا عن خروجه بالضرورة مع ما ينسكب من قروح المريض ولكن أهم الاشياء التي يوجد فيها الميكروب هو افراز الانف فانه يوجد فيه بكثرة عند أقل بحث فيه

الاعراض — يبدأ هذا المرض بتوعك عام مع حمى خفيفة وتكسر في الجسم ثم تظهر بقع حمراء في الجلد قطرها يبلغ من نصف بوصة الى ثلاث أو أربع بوصات متفخة قليلا ومستديرة أو غير منتظمة ، وقد يتكون من هذه البقع الحمراء حلقات وذلك بشفاء الجلد الذي في وسطها ، وتزول هذه البقع الحمراء أيضا اذا زالت الحمى ، وكثيرا ما تترك خلفها آثارا ملونة أو بيضاء . وقد تعود الحمى وتظهر هذه البقع آنا بعد آن . وبعد ذلك تنقسم أعراض المرض الى قسمين فيصاب المريض اما بالجذام الدرني أو بالجذام الخدري ، وقد يجتمع فيه النوعان

أما في الجذام الدرني فتظهر في الجلد درنات مرتفعة حجمها قدر حبة الحمص أو البندق أو اكبر — تظهر أثناء ظهور البقع الحمراء أو بعدها بقليل . وهذه الدرنات قد تمتد زمنا طويلا وقد تزول تاركة خلفها بقعا ملونة، وكثيرا ما تتأكل فيتكون منها قروح يسيل منها صديد (أي سائل رقيق) قليل وهذه الدرنات تظهر على الأكثر في الوجه وفي ظهر اليدين والقدمين وغير ذلك ، فتشوه الوجه ، وتغلظ الحواجب والانف والحدود والآذان ويكون شكل الوجه كوجه الاسد . ولذلك يسمى هذا

(١) اللهم إلا ما كان حول المريض مباشرة فقد توجد فيه ذرات من مخاطه حاملة لهذا الميكروب

المرض عند المصريين بالأسد أيضا

وكثيرا ما تتقرح الجفون حتى يصل المرض الى طبقات العين وان كان العصب البصري والشبكية والزجاجية والبلورية كلها تنجو منه عادة . وتصيب الدرنات أيضا الأغشية المخاطية للفم والحلق والحنجرة والانف فيغلظ الصوت أو يضعف . وهذه القروح قد يزداد تأكلها حتى تصيب الاوتار فتقطعها والعظام فتتخرها والمفاصل فتفتتها وبذلك تبتز بعض الاجزاء

أما الجذام الخدري فتكون اصابة الاعصاب فيه أكثر ، وفي أول الداء يحصل احساس في بقع كثيرة من الجسم يشبه الاحساس بمشي النمل ووخز الابر يعقبه خدر ويكون الجلد في البقع المصابة اما أكمد (باهتا) أو ملونا ويضعف الشعر ويزول لونه ويكون سطح الجلد ناعما برأقا ، وتضخم الاعصاب حتى يمكن الاحساس ببعضها بغاية السهولة وذلك لالتهابها بسبب المرض . وبسبب مرض الاعصاب تضمر العضلات خصوصا ما بين مشط اليدين والقدمين ، وترتمخي الايدي والاقدام ويكون شكل اليد كبرثن الاسد^(١) وقد يحصل في هذا النوع من الجذام قروح فوق المفاصل أيضا فتبتز الاعضاء خصوصا أطراف الايدي والاقدام وينجو من هذا البتر السلاميات الاولى للاصابع غالبا . وكثيرا ما تشفى هذه القروح فتبقى اليد بالسلاميات الاولى فقط

وسير هذا الداء موجب لليأس ويجعل الشخص المجذوم مكروها عند الناس مخيفا لهم بمنظره — وبعد زمن قد يمتد الى ١٥ سنة أو أكثر — يموت المصاب غالبا بمضاعفات المرض أو بطروء السل الرئوي أو التهاب الكلى أو بالدوسنطاريا وغير ذلك الانذار — هذا المرض لم يعرف أن احدا أصيب به وشفي منه ، غاية الامر انه قد تتلطف الاعراض ويقف الداء مدة مآ

المعالجة — تعالج الاعراض بالطرق الطبية المعروفة عند الاطباء ، وتعطى للمريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم ، ويوضع في مكان تقي الهواء بمعزل عن الناس . ومما ينفع فيه بعض النفع زيت كبد الحوت وزيت [حب الشلمغرا Chaulmoogra]

(١) البرائن للسياح بمنزلة الاصابع للناس

وجرعه في اليوم تبدى من ٢٠ نقطة الى درهمين ويجب تعاطيه لمدة سنتين على الأقل . وهناك علاجات أخرى كالحقن بالقاح ونحو ذلك ولكنها غير محقق نفعها ويجب مدة المرض استعمال المطهرات للقروح وتضميدها جميعا

الوقاية — لما كانت كيفية العدوى بهذا الداء غير معروفة بالضبط وجب عزل المرضى والاحتراس من كل من يلامسهم أو يوجد معهم ، وهذا غاية ما يمكن أن يقال الآن في أسباب الوقاية من هذا الداء . وفي الحديث الصحيح «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد» (*)

(*) المنار : رواه البخاري من حديث أبي هريرة معلقا — او موصولا على طريقة ابن الصلاح — ووصله آخرون واخرج ابن خزيمة له شاهدا من حديث عائشة . ويؤيد ما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الشريد عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف مجذوم فأرسل اليه رسول الله (ص) «إنا قد بايعناك فأرجع» واختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذه الأحاديث وما في معناها كحديث أبي هريرة في الصحيحين «لا يوردن ممرض على مصح» (الممرض بصيغة اسم الفاعل صاحب الابل المريضة بالجرب مثلا والمصح صاحب الابل الصحيحة) وحديث النهي عن دخول ارض فيها الطاعون . وبين حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره «لا عدوى» وحديث جابر ان النبي اخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال «كل» رواه الترمذي . فبعضهم يرجح العدوى ويؤول ما يعارضها وبعضهم يعكس ومما قاله هؤلاء ان ابا هريرة رجع عن حديث «لا عدوى» وانكره كما في البخاري . وبان الترمذي ذكر الاختلاف في حديث جابر على راويه ورجح وقفه على عمر . واقرب ما قالوه الى الطب والعقل قول البيهقي وغيره ان العدوى المنفية ما كانت تعتقده الجاهلية لا العدوى التي تحصل بالاسباب بقدر الله تعالى . وقول ابن قتيبة ومن وافقه : ان الامر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لامر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بطريق الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الامراض في العادة انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة . حكاهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وذكر أن جمهور الفقهاء اثبتوا الخيار لكل من الزوجين في فسخ النكاح اذا وجد الجذام في الآخر

المعرفة بالله تعالى

٢

فصل

قال في الدرجة الثانية معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات، وهي تثبت بعلم الجمع، وتصفو في ميدان الفناء، وتستكمل بعلم البقاء، وتشارف عين الجمع في شرح كلامه ومراده أولاً ثم نبين ماله وعليه فيه، فكانت هذه الدرجة عنده أرفع مما قبلها، لأن التي قبلها نظر في الصفات وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات، وإن كانت الذات لا تخلو عن الصفات فهي قائمة بها، ولا نقول: إن صفاتها عينها ولا غيرها، لما في لفظ الغير من الاجمال والاشتباه، فإن الغيرين قد يراد بهما ما جاز افتراقهما ذاتاً أو زماناً أو مكاناً، وعلى هذا فليست الصفات مغايرة للذات، ويراد بالغيرين ما جاز الغم باحدهما دون الآخر فيفترقان في الوجود الذهني لافي الوجود الخارجي، فالصفات غير الذات بهذا الاعتبار لأنه قد يقع الشعور بالذات حال ما ينفل عن صفاتها فتتجرد عن صفاتها في شعور العبد لافي نفس الامر. وقوله «مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات» التفريق بين الصفات والذات في الوجود مستحيل، وهو ممكن في الشهود بأن يشهد الصفة ويذهل عن شهود الموصوف، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصفة، فتجريد الذات أو الصفات إنما يمكن في الذهن، فالمعرفة في هذه الدرجة تعلقت بالذات والصفات جميعاً فلم يفرق العلم والشهود بينهما، ولا ريب أن ذلك أكمل من شهود مجرد الصفة أو مجرد الذات. ولا يريد الشيخ أنك تسقط التفريق بين الذات والصفات في الخارج والعلم بحيث تكون الصفات هي نفس الذات^(١) فهذا لا يقوله الشيخ وإن كان كثير من أرباب الكلام يقولون إن الصفات هي الذات. فليس مرادهم أن الذات نفسها

(١) في ب «بحيث تكون الذات هي نفس الصفات»

صفة ، فهذا لا يقوله عاقل ، وإنما مرادهم ان صفاتها ليست شيئاً غيرها . فان أراد هؤلاء ان مفهوم الصفة هو مفهوم الذات فهذا مكابرة ، وان أرادوا انه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت اليها وقامت بها ، فهذا حق

والتحقيق ان صفات الرب جل جلاله داخلية في مسمى اسمه ، فليس اسمه الله والرب والإله أسماء لذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، كالعلم والقدرة والحياة والارادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته ، فصفاته داخلية في مسمى اسمه ، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لا حقيقة له ، وهي أمر اعتباري لا فائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان ولا هو علم في نفسه ، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن بقوله الله (الله خالق كل شيء) فاجابهم السلف بان القرآن كلامه وكلامه صفاته وصفاته داخلية في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويديه ، فليس « الله » اسماً لذات لانعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، ذلك إله معدوم مفروض في الأذهان لا وجود له في الأعيان كإله الجهمية ، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محايث له ولا مباين ، وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت ولا له مشيئة ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام ، وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً سارياً في الموجودات ظاهراً فيها هو عين وجودها ، وكإله النصاري الذي فرضوه قد اتخذ صاحبة وولداً وتدرع بناسوت ولده واتخذ منه حججاً ، فكل هذه الآلهة بمعاملته أيدي أفكارها ، وإله العالمين الحق هو الذي دعت اليه الرسل وعرفوه باسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، موصوف بكل كمال ، منزّه عن كل نقص ، لا مثال له ولا شريك ولا ظهير ، ولا يشفع عنده أحد الا بأذنه ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، غني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بذاته

قوله « وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصغر في ميدان الفناء » يعني ان هذه المعرفة الخاصة تثبت بعلم الجمع ، ولم يقل « بحال الجمع ولا بعينه ولا مقامه » فان علمه أولا هو سبب ثبوتها ، فان هذه المعرفة لا تنار الا بانعلم فهو شرط فيها ، وسيأتي الكلام — ان شاء الله تعالى — في الجمع عن قريب . فاذا علم العبد افراد الرب سبحانه بالازل والبقاء والفعل وعجز من سواه عن القدرة على ايجاد ذرة أو جزء من ذرة ، وانه لا وجود له من نفسه فوجوده ليس له ولا به ولا منه ، وتوالي هذا العلم عن القلب لا يسقط ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر ، كما سقط غناه وربوبيته وملكه وقدرته ، فصار الرب سبحانه وحده هو المعبود والمثبود المذكور ، كما كان وحده هو الخالق المالك الغني الموجود بنفسه أزلا وأبداً ، وأما ما سواه فوجوده وتزايع وجوده عارية ليست له ، وكما في العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه ، فلماذا قال « وتصغر في ميدان الفناء » واستعار الشيخ للفناء ميداناً وأضافه اليه لاتساع مجاله لأن صاحبه قد اقتطع التفاته الى ضيق الاثيار . انجذبت روحه وقلبه الى الواحد القهار ، فهي تجول في ميدان أوسع من السماوات والأرض ، بعد ان كانت مسجونة في سجون المخلوقات . فاذا استمر له عكوف قلبه على الحق سبحانه ونظر قلبه اليه كأنه يراه ، ورؤية تفرد بالخلق والامر والنفع والضر والعطاء والمنع . كملت في هذه الدرجة معرفته ، واستكملت بهذا البقاء الذي أوصله اليه الفناء وشارفت عين الجمع بعد علمه ، فغاب العارف عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بمذكوره وعن محبته وارادته بمرادته ومحبوته فاذلك قال :

« ويستكمل بعلم البقاء ويشارف عين^(١) الجمع » ولهذا المعرفة ثلاثة أركان^(٢)

أشار اليها الشيخ بقوله « إرسال الصفات على الشواهد » وإرسال الوسائط على المدارج ، وإرسال العبارات على المعالم . شواهد الصفات هي التي يشهد بها ويدل عليها من الكتاب والسنة وشهادة العقل والفطرة وآثار الصنعة فاذا تمكن العبد في التوحيد علم ان الحق سبحانه هو الذي علمه صفات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بغير تعريف الحق له بما تجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشواهد

(١) في المتن « بعين الجمع » (٢) في المتن « وهي ثلاثة أركان : إرسال - شيخ

والانتقال منها الى شهود^(١) المدلول عليه ، فهو سبحانه الذي شهد لنفسه في الحقيقة ، اذ تلك الشواهد ، صدرها منه فشهد لنفسه بنفسه بما قاله وفعله وجعله شاهدا لمعرفته . فهو الاول والاخر ، والعبد آلة محضة ومنفعل ومحل لجريان الشواهد وآثارها وأحكامها عليه ليس له من الامر شيء ، فهذا معنى ارسال الصفات على الشواهد ، فاذا أرسلها عليها تبين له ان الحكم للصفات دون الشواهد بل الشواهد هي آثار الصفات ، فهذا وجه

ووجه ثان أيضا وهو أن الشواهد بوارق وتجليات تبدو للشاهد ، فاذا أرسل الصفات على تلك الشواهد توارى حكم تلك البوارق والتجليات في الصفات وكان الحكم للصفات فحينئذ يترقى العبد الى شهود الذات شهوداً علمياً عرفانياً كما تقدم قوله « وارسال الوسائط على المدارج » الوسائط هي الاسباب المتوسطة بين الرب والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها ، والمدارج هي المنازل والاقامات التي يترقى العبد فيها الى المقصود ، وقد تكون المدارج الطرق التي يسلكها اليه ويدرج فيها ، فارسال الوسائط التي من الرب على المدارج التي هي منازل السير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المدارج فيغيب عن شهود المدارج بالوسائط وقد غلب عن شهود الوسائط بالصفات فيترقى حينئذ الى شهود الذات ، وحقيقة الامر أن يعلم أن الرب سبحانه ما أطلعته على معرفته الا بشواهد منه سبحانه وبوسائط ليست من العبد ، فهو قادر على قبض تلك الشواهد والوسائط وعلى اجرائها على غيره فان الامر كله له وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئاً قال الله تعالى لرسوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لانجد لك به علينا وكيلاً) الا رحمة من ربك - وقال للامة نلى لسانه - قل أرايتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من آله غير الله يأتيكم به - وقال تعالى - قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ويعلم العبد ان ما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته والايمان به هي معالم يهتدي بها عباده اليه ويعرفون بها كماله وجلاله وعظمته ، فاذا تيقنوا صدقه ولم يشكوا فيه وتفظنوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم انضم شاهد

(١) في ب « المشهود »

العقل والفطرة الى شاهد الوحي والشرع ، فانتقلوا حينئذ من الخبر الى العيان ، فالعبارات معالم على الحقائق المطلوبة ، والمعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب ، فاذا أوصل العارف كل معنى مما تقدم ذكره على مقصوده وصرف همه الى مجريه وناصبه ومصدره اجتمع همه عليه ونمكن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال ونعوت الجلال . ومقصوده أن يبين في هذه الاركان الثلاثة حال صاحب معرفة الذات وكيف ترتب الاشياء في نظره ويترقى فيها الى المقصود.

مثال ذلك ان الشواهد أرسلته الى الصفات بارسلها عليها فانتقل من مشاهدتها الى مشاهدة الصفات والوسائط التي كان يراها آية على المدايرج انتقل فانتقل منها الى المدايرج ولم يلقها وإنما تعلق بما هي آية له . والعبارات التي كانت عنده ألفاظا خارجة عن المعبر عنه صارت أمارات توصله الى الحقيقة المعبر عنها . فهذه الاركان الثلاثة يصير من أهل معرفة الذات عنده

قواه (١) وهذه (١) معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة (٢) أي تدرك وتحس من ناحية الحقيقة، والايناس الادراك والاحساس قال الله تعالى (فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) وقال موسى (اني آنست من جانب الطور نارا) والمقصود ان العارف اذا علق همه بأفق الحقيقة وأعرض عن الاسباب والوسائط — لا إعراض جحود وانكار بل إعراض اشتغال ونظر الى عين المقصود — أوصله ذلك الى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

قال (٣) الدرجة الثالثة معرفة مستغرقة في محض التعريف ، لا يوصل اليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وسيلة ، وهي على ثلاثة أركان: مشاهدة القرب (٢) والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهي معرفة خاصة الخاصة (٣) إنما كانت هذه المعرفة عنده أرفع مما قبلها لان ما قبلها متعلقة بالوسائط والشواهد متصلة الى المطلوب ، وهذه متعلقة بعين المقصود فقط ، طوية للوسائط والشواهد ،

(١) في المتن « وهي معرفة » الخ (٢) في المتن « القلوب » ولعلمها غلط

فالوسائط صاعدة عنها اليه وهي غالبة على حال المعارف وشهوده وقد استغرقت ادراكه لما هو فيه بحيث غاب عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بمذكوره وعن وجوده بموجوده فتقوله « مستغرقة في محض التعريف . المعرفة صفة العبد وفعاله ، والتعريف فعل الرب وتوقيفه ، فاستغرقت صفة العبد في فعل الرب وتعريفه نفسه لمبدد . » وقوله « لا يوصل اليها بالاستدلال » يريد ان هذه المعرفة في الدرجة الثالثة لا يوصل اليها بسبب فان الأسباب قد انطوت فيها ، والوسائل قد انقطعت دونها ، فلا يدل عليها شاهد غيرها ، بل هي شاهد نفسها ، فشاهدتها وجودها ودليها نفسها . ولا تمجّل بانكار هذا فالامور الوجدانية كذلك ودليها نفسها وشاهدتها حقيقتها ، فتصير هذه المعرفة للمعارف كالامور الوجدانية . كاللذة والفرح والحب والخوف وغيرها من الامور التي لا يطلب من قامت به شاهدتها عليها من سوى أنفسها

ولعمري ان هذه درجة من المعرفة منيفة ورتبة شريفة تنقطع دونها أعناق مطايا السائرين ، فاذلك لا يوصل اليها بالاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة ، والأعمال والأحوال والمقامات كلها وسائل وهي لا تستحق هذه الدرجة من المعرفة وإنما هي فضل من الفضل كله يده وهو ذو الفضل العظيم ؛ وكون الوسائل المذكورة لا تستحقها لاتمنع من القيام بها على أنتم الوجوه وبذل الجهد فيها ، ومع ذلك فلا تستحقها الوسائل

قوله « وهي على ثلاثة أركان : مشاهدة القرب والصمود عن العلم ومطالعة الجمع » إنما كانت هذه الثلاثة أركاناً لها لان صاحب هذه المعرفة قد وصل من القرب الى مقام يليق به بحسب معرفته فكأنما كانت معرفته أنتم كأن قرب به أنتم ، فان شهود الوسائط والوسائل حجاب عن عين القرب ، وإنهاؤها وجودها حجاب عن أصل الايمان . وأما صعوده عن العلم فليس المراد به صعوده عن أحكامه فان ذلك سقوط ويزول الى المضيض الأدنى ، لا صعود الى المطلب الأعلى ، وإنما المراد انه يصعد بأحكام العلم عن الوقوف معه وتوسيطه بينه وبين المطالب فان الوسائط قد تجوي بساطها في هذا الشهود والمعرفة ، أعني بساط الوقوف معها وانتظر اليها فيدرك مشهوره ومعروفه به سبحانه لا بالعلم والخبر بل بالمشاهدة بالبيان ، وان كان لم يصل الى

ذلك الا بالعلم والخبر لكنه قد صعد من العلم والخبر الى المعلوم المخبر عنه .
وأما مطالعة الجمع فهي الغاية عند هذه الطائفة ، ونحن لا نكر ذلك لكن : أي
جمع هو ؟ هل هو جمع الوجود كما يقوله الاتحادية ؟ أم جمع الشهود كما يقوله صاحب
الفناء في توحيد الربوبية ؟ أم هو جمع الارادة كلها في مراد الرب تعالى الديني الامرى ؟
فالشأن في هذا الجمع الذي مطالعته من أعلى أنواع المعرفة . نعم ها هنا جمع آخر مطالعته
هي كل المعرفة وهو جمع الافعال في الصفات وجمع الصفات في الذات وجمع الاسماء
في الذات والصفات والافعال ، فمطالعة هذا الجمع هي غاية المعرفة وأعلى أنواعها ،
وهي لعمر الله معرفة خاصة بالخاصة ، والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله إله

[المنار]

ان أكثر الناس يرون هذا الكلام غريباً لا يكاد يفهم ، ويعدون هذه المعرفة
خيالية لا تكاد تعقل ، ومثل هؤلاء العارفين في نظر جمهور أهل العلوم النظرية والفنون
العملية ، كمثل خواص الادباء الذين يتمتعون بجمال المعاني الدقيقة ، متجالية في العبارات
الرشيقة ، في نظر عوام أهل البلادة . ذوي العمى والفهامة ، — أو كمثل بعض أهل
الدوق السليم ، العاشقين لجمال هذا الكون العظيم ، يؤثمون روضة غناء ، أو غابة غيباء ،
يسابقون اليها أشعة الشمس ، ليمتعوا بجمالها الحس والنفس ، — في نظر مجرم فظ ،
غليظ الطبع ، لا يرى حظاً من تلك الروضة الا أن يجتث أزهارها ، ويقطع أشجارها ،
ليتخذ الاولى علماً لحماره ، والثانية وقوداً لناره ، أو كمثل المتمردين بآلات الطرب ،
وسماع الالحان في العشق والادب ، في نظر العابد المتبتل ، أو المعجوز الثاقل ،
على أن جميع اللذات المعنوية ما أشرنا اليها منها وما لم نذكر اليه هي مبادئ
ووسائل لتلك الالذة الروحية العليا التي يجدها العارفون بالله تعالى ، فكل ما في الكون
من الجمال والكمال فهو بعض جماله وكماله عز وجل ، اذ هو صنع الله الذي أتقن
كل شيء ، وكل طائفة من طوائف البشر المرتقية تتمتع بنوع من أنواع جمال
الكون والعارفون بالله هم الذين يتمتعون بكل نوع من تلك الانواع تتمتع ارقى واعلى
من تتمتع المنفردين بالارتقاء فيه ، ويتمتعون بما هو أعلى من ذلك وأجل واكمل ،
وقد ضررنا لذلك المثل ، والله اعلى واجل ؛

باب الشعر والادب

شرف العلم وشماثل العلماء

نبدأ هذا الباب بقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة
في شرف العلم وأخلاق العلماء وشماثلهم قال: —

يقولون لي فيك انقباض وانما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
وما زلت منجازاً بمرضي جانباً
اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
أنزهاها عن بعض ما لا يشينها
فأصبح عن عيب اللثيم مسلماً
واني اذا ما فاتني الامر لم أبت
ولكنه ان جاء عفواً قبلته
وأقبض خطوي عن حظوظ كثيرة
واكرم نفسي أن أضاحك عابساً
وكم طالب رقي بنعماء لم يصل
وكم نعمة كانت على الحر تقمة
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقي به غرساً وأجنيه ذلة
وأوارجلاً عن موقف الذل أحجماً
ومن أكرمه عزة النفس اكرماً
بدا طمع صيرته لي سلماً
من الذل أعند الصيانة منما
ولكن نفس الحر تحمل الظما
مخافة أقوال العدا فيم أوالها
وقد رحت في نفس الكريم معظماً
أقلب فكري إثره متندماً
وان مال لم أتبعه هلاً ولينما
اذا لم أنلها وافر العرض مكرماً
وان أنلقى بالمدح مذمماً
اليه وان كان الرئيس المعظماً
وكم تمنم يعتده الحر مغرماً
لأخدم من لا قيت لكن لأخدماً
اداً فاتباع الجهل قد كان أحزماً

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهاتوه فزات ودنسوا بحياه بالأطباع حتى تجهما
وما كل برق لاح لي يستمزي ولا كل من في الارض أرضاه منما
ولكن اذا ما اضطرني الضر لم أبت أقلب فكري منجدا ثم متها
الى أن أرى ما لا أغص بذكره اذا ملت قد أسدى إلي وأنا

ومما يروى عن الامام الشافعي في معنى هذا الشعر قوله :

العلم من شرطه لمن خدمه أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب صوته عليه كما يصون في الناس عرضه ودمه
فمن حوى العلم ثم أودعه يجهله غير أهله ظلمه
وكان كالمبني البناء اذا تم له ما أراد هدمه

المراد من البيت الاول : ان من خدم العلم حق الخدمة ساد الناس وكان اماما
وقدوة لهم . وبذلك يجعلهم خدما له باختيارهم . وانما يكون هذا في الامم الحية التي
تعرف قدر العلم وأهله . وكذلك كان المسلمون في عصر الامام الشافعي ، وهو ما نرى
مثاله في امم الافرنج اليوم على كثرة علمائهم المبرزين . وقد نهى أحد ملوكهم ولده
ان يخاطبه بنعت « الجلالة » في حضرة شاعر الفرنسيين الملقب [فيكتور هيجو]

والمراد من صون العلم في البيت الثاني انفسر في البيت الثالث ان إيداعه غير
أهله هو ان تصان العلوم الكمالية التي هي فروض كفاية عن السفهاء فاسدي
الاخلاق ، فلا يلحق هؤلاء الا ما يجب عليهم شرعاً لاداء عباداتهم وتصحيح
معاملاتهم . ثم بصرفون الى الاعمال اللائقة بهم لانهم اذا تقنوا العلوم العالية
يتخذونها ذرائع لمفاسدهم ، ويضلون الناس بحيلهم وسوء سيرتهم ، كما نرى مثاله في
رعاع الناس الذين يتعلمون ولا يتهذبون ثم يصيرون حكماً او معلمين

وللامام شعر آخر في هذا المعنى رواه السبكي في طبقات الشافعية بسنده الى
ابي عمر العثماني قال : لما دخل الشافعي الى مصر كاه أصحاب ما لا ، فأنشأ يقول :

أثر درًا بين راعية الغنم وأثر منظوما لراعية النعم
 أن كنت قد ضيّعت في شرب بلدة فلست مضيعا بينهم غرر الكام
 فان فرّج الله الكريم بلطفه وأدركت أهلا للعلوم وللحكم
 بثت مفيداً واستفدت ودادهم والا فمخزوف لديّ ومكتم
 ومن منع الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وروى السبكي بسند آخر يبين عن الشافعي ذكر لها سببا يدل على قدم التعصب
 لهؤلاء الأئمة ، فقد نقل عن الحافظ ابن منده ان الربيع قال رأيت أشهب بن عبد
 عبد العزيز ساجدا وهو يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي والا يذهب علم
 مالك . فبلغ الشافعي ذلك فتبسم وأنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموت فان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
 فقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى تهيأ لاخرى غيرها فكان قد

ومما روي عنه من الشعر ، عند إرادة الهجرة الى مصر ، قوله : —

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر ومن دونها ارض المهامه والقفّر
 فوالله ما أدري للفوز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبري

ومن شعره الذي يذكر فيه السفر ولوازمه ما روي عن صاحبه المزني قال : قدم
 الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه واذا هو قد نزل منزلا والى
 جانبه رجل جالس وفي حجره عود ، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له : يا أبا
 عبد الله أنت في مثل هذا المكان ؟ فأنشأ يقول : —

وأتراني طول النوى دار غربة يجاورني من ليس مثلي يشا كله
 فحامقته حتى يقال سجيّة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويروي أحامقه مكان فحامقته . ومعنى حامقته ساعدته على حقه كما قال
 الجوهري وابن منظور ، وأما عاقله فمعناه غالبه في العقل ، فيفهم من البيت ان الامام

كان يجاري رفيقه العواد في هوسه بضرب العود ولا يأتي هذا الا اذا كان يرى اباحته

أكثر شعر الامام الشافعي في الحكم والاخلاق ، وروي عن أبي يعقوب البوبطي أنه قال له : قلت للشافعي : قد قلت في الزهد فهل لك في الغزل شيء ؟ فأنشدني
يا كاحل العين بعد النوم بالسهر
لو أن عيني اليك الدهر ناظرة
ما كانت كحلك بالمنعوت للبصر
تسقياً لدهر مضى ما كان أطيبه
لو لا التفرق والتنغيص بالسهر
ان الرسول الذي يأتي بلا عدة
مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر

ومن كلامه في الشكوى من الافغناء والافغناء البخلاء

وأنطقت الدراهم بعد صمت
فما عطفوا على أحد بفضل
أناساً بعد ان كانوا سكوتا
ولا عرفوا لمكرمة بيوتا
وجدير بهذا القول من عبر عن حاله بعد انفاق جميع ماله بهذين البيتين
يا لطف نفسي على مال أجود به
ان اعتذاري لمن قد جاء يسألني
على المقلين من أهل المروءات
ماليس عندي لمن احدى المصيبات

وقال في الصداقة

صديق ليس ينفع يوم بأس
وما ينفي الصديق بكل عصر
قريب من عدو في القياس
ولا الاخوان الا للتأسي
صمرت الدهر ماتمسا بجهدي
نسكرت البلاد علي حتى
كان أناسها ليسو بناس
أخا ثقة فأكداه التماسي

وقال في مثل ذلك

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
ان الكلاب لتهدا في مرابضها
واننا لا نرى ممن نرى أحدا
والناس ليس بهاد شرهم أبدا
فأنجح نفسك واستأنس بوحشتها
تلفى سعيدا اذا ما كنت منفردا

باب امر اسلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها من الضعف بسبب نفاذ المال القليل الذي جمعها وبخل المسلمين . فأتى ذلك في قلبي تأثيرا محزنا لعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أمم العالم قاطبة . وحيث إن جبل رجائي مع ذلك لم يتقطع من ترك المسلمين لهذه الغفلة وهذا الجمود اللذين أخرجنا مركزهم أشد الحرج في الهيئة الاجتماعية — رأيت أن أبث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم المنيرة قياما بالنصيحة الواجبة على كل مسلم وتذكرا للمستعدين (و ذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) :

أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضعوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم وللناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الخفيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعتبر .

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيئ في عامة شؤونهم هو فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد أدى اغفال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفشو الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

ينكرها ، فألقته نفوسهم واستأنست بها فكانت ملكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشر عند هذا الحد بل بانغ المسلمون في الامر فالتمس بعضهم نصرا من الشرع يستبيحون بها ما أحدثوا في الدين فلما أعياهم ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤيدان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهما وهمين أنفسهم والناس انهما من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي وتشويه أعدائه لسمعته ، وقلبهم لحقيقته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مرديه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتأملت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بنفوذها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرهم منه ان لم يفتيقوا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، وإما الهلاك الاكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالاقلاع عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نعتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » « الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقائقه ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والعادات . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشأهم انشاء . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فاقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لداء الامة الدفين الذي كاد يودي بحياتها. ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية المحضة بين زوابع الفساد التي اكدست البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا يثني له عزم أخذ على عاتقه القيام بانفاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتהלوا وقد جاءهم الطيب الماهر . ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة فلبتها طائفة كل على قدر استعدادة وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قلما جدا لا يفي بجزء مما يلزم لهذا العمل العظيم وانقبضت أيدي سائر المسلمين وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقرت برؤيته عيون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي ينمو ويشد ، غير أن ضن المسلمين بالمال كان سببا في سريان الضعف اليه حتى أشرف على الاضمحلال والعباد بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية على المشروع . فمع ان المكان الذي اختير ليكون مقرا للجمعية ومدرستها هو مصر فان قومي المصريين لقلة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير مقصودين بالدعوة حتى انه ليصح أن يقال مع الخجل العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال غيرهم .

فأتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أهنئكم بالمقال . انه غير خليك بكم أن تقفوا ساكنين امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتفى بجواركم ولكم ثماره وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان بسبي سمعة المصريين كثيرا كما ان نجاحه يشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي يجتازها العالم أجمع وتدوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آتاه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم يأت غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي بعده في مقام الامام

المرشد وهو تعضيد هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم انفاقه ولا يغنيهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما أنكرها نكروا محتقروها وحاسدوها كما ان مرتبه لا قدر الله يشمت فينا أعداءنا ويجعلنا عرضة لهزء العالم أجمع وسخريته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كالية ونجد الاموال تتدفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يمضي وقت قصير حتى توضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح لدرء الخطر الذي يهدد كيان الملة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول، والقلوب، ورحمة لمنع ماحل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضىها وفي جيوبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشم ؟ انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ،

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعدادا وأبعدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من المعلومات الثمينة والاختبار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري النادر المثال لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذه على الوجه الاكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يقبض خطواته بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفاءته وجعله موضع رجائه . فعلى المسلمين كافة والمصريين خاصة ان يستذكروا مافاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « ومحمد عبده » بأن لا يضيئوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعتوها يخش أن لا تعود قبل عدة قرون .

أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجلهم الذي ضحى

أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم لقدوه بالاولاد قبل الاموال ، وبالنفس قبل الاولاد . لا مرء في ان الامة الاسلامية أشد الام تأخرا في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لذلك أشدهم افتقارا للعمل . فان كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فتي تعملون ، وان لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فماذا أنتم من وسائط الحياة والعمل النافع تعدون . وان كنتم مقتنعين بصلاحية المشروع فمن ذا الذي يقدر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أيها المسلمون ان الله غنيٌ غنيٌ وعنكم وعن العالمين . ولا يتوقف نصر حق على مساعدتنا . فالله يختار لنصرة دينه من يشاء . فان لم تكن من الوفتين ، فيوشك ان يخرج الامر من أيدينا ويوكل الله به قوما آخرين . والله غيور على دينه وحافظ له من الزوال . ولا بد ان يتم نوره ولو كره الكافرون . فظهور الدين محقق فان لم يكن على أيدينا فسيكون على أيدي غيرنا « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وما ذلك على الله بعزيز »

فمن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعف له القرض ؟ ومن يسارع الى الجنة هرصها السموات والارض ؟ هذا أوان العمل فاعملوا أيها المسلمون ، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : أنذرتكم ونصحت لكم وأنا منكم ، واقع في التقصير مثلكم ، وأنا أدعوك وأدعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل مطاة وان قل ، ولا يستكثر مكثر ما يستطيع ان يبذل . وها أنا ذا اخطو الخطوة الاولى في هذه الكرة الثانية فادفع على قلة ثروتي خمسة عشر جنيها مصريا بعد ان دفعت في الكرة الاولى عشرين جنيها مصريا . ابغيتها ذخرا عند من خلقتني ولم ألك شيئا ، فأقبلوا على تجارة لن تبور ، واهلوا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا الى ما نحن فيه من المحنة ، وادروا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا يضيع ، ويكون لكم عند الله خير

شفيع ، يوم يقوم الناس ويحشر الجموع .

هذا وانصافا لمجلة المنار الاسلامية ؛ وتقديرا لخدمتها في سبيل الغرض المقصود للجمعية ، ادفع اشتراك خمس سنين سلفا ، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين . فسدّد الله لهم أعمالنا ، وأنرّ لنا سبيلنا ، آمين
م . ن .

[المناسا]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته ، وشعبه المصري وسائر أمته، كما نشكر له حسن ظنه فينا ، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنة لنا ، ولا بدعة الى ترجيح ظنه فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا ، ونرجوا ان يعذرنا اذا نحن لم نقبل منه الاشتراك عن خمس سنين سلفا فحسبه من الوفاء للمنار ماجرى عليه من دفع اشتراك كل سنة سلفا ، فهو من السابقين بالخير اشتراكا وأداء.

هذا— وإن الكاتب قد كان كتب مقالا قبل هذا في معناه أكثر ما فيه المبالغة والافراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه كتب بعض الحقيقة بلا غلو ولا مبالغة، وقد قلنا له إنا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة التي ترمي اليها ، وان كنت أحسن منا ظنا ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئا فلجعل الكلام في موضوع العمل دون مدح العامل ، — فجاءنا بهذا المقال ، فلم نر بدا من نشره، لان ذلك من حق كاتبه علينا اذ لانعرف أحدا من الناس أشد غيرة ، واخلاصا منه لربه ودينه وأمته، وأي دليل أدل على الغيرة والاخلاص من بذل المال في سبيل الله ؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قبلنا أن نأخذ منه جميع ما بيده لإيقافه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحا ، بل طالما عرض علينا بذل ماله ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة، ولكنتا نعلم ان عياله أحوج الى ذلك من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده ، وقد كان ما بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فسكت بعد مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعيد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاسئلة المشتملة على الثناء وألقاب المدح لنا بنصها على خجلنا مما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشر مثله، وأهم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكتّاب في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولمن بعدهم ومواقفة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى، وكان كثير من هذه الفتاوى ينسخ في عصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار

إن بيان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتمل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعمها فائدة، وليس هو من قبيل تدوين المدائح الشعرية في شيء، واننا نكره المدائح الشعرية المحضة، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يجيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتعجيز وإن كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكتّاب هذه الرسالة معبرا بهاعن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاد، راجيا ان يشعر بشعوره ويعتقد اعتقاده كثير من المسلمين فينهضوا بمشروع الدعوة والارشاد، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة، ولولا ذلك لما كتب حرفا. وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي تصدينا له، وإكثنا لانظن أن دعوته تجاب ولا أن أمنيته تصدق وإن كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه، ولا يزال استعداد الأمة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها، أضعف منه في غيرها، وإن كان هؤلاء الحكام صوريون لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة، فأرقى مسلمي الهند ووثنيها هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم، وابعدهم عن الترقى والاصلاح من لهم حكام من أنفسهم، وسنبين رأينا في أغنياء بلادنا وأمتنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

خاتمة السنة الثامنة عشرة للمنار

وحاله في السنة الجديدة

بحمد الله نختتم السنة الثامنة عشرة للمنار كما افتتحناها بحمده وهو هو الذي بحمد في السراء والضراء وحين البأس ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن عودا على بدء ، فقد لطف بنا في هذه العسرة العامة ، ورحمنا في هذه الفتنة الطامة ، التي لم تصب الذين ظلموا منا خاصة ، وغاية ما أصاب إدارة المنار ومطبعها من تأثير هذه الحرب ان قل دخلها وفقدت أكثر أصناف الورق بضعة أشهر لقلة الوارد من أوربة ومضاعفة ثمنه أضعافا ، حتى ان هذا الجزء من المنار بدئ بطبعه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وطبع بعضه في ربيع الآخر والكراسان الاخيران منه في شهر رجب سنة ١٣٣٤ ونحن قد كنا ابتعنا في أول سنة ١٣٣٣ ورقا يزيد عن حاجة المنار فيها بعد أن أمرنا المطبعة بأن تنقص ألف نسخة مما كان يطبع منه في مقابلة انقطاعه عن الممالك العثمانية وبعض البلاد التي تعذر ايصاله اليها ، ثم علمنا في أواخر السنة ان الورق قد نفذ ، لأن الأمر باتقاص المطبوع ما نفذ ، وما ذاك الا ذهول ونسيان ، وما قدر كان ، فعمدنا الى من يجلب لنا الورق من أوربة بطلب طائفة منه فلم يصل اليها بعض ما طلبنا الا بعد بضعة أشهر ، وهو لا يكفي لاصدار عشرة أجزاء من المنار وان نقصنا من المطبوع ألف عدد أو أكثر

فنحن مضطرون لقلة الورق وخشية انقطاع وروده كما يتوقع تجار الجلب ان نجعل كل جزء منه ثمانية كراريس (ملازم) فاذا يسر الله لنا ورقا تم السنة اثني عشر شهرا فيكون المجلد التاسع عشر كالثامن عشر ، والا جعلناها عشرة أشهر فقط ، على ان ورقها أغلى ثمنا من ورق المجلدات الكاملة

هذا وان قراء المنار في مصر يعلمون أن دخله قد انقطع من عدة ممالك تعذر ارساله اليها في زمن الحرب ، فلم يبق له مورد يعتد به الا منهم ، ويعلمون أيضا ان النفقات قد زادت ، وان كل شيء صار يشتري بالنقد ، فترجو من مروءتهم العالية ان يتفضلوا بأداء ما عليهم من قيمة الاشتراك فيكون جل الفضل لهم باستمرار هذه الخدمة للاسلام والانسان ، وقد دفعنا هذه الحاجة الى تذكير من لم يدفعوا للمنار شيئا مما عليهم منذ عشر سنين أو أقل أو أكثر ، فمنهم من بادر الى أداء جميع ما عليه ، ومنهم من جمعه أقساطا ، ومنهم من مطل ولوى ، ومن أعرض بجانبه ونأى ، وسنبين أحوال هؤلاء الناس في المقالة التي وعدنا بها في تعليقنا على الرسالة المنشورة قبل هذه الخاتمة

ولم يرد علينا في هذه السنة نقد على المنار ولا تزال نطالب القراء بان يتعهدونا بالنصيحة ، والحمد لله أولا وآخرا



Bibliotheca Alexandrina



0551742